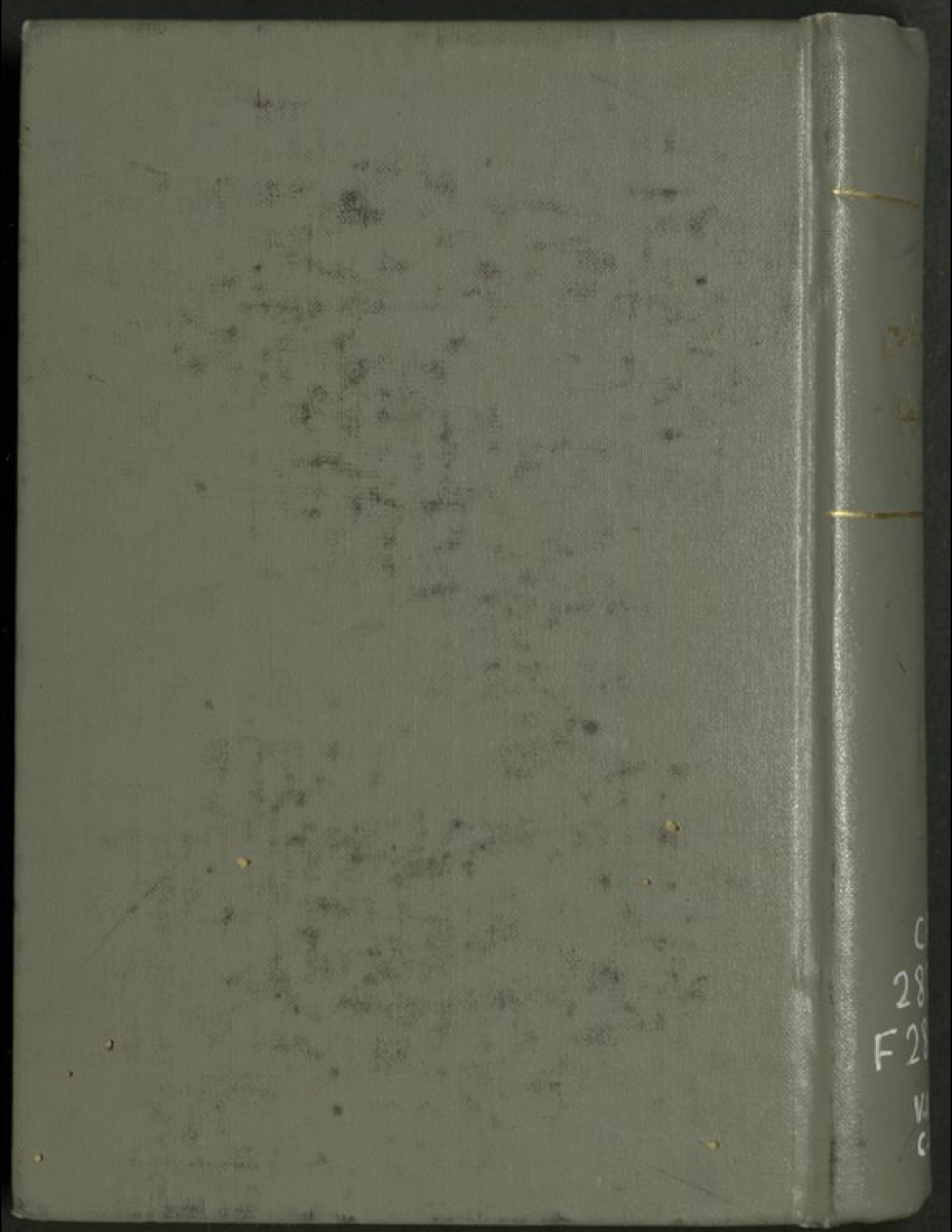
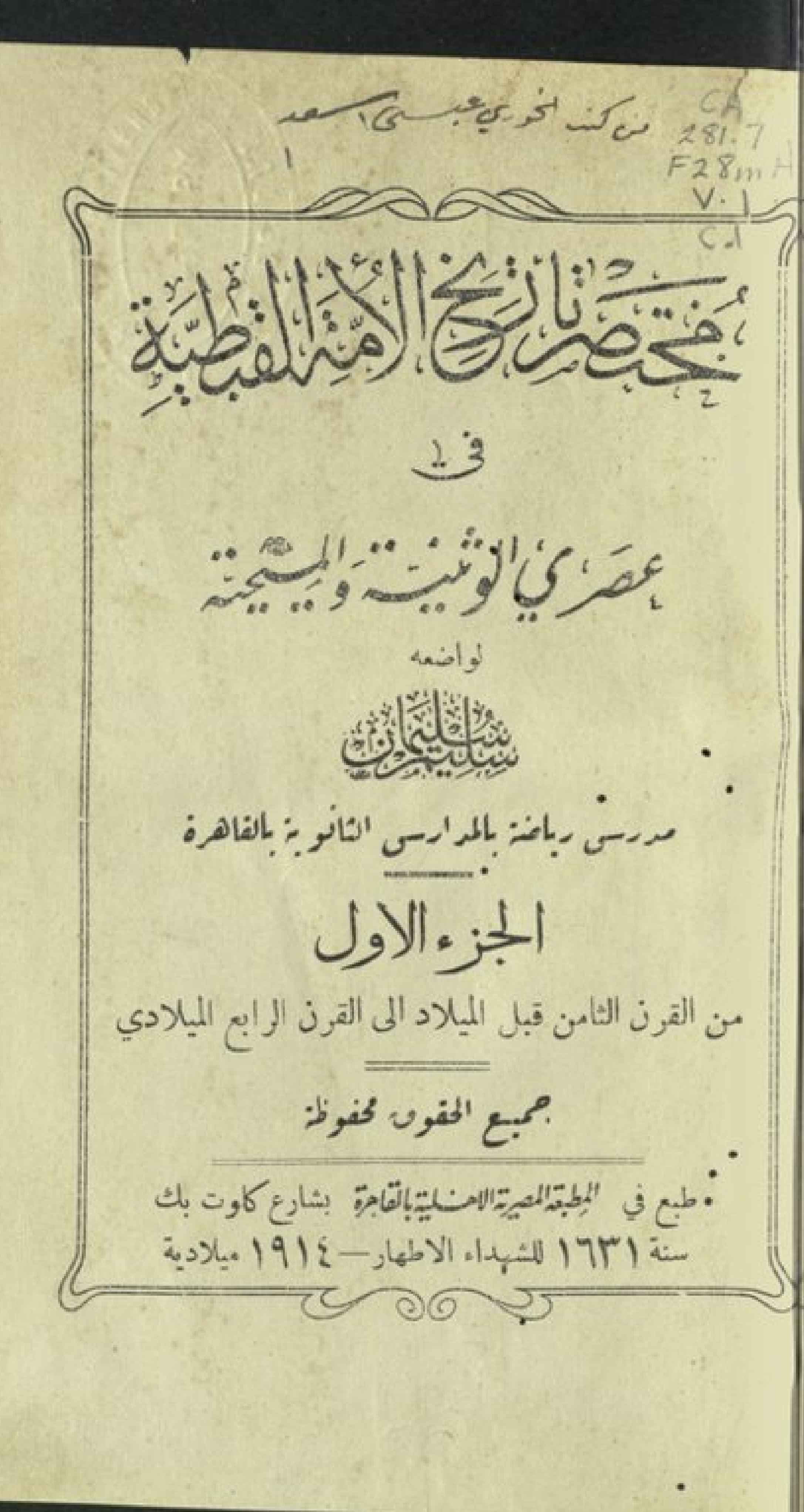




مختصر تاريخ الامة القبطية

في

عصري الوثنية والمسيحية

لواضعه

سليم سليمان

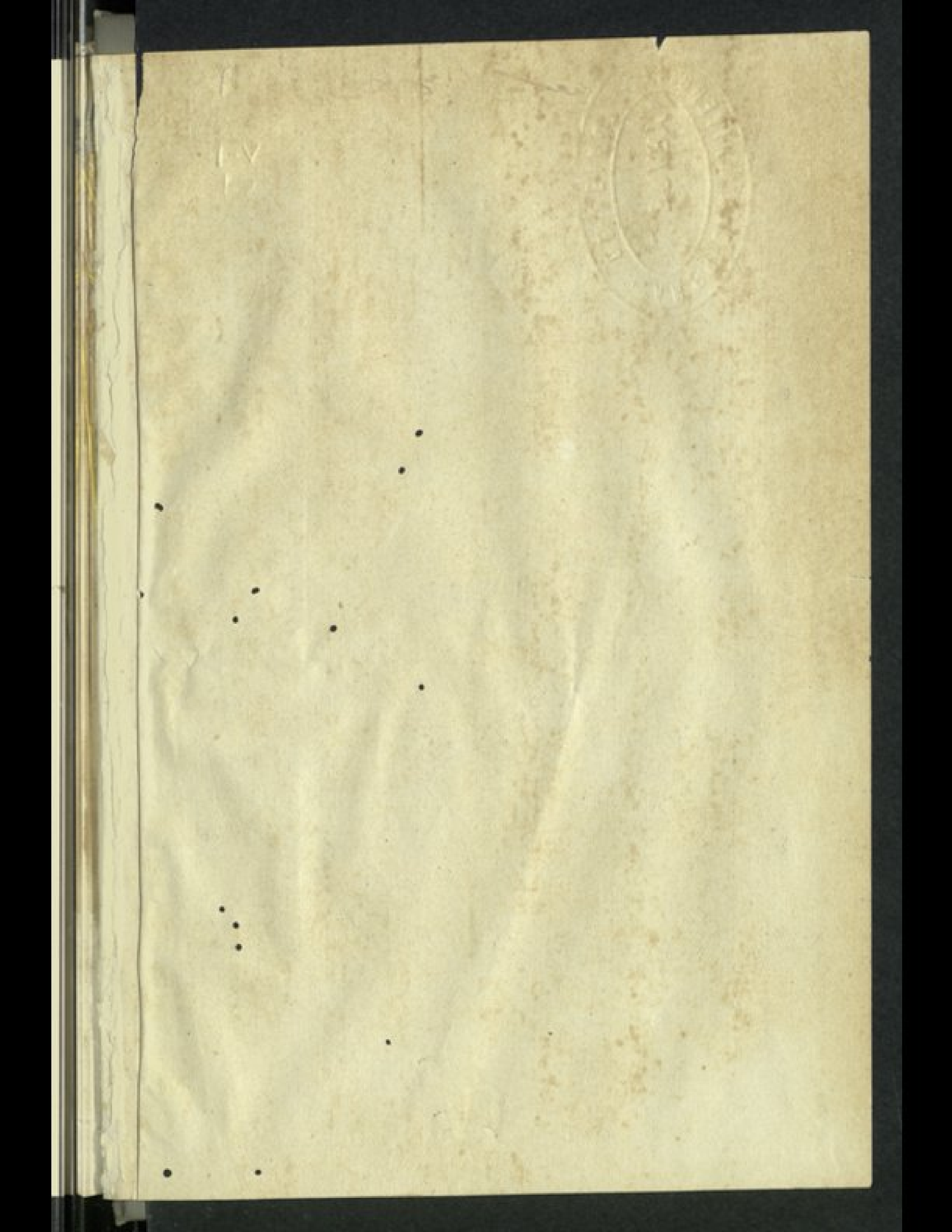
مدرس رياضة بالمدارس الثانوية بالقاهرة

الجزء الاول

من القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن الرابع الميلادي

طبع في المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة بشارع كاوت بك

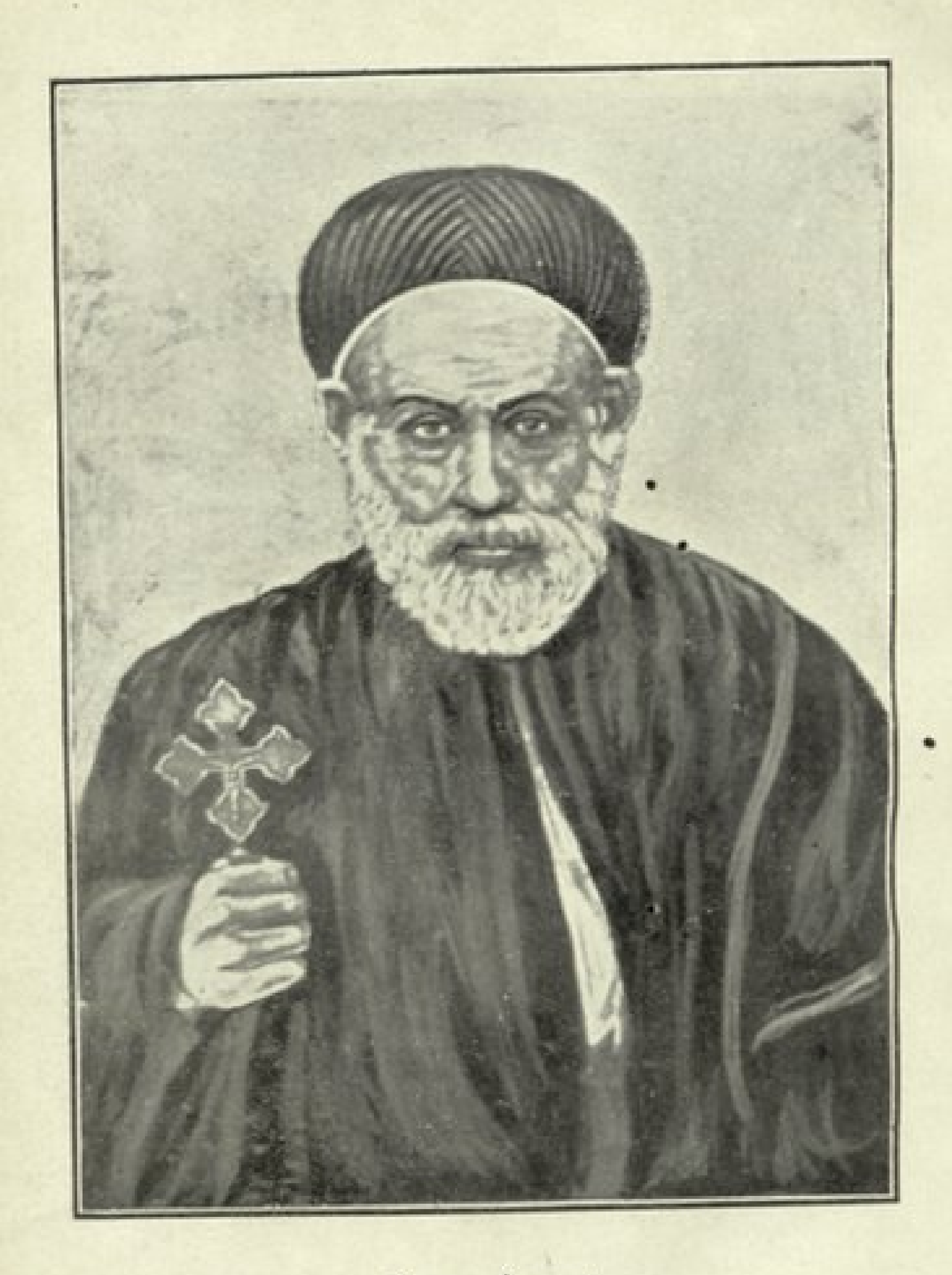
سنة ١٦٣١ للشهداء الاطهار — ١٩١٤ ميلادية





قداسة الأنبا كيرلس الخامس

بابا الاسكندرية وسائر الكرازة المرقسية



نيافة الانبا ابرآم
اسقف كرسي الفيوم والجيزة

محتويات الجزء الاول

من كتاب مختصر تاريخ الأمة القبطية

« في عصري الوثنية والمسيحية »

الباب الثانى

عصر الوثنية

القرن الثالث

الحوادث الدينية

بابوات الاسكندرية

الحوادث المدنية

الشهداء الأطهار

القرن الرابع

الحوادث الدينية

بابوات الاسكندرية

اصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١١	القبطي	اليوناني
٤١	١٢	لمدنية	لمدينة
٥٢	٥	في ٣٠	. وفي ٣٠
٥٢	٦	سنة ٦٨ م بدم	سنة ٦٨م وُسمت بدم
٥٨	١	اجنبي (وخصوصاً من بعد	دخيل (انظر
٥٨	١٨	البطريرك الـ٦٨ للملكيين	بطريرك الملكيين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٩	١٦	سنة ٣٢٨ م	سنة ٣٢٦ م
٦٣	٢	يوستنيانوس النسطوري	يوستينوس القيصر
٦٣	٣	(٥٢٧ — ٥٦٥)	(٥١٨ — ٥٢٧)
٦٧	١٥	إحياتها	حياتها
٧٢	١٦	فيمتبورج	فيتمبورج
٨١	٢	الثالث	الثالث عشر
٩٢	١٠	ذبائح	ذبيحة
١٠١	٤	أفسس	أفسس، بأمر الملك الحسن العبادة
١٠٥	٧	الدنس	الدنس المشار اليه في (رؤ ١: ٢. ٥)
١٠٧	٦	البتولية	البتُولة
١٣١	٩	تغيرون	تغارون
١٦٤	١٧	أبرُوشية	إيبرشية
١٦٨	١١	التاسع	الثامن
١٨٧	١٣	مينوس	نينوس
١٩٣	٩	معبدالذهب	معدن الذهب
٢١١	١٢	السادسة	الثالثة
٢٤٢	٣	اشتهر في زمن	هو
٢٥٠	١١	١٦٤	١٤٦
٢٦٤	٧	الاكتتاب الثاني	الاكتتاب الاول
٢٦٧	١٣	تخالف الواقع	لا تخالف الواقع
٢٦٧	١٣	لم يكن ملك الفرس	لم يكن ملك الف س فقط

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ولكنه	وانه	١٤	٢٦٧
وتداوس (يهوذا)	ومتياس	٥	٢٧١
(٣٤ — ٦٨)	(١٦ — ٦٨)	٧	٢٧٢
١٩١١	١٨٧٠	٨	٢٧٤
وفيها كنيسة للقديس	وفيها ولد القديس	١٥	٢٨٨
وناط	وأناط	٨	٢٩٩
بذات	بذي	٢	٣٣٠
فيلاستير اسقف برسيا بايطاليا (٣٨١ — ٣٨٧ م)	الكردينال فيلاستروس «Filastre» اسقف إكس (١٣٤٤ — ١٤٢٨)	١٩ و ٢٠	٣٣٠
بثلاثتها	بها	١٥	٣٣٥
انظر الصواب في صفحة ٤٨٨	ايسيذورس الفرمي وترجمته	١٩ و ٢٠	٣٩٧
(اا ٩٤)	(اا ٦٤)	١٢	٤٣٠
ذاع	زاع	١١	٤٨٢

الرموز الخصوصية لهذا الكتاب

ج — جزء
دا.مع.فر.. دائرة المعارف الفرنسية
ر — رأس
ش — للشهداء الاطهار
ص — صفحة
ف — فصل

ق — قبطية
ق . م — قبل الميلاد
ك — كتاب
م — ميلادية (بعد السنين)
م — مجلد

اختصار أسماء الاسفار المقدسة

﴿ العهد القديم ﴾

تك أي تكوين
خر « خروج
لا « لاويين
عد « عدد
تث « تثنية الاشتراع
يش « يشوع بن نون
قض « قضاة
را « راعوث
١صم « صموئيل الاول أو الملوك الاول
٢صم « صموئيل الثاني أو الملوك الثاني
١مل « الملوك الاول أو الملوك الثالث
٢مل « الملوك الثاني أو الملوك الرابع
١أي « أخبار الايام الاول
٢أي « أخبار الايام الثاني
عز « عزرا

نح أي نحميا
طو « طوبيت
يهو « يهوديت
أس « أستير
أي « أيوب
مز « مزامير
أم « أمثال سليمان
جا « الجامعة لسليمان
نش « نشيد الانشاد
حك « حكمة سليمان
سي « يشوع بن سيراخ
أر « أرميا
مرا « مراثي أرميا
با « باروخ
حز « حزقيال
دا « دانيال
هو « هوشع
يوء « يوئيل
عا « عاموس

عو أي عوبديا
يون « يونان
مي « ميخا
نا « ناحوم
حب « حبقوق
صف « صفنيا
حج أي حجي
زك « زكريا
مل « ملاخي
١ مكا « المكابيين الاول
٢ مكا « المكابيين الثاني
٣ مكا « المكابيين الثالث

العهد الجديد

مت أي متى
مر « مرقس
لو « لوقا
يو « يوحنا
أع « أعمال
رو « رومية
١ كو « كورنثوس الاولى
٢ كو « « الثانية
غل « غلاطية
اف « أفسس
في « فيلبي
كو « كولوسي
١ تس « تسالونيكي الاولى
٢ تس « « الثانية
١ تي أي تيموثاوس الاولى
٢ تي « تيموثاوس الثانية
تي « تيطس
فل « فليمون
عب « عبرانيين
يع « يعقوب
١ بط « بطرس الاولى
٢ بط « « الثانية
١ يو « يوحنا الاولى
٢ يو « « الثانية
٣ يو « « الثالثة
يه « يهوذا
رؤ « رؤيا

اهداء الكتاب

أُهدي هذا المؤلَّف المختصر الى الفتاة القبطية ، راجياً أن تنقش عِبَرَ تاريخ أُمَّتها على صَفَحات قلبها ، ثم تردّد تلك العظاتِ البالغات على مسامع إخوتها وذويها ، فزوجها وبنيها . وإني أنزع في ذلك الى المذهب القائل : « إن في استطاعة المرأة التي تهزّ سرير طفلها بيمينها أن تهزّ العالم بيسارها »

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد

مقدمة الكتاب

قرَّرَ علماء الاجتماع أنَّ رقيَّ الأمم لا يأتي اتفاقاً من غير أن تُومِئَ إليه المقدِّمات، ولا بغتةً دون أن تُسفِر عنه الدَّلائل، ولكنهُ نتيجة جهادٍ متواصل، تفوز فيهِ الأمةُ المتمسكةُ بالدين والعلم كليهما، وتُخفِق فيه الأمةُ المتمسكة بأحدهما دون الآخر. فكثرةُ المدارس لا تنفع اذا كان الدين في ضَعف، وانتشارُ العلم لا يفيد اذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية، ووفرةُ المال لا تُجدي اذا لم يُستخدَم ذلك المالُ في تشييد المدارس والمعابد، ثم الملاجئ الخيرية والمشاريع المالية من تجاريةٍ وزراعيةٍ وصناعية. لهذا كان التاريخ بقسميهِ الدينيِّ والمدنيِّ، في مقدِّمة العلوم عند الأمم الراقية، لأن فيهِ نوراً لأفهام الذين يُعنَوْن بالسير نحو المستقبل على أضواء الماضي والحاضر

ومن دواعي الأسف، أن يُخطئَ الكثيرون فهمَ المراد من التاريخ، فيتوهَّموهُ مجموعةَ أقاصيصَ وأخبارٍ وُضعَت على

سبيل الفكاهة، فلا يجهدون عقولهم في إدراك دقائق أغراضه وخفيّ مقاصده. ولو علمت الأمة أن المراد من التاريخ هو المطالعة والتدقيق، ثم العظةُ والاعتبار، ثم الاجتهادُ والتحقيق، لذكت في قلوب أبنائها نارُ الغيرة، وتربّت لديهم ملكة النقد والملاحظة، واستطاعوا أن يميزوا بين نافع الاعمال وضارّها، الى غير ذلك مما يبشّرُ بنهضة الأمة، ويتدرّجُ بها في طريق الحياة.

ولا يخطو الشعبُ الناهض خُطوةً دون علاماتٍ واضحة وأماراتٍ ظاهرة، هي مميِّزاتُ الأمم الدالّة على التقدم والتبريز، اللذين يُعقبان قعودَ الهمّة وتخاذلَ العزم. ولما كانت الجنسية واللغةُ والدين في مقدِّمة تلك المميِّزات، فإننا على يقين من أن القبط الذين انتبهوا من رُقادهم الطويل، سيدعوهم تيقظُهم الى إتقان لغتهم المصرية[1]، والمحافظة على عقائد كنيستهم المصرية[2]، ليكونوا مصريين جنساً ولغةً وديناً، ولتكون تلك الروابطُ

(١) هي اللغة القبطية. ولا نقصد بذلك أن يُهمل القبطيُّ اللغات الأخرى، بل أن يتعلم لغته مع تلك اللغات ان لم نقل قبلها.

(٢) هي الكنيسة الاسكندرية الشهيرة بالكنيسة القبطية الارثوذكسية.

الثلاثُ، واسطةً لانتظام عِقدِهمُ الذي نثرته الأيدي الأجنبية[1]
أيامَ صرعنا الجهلُ فأفسدَ نفوسنا وخدّر أعصابنا

ولنهضة الأمة قرائنُ أخرى . منها تسابقُ أبنائها في ميادين الأعمال الصالحة دونَ الإعلان عن أشخاصهم ، فلا يَزيدُهمُ الثناء نشاطاً ، ولا يُكسِبهمُ الذمُّ سآمة

ومنها الثّباتُ في العمل ، والصبرُ على المكاره ومُغالبة الأيام ، التي إن حالَتْ بين طائفةٍ من الناس وبين آمالهم ، فهي لاتقوى على الوقوف في وجه جميع الذين يسيرون على آثار هذه الطائفة

ومنها توثيقُ صِلَةِ الإخاء بين الخاصّة والعامّة، فمتى تمكّنت الرّوابط ، واجتمع أبناء الأمة على النّعماء والبأساء ، عمّت المبادئُ النافعة، وتولّدت رُوحُ التضامُن ، وقويت الأمة على البقاء

ومنها شعورُها بمواطن الضّعف، وسعيها وراء الاستشفاء من الداء ، فاذا مامسّ قلمُ الكاتب موضع الألم ، حَمِدَ الجمهورُ صاحبه ، بَدلَ الإنحاء عليه باللوم ، والإقبال عليه بالتقريع .

(١) الكاثوليك والبروتستانت

ومتى عَرَفَ أبناء الأمة حاجتهم الى العلم والتهذيب، وأدركوا أن هناك أمماً تقدّمتهم، فالرجاء معقودٌ بتسنُّمهم فروعَ العلى والمجد، وبلوغهم قِمَّةَ الشرف والعزّ.

وإذا كنّا غيرَ مبالغين في القول بأننا نتأهَّبُ للنهوض ونتهيّأ للسَّير الى الأمام، فقد حان وقتُ توطيننا النفسَ على إصلاح ذلك الفتى، الذي لا يصِلُ الى شعورهِ سوء حال قومهِ، فلا يؤدّي لهم بعضَ الواجبات المفروضة عليه. بل آن الأوانُ لنستنفد طاقتنا في تطهير الأمة، من الذين خدعهم ثغرٌ باسم أو وُدٌّ كاذب، أو غرّهم مالٌ زائل أو وظيفةٌ فانية، فباعوا ذِمّتهم ودينهم في حلقات الإرساليات الافرنجية، وأمسوا بعد ذلك أفواهاً تسبّح بحمد أولئك الأجانب، وأبواقاً تنشر أضاليلهم، وذيولاً تجرّ وراء ظهورهم، وأذناباً تلدغ يميناً وشمالاً.

إنّ هؤلاء المارقين منّا إن لم يرجعوا عن غيّهم، وجب علينا أن نقاطعهم ونُعرِضَ عنهم، فإن لم يكن ذلك عقاباً كافياً لهم، نَعَينا عليهم عيوبَهم، ليَصِلَ الى سمعهم أنّهم خائنون، بل استحقرناهم ليعرفوا أنّهم حقيرو الشأن، واستصغرناهم ليدركوا

أنهم صغيرو القدر . واذا وُجد لسوء الحظّ بين سَرَاة قومنا من لا يرعى لأمته عهداً، وجب ألاّ يكونَ غناه أو عَظمته شفيعاً لدينا فيه، بل فليكن ذلك سبباً جديداً لاقتصاصنا منهُ، مبتدئين بإقصائه عن مقاعد مجالسنا المليّة، وجمعياتنا الخيرية، عملاً بوصية بولس الرسول القائل : « إقطعوا الخبيث من بينكم » . (١ كو ٥ : ١٣) . وبهذا وأمثاله، تقضي على أعداء أمتنا ، الذين كثيراً مّا يَظهرون لنا في مُسوك الاصدقاء، فيتودّدون الينا ، وهم أخدَع من السّراب وأروغ من الثعالب .

* * *

وضع الأجانب في تاريخ القبط مؤلفاتٍ عديدة ، جاء معظمها سديداً فيما يختص بعصر الوثنية، وسخيفاً مملوءاً بالخَطَل فيما يختصّ بعصر المسيحية. وهذا يدلّ على إحكام العمل المنزّه عن الغرض، وفساد الآراء العاثرة، والأقوال الطائشة، الصادرة عن هوىً في النفس ومرضٍ في القلب .

ولمّا كانت المؤلفات القبطية ـ رغمَ كبير قيمتها ـ قد أطنبت في بعض المواضيع وأغفلت غيرها ، رأيت أن أضع هذا المختصر ـ (مختصر تاريخ الأمة القبطية في عصري الوثنية

والمسيحية) - رَجاء أن يكون أعجل الى النفع وأقربَ الى الفائدة. ولقد تحرّيتُ فيه المواضيع التي تهمّ القبط خصوصاً والمسيحيين عموماً، راجعاً في ذلك الى أوثق المصادر، معتمداً على مساعدة بعض اخواني المدرّسين المخلصين لأمتهم، مقتبساً من علم المسيو ماسپرو مدير الآثار المصرية، الذي أرشدني الى كثير من الحقائق الخاصّة بعصر الوثنية. ولا أراني مبالغاً اذا قلت اني قضّيتُ شطراً من أوقاتي اكشف عن الغوامض، وأُثير الدفائن، من مكتبة دار الآثار بقصر النيل والمكتبة الخديوية بباب الخلق، والمكتبة القبطية بالدار البطريركية بمصر، ومن مكتبات لندن حيث كنت طالباً بكلية باترسي سنة ١٩٠٩ م. كلُّ ذلك دفعني اليه ما لاحظته من احتياج القبط الى مراجعة تاريخهم، تاريخ المدنية والحضارة بل تاريخ الدهر كله، حتى اذا ما وقفوا على ماضيهم المجيد، اتخذوا من حوادث جدودهم الخالدين، عظةً نافعة، ومن سيرتهم الصالحة، خير نبراس يستضيئون به، في سيرهم الحثيث الى المجد المؤثل

وقد قسّمت هذا الكتاب الى قسمين رئيسيّين، يشمل

القسمُ الأولُ تاريخَ القبط في عصر الوثنية ، وفيه كلمةٌ عن لغتهم وتقويمهم وعاداتهم ومنابع ثروتهم ، ثم ذكر ملوكهم مقروناً بما أتوه من جلائل الأعمال داخلَ البلاد وخارجها . ويشمل القسم الثاني تاريخهم في عصر المسيحية ، مرتبةً حوادثُهُ على حسب القرون الميلادية . وقد صدَّرتُ كلاًّ من هذه القرون ، بالحوادث الدينية المتضمنة تراجم بابوات الاسكندرية - وهم بطاركة القبط الذين أخلفوا مرقس رسول مصر على العرش الاسكندريّ - ، وألحقته بالحوادث المدنية التي تختصّ بملوك مصر وحكامها ، متوخّياً فيها طريق الايجاز ، بعد أن طرَق بابها نخبةُ الكتّاب العصريين ، أخصّ بالذكر منهم سعادة ميخائيل بك شاروبيم ، والمرحوم يعقوب بك نخله . ومن ثم جاء هذا الجزء الاول حاوياً عصرَ الوثنية بتمامه ، وكذلك القرون الاربعة الأوَل من عصر المسيحية . وسنسير على هذا الترتيب في الأجزاء التالية ، حتى نصل الى القرن العشرين بفضل الله وإحسانه

هذا ولم يجرّئني على وضع ذلك الكتاب ، إلاّ ما أعتقده من أنّ كلّ ما يحصُلُ عليه الآحاد من علمٍ ومال ، هو مِلكٌ

للمجموع ، وما أراه من وجوب قيام القبطيّ بنشر ثمرات اجتهاده ، كلّما سنحَت له الفرَص ، لا سيّما وقد قال يعقوب الرسول: «من عرَف خيراً ولم يعملهُ فعليه خطيئةٌ »(يع ٤: ١٧).

وعلى هذا القياس يُعتبر من التقصير بل من العار، أن يمتنع الانسان عن العمل النافع، ارتكاناً على وجود من يعلوهُ علماً ومقاماً .ولا يَصحّ بحالٍ من الأحوال أن يُتخذ تقصيرُ بعض الناس ذريعةً لتغاضي غيرهم، بل ربما كان قيام الصغير بتأدية الواجب عليه نحو أمته ، من أكبر بواعث استنهاض همم كبار الأمة وقادتها

وفي الختام أدعو الله أن يوفق أمّتنا الى القيام بتربية ناشئتها تربيةً عالية ، وذلك بفضل الأمهات الصالحات المتعلّمات ، ثم بفضل نظار مدارسنا القبطية وأساتذتها ، الذين يجب أن تُحسن الأمّة انتقاءهم، ليبثّوا في قلوب أبنائها روح الدين والعلم والأدب.

اللهمّ بشفاعة قديسيك، تقبّل تضرّعات عبدك المخلص لأمته المصرية وكنيسته القبطية الارثوذكسية

سليم سليمان عبد السيد

الفيومي

الباب الاول

﴿ مصر وأهلها القبط — وفيه تسعة فصول ﴾

الفصل الاول

(مصر وحدودها ومساحتها)

مصر واقعة في الشمال الشرقي من قارة أفريقية وهي ذلك الوادي المتعرج على جانبي النيل السعيد بين سلسلتين من الجبال تسمى الشرقية منهما سلسلة جبال العرب والغربية سلسلة جبال لوبيه. ويحد مصر من الشمال بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الآن السودان المصري الانجليزي ومن الشرق البحر الأحمر وبلاد العرب والشأم وفيها القدس الشريف ومن الغرب طرابلس الغرب والصحراء الكبرى التي فيها الواحات وتبلغ مساحة القطر المصري ١٦٥ مليون فدان تقريباً يزرع منها نحو ستة ملايين.

ساحل مصر الشمالي خال من الجبال العالية ولما كان برزخ السويس يصل مصر باسيا قبل حفر قناة السويس كانت مصر عرضة لهجمات الفاتحين من قديم الزمان كما سترى. وتربتها زراعية خصبة لذلك ترى أهلها ، وهم القبط ، قانعين بسكنى بلادهم. وقد استخرجوا منها الذهب وبرعوا في صياغته غير انهم لم يقفوا على أثر لمعادن الفحم والحديد ولذلك لم تكن مصر بلاداً صناعية. وأهم ما يستخرج من المعادن في مصر الآن هو الذهب والرصاص والزنك والنطرون ونترات الصودا وزيت البترول (الغاز) والفوسفات ويوجد الزبرجد في جزيرة القديس يوحنا بالبحر الأحمر .

القطر المصري هواؤه معتدل جداً ولذلك تمكن القبط من تشييد المباني الضخمة وإقامة المعابد والاهرام والكنائس وحفر الترع وغير ذلك ويؤمه كثير من السياح في فصل الشتاء للتمتع بهوائه والتفرج على آثاره العظيمة. وقد حملوا الى بلادهم منها ومن الكتب القبطية شيئاً كثيراً انتفعوا به ونحن غافلون.

الرياح والامطار : أولاً تهب في الصيف من الشمال ريح النسيم المعروفة بالهواء البحري مدة ثمانية شهور . ثانياً

تهب في شهري برموده وبشنس ريح السموم المعروفة بالمريس (اي الجنوب) أو الخماسين لأنها تهب من الجنوب الغربي مدة خمسين يوماً فتحمل معها من رمال الصحراء الكبرى ماتملأ به الجو عثيراً. ثالثاً، تهب ريح قوية في شهر أمشير (زوابع أمشير) فيعتكر بها الجو ثم تنقطع فجأة . وأما الامطار فقليلة جداً وأغلب نزولها في الوجه البحري في شهري كيهك وطوبه.

الفصل الثاني

(النيل والأعياد القبطية الزراعية)

اسم النيل اخذ من اللفظ القبطي (ني يارو ⲚⲒ ⲒⲀⲢⲰⲞⲨ) اي الأنهر . ولما كان سكان جهات المنزلة ومن جاورهم على شواطئ البحر الأبيض وهم البشامرة من نسل الملوك الرعاة لا يمكنهم النطق بالراء بل كانوا يبدلونها باللام فقالوا مع اليهود (ني يالو) ثم عربت الى نيل .

منبع النيل – ينبع من هضبتين: هضبة البحيرات الكبرى على خط الاستواء وهضبة الحبشة في شمالها الشرقي فيخرج أولاً من بحيرة فيكتوريا نيانزا (منسوبها مرتفع عن منسوب

البحر الابيض المتوسط ١١٣٤ متراً) ويعترض مجراه أعشاب تعرف بالسد . ثم يجري جهة الشمال باسم النيل الابيض الى أن يصل الى الخرطوم في السودان وهناك يلتقي بأهم نهيراته وهو النيل الازرق الآتي من بحيرة (تسانا) في بلادالحبشة وبعد ان يتجه شمالاً باسم (النيل) يصب فيه نهر عطبره الآتي من شمال الحبشة . ثم يسير النيل وسط صحراء مسافة ١٦٠٠ ميل [١] وينحني مجراه انحناء مزدوجاً في هذه الجهة المسماة (بلاد النوبة) . وقد أقيم في مجراه بمصر سدود صناعية تعرف بالخزانات لحفظ المياه وقت الحاجة ولعدم انصبابها بدون فائدة في البحر الابيض ، منها خزان اصوان [٢] وثان عند اسنا، وثالث عند أسيوط ، ورابع على بعد عشرة أميال من القاهرة وهو المعروف (بالقناطر الخيرية [٣]). وهناك يتفرع النيل الى فرعين (وكانت فروعه قبلاً سبعة) : فرع رشيد جهة الغرب وطوله

---

(١) الميل ١٦٠٩ أمتار (٢) انفق عليه مليونان من الجنيهات وانتهى سنة ١٩٠٢ وهو من اكبر اعمال الاحتلال الانجليزي

(٣) بنيت في عهد محمد علي سنة ١٨٤٧ بمعرفة مهندسين من الفرنسيين

٢١٩ كيلو متراً وفرع دمياط جهة الشرق وطوله ٢٢٠ كيلو متراً وهذان الفرعان يصبان في البحر الابيض. والمسافة بين المصبين على شاطئ البحر ١٤٥ كيلو متراً. وطول النيل من منبعه الى مصبه ٤٠٠٠ ميل أو ٥٦٠٠ كيلو متر وهو ثاني أنهار الدنيا في الطول بعد نهر المسيسبي في أمريكا وطوله ٤٢٠٠ ميل.

الوجهان القبلي والبحري — لما كان النيل يجري من الجنوب الى الشمال فمن حدود مصر الجنوبية الى القاهرة يسمى بالوجه القبلي أو الصعيد والارض التي بين الفرعين تسمى بالوجه البحري وهو السهل الذي كونه النيل من طميه لان حد البحر الابيض كان قبلا عند جبل المقطم. ويسمى الوجه البحري أيضاً بالدلتا لتشابهه في شكله بحرف Δ (ذلتا) القبطي.

فيضان النيل — اعتبر اجدادنا منذ العصور القديمة ان زيادة النيل تبتدئ في الليلة الثانية عشرة من شهر بؤونه (نزول النقطة) اي دمعة ايزيس إلهة الخصب والنماء وهي الدمعة التي اراقتها حزناً على زوجها (اوزيريس) إله الخير الذي قتله (تيفون) إله الشر والقحل. وقد استبدل هذا العيد في عصر

المسيحية بعيد (الملاك ميخاءيل) . ثم يأخذ النيل في التوحم وهو في عرف القبط اخضرار مائه وتعفن رائحته المسببان عن أصول النباتات المائية والطحلب وغيرها التي توجد في أعاليه ثم تساق الى مصر في بادئ زيادته . وفي اواخر هذا الشهر ينادى على زيادة النيل بمصر وهي عادة قديمة. وتستمر المناداة طول مدة الفيضان . وفي شهر أبيب (يوليو) تكثر زيادة النيل ويتغير لونه من الخضرة الى الحمرة وذلك ناشئ عن جرف المياه للطين الابليز والطمي (الطفل الاحمر) من جبال الحبشة. وهذا الطمي هو السبب في خصوبة ارض مصر. والمثل المشهور (في ابيب: يكون للماء ديب) . وفي مسرى (اغسطس) يكون النيل في الغالب قد استوفى الست عشرة ذراعاً وهو القدر المعبر عنه بماء الخراج والقول المشهور : (مسرى تجري فيها كل ترعة عسرة) . وفي توت (سبتمبر) يكون النيل قد بلغ نهايته . ومن ثمّ يتوقف عن الزيادة يوم عيد الصليب المشهور الذي يقع عادة في السابع عشر من توت . وبعد ذلك يأخذ في الانخفاض .

ويختلف ارتفاع الفيضان في سنة عن أخرى تبعاً لمقدار الامطار التي تتساقط على جبال خط الاستواء والحبشة. ومتوسط ارتفاع النيل في القاهرة يبلغ ثمانية أمتار وقد يصل الى ستة فيحصل الشرق وقد يرتفع الى تسعة فيحصل الغرق واعتداله ما بين ثمانية وثمانية وربع. ولقد صدق من قال:

كأن النيل ذو عقل وفهم   لما يبدو لخير الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه   ويذهب حين يستغنون عنه

هذا هو القانون المطرد في فيضان النيل المبارك سنوياً والقبط الذين خبروا ذلك منذ العصور السالفة قبل سواهم بنوا عليه حساب سنتهم الزراعية وتواريخ أعيادهم.

الاحتفال بوفاء النيل قديماً وحديثاً — لما عرف أجدادنا مزايا النيل اعتبروه «المقدس هابى» واحلوه منزلة المعبودات وكانوا يمدحونه بمدحة ترجمها الموسيو ماسپرو ومضمونها: «السلام عليك ايها النيل يامن ظهر على هذه الارض وأتى بالسلم فاحيا مصر. ايها «المقدس سب» صاحب العيش، و«المقدس نبرا» صاحب الحبوب و«المقدس پتاه» المنير لكل مكان انت

صاحب الاسماك وموجد القمح والشعير ومحيي المعابد. راحة العباد ناشئة عن اعمالك ان لم تهمع يوماً من السماء تسقط منها المعبودات (الكواكب التي كانوا يعبدونها) على وجوهها وتهلك العوالم باسرها الخ». وقال هيرودت المؤرخ: «مصر منحة النيل» وذلك لان فيضانه السنوي هو أهم حوادث السنة.

وأما قول المقريزي نقلاً عن ابن الحكم - ولم يذكره احد قبلهما -: «ان قدماء القبط كانوا يلقون عذراء في النيل كل سنة ليجود عليهم بالفيضان» فهو حديث خرافة كذبه جميع علماء الاثار لانه لم يوجد في الآثار ما يدل عليه.

ولم تزل الحكومة المصرية تحتفل في أيامنا هذه بوفاء النيل احتفالاً رسمياً (جبر الخليج) فتعطل فيه مصالحها وتسيّر في النيل مركباً تسمى العقبة من الترسانة (محل عمل المدافع) ببولاق الى قرب مقياس الروضة بفم الخليج بمصر القديمة وهناك يحضر محافظ العاصمة ونائب عن غبطة البابا الاسكندري وبعض الاعيان فتطلق المدافع وتكتب حجة

وفاء النيل وهذا نصها لسنة ١٩١٢ :

« قد تحقق وفاء النيل المبارك وانه بلغ يوم الاثنين ١٣ مسرى سنة ١٦٢٨ الموافق ١٩ اغسطس سنة ١٩١٢ ثماني عشرة ذراعاً وثمانية عشر قيراطاً بمقياس الروضة وذلك من فضل الله واحسانه ورحمة منه ورأفة بعباده. وقد انشرحت الصدور وطلب الجميع من المولى الغفور ان يجعل النفع به عاماً ويديم به السرور ووجب الخراج على الاطيان واداء الاموال والمرتبات لجهة الخزينة العامرة حسب المعتاد. والحمد لله على امتنانه والمرجو من فضله ان يجرينا على عوائده واحسانه انه ولي ذلك والقادر عليه وبيده مقادير كل شيء وكل شيء راجع اليه » اه

ماء النيل ـ عذب وقذر فعذوبته من حرارة شمس خط الاستواء وقذارته من مروره أيام زيادته بمستنقعات كان قد نزل عنها أيام تحاريقه فيتعفن فيها الماء والحيوان كالاسماك والحشرات والنباتات فاذا مرّ بها وجرفها إبّان فيضانه صار الماء لا يصلح للشرب الا بالغلي او الترشيح

الفصل الثالث

في التقويم القبطي والأعياد القبطية الثابتة والمتنقلة

التقويم القبطي — ويقال له النتيجة القبطية وهو أقدم تقويم في العالم استعمله القبط في فجر تمدينهم قبل المسيح بنحو سبعة آلاف سنة كما شهدت بذلك الآثار وهيرودوت ابو التاريخ . وسنته شمسية ويبتدئ اليوم فيها بشروق الشمس وينتهي بالشروق التالي ، وأما السنة القمرية أو الهجرية عند المسلمين فيبتدئ يومها من غروب الشمس وينتهي بالغروب التالي.

وأول شهور السنة القبطية (توت) وهو اسم معبود من معبودات القبط كانوا يعتبرونه إله العلم والحكمة. وفي أول هذا الشهر الذي هو وقت الفيضان يظهر كوكب الشعرى اليمانية وهو اسطع الثوابت نوراً حيث يشرق ويغرب محاذياً للشمس ويختفي في آخر الفيضان، لذلك جعل القبط (أول توت) مبدأ السنة الزراعية . وكانوا يحتفلون به احتفالاً عظيماً يسمونه (سِدْ هِبْ) ذُكر كثيراً على آثار رمسيس الثاني بجبل السلسلة في مديرية اصوان. ويسمى هذا العيد الآن (نيروز) وهي كلمة

فارسية معناها أول السنة أو العام الجديد واستعملت في مصر بعد دخول العرب. وأما شم النسيم فهو عيد وطني قديم اتخذه القبط في أول فصل الربيع ليكون رأساً لسنتهم المدنية (غير الزراعية) ويسميه الفلكيون (شم نسيم العلماء). ولما جاءت المسيحية وجد القبط ان هذا العيد يقع دائماً في وسط الصوم الكبير فجعلوا الاحتفال به في ثاني يوم عيد القيامة المجيد الذي يقع في يوم الاثنين دائماً.

والسنة القبطية اثنا عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً ويضاف بعد نهاية الشهر الثاني عشر خمسة أيام لكل سنة بسيطة وستة أيام لكل سنة كبيسة تسمى أيام النسيء. وتعرف في القبطية بالشهر الصغير. وتكون السنة كبيسة أي ٣٦٦ يوماً اذا قبلت القسمة على ٤ بعد طرح ٣ منها وإلا فبسيطة اي ٣٦٥ يوماً. وكل ثلاث سنوات بسيطة يعقبها سنة رابعة كبيسة.

الشهور القبطية وما يطابقها من أمثال زراعية عامية

توت — ري وإلا فوت. **بابه** — خش واقفل الدرابه

هاتور — ابو الذهب المنتور . ان فاتك زرع هاتور انتظر لما السنة تدور . **كيهك** — كياك صباحك مساك. **طوبه** — تخلي العجوزة كركوبة. **أمشير** - يقول للزرع الصغير حصل الكبير **برمهات** — اطلع الغيط وهات . **برموده** — دق بالعاموده. **بشنس** - يكنس الغيط كنس. **بؤونه** - بؤونه الحجراي لقطع الاحجار أو لشدة الحرارة . **ابيب** — يسمع للماء ديب . ويقول للبحر طيب . **مسرى** — تجري فيها كل ترعة عسرة

(تنبيه)- كانت السنة الزراعية ثلاثة فصول فصل الزراعة وهو توت وبابه وهاتور وكيهك . وفصل الحصاد وهو طوبه وامشير وبرمهات وبرموده. وفصل الفيضان وهو بؤونه وبشنس وأبيب ومسرى.

وكان أجدادنا يجعلون مبدأ تواريخهم من حكم ملك أو حادثة مشهورة ولما تولى دقلاديانوس قيصر الرومان- الذي اضطهد المسيحيين في العالم وخصوصاً في مصر وأرغم القبط على عبادة الأوثان فأبوا واستشهد منهم ما ينيف عن الثمانمائة ألف نسمة حباً في المسيح وآخرهم بطرس البابا الـ(١٧) خاتمة الشهداء - جعل القبط عصره المعروف بعصر الشهداء الذي

يبتدئ في ٢٩ اغسطس سنة ٢٨٤ م مبدأ لتاريخ سنيهم ليكون عبرة لخلفهم وهو التاريخ المتبع الآن وسنته الحالية سنة ١٦٣٠. ويوضع بجانبها حرف (ش) أي للشهداء أو حرف (ق) أي قبطية.

تنبيهان — (١) يوجد للسنة الميلادية (مولد المسيح) حسابان حساب ميلادي قبطي وسنته الآن ١٩٠٦ ميلادية قبطية وشهوره هي ذات الشهور القبطية ولكنه قليل الاستعمال وهو خلاف تاريخ الشهداء الموافق لسنة ١٦٣٠ قبطية . وحساب ميلادي غربي وهو الافرنجي المستعمل الآن في مصر واغلب أوربا وسنته الآن ١٩١٤ م (أي ميلادية) ويزيد على الحساب الميلادي القبطي بثماني سنوات

(٢) ان الفرق بين التاريخ القبطي (للشهداء) والافرنجي هو ٢٨٤ سنة وهو مطابق للفرق بين سنة ١٩١٤ م وسنة ١٦٣٠ ق مع ملاحظة أن السنة القبطية تبتديء قبل الافرنجية بنحو أربعة اشهر

أهمية التقويم القبطي — للتقويم القبطي أهمية كبرى أولاً ، لانه التقويم الوطني الوحيد للقطر . ثانياً . لانه وجد قبل أن تعرف الأديان الثلاثة : الموسوي والمسيحي والاسلامي . ثالثاً ، لان على شهوره مدار زراعة القطر . رابعاً . لانه بقي مستعملاً في مصالح الحكومات التي توالت على مصر سواء كانت وطنية أو أجنبية الى أن أبطله من الحكومة الخديو

اسماعيل باشا اضطراراً وأوجد بدله التاريخ الافرنجي اعتباراً من أول توت سنة ١٥٩٢ ق الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥م وذلك لانه لما استدان أموال الافرنج اضطروه لاستعمال تاريخهم.

وكان الواجب على حكومتنا الحالية أن تعتبر التقويم القبطي رسمياً في مصالحها كما كان نظراً للاعتبارات السابقة. ولم تزل نظارة الزراعة ومصلحة المساحة والريّ ومدرسة الزراعة الاميرية تعتبره في أشغالها. كذلك تستعمله بعض الدوائر الاهلية والاهالي في الامور الزراعية. ويستعمله القبط أيضاً في مصالحهم وحساباتهم ومراسلاتهم العمومية والخصوصية.

الاعياد القبطية الثابتة الشهيرة عيد النيروز في أول توت عيد الصليب في ١٧ توت (وهو اليوم الذي فيه كرست أول كنيسة باسم الصليب بأورشليم واما يوم ظهور الصليب ففي ١٠ برمهات). ظهور رأس القديس مرقس باسكندرية في ٣٠ بابه (سنة ٣٦٠ ق في رئاسة بنيامين البابا الـ (٣٨). أول صوم الميلاد في ١٦ هاتور - عيد الميلاد المجيد في ٢٩ كيهك.

عيد الختان في ٦ طوبه - عيد الغطاس في ١١ طوبه - عيد القديسة دميانة في ١٣ طوبه - (وهو تذكار شهادتها وأما تكريس كنيستها بوادي الزعفران ففي ١٢ بشنس) - عيد البشارة المجيد في ٢٩ برمهات - عيد شهادة القديس مرقس الرسول في ٣٠ برموده (سنه ٦٨م) - تذكار مجيء السيد المسيح لارض مصر في ٢٤ بشنس - شهادة الامير تادرس بن يوحنا الشُطبي في ٢٠ أبيب (في القرن الاول للشهداء ونقل جسده الى (شُطب) بلده بمركز أسيوط في ٥ هاتور) - عيد الرسل وفطر صومهم في ٥ أبيب - صوم العذراء في أول مسرى - عيد العذراء وفطر صومها في ١٦ مسرى

الاعياد المتنقلة — أما الاعياد المتنقلة فان علاقتها بعيد فصح اليهود جعلها دائماً متوقفة على حسابه. فيكون عيد القيامة دائماً الاحد الذي يلي فصح اليهود - وبعده بأربعين يوماً خميس الصعود وبخمسين يوماً عيد العنصرة (تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ) وقبله بخمسة وخمسين يوماً اول الصوم الكبير وهذا الحساب عرف بحساب الابقطي وبعضهم يسميه حساب الكرمة وينسبه الى البابا ديمتريوس الكرام الـ (١٢).

الفصل الرابع

مصادر التاريخ القبطي في عصري الوثنية والمسيحية

اشهر مصادره في عصر الوثنية هو :

اولاً - **الآثار** التي في رؤيتها خبر الخبر وتصديق الأثر وهي بقايا القبور والهياكل والمسلات والالواح الحجرية والاهرام والجداول الملوكية واوراق البردى وغيرها من آثار اجدادنا

ثانياً - **التوراة** وفيها اخبار ثمينة عن مصر وبعض ملوكها وبلادها وبعض عادات اقتبسها اليهود من القبط عندما كانوا بمصر بارض غسان (وادي الطميلات اورأس الوادي) بمديرية الشرقية . ولا سيما خمسة اسفار موسى لان موسى كاتبها قد تعلم بمدرسة عين شمس (بجوار المطرية) وشهد الكتاب المقدس بان « موسى تفقه بحكمة المصريين » (اع ٧: ٢)

ثالثاً - **هيرودوت** وهو مؤرخ يوناني سنة ٤٨٤-٤٠٦ ق.م. حضر الى مصر نحو سنة ٤٥٠ ق.م. في اواخر حكم الدولة الفارسية الاولى (الاسرة السابعة والعشرين) وكتب كثيراً عن هذه

البلاد غير أن معظم ماذكره عن حوادثها خرافات. انما وصفه الجغرافي ثمين جداً.

رابعاً — **مانيثون السمنودي**. وهو مؤرخ قبطي من سمنود [١] عاش في القرن الثالث قبل الميلاد. كان عظيم كهنة عين شمس [٢] والمحافظ على السجلات التاريخية القبطية في حكم الملك بطليموس الثاني (٢٨٥ — ٢٤٧ ق م). وقد اعتنى بوضع تاريخ لمصر بناء على أمر هذا الملك فجاء الكتاب ثميناً يتضمن حوادث الملوك السابقين بأصدق رواية. لأنه اخذه عن مصادره الأصلية. ولسوء الحظ فُقد هذا الكتاب ولم يبق منه الا ما أورده عنه بعض المؤرخين مثل فلافيوس

(١) بمديرية الغربية بقرب المحلة الكبرى

(٢) بالقرب من المطرية واسمها بالقبطية (ⲱⲛ أون) وبالافرنجية Heliopolis كانت مدينة مقدسة مرصدة للمعبود (ⲣⲏ را) اي الشمس وكان بها مدرسة جامعة ملأت شهرتها الآفاق وبلغ عدد طلبتها مدة رمسيس الثالث (الاسرة العشرين) اثني عشر الف طالب. وكان خراب هذه المدينة على يد قمبيز ملك الفرس حين هجومه على مصر سنة ٥٢٧ ق م

يوسيفوس بن كريون العبريّ الذي عاش في أواخر النصف الثاني من القرن الأول الميلادي وشهد خراب أورشليم .

خامساً — **ديودور الصقلي** من جزيرة صقلية في جنوب ايطاليا وهو مؤرخ زار مصر سنة ٥٧ق م ومات في عهد أغسطس قيصر وكتب عنها ولكنه لم يكن مدققاً في اكثر رواياته .

سادساً — **استرابون** الجغرافي اليوناني زار مصر سنة ٢٤ ق م ووصفها بالحالة التي رآها عليها .

وكتب عن مصر غير هؤلاء مؤرخون كثيرون فدونوا في مصنفاتهم حوادث جمة بين صحيحة وفاسدة . وقد ظل كثير من حقائق التاريخ القبطي راقداً بين طيات الزمان حتى جاء الوقت الذي اراد الله فيه لحكمة عنده ان يظهره للملأ بعظمته وجلاله .

ظن الاوربيون وغيرهم في هذه القرون الاخيرة ان المدنية ما وجدت الاّ في زمانهم وان العلوم والمعارف ما وجدت تربةً اخصب من صدورهم غير أن ظنونهم كذبتهم اذ أراد الله ان يقع نظر عالم فرنسي هو شامبليون الصغير (١٧٩٠ — ١٨٣٢م) على حجر قبطي (**حجر رشيد**) فأسمعنا عنه حديثاً عجيباً ادهش العالمين. ان حجر رشيد هو مفتاح ثمين فتح به شامبليون ابواب الخطوط الهيروغليفية (المقدسة) سنة ١٨٢٦م . بعد ان ظلت مغلقة دهوراً ومن ثم ظهرت

لنا كنوز اجدادنا التي كنا نراها في سراحنا ورواحنا فلا نفقه لها معنى . وقد استعان شامبليون على حل الرموز الهيروغليفية باللغة القبطية التي اجادها كل الاجادة وهكذا دبت الحياة من جديد في خط ثوى منذ القرن الخامس حيث هجره اهله القبط لاشتغالهم عنه بالخط القبطي الذي وضعوه في القرن الثاني (انظر فصل اللغة القبطية)

اما الذي عثر على حجر رشيد فهو (بوشار) احد ضباط الحملة الفرنسية التي اتت مصر سنة ١٧٩٨ م . تحت قيادة نابوليون بونابرت وقد وجده بينما كان يحفر أساس منزل بقرب قلعة سان جوليان في رشيد وهو حجر اسود طوله متر وعرضه ثلاثة ارباع المتر تقريباً وفي اعلاه كتابة بالخط الهيروغليفي فالخط الديموتيكي فالخط اليوناني وتؤدي كل هذه الخطوط معنى واحداً وهو شكر رفعه كهنة مدينة منف (ميت رهينة وما يجاورها بقرب البدرشين) سنة ١٩٥ ق.م. الى الملك بطليموس الخامس وقد نقل بوشار هذا الحجر الى الاسكندرية ولما احتلت الجنود الانجليزية هذه المدينة لاول مرة سنة ١٨٠٢ م. حملوه فيما حملوه من الآثار المصرية الثمينة الى متحفهم بلندن ولم يزل باقياً به الى الآن .

وقد ظهر من الآثار وأقوال المؤرخين أن مصر هي منبع التمدين وشمس الحضارة التي أشرقت على جميع أنحاء المعمور . لذلك يحق لاهلها القبط أن يفتخروا بكريم سلالتهم لانهم

أقدم أمة عرفت التمدين. أما انحطاطهم الحالي فهو حادث من عهد أن خرجت حكومتهم من بين أيديهم. طرأ عليهم فأمال دعائم مجدهم غير انهم اذا نصروا الله وحافظوا على كنيستهم القبطية ولغة اجدادهم وصانوا روابط جامعتهم من العبث وساروا في طريق المدنية الصحيحة. اذا فعلوا ذلك استرجعوا بلا ريب مجدهم الغابر وبلغوا الى رفعة لا تسامى. ولما كانت آثار القبط الكثيرة من أهم المصادر التاريخية تهافت الاجانب عليها واخذوها غنيمة باردة ففي متاحف فرنسا وايطاليا وفي مكتبة الفاتيكان برومية الشيء الكثير منها. وكذلك في بلاد الانجليز فان متحفها يحتوي على حجرات ملأى بآثارنا وكتبنا القبطية رأيتها حينما كنت طالباً للعلم بكلية باترسي بلندن سنة ١٩٠٩ ويسمي القوم هناك أحد شوارعهم الموصل الى ذلك المتحف بالشارع القبطي.

فقدت مصر هذه الآثار قبل ان يقوم عزيز مصر سعيد باشا بأنشاء المتحف المصري سنة ١٨٥٨ م. ولما توفي سعيد باشا في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣م. خلفه اسماعيل باشا فعني بالمتحف وأنشأ له داراً في بولاق سنة ١٨٦٣م. ثم نقله الى الجيزة سنة ١٨٩١م.

واخيراً في عهد عباس باشا الثاني شيد للمتحف بناء فخم بجوار قصر النيل بالقاهرة أنفق عليه ما ينيف على ٢٥٠ الف جنيه مصري وافتتح رسميا سنة ١٩٠٢م .

مديرو المتحف المصري كلهم فرنسيون وهم (١) مريت باشا (١٨٢١ـ ١٨٨١م.) وهو من علماء الآثار المصرية ارسلته فرنسا سنة ١٨٥٠م. الى مصر للبحث عن كتب خطية في الاديرة القبطية فلم ينجح في هذه المهمة ومن ثم صرف همته الى اكتشاف الآثار فاكتشف السرابيوم (مدفن العجول) في سقاره سنة ١٨٥١ م. ثم عينه سعيد باشا الخديو سنة ١٨٥٨م. رئيساً عاماً للآثار المصرية وبقي في هذا المنصب الى ان مات عن كتابات كثيرة واكتشافات عديدة في الآثار فدفنته الحكومة بحديقة المتحف واقامت له تمثالاً هناك وسمت احد الشوارع الموصلة الى المتحف المذكور باسمه.(٢) الموسيو ماسبرو (للمرة الاولى) وهو عالم اثري ظل في الوظيفة الى سنة ١٨٨٦م.(٣) والموسيو جريبو الى سنة ١٨٩٢ م . (٤) والموسيو ده مورجان الى سنة ١٨٩٧ م. (٥) والموسيو لوريه الى سنة ١٨٩٩ م . (٦) واخيراً المسيو ماسبرو (للمرة الثانية) وهو المدير الحالي وله مكتشفات كثيرة ومؤلفات ثمينة واقوال ومحاضرات عن القبط جديرة بكل عناية والتفات

أشهر مصادر التاريخ القبطي في عصر المسيحية هو :

(١)— يوليوس افريقانوس مؤرخ روماني عاش في القرن الثالث الميلادي .

(٢) — يوساب اسقف قيصرية بالشام وهو أبو التاريخ الكنسي (٢٦٧—٣٤٠ م.)

(٣) — سقراط القسطنطيني كان محامياً بليغاً . كتب تاريخه المسمى بالتاريخ الكنسي مبتدئاً من تنصر الملك قسطنطين الأكبر الى سنة ٤٣٩ م.

(٤) — السنكسار القبطي وهو عبارة عن ميامر (مفرده ميمر كلمة لاتينية معناها سيرة أو ترجمة) الشهداء والقديسين. رأى آباء الكنيسة ومعلموها ان افضل طريقة لتعليم المؤمنين وارشادهم انما هي طريقة القدوة و المثال فجمعوا أخبار الشهداء والآباء والنساك والسياح الزاهدين وأمروا بتلاوتها في الكنائس. وممن جمع هذه الميامر المقدسة (اولاً) يوليوس الاقفهصي[1] (اقفهص بمركز الفشن) وكان مثرياً كريماً ضمد جروح الشهداء

ميمر لفظة سريانية معناها رسالة مقالة . خطبة . قصيدة

(١) تجد سيرة هذا القديس في ٢٢ توت سنكسار .

والقديسين وعني بدفنهم حين اضطهاد دقلاديانوس للمسيحيين في القرن الثالث ويعرف هذا الاضطهاد بعصر الشهداء. (ثانياً) **يوحنا اسقف البرلس**[١] ترهب هذا القديس ببرّية شيهيت ϢIϨHT (ميزان القلوب) بوادي النطرون بمديرية البحيرة ثم رسم اسقفاً على البرلس في رئاسة دميانوس البابا الـ (٣٥) (ثالثاً) — **ميخائيل اسقف اتريب**[٢] ومن الأسف اننا لم نعثر على ميمر هذا الاسقف الفاضل .

وقد عني أخيراً بطبع السنكسار القبطي حضرتا الفاضلين الايغومانوس فيلوثاؤس المقاري والقس ميخائيل المقاري سنة ١٦٢٩ش باذن قداسة انبا كيرلس الخامس بابا الاسكندرية الحالي

(٥) — **يوحنا النقيوسي اسقف نقيوس**[٣] . كان مؤرخاً من علماء

---

(١) سيرة هذا القديس في ١٩ كيهك سنكسار . (٢) من اطلالها تل اتريب بجوار بنها العسل . (٣) اسمها بالقبطية ابشادي او ابشاتي بمركز منوف بالمنوفية وبقربها الان زاوية رزين . وقد خرّبها عمرو بن العاص حين مبارحته مصر الى الاسكندرية ولم تزل آثار الكنائس واطلالها كل موجودة بهذه الجهة الى الآن

القبط وأفاضلهم عاش في أواخر القرن السابع في زمن البابوين يوحنا السمنودي وسمعان الاول وكان معروفاً بسمو مبادئه وكبير همته كتب تاريخاً من الخليقة الى عصره باللغة القبطية وهذا التاريخ يعد من أحسن الكتب لاحتوائه على أدق الحوادث وخصوصاً إبان دخول العرب في مصر . وقد ترجمه الى الحبشية سنة ١٦٠٢ م . راهب قبطي اسمه غبريال كان قائداً للجيش الحبشي ثم الى الفرنسية الدكتور زوتنبرج سنة ١٨٨٣ م . ونشرته المكتبة الأهلية بفرنسا .

(٦) — **ساويرس بن المقفع** اسقف الاشمونين[١] عاش في النصف الاخير من القرن العاشر في رئاسة البابا افرآم الـ(٦٢) وكان عالماً فاضلاً جمع تاريخ البطاركة باللغة القبطية من السجلات القديمة المحفوظة بدير ابي مقار (مكاريوس) ببرية شيهيت ثم نقله الى العربية مظهراً أسفه لانصراف بعض موظفي الحكومة من القبط في ذلك العهد عن لغتهم القبطية الى اللغة العربية .

(١) بمركز ملوي بمديرية اسيوط

وقد أضاف الانبا ميخاءيل اسقف تانيس[1] على هذا الكتاب تاريخ البطاركة لغاية سنة ١٢٤٣ م. والكتاب ثمين توجد منه نسخة بمتحف باريس. ولابن المقفع أكثر من اثنين وعشرين مؤلفاً معظمها موجود بمتاحف أوربا

(٧) — **الشيخ المؤتمن ابو المكارم** سعدالله بن جرجس بن مسعود. كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم وضع سنة ٩٢٥ ق. كتاباً في تاريخ الاديرة والكنائس القبطية.

ولهذا الكتاب قصة غريبة. ذلك ان راهباً كاثوليكياً اسمه فانسليب اتى مصر في القرن السابع عشر فاتفق له ان اشترى بثلاثة قروش من أيدي العامة كتاباً خطياً ضاعت بقيته موضوعه الكنائس والاديرة القبطية. وقد آل هذا الكتاب بعد موت فانسليب لمكتبة باريس الأهلية. وفي سنة ١٨٩٣م. لما وضع الموسيو اميلينو كتابه المسمى (جغرافية مصر في عهد القبط المسيحيين) الفت فيه النظر الى الكتاب الذي كان اشتراه فانسليب وعلى أثر ذلك قام الدكتور بطلر وافيتس فطبعا هذا الكتاب بعد ان نسباه — مرتابين في تلك النسبة — الى ابي

---

(١) تانيس او تنيس هي مدينة صان بمديرية الشرقية بقرب بحيرة المنزلة في الشمال الغربي للصالحية وذكرت هذه المدنية في التوراة باسم صوعن ويقال ان موسى صنع عجائبه فيها .

صالح الارمني لانهما وجدا هذا الاسم على ورقة في اول الكتاب كما هي عادة مقتني الكتب من كتابة اسمائهم عليها. ومن محاسن الصدف ان المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس رئيس الكنيسة المرقسية بالقاهرة سابقاً عثر على بقية الكتاب الذي نحن بصدده اثناء سياحة له بالوجه القبلي ولما فحص حضرة المدقق جرجس افندي فيلوثاؤس هذه البقية الخطية وجدها جزءاً متمماً للكتاب المطبوع والمنسوب خطأ الى ابي صالح الارمني ولم يكن هذان الشطران في الحقيقة الا كتاباً واحداً لابي المكارم المذكور اسمه بوضوح في ثنايا كتابه بصفته واضعاً له

(٨)- **اولاد العسال** من كبار علماء القبط ووجهائهم في القرن الثالث عشر منهم الشيخ المؤتمن ابو اسحق بن الرئيس فخر الدولة بن الافضل كان موظفاً كاتباً لديوان الانشاء (ديوان المعية) والشيخ صفاء الفضائل وغيرهما ولهم جداول تاريخية ومؤلفات ثمينة يرد ذكرها في القرن الثالث عشر.

(٩) — **ابن الراهب**. هو ابو شاكر بن بطرس بن المهذب المشهور بابن الراهب المتوفى في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وهو مؤرخ فلكي قبطي. له كتاب يعرف بتاريخ ابن الراهب من آدم الى سنة ١٢٥٧م. وفيه تاريخ البطاركة والملوك

وله ايضا كتاب (الشفا في كشف ما استتر من لاهوت المسيح واختفى) طبعه حديثاً القمص جرجس بمطرانية بنى سويف .

(١٠) — **ابن كبر** . هو شمس الرياسة ابن الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كبر المتوفى في ١٥ بشنس سنه ١٠٤٠ ق. (١٣٢٣م.) . كان من علماء القبط وافاضل قسوسهم وله مؤلفات منها (مصباح الظلمة وايضاح الخدمة) وفيه مقتطفات دينية وتاريخيه وكيفية عمل الميرون المقدس وله ايضا كتاب (الخطب) ذات المعاني الرائقه باللغة العربية . وكتاب (السلّم الكبير) وهو قاموس للغة القبطية طبع في رومية سنة ١٦٤٣ م. ونشر بالقبطية واللاتينية والعربية ويعد من أنفس الكتب

(١١) — **المقريزى** وهو مؤرخ عربي من مصر (٧٦٦-٨٤٥هـ) له كتاب (الخطط) وهو تاريخ مصر وجغرافيتها وفيه فصول عن القبط واديرتهم وبطاركتهم حتى زمنه ولكن بعض رواياته عن القبط غير صحيحة .

وقد وضع كثيرون غيرهم مؤلفات تاريخية حديثة اهمها كتاب (الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث) المطبوع سنة ١٨٩٨م. لسعادة المؤرخ القبطي الشهير ميخايل بك شاروبيم وكتاب تاريخ الامة القبطية

للمرحوم يعقوب بك نخله روفيله القبطي المتوفى سنة ١٩٠٤ م . وكتاب (الخطط التوفيقية) للمرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف تجد في الجزء السادس منه فصلاً عن القبط وبطاركتهم بقلم المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس . ووضع أيضاً بعض الافرنج كتباً كثيرة اختلطت فيها الحقائق الناصعة بالروايات المكذوبة مثل كتاب بطلر وكتاب فولرو كتاب لادي امهرست ثم كتاب تاريخ الامة القبطية وكنيستها لمسز بتشر الانجليزية التي صرحت بانها اخذت فيما اوردته في كتابها عن كتب قبطية بمساعدة حضرة مرقس بك سميكه وقد عرّب هذا الكتاب حضرة صاحب جريدة مصر لاطلاع ابناء الامة القبطيه على مايقوله الاجانب عنهم اما مسز بتشر فهي بروتستانتية وزوجها من رجال الجمعيات التي تسمي نفسها جمعيات التبشير . ادعت انها وضعت كتابها لفائدة القبط غير ان مقاصدها البروتستانتية التي دستها بين ثنايا الكتاب لا تخفى على الناقد البصير بعد ان شوهت الحقائق التاريخيه المختصه بالقبط ثم غمزتهم هم وكنيستهم ودينهم الارثوذكسي القويم في مواضع سنبين بعضها في حينها . وهناك أيضاً من الغيورين على امتهم من هم على أهبة الاستعداد للرد على مغامز الكتاب وتفنيد ما جاء به مخالفاً للحقيقه .

الفصل الخامس

أصل المصريين أو القبط واحصاؤهم

ان معرفة أصل المصريين أو القبط مسألة معضلة حيرت علماء الآثار ولكنهم اهتدوا بعد البحث في أقدم القبور المصرية جهة نقادة (بمديرية قنا) والعرابة (بجوار جرجا) وبلاد النوبة على موميات بحثوها بحثاً علمياً فوجدوا انها من النسل الحامي واتضح لهم من موميات القبور التي تليها في القدم انه اختلط بالمصريين في ذلك العهد أقوام ساميون. ويظن المؤرخون ان هذه القبائل أتت من آسيا عن طريق برزخ السويس . وقال بعضهم من غير دليل ان هذه القبائل اجتازت البحر الأحمر ووصلت الى قفط (بمديرية قنا) ومنها انتشرت في سائر بلاد القطر .

وجاء في احصاء الحكومة الرسمي لسنة ١٩١٣ صحيفة ٨ ما يأتي : « الامة المصرية على الأرجح هي جزء من الاصل الحامي الذي تولد منه أيضاً البربر والعرب والاثيوبيون. لكن هذه السلالة التي هي من جنس واحد تغيرت في مصر محلياً في جهة الشمال بدخول الاجانب وخصوصاً من سوريا وفي

الجنوب بامتزاج ضعيف مع الجنس الاسود . وقد حافظ المصريون بصفة عجيبة في مدة الستين قرناً الاخيرة على الصفات الظاهرة الآن على الفلاحين وهذا الثبات منسوب لانعزال القطر وعدم تغير جوار أهله الطبيعي . وأما النوبيون «البرابرة» هم سلالة جنس نشأ من اختلاط النوع المصري الأصلي مع النوع الأسود . » اه .

وعلى كل حال فأن هذه القبائل قد انضمت الى بعضها قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف وخمسمائة سنة كما يتضح من الجداول الملوكية وصاروا أمة واحدة وهي الأمة المصرية أو القبطية التي ظل كوكب سعدها نيراً خمسين قرناً . ولما بحث المصريون في أصلهم وتمدينهم وجدوا ان ذلك يرتقي الى أجيال بعيدة فسموا أنفسهم على الآثار باسم (رُوت) أو (لوت) أي أصل البشر ووضعوا لبلدهم مصر اسماء كثيرة أشهرها : (كيمي)[1] أي

(١) ⲬⲎⲘⲒ وسموا انفسهم (ⲢⲈⲘⲚ̀ⲬⲎⲘⲒ ريم إن كيمي) ولم تطلق عليهم اللفظة المعربة وهي (قبط) الا في عهد اليونان كما سترى ولذلك قال بعض الذين لا يخلصون للقبط « ان القبط لم يعرفوا في مصر إلا حين ظهور هذه اللفظة في عهد اليونان » وقد تمسك هؤلاء

الأسود لسواد تربتها و (بك) وهو اسم شجر اليسار لكثرته بها وقد ظن بعضهم انه شجر الزيتون لكثرته إذ ذاك بجوار عين شمس (المطرية) ولم تزل تسمى به للآن الجهة القريبة منها و(تميري) أي أرض الفيضان ولم يزل أهل الصعيد يطلقون لفظة (الدميره) على وقت الفيضان . و(نهي) أي شجر الجميز لكثرته

وذكر الساميون — كسكان اشور وبابل والشام — جملة اسماء لمصر منها : (مصير) وقد وجدت في الالواح الاشورية التي وردت من تل العمارنة (على شاطىء النيل الشرقي بقرب الروضة بمديرية اسيوط) وتاريخ هذه الالواح يرجع الى سنة ١٤٠٠ ق . م .و (موصور) وقد وجدت على الآثار الاشورية في الاسرة الاولى البابلية سنة ٢٠٠٠ ق م . وذكرت مصر في اللغة العبرانية باسم (مصرايم) وهو مأخوذ من مصرائيم بن حام بن نوح

في دعواهم باللفظ دون بحث في اصله ومعناه .وغرضهم من ذلك قطع صلة القبط باجدادهم والحيلولة بينهم وبين ماضيهم المجيد لينقطع املهم من مستقبلهم . غير ان الحق لا يخفيه اختلاق او تلفيق ولا يعدم أنصاراً ولو من الاجانب . وسيرى القاريء الكريم في هذا الفصل الادلة القاطعة على ان القبط الحاليين هم سلالة اجدادهم الفراعنة .

وفي اعتقاد الباحثين من القبط ان لفظة (مصر) باللغة القبطية تتركب من ثلاث كلمات (ما - صي - را) أي مقر ابن الشمس وهو لقب أُطلق اذ ذاك على ملوك مصر كما ان لفظة (قاهرة) تتركب من (كاهي - را) اي ارض الشمس واما لفظة قبطي فبعضهم ينسبها الى مدينة (كبتوس) وهي الآن (ققط) بمديرية قنا على جانب النيـل الشرقي وذلك لشهرتها حينئذ بسبب طريق للقوافل التجارية كان يمر بالصحراء العربية ويصل بينها وبين البحر الاحمر ويقول بعضهم: ان مصرائيم بن حام ترك اولاداً منهم القفطوريم وهم قبط مصر وكلا القولين خطاء. والاصح ان لفظة قبطي، اما ان تكون مأخوذة من (ها - كا - پتاه) وهو الاسم المقدس لمدينـة منف ومعناه هيكل روح پتاه وهو معبود هذه المدينة (ترى ذكرها في الاسرة الاولى) واما ان تكون مركبة من (ايه - شيه - پتاه) اي أبناء پتاه. ويسميهم اليونان (ايجيبتوس) اي قبط او مصريين ومن اللفظة اليونانية اخذ العرب كلمة قبط [1] والافرنج كلمة

(١) وجاء في حديث صاحب الشريعة الاسلامية «واستوصوا بالقبط خيراً

« ايجيبت Egypte » وعليه فلفظة قبطي ومصري بمعنى واحد تدل على جنس لا على دين .

ولما ترك المصريون ما كان يعبده آباؤهم الوثنيون للتدين بالمسيحية سمّاهم أهل التاريخ بالقبط وقد تغلبت عليهم هذه التسمية يوم نودي في مصر سنة ٣٨١ م. بالدين المسيحي رسمياً بأمر تاؤدوسيوس قيصر الرومان وكانت مصر يومئذ تحت حكمه. وفي سنة ٦٤٠م. دخلت العرب البلاد المصرية فاعتنق الاسلام فريق من القبط وهو معظم مسلمي مصر وبقي الفريق الآخر محافظاً على مسيحيته وهو القبط .

فالمصريون اليوم فريقان: مسلمون وهم الاكثرية وقبط وهم الاقلية فالمسلمون معظمهم اقباط اسلموا في زمن الاضطهادات وباقيهم من نزلاء العرب والسوريين والاتراك والمغاربة وغيرهم اختلطت دماؤهم بالتزاوج ويبلغ عددهم الآن نحو احد عشر مليوناً

واما القبط فهم المسيحيون من سلالة الامة المصرية القديمة ويبلغ عددهم مليون نسمة تقريباً . وقد قال عنهم علماء الآثار ان دمهم المصري لم يختلط بدم اجنبي فهو مصري صرف

وأثبت هذه الحقيقة العالم الانجليزي ولكنسون في كتابه : (عوائد وأخلاق قدماء المصريين) والعالم الالماني بروكش باشا ناظر مدرسة الآثار المصرية سابقاً في كتابه: (تاريخ الفراعنة) كذلك العالم الانجليزي بتري في كتابه : (تاريخ مصر) . وقال العالم الأثري الفرنسيّ المسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية في محاضرة له بنادي رمسيس بمصر سنة ١٩٠٨م موضوعها (اصل القبط) ماتعريبه :

« ان جميع الشعوب التي كان لها ماض مجيد تعني دائماً بأمر أصلها فهي تناجى نفسها قائلةً : هل نحن السلالة الحقيقية لذلك الشعب العظيم الذي ملأت شهرته بلاداً تظللنا سماؤها ام اندسّ بيننا وبين اسلافنا دم أجنبي نشأ عنه امتزاج بطيء غير محسوس أم اختلط بنا الفاتحون والغازون ؟ اما الجواب فهو على الدوام أننا ولا شك سلالة ذلك الشعب العظيم وهذا جواب فضلاً عن كونه مطابقاً للصواب فهو دليل على عظمة الأمة القبطية وعريق مجدها الى ان قال «لقد كان أجدادكم أيها القبط على مثل ما أنتم عليه من خَلقٍ وخُلقٍ أما فيما يختص بالخلق فاذهبوا الى متحفكم وهو المتحف المصري (بقصر النيل بالقاهرة) تجدوا في التماثيل والنقوش نفس الاشكال التي أنتم عليها اليوم . فانكم ترون أشخاصاً مثلكم طوال القامة نحاف الاجسام

شعرهم ضارب قليلاً الى الصفرة والانف مقوّس تقويساً خفيفاً والعيون مستديرة متسعة واللون قمحي فاتح وكفى بجثة الملك المظيم رمسيس الثاني المعروضة بالمتحف دليلاً لمن يريد الاطلاع والاقتناع . واذا فحصتم الصور والنقوش الموجودة على جدران الاديرة القبطية ترون بين الشهداء والقديسين الشكل الذي تشاهدونه في مقابر طيبة ومنفيس حيث يلوح على جباه أسلافكم سيمى النبل والشرف ممزوجين باللطف والبشاشة . أما فيما يختص بالخلق فلم نر في الرسوم على آثار اولئك الاسلاف العظام ما نراه من العبوسة في رسوم الشعوب المعاصرة لهم كالكلدانيين والاشوريين وهم سكان الشام وما بين النهرين . ومن أوراق البردي التي بين أيدينا تعلمون أن قوانين أجدادكم المدنية والادبية لم تخل من الحث على الرفق بالضعيف وحب الاسرة واحترام المرأة وطاعة الوالدين . » اه

والخلاصة أن الأمة القبطية عريقة في المجد يتصل نسبها بأولئك الفراعنة أجدادها العظام . وكل ما يقال مخالفاً لهذه الحقيقة لا يكون صادراً إلا عن هوى . هدانا الله الى الحق الذي هو أحق بأن يتبع .

احصاء القبط قديماً وحديثاً : قدر المؤرخون عدد القبط

في عصر الوثنية بعشرين مليون نسمة على أقل تقدير [١] ثم أنه عقب حروبهم مع الفرس فاليونان فالرومان وإثر استشهادهم حباً في المسيح (عصر الشهداء سنة ٢٨٤ م) أخذ عددهم يتناقص حتى وصل الى عشرة ملايين نسمة. وبعد ذلك أخذ هذا العدد يتزايد بانتشار المسيحية حتى بلغ إبّان دخول العرب سنة ٦٤٠ م أربعة وعشرين مليوناً تقريباً. وأخيراً جاءت الاضطهادات والاوبئة فبسببها وبسبب العدد الكبير الذي اعتنق الاسلام هرباً من الجزية تناقص عدد القبط المسيحيين تدريجاً حتى أصبح الآن مليوناً واحداً ثلاثة أرباعه في الوجه القبلي وباقيه في الوجه البحري [٢].

(١) راجع مجلد السنة الاولى للمجلة القبطية حيث تجد فصولاً متتابعة بشأن احصاء القبط منذ القديم الى الآن مع ذكر الادلة على صحة تلك الاقوال (٢) جاء في كتاب المسيو ميليه سفير فرنسا في مصر (سنة ١٦٩٢ ـ سنة ١٧٠٩) ان تعداد جميع سكان القطر بلغ في ذاك الوقت أربعة ملايين نسمة. وحين دخول الفرنسيين سنة ١٧٩٨ م كان عدد السكان مليونين ونصف تقريباً. ثم جاء في الاحصاء الرسمي للحكومة المصرية سنة ١٨٧٦ ان عدد السكان خمسة ملايين ونصف مليون تقريباً وبلغ سنة ١٩٠٧ احد عشر مليونا وربع مليون.

بارك الله في هذه البقية الكريمة وأفاض عليها نعمه العميمة ووفقها لدينها الأرثوذكسي القويم وأعاد اليها مجد أجدادها القديم .

الفصل السادس

(في اللغة القبطية أو المصرية وتاريخها)

ان اللغة القبطية هي اللغة المصرية قديماً وحديثاً في اللفظ دون الخط . فقديماً أي قبل المسيح بستة آلاف سنة كانت تكتب بثلاثة أنواع من الخطوط : خط هيروغليفي ويرسم على الآثار كالتماثيل والمسلات والبرابي (مفردها بربى أي هيكل) وخط هيراتيكي وكانت تستعمله الكهنة للكتابة على ورق البردي (من فصيلة بوص الغاب) لتحرير العقود الرسمية والاوامر الملوكية . وخط ديموتيكي كانت تستعمله العامة ويسمى الخط الدارج . والخطان الاخيران هما صورة مصغرة من الخط الاول كالثلث والنسخ والرقعة في الكتابة العربية الآن [١] .

(١) بعض المشتغلين الآن بالآثار القبطية يسمي هذه الخطوط

الخط القبطى أو المصرى أصل الخطوط : — وقد اتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أن القبط هم أول من خطّ بالقلم بدليل ماوجد من خطوطهم قبل عهد بناء الاهرام حين كانت جميع الامم غارقة في بحار الجهالة هائمة في أودية الهمجية وظل القبط منفردين بالقلم ألفا وثمانمائة سنة الى أن احتل الهكسوس (الملوك الرعاة) أرض مصر في عهد الاسرة الخامسة عشرة (كما سترى في عصر الوثنية) وتعلموا الخط الديموتيكي الدارج

بالخطوط البربائية نسبة للفظ بربى او بالتوتية او الهرمسية نسبة للمعبود (توت) المسمى عند اليونان هرمس وقد زعم القبط في المدة الغامضة (قبل دور الملوك) ان الله أرسل هرمس متجسداً في صورة انسان الى أرض مصر فعلم الناس الكتابة وسنّ لهم القوانين وعلم طائفة الكهنة الديانة وائتمنهم عليها . ولكل امة اعتقاد في هرمس ويسميه اليهود (اخنوخ) والعرب (ادريس) . ونقل المقريزى عن كتاب النسبة والاشراف ما يأتي « كان سكان مصر وهم القبط يعتقدون قبل ظهور الديانة المسيحية فيهم ان نبوة هرمس ليست بطريق الوحي بل عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من ادناس العالم فاتحدت بها مواد علوية فاخبروا عن سرائر العالم »

ولما طردوا من مصر سنة ١٧٠٣ ق. م. توجهوا الى فينيقية فنقلوه معهم وعلموه للفينيقيين. ومن هذا الخط الديموتيكي اشتقت خطوط الفينيقيين أو الكنعانيين والاشوريين والعبرانيين (اليهود) والكوفيين والحجازيين والعرب ثم اليونانيين ومنهم اخذت أوربا خطها [١].

تكوين الابجدية القبطية : — ولما دخلت مصر تحت حكم اليونان سنة ٣٣٢ ق م زاد الأخذ والعطاء وكثر تداول المراسلات التجارية والفكرية وقد تضاعفت هذه الحركة ونشط الفكر من عقاله بظهور الديانة المسيحية بمصر. فلاجل سهولة المعاملة وضع القبط أبجديتهم الديموتيكية الدارجة على أشكال بعضها من الحروف التي كان اقتبسها منهم اليونان كما ذكرنا والبعض الآخر على الشكل المصري وسموها بالابجدية القبطية مع المحافظة على اللفظ المصري الأصلي. وكان ذلك في القرن الثاني الميلادي بواسطة العلامة بنتينوس أستاذ مدرسة

(١) انظر جدول احمد افندي نجيب مفتش وأمين بالمتحف في كتابه « الاثر الجليل لقدماء وادي النيل » (تابع صحيفة ٢٤٠).

الاسكندرية اللاهوتية وغيره من العلماء مثل إكليمنضس وأوريجانوس. ومن ثم حلّ الخط القبطي محل الخط الديموتيكي [١] واستعملته الامة المصرية بأسرها. واستعمله أيضاً بنتينوس في ترجمة الكتاب المقدس لسهولة تداوله.

فاللغة القبطية الحالية هي المصرية القديمة بلفظها الاصلي مكتوبة بالخط القبطي المذكور.

وقال مريت باشا: «أما اللغة المصرية فهي نفس اللغة القبطية المعروفة الآن المتداولة في كتب القبط مكتوبة بقلم غير قلمها الاصلي [٢]» ولا يوجد في لغات العالم أقدم منها وهي التي أمدت اللغات الاخرى بكلمات عديدة لانها لغة العلم والحكمة. وقد أثبت حضرة أحمد بك كمال امين المتحف المصري في محاضرات له أن اللغة العربية مأخوذة من اللغة المصرية أو القبطية.

---

(١) أما الخط الهيراتيكي فانمحى أثره من بعد الاسرة السادسة والعشرين وبقي الخط الهيروغليفي مستعملاً في الآثار حتى القرن الخامس ثم أهمل وبقي بابه مغلقاً فظن بعضهم انه طلاسم والغاز الى ان ظهر شامبليون الصغير وفك رموزه سنة ١٨٢٦م (راجع مصادر التاريخ القبطي)

(٢) راجع فصل اللغة في كتاب الأثر الجليل لقدماء وادي النيل

لهجات اللغة القبطية ـ تنقسم هذه اللهجات الى اربع الفرق بينها يسير كالفرق في اللغة العربية بين لهجات أهالي الوجهين القبلي والبحري، وهذه اللهجات هي :

(١) اللهجة البحيرية وتسمى المنفية (نسبة لمدنية منف) وكان يتكلم بها سكان الوجه البحري ما عدا الجزء الشمالي الشرقي (المنزلة والبحر الصغير) وهي اللهجة المستعملة للآن دون سواها في الطقوس الدينية وبها كتب القداس الشريف [١] ومعظم الكتب الادبية والقواميس والاجروميات القبطية . وفي هذه اللهجة الفاظ يونانية اصطلاحية دينية لمعان خاصة بها لا يمكن الاستغناء عنها الآن بالفاظ قبطية مركبة مثل مسيح وانجيل ويارب ارحم نظراً لشيوع استعمال هذه الالفاظ في جميع كنائس العالم

(٢) اللهجة الصعيدية او الطيبية (نسبة لمدنية طيبة) وكان يستعملها سكان الوجه القبلي ولم يبق مكتوباً بها سوى نسخ قديمة من الانجيل ورقوق الورق البردي، وهذه اللهجة تعد في الحقيقة أم اللهجات القبطية ولا تختلف عن البحيرية الا في ألفاظ قليلة .

---

(١) وهو أحد قداسات الكنيسة القبطية لكيرلس الكبير البابا الاسكندري ال (٢٤) وهو قداس مار مرقس وبها كتب قداسا باسيليوس وغريغوريوس اللذان ترجما من اليونانية

(٣) اللهجة البشمورية نسبة الى البشامرة [1] وتمتاز باستعمال حرف اللام بدل الراء . ولذلك كان حرف اللام والراء واحداً في الخط القديم .

(٤) الفيومية وكانت خاصة بالفيوم ووجدوا بعض كتب مكتوبة بها.

ملاحظة : لاتخلو لغة في العالم من كلمات دخيلة عليها ففي اللغة العربية مثلا كلمات قبطية وفارسية ويونانية وكذلك في اللغة القبطية بعض ألفاظ يونانية اصطلح عليها لتأدية معان دينية .

ارتفاع شأن اللغة القبطية : — وقد بزغت في أفق مصر بظهور الديانة المسيحية مدنية قبطية جديدة خلاف المدنية الوثنية فارتفع شأن اللغة القبطية وكثرت بها المؤلفات اللاهوتية والادبية والفنية التي تزين متاحف أوربا الآن... وأصبحت لغة الكنيسة القبطية وشريعتها وطقوسها الدينية حتى اليوم

(١) البشامرة بالقبطي معناها أبناء البحر وهم بقايا الملوك الرعاة وقد تخلفوا في مصر بعد طرد أولئك الرعاة . سكنوا في الشمال الشرقي من مصر أي في جهات بحيرة المنزلة والبرلس والبحر الصغير قبل أن يطغى عليها البحر وكانت قاعدة بلادهم تدعى أشمون الرمان أو أشمون طناح وهي التي كانت منديس عاصمة القطر في عهد الاسرة التاسعة والعشرين . والبشمور شمال الدقهلية الآن أو هي البحر الصغير .

وكانت هي اللغة الرسمية للحكومة في عهد احتلال اليونان والرومان والعرب الى أوائل القرن الثامن الميلادي .

بدء انحطاطها : — ولما كانت ميول الامم الفاتحة متجهة دائماً الى اضعاف لغة الامة المغلوبة حتى تفصم عرى اتحادها وتميت جامعتها القومية أُكره القبط على تعلم اللغة العربية في أيام عبد الله بن عبد الملك والي مصر (٨٥ — ٩٠ هـ) (٧٠٤ — ٧١٠ م) من قبل أبيه عبد الملك بن مروان من خلفاء الدولة الاموية . قال الليث بن سعد « وعبد الله بن عبد الملك أول من نقل في عمالته على مصر الدواوين الى العربية وانما كانت بالقبطية » وقال المقريزي « ونسخ عبد الله الدواوين بالعربية وصرف اثناش (اثناسيوس) عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص (بالشام) » وقال بعض المؤرخين ان الدواوين بقيت بالقبطية والعربية معاً زمناً طويلاً حتى زالت القبطية من جميع الدواوين وبقيت العربية فاشية الى يومنا هذا .

وقد تمسك القبط بلغتهم طويلاً ولم تبلغ العربية عندهم

مكانتها الحالية الا ببطء شديد ومع ذلك أخذ نور اللغة القبطية يتضاءل قليلاً قليلاً وما أتى القرن الثاني عشر حتى ضعف نفوذها في الوجه القبلي واقتصر استعمالها في الوجه البحري على القداس والطقوس الكنسية ولولا ذلك لانمحى أثرها وما الفضل في بقائها الا لائمة الدين (الاكليروس) الذين علموا الناس ان المحافظة على لغتهم الأصلية - ولو بغير التعامل بها - صون للجنسية .

نهضتها وكبوتها : — وفي أوائل القرن الثالث عشر قام بعض علماء القبط منهم أولاد العسال وآخر اسمه كاتب قيصر والعلامة ابن كَبَر وغيرهم من الغيورين فاحيوا لغتهم بأن الفوا لها قواميس واجروميات مع ترجمتها بالعربية منها كتاب (السلم المقفى والذهب المصفى) لابن العسال وكتاب (السلم الكبير) لابن كَبَر وغيرها . وبقى سكان الصعيد يتخاطبون بها حتى أفل نجمها بانتهاء الجيل الثامن عشر . ولما احتل الفرنسيس مصر سنة ١٧٩٨ م بقيادة بونابرت ، أراد هذا ان يسمع باذنه تلك اللغة القبطية التى مدنت اليونان

وهذبت أوروبا فأحضروا له قسيساً قبطياً من الصعيد يجيدها وامرأة عجوزاً تنازعه ذلك الامتياز المحزن .

نهضتها الحالية :— ولما توطدت أركان العدل في منتصف الجيل التاسع عشر (عصر سعيد باشا) نهض رجال أفاضل منهم عريان افندي جرجس مفتاح اللاهوتي الشهير المتوفى سنة ١٨٨٨م والايغومانس فيلوثاؤس الطنطاوي الذي ولد خطيباً وتوفي سنة ١٩٠٤م والقمص تكلا والمعلم قزمان وبرسوم افندي ابراهيم الراهب تحت رئاسة البابا ال(١١٠) الانبا كيرلس الرابع ابي الاصلاح القبطي سنة ١٨٥٤م فوضعوا لها كتباً من الاصول الموضوعة في القرن الثالث عشر ثم ادخلوها في المدارس القبطية في القطر فعم انتشارها وكثر تداولها ونبغ فيها حضرتا القمص عبد المسيح المسعودي واقلاديوس بك لبيب المدرس بالمدرسة الاكليريكية بمصر والدكتور ابراهيم حلمي مفتش صحة السويس سابقاً والمرحوم نجيب افندي سمعان الفيومي ناظر مدرسة بسطا بك بسوهاج سنة ١٩١٣م وغيرهم وتعلمها مجاناً جمعية الايمان القبطية الارثوذكسية بمصر التي

يرأسها حضرة وهبه بك مينا. وفضلا عن ذلك فان علماء الآثار أدخلوها في جامعة برلين الشرقية بالمانيا وجامعة فرنسا وجامعتا اكسفورد وكمبردج بانجلترا ويتعلمها الآن علماء الامريكان .

ومما يؤسف له ان بعض القبط الذين لايعرفون قوانين الاجتماع لا يعنون بتعلمها زاعمين انها لا تأتيهم بفائدة شخصية[١] ولكنهم لو علموا ان اللغة هي أقوى الروابط القومية بعد

(١) وقد تطرف فريق من قبط اليوم فأعلن رغبته في أن يكون القداس بالعربية وحجته أنه لا يفهم لغته القبطية. ولو علم هذا الفريق أنه يتحامل على نفسه ويسعى — من حيث لا يدري — في تمزيق أقوى روابطنا القومية لاقلع عن رأيه الى ماهو أبعد بنا عن مواقف اللوم . دعونا ياقوم نسعى في تعلمها بدل القضاء عليها في زمن ليس فيه قطع السنة ولا اضطهاد بسببها . دعونا نعتبر بالكنائس اليونانية والغربية التي تستعمل اليونانية القديمة واللاتينية في قداساتها مع أن أبناءها يجهلون هاتين اللغتين، كل ذلك محافظةً على عزهم القديم ومجدهم الغابر . بل دعونا نقتدي بالبرابرة ونسلك طريقهم في محافظتهم على لغتهم والا كنا من الخائنين . فاعملوا على أن يكون القداس بالقبطية مع ترجمته بالعربية مؤقتاً وفي الوقت ذاته علموا أولادكم لغة أجدادكم حتى يشبوا وهم عالمون بها .

الدين وانها هي التي تجدد حياة الامة على توالي السنين وانها اكبر مظهر من مظاهر حياتنا الاجتماعية ولغة كنيستنا وشريعتنا القبطية ومفتاح تاريخ الآباء ومعدن آداب أولئك الشهداء .. لو علموا ذلك كله لجعلوا أحاديثهم بها وعطروا منازلهم بكتبها .

فهلموا يا كرام الاحساب نعيد الى لغتنا عهد الشباب فننقب على محتوياتها الدينية والادبية في الاديرة القبطية وبين جدران المتاحف الاوربية لتملأ بتعاليمها الخالدة الرؤوس ونجلو عنا صدأ النفوس . هذه هي طريق الحياة فلتسلكها الامة القبطية لترفع هامتها عالية في الهيئة الاجتماعية .

الفصل السابع

« ديانة القبط »

ديانة القبط فى عصر الوثنية : — القبط أمة متعبدة شديدة التمسك بدينها عرفت الله فعبدته من قبل المسيح بستة آلاف سنة كما صرح بذلك المؤرخ بورفير وغيره وقال هيرودوت « ان أهل طيبة [١] أو طيوه كانوا يعبدون الله

(١) هي الآن الاقصر ومن بقاياها مدينة آبو وذراع ابي النجا والقرنه

وحده ويقولون انه هو الاول والآخر» وقال المؤرخ شمبليون فيچاك : « استنبطنا من جميع ماهو مدون على الآثار صحة ماقاله المؤرخ چامبليك وغيره من أن القبط كانوا أمة لاتعبد الا الله غير انهم أظهروا صفاته العلية الى العيان مشخصة في بعض المحسوسات كالتماثيل وغيرها » . وجاء في كتاب الأثر الجليل لقدماء وادي النيل صحيفة ٩٣ مايأتي « وكيف يُتصور ان المصريين مع غزارة علمهم وصحة فهمهم ومهارتهم يتخذون المنحوتات أرباباً وجاء في بعض التواريخ ان موسى دخل مدارس الكهنة منذ صباه وتعلم فيها اسم الله المكنون الذي كانوا يصونونه عن العامة »

ولاخلاص القبط في العبادة طبيعةً اوتلقيناً وتعلياً رأوا أن الله في كل مكان فهامت قلوبهم في محبته وشحنت كتبهم بمحاسن أعماله الدالة على قدرته فارتقوا في الدين والدنيا وعدّدوا صفاته العلية وميّزوها بالاسماء وجعلوا لكل اسم منها تمثالاً ولكل مدينة معبوداً فنشأ عن ذلك انتشار معبودات متباينة في الشكل والهيئة وكلها ترجع الى الدلالة على صفاته العلية

وأشهر هذه المعبودات هو : « را » اي الشمس و « آمون » وهو ابو المعبودات وكان يعبد في مدينة طيبة و « اوزيريس » إله الاموات و « ايزيس » أخت اوزيريس وزوجته وأم « هوروس » اله الشمس الذي يرمز اليه بالباشق « الباز أو الصقر » و « بتاه » رئيس الآلهة و «توت أو تاهوتي » مخترع الصنائع ويدل عليه بجسم انسان اما له رأس طائر يشبه الكركي أوابا قردان وإما له رأس كلب يسميه اليونان سينوسيفال.

والقبط يعتقدون منذ القديم باليوم الاخير[1] بدليل ما وجد في قبر الملك سيتي الاول في بيبان الملوك جهة طيبة وهو صورة الحشر والنشر والحساب وصورة المجرمين وقد قطعت رؤوسهم وصورة المتقين وهم يرفلون في النعيم . وكان القبط يزعمون ان احسن

(١) قال بعض المؤرخين أن سبب اعتناء القبط بجثث موتاهم كان لأمور صحية ولذلك لم يعهد في أيامهم حدوث وباء قط. وقال آخرون انهم كانوا يقولون بالعودة الى هذه الدنيا واعتقادهم في ذلك أن الروح متى فارقت الجسم ذهبت الى محكمة أوزيريس فان كانت تقية بقيت مدة تعود بعدها الى صاحبها وان كانت شريرة حكم عليها بالفناء ولذا اعتنوا بتحنيط الاجسام تحنيطاً عجز أطباء العالم عن ادراكه في هذا العصر.

المصنوعات وأكبر المباني تقربهم عند الله زلفى لذا كانوا يميلون الى تشييد العمارات الفخمة ونحت التماثيل العديمة النظير وبناء الهياكل وليس أدلّ على ذلك من الآثار المنتشرة في هذا الوادي وجباله وجميعها في أعلى طبقات الصناعة . وكانت لملوك القبط عناية عظمى بهذه الهياكل والبرابي فكانوا يحتفلون بها ويوقفون عليها الاطيان وظل الحال كذلك في عهد اليونان (٣٣٢-٣٠ق م) ثم في عهد دولة الرومان الوثنية من سنة ٣٠ق م الى سنة ٣٨١ م وربما اشترك في عمارة المعبد الواحد جملة ملوك (١)

وكان القبط يقدسون لكل معبود حيواناً خاصاً به يعتقدون ان روح المعبود تحل في ذلك الحيوان وتنتقل منه بعد موته الى حيوان آخر من جنسه لذلك قدسوا العجل ابيس على الصورة المعروفة فكان الزمن المخصص لعبادته خمساً وعشرين سنة فان لم يمت في خلالها أغرقوه في النيل ثم حنطوه ودفنوه في السرابيوم (مدفن العجول)

(١) مثل معبد دندره على شاطئ النيل الغربي أمام بندر قنا . وأول من بناه بطليموس العاشر اليوناني وتم في زمن طيباريوس قيصر وتمت زينته مدة نيرون الطاغية وكلاهما من قياصرة الرومان وفي مدة بنائه ولد المسيح له المجد .

بسقاره ولبسوا عليه شعار الحداد حتى يجدوا عجلاً غيره له نفس شكله الظاهري. وكان القط يقدس في المنيا . والتمساح في الفيوم . والذئب وابن آوى في أسيوط . والنمس في اهناس المدينة[١] الى آخر ماهنالك

ظهور الديانة المسيحية في مصر - ولد المسيح له المجد فاهتزت بمولده العروش وانخلعت قلوب أصحاب التيجان أما الخائفون فكان لهم بمجيئه عهد أمان والجاهلون المنغمسون في الظلام عهد نور . وبميلاد هذا الطفل المتواضع النفس الخافض الجناح بدأ عصر المسيحية المجيد فمثّل القبط فيه أدواراً رفعت منزلتهم في العيون وعظّمت قدرهم في النفوس وها نحن ابناءهم نعتز بمطالعة تاريخهم ونباهي باستشهادهم واستبسالهم في سبيل رفع لواء المسيحية المنير .

وفد مرقس الرسول على مصر في منتصف القرن الاول الميلادي فبشر فيها بالديانة المسيحية وتعاليمها الالهية ومن ثم اعتنقها اجدادنا بعدان تفهموها واقتنعوا بصحتها. لم يجبرهم على اعتناقها سوط عذاب أو سيف ارهاب بل انهم تركوا عن رغبة ديناً وثنياً كانوا اقد ألفوه ووجدوا آباءهم عليه لاعتناق دين المسيح

(١) بالقرب من بني سويف واسمها باليونانية هيراقليوبوليس .

الذي تمكنت تعاليمه من نفوسهم وامتزجت بدمائهم . ألا يدل هذا الاقدام على شجاعتهم الأدبية واستقلال رأيهم ورجاحة عقولهم ! ! ان أول من اعتنق المسيحية من القبط هو حنانيا (انيانو) الاسكاف مع نفر قليل جداً وفي وسط هؤلاء الابطال المسيحيين شيدت أول كنيسة قبطية بالاسكندرية في ٣٠ برموده سنة ٦٨م بدم مرقس الرسول قطب فخرنا وهامة شرفنا فهو أول بل سيِّد باباوات القبط بل أساس الكنيسة المسيحية بالديار المصرية.

دخل أجدادنا في العصر الجديد عصر المسيحية السعيد فوجهوا عزيمتهم الى اعلاء شأن الدين وصمموا على تضحية حياتهم في سبيل رفعته . فلم يكن أوفى منهم ذمة لدين المسيح ولكنيسته المقدسة واليك شيئاً من تفصيل هذا الاجمال .

سعايات الرومان — كانت مصر في أول عهدها بالمسيحية تحت حكم الرومان فأوجس هؤلاء خيفة من الدين المسيحي لئلا يكون سبباً في لمّ شعث القبط وتوحيد قلوبهم فينقضون عليهم ويطردونهم من البلاد كما طردوا الهكسوس والفرس من قبل . لذلك قام الرومان المحتلون يوغرون صدور القبط الوثنيين على اخوانهم المسيحيين فكنت

ترى بين آونة وأخرى الدماء تجري أنهاراً والاموال تسلب جهاراً . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

الاضطهادات — قاست الكنيسة القبطية اضطهادات كثيرة لم ترها كنيسة مسيحية في العالم . وذلك من قياصرة الرومان ونوابهم في مصر الذين صبوا عليها صنوف العذاب فاسترحمت من غير راحم واشتكت الى غير مشك . غير أن المسيح رأس الكنيسة أعطى أجدادنا الابرار قوة وبأساً جعلاهم يستخفون بأعدائهم ويسخرون منهم ويدافعون عن كنيستهم حتى الموت . أما حوادث الاضطهادات فعديدة أشهرها عشر سيأتي ذكرها ضمن حوادث القرنين الثاني والثالث وأكثر هذه الاضطهادات ايلاماً للنفوس وأشدها وقعاً على قلب المسيحي الاضطهاد العاشر المعروف بعصر الشهداء.

عصر الشهداء — لما تولى ديقلاديانوس الطاغية قيصر الرومان (٢٨٤ – ٣٠٣ م) استشعر خشية من الدين المسيحي فظن – والامر من فوق طور ادراكه – انه قادر على محوه من الوجود فاضطهد المسيحيين في أوربا والشرق وأمر معتمده في مصر أن يجبر القبط وأمراءهم على عبادة الاصنام والا أشهر فيهم سوط عذابه وسيف انتقامه . ولما كان القبط في معتقدهم لا يؤثر فيهم تهديد ولا يرجعهم عن الحق وعيد أبوا بالاجماع رجالاً ونساء الانقياد لاوامر

ديقلاديانوس وقد أطاعوا في ذلك ضمائر حرة سكنت بين جنوبهم بل قلوباً ملئت ايماناً ونفوساً زادت بالمسيح اطمئناناً ولا سيف بيدهم يدافعون به عن أنفسهم الا ذلك الصليب المعظم والانجيل المقدس الكريم.

هذا ما كان من أمر أجدادنا إزاء ديقلاديانوس بعكس أوربا التي أطاعته ورجعت الى عبادة الاصنام ولذلك كبر عليه أن يعصيه القبط فازداد خوفه منهم واشتد حنقه عليهم ومن ثم حضر بنفسه الى مصر بعد ان سبقته اليها مراكبه الحربية ومقذوفاته الجهنمية وسيوفه المشرفية تحصد من القبط مئات وألوفاً وأذاقهم كؤوس العذاب ألواناً وصنوفاً. فمن جلد وتعذيب الى ذبح وقتل الى شنق وحرق الى غير ذلك مما يذيب الفؤاد ويفتت قلب الجماد. أما القبط فكانوا لفرط اخلاصهم يستعذبون العذاب ويهزأون بالموت حباً في الدم الزكي الذي أراقه الفادي الحبيب. هذا ما أوحى به الدين الأرثوذكسي الى خلاصة أبنائه وخير شهدائه الذين لم يتزعزع اعتقادهم لحظة مع دوام الاضطهادات مدة تسع سنين استشهد فيها ماينيف على الثمانمائة ألف شهيد ورد ذكر أشهرهم في السنكسار القبطي وسنذكر بعضهم في حوادث القرن الثالث.

استشهدت هذه الألوف فأضافت الى صحيفة الاخلاص سطوراً يجب أن تدون بالذهب الخالص وتنشر على الملأ لتكون آية الشهامة ومثل التفاني في حب الدين.

هذه أهم حادثة وقعت في تاريخ القبط حيث اشتروا استقلالهم الديني بأموالهم التي سلبت وأرواحهم البريئة التي أزهقت وكان ذلك

ثمناً باهظاً اقتضت ارادة الظالمين أن تتقاضاه منهم . ومن ثم جعل القبط تلك الحادثة مبدأ تاريخ سنيهم ليذكروها أبداً في معاملاتهم اليومية ويحولوا أفكار الخلف الى ما فعله السلف في سبيل المحافظة على دينه الأرثوذكسي القويم . ويبتدئ هذا التاريخ المسمى تاريخ الشهداء من سنة ٢٨٤ م . وسنته الحالية هي ١٦٣٠ للشهداء الاطهار

ومن ذاك الوقت اشتهر القبط بأنهم أبطال المسيحية ولعلها بركة عظيمة حلت بأرض مصر وبأهلها منذ زيارة المسيح له المجد لتلك البلاد وهو طفل . فياحبذا لو وطن قبط اليوم نفوسهم على الاهتمام بشهدائهم الأطهار فادخلوا تاريخهم فى مدارسهم واغروا أبناءهم على تعلمه وأرشدوهم الى استعماله في مراسلاتهم بل كتاباتهم على الاطلاق لان ذكرى هؤلاء المستبسلين في دينهم وذكرى تاريخهم المجيد تعظم قدر القبطي في نفسه وترفع منزلته في عينه .

الجهاد العلمي — حسر القبط عن ساقهم وتجهزوا بجهاز ذكائهم فوجهوا عزيمتهم الى الاشتغال بالمباحث الروحية والعلوم اللاهوتية فالفوا اسفاراً جليلة اضاءت العقول وأنارت الافهام ثم وسعوا نطاق المدرسة اللاهوتية التي اسسها مرقس الرسول بالاسكندرية . ولما ظهر فيها أقطاب العلم قصدها الناس من كل فج لسماع أقوال بنتينوس واكليمنضس واوريجانوس وديديم

الضرير واقوال تلامذتهم باباوات الاسكندرية فاعتزت الكنيسة بهؤلاء الائمة الذين يرجع اليهم في المشكلات ويستصبح بضوئهم في المعضلات. ولم تكن العلوم الدينية قاصرة على آباء الكنيسة بل كانت منتشرة بين عامة القبط قبل خاصتهم. ولهذا السبب بقيت الامة القبطية تناطح الزمان وتغالبه.

الرهبنة — أحب القبط الدين المسيحي حباً تمكن من قلوبهم لدرجة جعلت بعض كبارهم وأفاضلهم يتركون العالم بما فيه قاصدين القفار والصحارى راغبين في العزلة للتأمل في الالهيات . فكان ذلك بدء حياة جديدة تعرف بالرهبنة. طرق أجدادنا أبوابها بعد ان سنوا لها قوانين صارمة أوسعوا لها صدورهم واستسهلوها (راجع كتاب بستان الرهبان وكتاب الصلاة على الرهبان وكتاب ابن العسال) فلم تكن صرامتها حائلا دون الراغبين فيها بل بالعكس أخذ عددهم يتزايد يوماً عن يوم. ومن الغريب أن تنفجر في الصحارى ينابيع عذبة ترتوي منها الأرض القاحلة فتصبح خصبة ناضرة. تلك الينابيع السائغة هي الرهبان آباء الصحراء بل حماة المسيحية بل خفر اسواحلها . أجل ان التاريخ يحفظ لبولا وباخوميوس ومقار وأنطونيوس وغيرهم أجل ذكر في سجل المسيحية ويعترف لهم بحماية ذمارها والذود عن حياضها

ظهور الديانة المسيحية رسمياً - لما تولى القيصر تاودوسيوس الكبير ملك الرومان (٣٨١-٣٩٥م) اصدر اوامره بتحريم عبادة الأوثان في جميع انحاء مملكته والولايات التابعة له . وبذلك انتهى دور الرومان الوثني وأصبحت المسيحية الديانة الرسمية لحكومة الرومان وبالتبع لحكومة مصر . ومن ذاك الحين اشتد ساعد المسيحيين من القبط تحت رئاسة توفيلس البابا الـ (٢٣) فحطموا الاصنام وقضوا على تلك الأوهام الوثنية وأمسى عابد الصنم هزأة فدخل الناس أفواجاً في دين المسيح ولم يمض الاّ القليل حتى عمّت المسيحية جميع القبط فظلوا يرفلون في حللها نحو مائتين وتسع وخمسين سنة الى ان دخل العرب مصر سنة ٦٤٠م .

يلاحظ في مدة المائتين والتسع والخمسين سنة هذه ان العناية كانت عظيمة بتشييد الكنائس وفتح المدارس وتأسيس الاديرة وايقاف الأطيان والرزق عليها فامتد نفوذ بطاركة القبط في القطر وعلت كلمتهم على كلمة الحكام الرومانيين . ولذلك خاف الرومان من استقلال هؤلاء البطاركة ببلادهم فعولوا على تعيين بطاركة رومانيين ثم ارغموا اهل البلاد على القول بالطبيعتين في المسيح أما القبط فانهم رفضوا قبول

أي بطريرك أجنبي (وخصوصاً من بعد المجمع الخلكيدوني) ولو كان من نسل الانبياء محافظة على استقلالهم الديني . ولما كان القول بالطبيعتين غريباً عن تعليم الكنيسة القبطية رفضوه رفضاً باتاً وتمسكوا بالتعليم الصحيح القائل «ان للكلمة المتجسد طبيعة واحدة» (وسيرد شرح ذلك في القرن الخامس) ومن هنا تولد الحقد والبغضاء بين القبط والرومان. ويلاحظ أيضاً انه ظهرت في تلك المدة وقبلها تعاليم وآراء مخالفة للتعليم المسيحي الصحيح تسمى بالبدع أو الهرطقات انعقدت بسببها المجامع المسكونية الثلاثة وقضت عليها وترى ذكرها في القرنين الرابع والخامس

الارثوذكسية — لفظة يونانية مركبة من ορθος أرثوس « مستقيم » و Δοξα ذُكسا « رأي » ومعناها استقامة الرأي اي اتباع العقيدة المسيحية الصحيحة . وهي الصفة التي امتازت بها كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية. والقبط الارثوذكس هم الذين حافظوا الى اليوم على التعاليم الصحيحة التي تسلمتها كنيستهم القبطية الارثوذكسية من مؤسسها مرقس الرسول ومن خلفائه الاطهار باباوات الاسكندرية . الذين تربعوا على كرسي كاروز الديار المصرية بالتعاقب الى قداسة البابا (١) الجالس سعيداً كيرلس الخامس

(١) قال سعيد بن بطريق وهو افتيخيوس البطريرك الثامن والستون

للملكيين بالاسكندرية (٩٣٣ – ٩٤٠ م) في تاريخه المطبوع سنة ١٦٦١ م « ان لفظة بابا مركبة من أب آباء ثم استدرجت الى ابابا وخففت بلفظة بابا وقد شهد افتيخيوس في تاريخه المذكور بأن القبط هم الذين بدأوا بتلقيب بطاركتهم بالباباوات حيث اطلقوا لقب بابا على الانبا ياروكلاس ال(١٣) وقد أيد هذه الحقيقة كل من ابن الراهب وسويرس ابن المقفع وفولر الانجليزي. وكذلك يشهد ايفانوس اسقف قبرص بان الاسقفين الغربيين أورزاس وفالانس خصمي اثناسيوس الرسولي البابا الاسكندري ذكرا اسمه الكريم – مصدراً بلقب « بابا » في خطاب ارسلاه الى يوليوس اسقف رومية (راجع الهرطقة ال٦٨ بكتابه عن الهرطقات) وذلك مما يسقط دعوى القائلين بأن سلستينوس بابا روميه القديمة هو الذي منح كيرلس الكبير هذا اللقب بعد حل المجمع الافسسي المسكوني الثالث مكافأة له على سحقه البدعة النسطورية . اذ كلنا يعلم ان ياروكلاس رقى السدة المرقسية سنة ٢٣٢م وان اثناسيوس رقيها سنة٣٢٨ م وان كيرلس لم يرقها الا سنة٤١٢م . وقد امتدلقب بابا الى قرطجنه حتى إن كرنيليوس اسقف رومية القديمة صدّر معظم رسائله التي بعث بها الى القديس

والنوبة والحبشة وليبيا والخمس مدن الغربية [١]

قبريانوس اسقف قرطجنه في أوائل القرن الثالث بقوله « السلام من كرنيليوس الى البابا قبريانوس» ٠ ومن ثم امتد ذلك اللقب الى اسقف روميه القديمة والى الاساقفة الغربيين التابعين له ٠ أما اذا كان حبر روميه المذكورة قوي فيما بعد على أن ينتزع لقب بابا من اخوته الغربيين ويحصره في شخصه فانه لم يقوو لن يقوى على انتزاعه من حبرنا الاسكندري ونظرة واحدة الى جميع الخولاجيات القبطية (سواء كانت بين ايدي الارثوذكس او بين ايدي اخوانهم الكاثوليك) تكفي لتبرهن

(١) الخمس مدن الغربية واقعة في الجزء الشرقي من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر . وتسمى باليونانية بنتابوليس وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق م بواسطة جماعة الثريان وهي : (١) قيروان (Cyrène) وهي الآن خربة وتبعد ١٥ كيلو متراً عن مرسى سوسه وهذه المدينة غير القيروان التي بنيت في تونس سنة ٥٠ هـ على يد العقبة بن نافع (٢) برنيقه والآن بني غازي على خليج سدره (٣) سوزوسا وكان اسمها أبو لونى والآن مرسى سوزوسا (٤) درنه المشهورة عيناتها وكان اسمها أرسينوا (٥) بطولمايس وتسمى الآن طولميت بقرب اطلال برقه . وقد ذكرت هذه المدن في كتاب السلم الكبير لابن كبر هكذا : برقه — تونس — طرابلس ـ القيروان — أفريقية.

والنتيجة ان لفظة ارثوذكسي هي شعار الاخلاص للعقيدة المسيحية الصحيحة وكما ان الجندي يفتخر بحمل شارته العسكرية كذلك يجب ان يفتخر القبطي بارثوذكسيته القويمة. فلا يختفي اذا مادعته الظروف الى الظهور ولا يخشى ان يقدم متى كان في اقدامه رفعة امته. وهنا يحسن بنا ان نذكر الذين هالهم تأخر طائفتهم فهجروها وغرّهم ظواهر الارساليات

لنا على ان اسم الحبر الاسكندري لا يذكر حتى اليوم الا مشفوعاً بلقب بابا متبوعاً بألقاب ثلاثة: ففي الثلاثة قداسات وفي صلوات بخوري المساء والبكور، بل في جميع طقوس البيعة القبطية، ينبه الشماس الشعب عند «صلاة الآباء» قائلاً: «صلوا من أجل رئيس كهنتنا أنبا فلان بابا وبطريرك وسيد ورئيس أساقفة مدينة الاسكندرية العظمى... الخ»

هذا ولو لاحظنا أن كتاب الله لا يعرف لرؤساء الكهنة غير لقب «أسقف»، وأن المجمع النيقاوي المسكوني الأول لم يذكر الحبرين الاسكندري والروماني إلا بذلك اللقب (قانون ٦) لعلمنا أن «الاسقفية» هي وحدها درجة رياسة الكهنوت. وأن ما عداها فالقاب تفخيمية. وهذا هو البابا القديس قبريانوس القرطاجني يقول بصريح

الافرنجية فاحتضنوها أنهم بذلك يأتون وزراً فادحاً ويصيبون اكبر جناية في قومهم . إذ ليس من الشهامة أن يترك الابناء أماً لم تجنِ ذنباً سوى ما جناه عليها الدهر ليرفعوا اجنبيةً تجرّعهم سموم البدع والاضاليل فتفرقهم شتات شتات فمن قوة الى ضعف الى فناء .

اليعاقبة — يزعم بعض المؤرخين ان القبط هم اليعاقبة أوهم من اليعاقبة وهو خطاء محض لان اليعاقبة هم جماعة السريان سكان ما بين النهرين [١] الذين حافظوا على تعاليم الآباء الأولين كاثناسيوس وكيرلس

العبارة : « ان الدرجة الاسقفية ـ التي هي اعلى درجة في الكنيسة ـ واحدة» (راجع كتابه في وحدة الكنيسة فصل ٥): ولو تذكر خلفاء الرسل أن البابا اثناسيوس الرسولي في رسالته الى الانطاكين قال : « ان للكنيسة رؤساء كثيرين متساوين في الكرامة يقودهم رأس واحد هو ربنا يسوع المسيح» لنزعوا عنهم كل غطرسة وكبر وقالوا مع بولس الرسول: « انما نحن خدام المسيح ووكلاء اسرار الله»(١ كو ٤: ١): انما نحن ورعايا ناجسد المسيح! وانما رأس ذلك الجسد هو ساكن الاعالي (لاساكن الفاتيكان) الذي لا يفتأ ينظر الى حقارتنا بعين رحمته (اف ١ : ٢٢ ـ٢٣ و٤: ١١ — ١٧ و٥: ٢٣ وصلاة الصلح بالقداس الباسيلي)

(١) وهو الاقليم الواقع بين الفرات ودجله ويطلق عليه الآن اسم الجزيرة ويحده شمالاً الكردستان وجنوباً بلاد العراق

وديسقورس الارثوذكسيين القائلين بأن للكلمة المتجسد طبيعة واحدة وتفصيل ذلك انه عند ما قام يوستنيانوس النسطوري ملك القسطنطينية (٥٢٧ - ٥٦٥ م) واضطهد سويرس بطريرك انطاكية الذى تمسك بالعقيدة الارثوذكسية ضد المجمع الخلكيدوني فرّ سويرس هذا الى مصر كما سيأتى ذلك في سيرة تيموتاوس الثالث البابا الاسكندرى ال (٣٢). في هذا الوقت قام في انطاكية يعقوب السرياني تلميذ سويرس بنشر تعاليم معلمه في تلك البلاد . فمن أتبعه من ابناء كرسي انطاكية سمي يعقوبياً . ولما كان يعقوب هذا يلبس خرق البرادع تزهدا لقب بالبرادعي وهو غير يعقوب السروجي اسقف سروج [1] .

هذه هي حقيقة مسألة اليعاقبة التي ذكرها افتيخيوس بطريرك الملكيين [2] . ولا يخفى انه هو أول من اطلق اسم اليعاقبة على جماعة السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي . ولما نشرت كتابات افتيخيوس بين الافرنج ورأى بعض مؤرخيهم ان تعاليم اليعاقبة لا تخالف تعاليم الكنيسة القبطية خرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى الى تسمية القبط باليعاقبة أيضاً وهو استنتاج خطاء ربما وقع فيه رواته عن غير عمد

(١) سروج هي احدى مدن ما بين النهرين ويعقوب السروجي توفي سنة ٥٢٥ م. واما يعقوب البرادعي فتوفي سنة ٥٧٨ م (٢) الملكيون هم اخصام ديسقورس في المجمع الخلكيدونى المنعقد سنة ٤٥١ م وسموا ملكيين نسبة للملك مرقيانوس الآمر بعقد ذلك المجمع .

وقد كان ذلك سبباً في وقوع كثيرين في هذا الشطط حتى انه تسرب الى فئة من مؤرخي القبط فنقلوا هذا الاستنتاج من غير تمحيص كابن العسال في كتابه أصول الدين ثم جاء المقريزي المربي فردّد هذا القول وتبعه أبو دقن القبطي المتوفي الذى عاش في منتصف الجيل السابع عشر. غير ان القائلين بذلك لم يتفقوا فى روايتهم على نسبة هذه التسمية . فقال المقريزي « وقد اختلف في تسمية اليعاقبة (يريد القبط) بهذا الاسم فقيل إن ديسقورس كان يسمي قبل تعيينه بطريركاً يعقوب وقيل إن ديسقورس كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي إلى اصحابه فنسبوا اليه وقيل ان يعقوب تلميذ سويرس بطريرك انطاكية كان على رأي ديسقورس فكان سويرس يبعث بيعقوب هذا الى النصارى ويثبتهم على أمانة ديسقورس فنسب النصارى الى يعقوب المذكور » . ثم قال ابو دقن في كتابه الموجود بمكتبة اكسفورد « ان اسم يعاقبة مشتق من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم » وزعم صاحب مجلة صهيون وهو سرياني في العدد ١٣ من السنة السادسة من مجلته « ان هذه التسمية اتصلت بالكنيسة نسبة الى يعقوب الرسول » وقد قاده هذا الزعم الى وضع كتاب سماه البراهين الثاقبة في معتقدات اليعاقبة . وكل هذه أقوال مردودة التبس على اصحابها وجه الصواب لا سيما وان البابا ديسقورس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولا يوجد في كتب تاريخ الكنيسة القبطية ان بين باباواتها من سمي بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول القبط ولم يعرف القبط من أول عهدهم بالمسيحية الى اليوم الا بالقبط الارثوذكس .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فاني عند ما كنت بلندن وقفت على بعض أغلاط في الطبعة الرابعة والعشرين لقاموس (هيدن) ذكرت في سياق الكلام عن لفظة (القبط) منها ان لهم أسقفين (ولعله يقصد بذلك الاقباط الكاثوليك لان للقبط الارثوذكس ١٩ أسقفاً عدا غبطة البطريرك) . وفي الكلام عن الاقباط الكاثوليك ذكر ان عددهم ستمائة الف (وهم لا يزيدون على عشرة آلاف كما ورد في الاحصاء الرسمي الاخير) الى آخر ما هنالك من الخلط . فلم يسعني اذ ذاك الا تحرير رسالة لاصحاب الشأن الفت فيها نظرهم الى هذا الخطأ فجاءني ما تعريبه بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٠٩ م

سيدي العزيز

ترانا ممتنين لرسالتكم التي فيها تلفتون نظرنا الى نقطة معينة في قاموسنا ونحيطكم علماً باننا بحثنا الموضوع ودرسناه وسنحدث التعديل اللازم في الطبعة القادمة « عن ورد ولوك وشركاهم لميتد (الامضاء)

وعليه فلي كلمة رجاء أوجهها الى أصحاب الهمم ورجال الغيرة من اخواني القبط وهم كثيرون فياحبذا لو الفوا فيما بينهم لجنة الغرض منها البحث والتنقيب عن كل ما كتبه الكاتبون عنا لتقر الصحيح منه وتعمل على تصحيح الاغلاط التي كانت سبباً في تشويه بل قلب كثير من الحقائق التاريخية الناصعة .

الفصل الثامن

« ظهور الافرنج ومذاهبهم الجديدة في مصر »

طمحت أنظار الافرنج الى مصر منذ الحروب الصليبية ولكنهم لم يدخلوها الا في أواخر القرن السابع عشر حيث قدمت اليها فئة منهم لمزاولة أمور سياسية ومعالجة مسائل رسمية لدى الحكومة المصرية فاغتنم بابا رومية هذه الفرصة وأرسل رهطاً من رهبان الغرب بمساعدة حكومة فرنسا لبث المذهب الروماني بين القبط كما سنوضحه في حينه. ولما احتل الفرنسيون مصر (١٧٩٨—١٨٠١ م) دخل بدخولهم فريق من الافرنج استوطن البلاد فلم يغادرها عند الجلاء الفرنسي بل بقي متمتعاً بحماية القنصلية الفرنسية الى أن تولى مصر محمد علي باشا رأس الأسرة الخديوية (١٨٠٥—١٨٤٨ م) حيث استخدم جماعة من الفرنسيين الكاثوليك في مشروعاته العديدة. ولما تولى الخديو اسمعيل (١٨٦٣—١٨٧٩ م) أباح لاغراض سياسية دخول الافرنج مصر بصفة رسمية وقد كان ذلك دليلاً على بُعد الحكومة عن التعصب ولاسيما بعد ان ساعدت على نشر

الحرية الدينيـة وهنا وفد الوافدون بكثرة وعلى الخصوص طائفة العاطلين من الافرنج وعدد وافر من المرسلين الكاثوليك فالبروتستانت كما سيجيء مفصلاً .

ولسوء الحظ كانت الأمة المصرية من قبط ومسلمين تخبط حينئذٍ في ديجور الجهل وتتعثر في مزالق الفقر عقب ما أصابها في القرون الماضية من اضطهاد وظلم وناهيك بجور المماليك واستبدادهم القرون الطويلة . كل ذلك أثّر على المصريين فجعل السطو سهلاً على بقية مافي أيديهم من مال وعقار لاسيما للافرنجي (ذكر أو انثى) الذي استعمل دهاءه في سلب أموال هذه الامة باسم المدنية الكاذبة ولم يكتف بذلك بل احتال على القبط بنوع خاص للقضاء على استقلالهم الديني. ويمكن القول بأن جماعة المرسلين من كاثوليك وبروتستانت بقدر مافشلوا في استمالة المسلمين اليهم نجحوا في التغرير بعقول السذج من القبط ففصلوهم عن اخوتهم وعن أمهم الكنيسة القبطية التي مات أجدادهم في سبيل احيائها .

الكثلكة فى مصر — دخل المرسلون الكاثوليك من

فرنشيسكان ففرير فجزويت موفدين من قبل بابا رومية كما أسلفنا فأخذوا يتذرعون بكل الوسائل الممكنة لنشر التعاليم الرومانية[١] فلم يفلحوا في باديء الامر كما أيد ذلك المسيو ماييه سفير فرنسا في مصر سنة ١٧٠٩ حيث قال في كتابه «وصف مصر»

« ولما لم يستطع المرسلون الكاثوليك اجتذاب القبط اليهم بالاقناع عمدوا الى تدبير حيلة فوزعوا دراهم صدقات لمن يحضر الى كنيستهم وقد صادفت هذه الحيلة نجاحاً عظيماً في أول الامر اذ التجأ الى كنيستهم هذه جم غفير من الفقراء ولما استبدل رئيس الدير بغيره الغى التصدق بهذه الكيفية وبذلك لم يعد أحد من الفقراء يقرب كنيسة الافرنج» وقال هذا السفير أيضاً في كتابه المذكور « ان المرسلين الكاثوليك قد احتالوا على بعض أبناء الفقراء من القبط فارسلوهم وهم حديثو السن الى رومية وعلموهم هناك ولما رجعوا وادركوا خطاءهم انتقضوا على المذهب الكاثوليكي وعادوا الى كنيستهم الارثوذكسية »

وعلى ذلك فلم يستطع المرسلون الكاثوليك باديء بدء ان يقوموا بمهمتهم في مصر غير انهم ضموا عدداً قليلاً من

(١) اهم هذه التعاليم الاعتقاد بسلطة البابا المطلقة على جميع الكنائس والخضوع لما يقرره خضوعاً اعمى باعتباره معصوماً عن الخطأ ديناً وادارة !!

السوريين واليونانيين الى المذهب الكاثوليكي الذي لم يتطرق الى بعض القبط الاّ في عهد محمد علي حيث ظهر رجل قبطي يدعى المعلم غالي (١) كان هو واتباعه أول من اعتنق الكثلكة. وبيان ذلك ان المعلم غالي لما ادرك ميل محمد علي الى الفرنسيين الكاثوليك أرسل قبطياً من قبله الى بابا رومية ليعيّنه بطريركاً في مصر يكون هو واتباعه تابعين له. كل ذلك ارضاء للفرنسيين وتقرباً منهم ليحفظوا له مركزه في الحكومة المصرية ولما علم محمد علي بهذا الامر عده خيانة لمصر وتثبيتاً لقدم الاجانب فيها فكان ذلك من جملة الأسباب التي دعت الى قتل المعلم غالي بزفتى في اوائل مايو سنة ١٨٢٢ م .

ويعرف اتباع المعلم غالي التابعون الآن للمذهب الكاثوليكي « بالاقباط التبّع » وقد اطلقوا على انفسهم اسم اقباط كاثوليك.

والحقيقة ان لفظة كاثوليكية معناها جامعة وهي احدى العلامات الاربع لكنيسة الله الارثوذكسية: الواحدة. المقدسة. الجامعة.

---

(١) هو خلاف المرحوم الارثوذكسي غالي بك نيروز والد المرحوم بطرس باشا غالي

الرسولية . وسميت الكنيسة جامعة لانها لاتضم الى أحضانها أمة معينة بل تدعو جميع الامم للانضواء تحت لوائها المقدس « كو ٣ : ١١ ومر ١٦ : ١٥ » أما الكثلكة اصطلاحاً فهي التتبع للمذهب اللاتيني وعليه فالقبطي الكاثوليكي هو التابع لكنيسة اللاتين الرومانية الفاقد لاستقلاله الديني .

البروتستانتية في مصر — البروتستانتية كلمة لاتينية معناها الاحتجاج ويعرف المتمذهبون بها بالبروتستانت أي المحتجين وذلك لاحتجاجهم على المذهب الكاثوليكي الذي حصر في رئيسه الأعلى (بابا رومية) كل سلطان بأن خص بذلك الرئيس قول الكتاب الطاهر « وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح وليس من يغلق ويغلق وليس من يفتح » (اشعيا ٢٢:٢٢).

انفصل البروتستانت عن الكرسي الروماني سنة ١٥١٧ م وكانوا قبل هذا التاريخ تابعين له خاضعين لسلطانه . فجنوا بانفصالهم هذا على انفسهم جناية كبرى لا يبرءون منها الاّ بانضمامهم الى كنيسة رسولية [1] أساقفتها شرعيون وكهنتها

(١) سميت كنيسة الله الارثوذكسية رسولية لانها مبنية على

حاصلون حقيقةً على سر الكهنوت المقدس (١)

انفصل البروتستانت عن كنيسة رومية الرسولية التي أسسها بولس رسول الامم (الوثنيين) وهي الكنيسة الرسولية

أساس الرسل والانبياء والمسيح نفسه هو حجر الزاوية « لو ٢٠ : ١٧ـ ١٨ واف ٢ : ٢٠ » (١) الكهنوت سر مقدس يتم بوضع يد الاسقف على رأس المرتسم فتحل بالصلاة عليه نعمة الروح القدس ومن ثم يصبح ذا سلطان يتمكن به من ممارسة أسرار الكنيسة وخدمها الروحية. وقد أسس السيد المسيح هذا السر فانتخب رسلاً وأقامهم رعاة وسلمهم الرعية قائلاً لهم « كما أرسلني الآب هكذا أنا ارسلكم يو ٢٠ : ٢١ـ ٢٣ وما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وما تحلونه على الارض يكون محلولاً في السماء مت ١٨ : ١٨ » ثم ان الرسل أقاموا خلفاء لهم ليرعوا المؤمنين كما جاء في الكتاب الطاهر « احذروا لانفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه اع ٢٠ : ٢٨ » ورسم بولس الرسول تيموثاوس وتيطس وغيرهما اساقفة وقال للاول « لا تضع يدك على أحد بالعجلة... ١ تي ٥ : ٢٢ » وقال له أيضاً « لهذا السبب اذكّرك أن تضرم موهبة الله التي فيك بوضع يديّ ٢ تي ١ : ٦ » وقال للثاني « تقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك تي ١ : ٥ » وقال أيضاً « يجب ان يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين غير مولعين بالخمر الكثير

في الغرب كله[١] فانقطعت بذلك الدرجات الكهنوتية لديهم لان لوتيروس[٢] وغيره من زعمائهم لم يكونوا الا مجرد رهبان في غير سلطانهم السيامة. فأضحى البروتستانت ولا وجود عندهم الشماسية ولا القسيسية لانه لا أثر لديهم للاسقفية التي من اختصاص ذويها وضع اليد وتشكيل الهيئة الكنسية[٣]

ولا بالربح القبيح ١ تي ٣ : ٨ - ١٣ » . ومما تقدم يعلم ان درجات الكهنوت ثلاث(١) الاسقفية والاسقف(رئيس الكهنة) هو الذي يتمم الاسرار وله السلطان ان يمنح درجة الكهنوت (٢) القسيسية والقس هو الذي يتمم أسرار الكنيسة وليس من سلطانه وضع اليد (٣) الشماسية والشماس (خادم الانجيل) هو مساعد الاسقف والقس في جميع خدم الكنيسة. ولا تمنح درجات الكهنوت الا بوضع اليد من مصدر رسولي شرعي فهي تسلم وتسليم . وبخلاف ذلك يكون مدعيها متطفلا.

(١) أما الكنائس الرسولية في الشرق فعديدة وردت اسماؤها ومواقعها في كتاب أعمال الرسل وفي رسائل بولس (٢) لوتيروس اسمه مارتين لوتيروس (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وهو راهب الماني من مدينة ڤيمتبورج ببلاد سكسونيا ظل كاثوليكياً مدة ٣٥ سنة ثم ابتدع المذهب البروتستانتي سنة ١٥١٧ م (٣) انكر بعض البروتستانت وجود الكهنوت في الكنيسة تخلصاً من نقد الناقدين وسموا القائمين

« اع ١٤ : ٢٣ و١ تي ٤ : ١٤ و٢ تي ١ : ٦ » .

نشأت البروتستانتية في المانيا وكانت دائرتها ضيقة الاّ انها انتشرت حتى عم وباؤها معظم بلدان أوربا التي سئم أهلها التعاليم الرومانية الاستبدادية فاعتنقها كثيرون من الاوربيين والامريكيين وقاموا يحاربون بها البابوية الرومانية ويكافحونها ولاغرو فانه لمن العدالة أن يقاسي الفاتيكان من أبنائه ماقاسته الكنيسة المسيحية منه وليس من الغريب ان ينتقم الابن العاقّ من أبيه لجده .

بأمور مذهبهم شيوخاً أودكاترةمتبعين في ذلك تعليم زعيمهم لوثيروس القائل « أنا أعلم ولا أخشى مضادة المكابرين انه اذا جاء شيطان وتقلد وظيفة راع في الكنيسةودعي في شكل انسان للكرازة والتعليم علناً في بيعة الله وأخذ يعمد ويتلو القداس ويحل من الخطايا على حسب الوضع الالهي فلا بدّ لنا من الاقرار بصحة الاسرار التي يمنحها واننا نقبل منه عماداً صحيحاً وحلا صحيحاً وسراً صحيحاً لجسد الرب ودمه » (راجع كتابه عن مسحة الكهنوت) . أما البعض الآخر وهم الاسقفيون فقالوا بوجود الكهنوت وسموا أئمتهم أساقفة الاّ أنهم مع ذلك لا يعترفون بان الكهنوت سر مقدس من أسرار الكنيسة (راجع كتابهم « الصلاة العامة »)

لم تقف البروتستانتية عند حدّ ولم يرد أصحابها الاّ أن ينشروها أينما حلوا فدخلت مصر مع من دخل وكان ذلك بعد دخول الكثلكة اي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر فقام بعض الامريكان من رجالها ينادون بالشيعة المشيخية. وهبّ غيرهم ينشرون المذهب الاسقفيّ.[1] ونهض آخرون يعلن بعضهم البدعة البليموسية وبعضهم الاصلاحية. وتجلبب غيرهم بشعار المسكنة ولقبوا أنفسهم بالحفاة. وتمسك آخرون بطقس اليهود وقالوا إنا سبتيون. وادّعى غيرهم انهم رسوليون وان الروح القدس ينخسهم فيقومون ويقعدون ويتمتمون ويرطنون. الى غير ذلك من الشيع والبدع التي مازالوا يتفننون في ابتداعها ويتنافسون في انتشارها حتى جعلوا غير المؤمنين يتضاحكون على دين المسيح ويهزءون به.

عمل البروتستانت على نشر مذاهبهم المتبلبلة بهمة لا تعرف الكلل فأخذوا يحسنونها لبسطاء القبط ويرغبونهم

(١) يعرف هذا المذهب أيضاً بالانجليكاني نسبة الى الكنيسة الانجليزية التي يرأسها ملك الانجليز ذكراً كان أو أنثى بالغاً أو قاصراً ! !

فيها بالمظاهر الحسنة والظواهر الخداعة كأن يخدّمون العاطل منهم ويوزعون عليهم الدراهم ويهبونهم « كتبهم المقدسة » المذهبة الحواشي أو يبيعونها لهم بابخس الأثمان ويتصنعون البكاء المر على مجد المسيحية الغابر الى غير ذلك من المظاهر التي جاءت في زمن سُبات الكنيسة القبطية كما أسلفنا فأثّرت على عقول بعض اخوتنا فساروا وراءها غير حاسبين حساباً للفارق الكبير الذي يفرّق بين كنيستهم الاصيلة الارثوذكسية وتلك المذاهب الدخيلة البروتستانتية .

تلك المذاهب التي تعلّم - بعكس المعتقد الارثوذكسي - ان الايمان وحده دون الاعمال الصالحة كافٍ للتبرير داعمةً ذلك التعليم المضادّ للناموس الطبيعي والذي يبرأ منه الدين المسيحيّ ببتر الآية العاشرة من رسالة بطرس الثانية (٢ بط ١ : ١٠).

قال بطرس الرسول مخاطباً المؤمنين : « اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتين بالأعمال الصالحة [١] » . فبتر البروتستانت الآية الالهية وقالوا في نسختهم البيروتية : « اجتهدوا

(١) راجع الأصل اليوناني والنسخة القبطية وغيرها

أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتين . . . . »

ينص الكتاب على ضرورة الأعمال الصالحة حيث يقول: «لا تقتل لا تسرق لا تزنِ » (خروج ٢٠: ١٣ — ١٥) ويقول ملانكتون أحد فحول البروتستانت في مؤلفه (الأماكن اللاهوتية) المطبوع سنة ١٨٢١م في أوجسبورج من أعمال بافاريا بالمانيا صفحة ٩٢ « إن كنت زانياً أو سارقاً أو فاسقاً فلا تهتم لذلك وإنما عليك ألاّ تنسى أن الله شيخ طيب جداً وانه سبق فغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن بعيد» .

يقول الكتاب : « كفوا عن فعل الشرّ . تعلموا فعل الخير . اطلبوا الحق. انصفوا المظلوم . اقضوا لليتيم. حاموا عن الأرملة»(اش ١ : ١٦ — ١٧) . ويقول لوتيروس مبتدع البروتستانية في عظة له على الآية الانجيلية القائلة «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب» (يو ٣ :١٦) ما نصه : « أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق الموصل الى السماء ضيقاً وجب على من يرغب في اتباعه أن يكون رقيقاً نحيلا فاذا سلكه وكان حاملاً أوعية مملوءة أعمالاً صالحة فليلقها بعيداً حتى لا يتعذر عليه السلوك » .

يقول الكتاب : « ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال هل يقدر الايمان ان يخلصه »(يع ٢: ١٤) . ويقول البروتستانت : « ان الايمان وحده بالمسيح يخولنا مغفرة الخطايا لا المحبة ولا الأعمال الصالحة» (كتاب المحاماه ٤ : ٢٦) ويقولون في

تعليمهم المسيحي المتداول في مدارسهم : « ان الأعمال الصالحة لا تفيد للخلاص لأن كل مايفعله الانسان شر » .

الا ان الكتاب يناقضهم بما جاء في رسالة يعقوب من أن الايمان بلا أعمال ميت كالجسد بلا روح ٢: ٢٦ وفي رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس من أن كل انسان يجازى حسب أعماله ويأخذ أجره على قدر تعبه ٣ : ٨

هذا وقد كان طالع رسالة القديس بطرس الثانية عند البروتستانت أسعد منه عند الكنيسة الرومانية التي تدعي عصمة رئيسها فان أولئك البروتستانت اكتفوا ببتر آية من آياتها . أما هذه الكنيسة الرومانية فظلت تنكر على الكنائس الرسولية الشرقية نظمها تلك الرسالة ورسالة بولس الى العبرانيين في سلك الرسائل الالهية حتى انعقاد مجمعها الغربي في مدينة ترانت بالنمسا سنة ١٥٤٥ م وتقريره قانونية هاتين الرسالتين

تلك المذاهب التي ترفض التقليد الشريف المحفوظ في الكنيسة منذ عهد الرب والرسل مبدلةً لذلك كلمة « التقاليد » « بالتعاليم » في رسالة بولس الثانية الى أهل تسالونيكي (٢: ١٥) وفي رسالته الاولى الى أهل كورنثوس (١١: ٢)

قال بولس الرسول: « اثبتوا أيها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التي تعلمتموها إما بكلامنا وإما برسالتنا ٢ تس ٢: ١٥ » وقال أيضاً: « أمدحكم لأنكم تحافظون على التقاليد كما سلمتها اليكم ١ كو ١١ : ٢ » فحرف

البروتستانت هاتين الآيتين الشريفتين وأبدلوا فيهما كلمة التقاليد بالتعاليم [١] مناقضين في ذلك جميع ترجمات الكتاب المقدس القديمة كالقبطية والحبشية واللاتينية والأرمنية ضاربين صفحاً حتى عن ترجمتهم التي طبعوها هم أنفسهم في بلندن سنة ١٨٦٠ م. والتي تتفق مع جميع الترجمات الصحيحة على نص هاتين الآيتين. أما حجتهم في ذلك التحريف فهي قولهم: « ان التقاليد التي علمها الرسول وكتبها واحدة أي انه علم أولا ثم كتب ما علمه » (نظام علم اللاهوت الجزء الأول صفحة ٤٧). على أن هذه الحجة ساقطة من نفسها ولا تسندها آية من آيات الكتاب الذي يقول: « ان أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع لو أنها كتبت واحدة فواحدة لما ظننت ان العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة بها» (يو ٢١ : ٢٥).

هذا ولو كانت التعاليم الشفهية هي ذات التعاليم المدونة لما قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس في رسالته الثانية« تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الايمان (١ : ١٣). « وما سمعته مني لدى شهود كثيرين استودعه أناساً أمناء أهلا لأن يعلموا

(١) يدعي البروتستانت — رغماً عن مخالفة كل الترجمات لهم — أن لفظة (باراذوسيس) اليونانية تعرّب بلفظة «تعاليم» ومن الغريب أنهم عربوها هم أنفسهم بلفظة « تقاليد » في مت ١٥ : ٣ ومر ٧: ٣. (انظر طبعة بيروت ونيويورك وغيرها)

الآخرين ٢ : ٢ » وعليه فيتضح جلياً من هاتين الآيتين أن هناك أقوالا عديدة ألقاها بولس الرسول أمام شهود كثيرين وهي أقوال مقدسة يجب العمل بها بدليل أن الرسول أوصى تلميذه بحفظها وأمره بأن يستودعها اناساً أمناء ليحفظوها ويعلموها الآخرين.

فكيف بعد ذلك يستطيع البروتستانت أن ينكروا التقاليد أو يخلطوها مع التعاليم المدونة وقد قال يوحنا لغايوس الحبيب: « ان عندي أشياء كثيرة أكاتبك بها لكني لا أحب أن أكتب اليك بالمداد والقلم ولي رجاء أن أراك عن قريب فنتكلم مواجهة ٣ يو ١٣ — ١٤» ألا يقتنع البروتستانت بكل هذه الآيات التي تنطق بوجود التقاليد فيقرونها معنا ويعترفون بأنها كلام الله غير المكتوب الذي لا يقل عن الانجيل قيمةً وقوة لأن كليهما مقدس وموحىً به من الروح القدس وقد قال تعالى لرسله الأطهار : « من سمع منكم فقد سمع مني لو ١٠:١٦ » وقال أيضاً : « لستم أنتم المتكلمين وانما روح أبيكم هو المتكلم فيكم مت ١٠ : ٢٠ » .

ومن غريب أمر البروتستانت انهم ينكرون التقاليد ويعملون بها فهم يعمدون الأطفال ويصلون على الموتى ويعتقدون بأن الكتاب موحىً به ويتجهون في الصلاة نحو الشرق وكل هذه مسائل تقليدية فماذا يقولون اذا سئلوا عنها بل ماذا يقولون عن سبب تقديسهم يوم الاحد وعدم اتباعهم النصوص الصريحة الواردة في الكتاب بشأن

تقديس يوم السبت · فلعل جميع الشيع البروتستانتية قد أخطأت في ذلك ولعل السبتيين منهم هم الذين حصنوا أنفسهم عن نقد الناقدين ولوم اللائمين

تلك المذاهب التي تجحد سلطة الكنيسة في سن الشرائع وفي الامر بحفظها عابثةً بقوله تعالى «من لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار مت ١٨: ١٧» محرّفةً وباترةً الآية الرسولية القائلة « وجعل (بولس) يطوف في الشام وقيليقية يثبّت الكنائس إذ يأمرهم أن يحفظوا وصايا الرسل والمشيخة (والكهنة) اع ١٥ : ٤١ » . هذا هو نص الآية على ما اثبته البروتستانت في طبعة لندن سنة ١٨٦٠ أما في طبعتي نيويورك وبيروت فقد اثبتوها محرفةً مبتورة هكذا « فاجتاز (بولس) في سوريا وكيليكية يشدّد الكنائس .... »

حذف البروتستانت باقي هذه الآية ليتخلصوا من الخضوع لشرائع الكنيسة قائلين بالخضوع لسلطة كتابهم بعد ان لعبت فيه أصبع الأغراض وتمشت بين سطوره أنملة الاهواء ·

تلك المذاهب التي استبدلت التغطيس في سر المعمودية بالرش متبعةً المذهب الكاثوليكي في ذلك مخالفةً نصوص الكتاب التي تشهد بان التغطيس هو الطريقة الوحيدة لاتمام السر المقدس

التغطيس طريقة اتبعها كل من الكنائس الرسولية الشرقية والكنيسة الرسولية الغربية حتى القرن الثالث حيث قامت كنيسة رومية بتلك البدعة (الرش) وأخذها عنها البروتستانت مستندين في ذلك على ماورد في (أع ٢: ٣٧ ـ ٤١) من أن ثلاثة آلاف نسمة اعتمدت في يوم واحد على يد الهيئة الرسولية. ومن مضحكات الامور ان تستنتج الكنيسة الغربية وجماعة البروتستانت من هذه الآيات تعذر تغطيس ذلك العدد الكبير في الماء وتبني على هذا الاستنتاج الذي لا يثبت على النقد جواز العماد بالرش ... ولا ندري ماذا يمنع من تغطيس مثل هذا العدد أو اكبر منه في احد الانهر كالاردن مثلا ؟! وما الذي يضطرنا الى الاستنتاج لا بل الى القذف بالغيب والرجم بالظنون وهناك مسألة التغطيس صريحة في آيات الكتاب ؟ ألم يرد عن المسيح: «انه جاء من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الاردن وأنه إذ صعد من الماء رأى السموات قد انفتحت؟» (مر ١: ٩ـ١٠) ألم يرد أن فيلبس الرسول أمر «بأن تقف المركبة حيث نزل هو والخصي الحبشي الى الماء فعمده، وأنه لما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس ؟» (اع ٨: ٢٥ — ٤٠).

واذا قيل لنا ان النزول الى الماء والصعود منه لا يفيدان التغطيس صراحة قلنا ما رأي المعترض في آية مرقس (١٠: ٣٨) حيث يسمي

المعمودية صبغة وصبغ الثوب يستلزم حتماً تغطيسه في الدنّ ؟ بل ماذا يقول المتعنتون، في بولس الرسول ، الذي فضلاً عن تسميته المعمودية صبغة، سماها قبراً وسمى المتعمد مدفوناً حيث قال «ودفنا معه بالمعمودية؟» (رو٦: ٢—٥) . ما لهؤلاء يخالفون نصوص الكتاب المقدس وهم يدّعون انهم انجيليون ؟ ان لفظة «فابتزما» يونانية وهي صيغة مبالغة من «فابتين» الذي معناه الصبغ وهو ادخال الشيء في قلب السائل المطلوب الاصطباغ به . ولفظة « فابتزما » معناها إدخال الشيء في السائل مع كبسه الى أسفل كما تقتضيه المبالغة وهذا لا يكون الا بالتغطيس

أما نضح الماء أو سكبه على المتعمدين الذي يستعمل تحت اسم المعمودية بحجة ان الكنيسة القديمة استعملته فنقول فيه ان الكنيسة لم تسمح به الا في ظروف ضرورية لا مناص منها كتعميد المرضى والمقعدين والمخلعين الذين لا يمكن تعميدهم بالتغطيس، ومع ذلك فقد كانت هذه الطريقة موضوع نزاع في القرن الثالث بين مسيحيي الغرب أنفسهم اذ كان القسم الكبير منهم لا يعتبر المرضى المرشوشين معمدين وكان يطلب اعادة تعميدهم حتى ان القديس قبريانوس الشهيد الغربي اسقف قرطجنة اضطر أخيراً ان يكتب في هذا الموضوع حسماً للنزاع، ذاهباً الى « أن سر المعمودية لا يعدم قوته ولا صحته اذا تم بالرش عند الضرورة» (الرسالة الـ٧٦ للقديس قبريانوس)

والخلاصة ان المعمودية هي سر طاهر به نولد ميلاداً ثانياً ولا

يتم هذا السر - في غير الظروف المتقدمة - الا بتغطيس المعمد في الماء باسم الثالوث الاقدس ثلاث مرات اشارة الى اقامة الرب في جوف القبر ثلاثة أيام

والنتيجة أن الذي يعمد بغير هذه الطريقة (مع العلم باننا لا نطعن في معمودية الدم أي الاستشهاد) لا يكون حاصلاً على سرّ المعمودية المقدس فهو ليس بمسيحي والمسيحية براء منه . . .

* * *

تلك المذاهب التي تجحد اسرار البيعة بدعوى ان كتاب الله لم ينصّ عليها .

مدّ البروتستانت أيديهم الى اسرار البيعة السبعة مختلفين في ذلك، فلوتيروس وملانكتون قبلا منها المعمودية والافخارستيا (العشاء الرباني) والتوبة، غير انهما اعتقدا باصالة الاولين دون الثالث (لوتيروس في « سبي بابل » صفحة ٢٢٦) و (ملانكتون في احتجاجه ٥:١٦٧ و٧:٢٠٠) وأنكر زوينكيلوس وكافينوس التوبة انكاراً ،وقبل اولهما الزيجة وثانيهما الكهنوت (١٨:٤) . . أما البروتستانت العصريون فانهم جروا على قاعدة «الاختصار عبادة» فرأوا ان الله لم يرسم سوى المعمودية سراً، كما رأوا ان عبادة المسيح في القربانة الطاهرة محض عبادة صنمية ! ! ولا ندري ماذا هم فاعلون بآيات (١ كو ١١:٢٧) و (لو٢٢:١٩-٢٠) و (يو٦:٥١) عن ذلك السر سر الاستحالة العظيم وبآيات (١ يو ٢:٢٧) و (أع ٨ : ١٤ - ١٧ و ١٩:١-٦) عن سر

الميرون أو المسحة المقدسة (التثبيت) وبآيات (مت ١٨ : ١٨) و (يو ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣) عن سر التوبة وبآية (يع ٥ : ١٤ـ ١٥) عن سر الزيت أو مسحة المرضى (القنديل) وبآيات (أع ١٤ : ٢٢) و(٢تي١ : ٦)و(١تي٤ : ١٤) عن سر الكهنوت . وبآيات (مت١٩ : ١ـ١٢)و(يو٢ : ١ـ١١) عن سر الزيجة التي لم ير فيها الذهبي الفم سراً بل اسراراً حيث قال موبخاً الاب الذي يزف ابنته بين رقص الراقصات وغناء المغنين والمغنيات : « ألا تعلم ياهذا ان الشباب سهل الزلق ؟ لِمَ تهتك اسرار الزيجة الموقرة ؟ » (راجع مقالته على التكوين ٤٨ : ٦)

* * *

تلك المذاهب التي تطعن على ذبيحة القداس متبعة في ذلك ما ذهب اليه زعيمها لوتيروس في مؤلفه « القداس ودرجة الكهنوت » المنشور سنة ١٥٣٤ حيث قال « ان ذبيحة القداس هي أقبح شر في العالم » عابثةً بقول بولس الرسول الى العبرانيين « ان من تعدى شريعة موسى فبقول شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل بلا رحمة فكم تظنون يستوجب عقاباً أشد من داس ابن الله وعدَّ دم العهد الذي قُدِّس به نجساً » {عب ١٠ : ٢٨ـ٢٩}

الذبيحة هي كل مايقرَّب الى الله وهي نوعان ذبيحة القداس وذبيحة الصليب . فذبيحة القداس وتسمى الذبيحة غير الدموية هي جسد

المسيح ودمه الطاهران تحت شكلي الخبز والخمر اللذين بعد تقديسهما بالصلوات والابتهالات يتحولان بقوة الروح القدس الى الجسد والدم الكريمين . وأما ذبيحة الصليب وتسمى الذبيحة الدموية فهي جسد المسيح معلقاً على خشبة الصليب ودمه المتفجر من جنبه الاقدس إثر طعنه بالحربة . والفرق بين الذبيحتين هو ان الاولى تحصل بدون سفك دم وهي عامة دائمة أي انها تقدم في كل زمان ومكان وتستمر الى منتهى الايام ولا تبطل الا بمجيء الرب مرةً ثانية ليدين الاحياء والاموات (عب ٩ : ٢٨) و (١ كو ١١ : ٢٥—٢٦) وأما الثانية فقد حصلت بسفك دم ووقعت مرة واحـدة وتمت بموت المسيح في موضع واحد هو أورشليم « وكما حتم على الناس ان يموتوا مرة واحدة وبعد ذلك الدينونة كذلك قرّب المسيح مرّة واحدة ليحمل خطايا الكثيرين (عب ٩ : ٢٨)

وقد جاء في الكتاب المقدس نبوءآت عديدة وآيات كثيرة على كل من الذبيحتين نهمل منها ما يختص بذبيحة الصليب لاتفاق الآراء بشأنها واعتقاد جميع المسيحيين بها ، ونورد مايختص بذبيحة القداس لان البروتستانت يطعنون عليها إذ انهم لايعتقدون بتحويل الخبز والخمر الى الجسد والدم الزكيين

قال اشعيا النبي « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر إذ يصرخ المصريون الى الرب من مضايقيهم فيرسل لهم مخلصاً وربّاً

ينقذهم ويتعرف الرب لمصر فتعرف مصر الرب في ذلك اليوم ويعبدونه بالذبيحة والتقدمة وينذرون له نذوراً ويوفون بها» (اش١٩: ١٩ـ٢١)

ومن المعلوم ان المصريين لم يعرفوا الرب (المسيح) الا في عهد مرقس الرسول الذي أتى الاسكندرية وبشر فيها بالكلمة المقدسة وكان المصريون قبل ذلك يعبدون صفات الله في أشكال الحيوانات أو الجمادات . فنبوءة أشعيا لم تتم الا في اليوم الذي قبلت مصر فيه البشارة، وفي ذلك اليوم ـ يقول العليّ على لسان نبيه ـ يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر يقرب عليه المصريون ذبيحة وتقدمة .

وعلى ذلك نقول ان الذبيحة التي أشار اليها النبي لا يمكن ان تكون ذبيحة الصليب التي لم تحصل في مصر بل في أورشليم ، ولا يمكن أيضاً ان تكون ذبيحة وثنية لانها مقدمة للرب والرب يمقت ذبائح الشياطين (١ كو ١٠: ٢١) إذن هي ذبيحة القداس التي قدمها المصريون، بعد ان اعتنقوا المسيحية وما زالوا يقدمونها على المذابح الارثوذكسية،

وإذ ثبت ذلك بقي ان نقرر ماهية هذه الذبيحة وحقيقتها :

قال داود النبي « أقسم الرب ولن يندم انك أنت الكاهن الى الابد على رتبة ملكيصاداق » (مز ١١٠: ٤) وقد كرر بولس الرسول هذا القول في رسالته الى العبرانيين (٧: ٦) حيث أثبت ان الكاهن الى الأبد على رتبة ملكيصاداق هو المسيح ، والمراد بالرتبة هنا الكهنوت ، وكهنوت ملكيصاداق كان الخبز والخمر اللذين بعد ان

باركهما قدمهما ذبيحة لله (تك ١٤ : ١٨) وهناك كهنوت آخر قرره الله وسنّ شرائعه في كتابه الطاهر هو كهنوت هرون الذي كان يقرّب كباشاً أو ثيراناً أوعجولاً أو تيوساً ذبائح للرب (الاصحاح الثامن من اللاويين) والفرق بين تقدمتي ملكيصاداق وهرون هو ان الاولى غير دموية وتشير الى ذبيحة القداس والثانية دموية ترمز الى ذبيحة الصليب

ولما كان المسيح كاهناً على رتبة ملكيصاداق كما سلف وليس على رتبة هرون فقد قدم خبزاً وخمراً اذ بارك الخبز وقال «خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يعطى عنكم» وبارك الخمر وقال «خذوا اشربوا هذا هو دمي الذي يراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦ : ٢٦—٢٨)

غير ان الفرق بين تقدمة ملكيصاداق وتقدمة المسيح كبير جداً ، فالاولى محض خبز وخمر لا تغيير فيهما ولا تحويل ، وأما الثانية فخبز وخمر تحولا بقوة الروح القدس الى جسد الرب ودمه ، وما كانت التقدمة الاولى الا رمزاً الى التقدمة الثانية اي ان الخبز والخمر اللذين باركهما ملكيصاداق كانا رمزاً الى جسد المسيح ودمه اللذين اعطاهما المخلص لتلاميذه الاطهار مأكل حق ومشرب حق (يو ٦ : ٥٥) .

هذا ولما كان خبز ملكيصاداق وخمره رمزاً الى جسد المسيح ودمه في ذبيحة القداس ، فهل يرمز الى شيءٍ الخبزُ والخمرُ اللذان يقدمهما الكهنة كلما قرّبوا ذبيحة ؟ يجيب البروتستانت ان الخبز والخمر ـ اللذين على زعمهم لا يتغيران ولا يتحولان ـ يرمزان الى جسد المسيح

ودمه في ذبيحة الصليب . ففضلاً عما في هـذا الجواب من الخلل لأن الرمز لا يأتي بعد الحقيقة على حدّ قول الانجيل الطاهر : « كان الناموس والانبياء الى يوحنا » (لو١٦:١٦) فضلاً عن ذلك نقول انه لو كان هذا الجواب صحيحاً بأن كان الخبز والخمر اللذان لا يسلم البروتستانت بتحويلهما الى الجسد والدم يرمزان الى ذبيحة الصليب لـكانت التيوس والـكباش أولى بهذا الرمز من الخبز والخمر لا سيما وان الحيوانات هي الرموز الحقيقية للذبيحة الدموية .

واذا تقرر انه يجب أن تكون هناك علاقة بين الرمز والمرموز اليه ، فما العلاقة بين الخبز والخمر دون تغيير ولا تحويل وبين جسد المسيح معلقاً على الصليب ودمه الذي سفك لمغفرة الخطايا ؟؟ ! ! !

لا يمكن أن توجد العلاقة بين الخبز والخمر وبين الجسد المصلوب والدم المسفوك الا اذا تقرر ان هذا الخبز وهذه الخمر يتحولان الى الجسد المحيي والدم الـكريم بصلوات الـكاهن وابتهالاته كما تعتقد الـكنيسة الارثوذكسية، وفي هذه الحالة تتفق الذبيحتان معاً في المذبوح وتكونان ذبيحة واحدة هي ذبيحة الصليب مكررة بالذكرى (والذكرى غير الرمز) في ذبيحة القداس التي تقدم لمغفرة الخطايا (مت٢٦:٢٨) « في كل زمان » كما قال أرميا النبي (٣٣ : ١٨) « ومن مشارق الشمس الى مغاربها » كما قال ملاخيا النبي (١:١٠ـ١١)

يحاول البروتستانت المغالطة في مجادلاتهم فيقولون ان المسيح

وضع الخبز والخمر تذكاراً لموته وقيامته بدليل قوله « اصنعوا هذا لذكري » (لو ٢٢ : ١٩) والحقيقة ان الخبز والخمر في حد ذاتهما لا يذكّران شيئاً وانما الخبز والخمر محولين الى جسد المسيح ودمه هما اللذان يذكّران موت الرب وقيامته كما قال له المجد « كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكروني حتى مجيئي » (١ كو ١١ : ٢٦)

يدعي البروتستانت ان قول المسيح « هذا هو جسدي وهذا هو دمي » انما كان عن طريق المجاز لا الحقيقة، وهي دعوى فاسدة لان الجسد والدم تحت شكلي الخبز والخمر هما ميثاق عاهد به المسيح تلاميذه عهداً جديداً ولا يمكن أن تكون الالفاظ الدالة على الميثاق الفاظاً مجازية ولا يمكن أيضاً أن يستمر المجاز في كل ما ورد في الانجيل عن ذلك الميثاق، ولو كان المسيح يتكلم بطريق المجاز أو التشبيه لسمعناه يقول: «هذا هو مثال جسدي ودمي أو شبه جسدي ودمي أو غير ذلك مما يدل على وجود مجاز أو تشبيه، انما المخلص له المجد قال صراحةً «هذا هو جسدي وهذا هو دمي، أنا هو الخبز الحي النازل من السماء، الذي لا يموت كل من يأكل منه » (يو ٦ : ٥٠ — ٥٦)

أخيراً يعترض البروتستانت على ذبيحة القداس وينكرون وجودها قائلين ان لا ذبيحة بعد ذبيحة الصليب ويظنون انهم يؤيدون هذا الاعتراض بآيتين اقتطفوهما من رسالة القديس بولس وفسروهما بما

اقتضاه هواهم، وانما اتماماً للفائدة نورد الآيتين المذكورتين مع شرحهما لعلنا نسدّ بذلك هذا الباب الأخير من أبواب التضليل التي يحاول البروتستانت فتحها في أوجه السذج كلما سنحت لهم الفرص: قال الرسول «حيث تكون مغفرة الخطايا فلا تقدمة بعدُ عن الخطية» (عب ١٠:١٨) وهو يعني بذلك ان الذين اعتمدوا فغفرت خطاياهم بالمعمودية لا حاجة لهم بعد ذلك الى التكفير عن هذه الخطايا عينها بواسطة الذبيحة الالهية . وقال الرسول أيضاً « إن اخطأنا اختياراً بعد ان حصلنا على معرفة الحق فلا تبقى بعدُ ذبيحة عن الخطايا » (عب ١٠:٢٦) وهو يعني بذلك ان الذين ينسلخون عن ايمان المسيح باختيارهم ويعودون الى اليهودية [١] بعد ان اطلعوا على الحق وعرفوا الطريق القويم فلا يجدون ذبيحة لتطهير خطاياهم لا في المسيحية لانهم جحدوا المسيح وانسلخوا عن كنيسته، ولا في اليهودية لان الذبائح القديمة قد بطلت وانتسخت . وفي الختام ننصح لجميع الذين يزدرون بسرّ الاستحالة العظيم ان يقوا انفسهم ضربات الله التي يصبها على رءوس الذين يستهينون بالمقدسات ، فقد خُسفت الأرض لذلك ببني قورح (العدد ١٦: ٢٣-٣٦) ونزلت الكوارث بمن انتهجوا طريقهم (دانيال ص٥) وسبحان من سحقت يمناه المناصبين !

(١) أراد الرسول الذين يعودون الى اليهودية ، لانه كان يخاطب اليهود المتنصرين

تلك المذاهب التي تدعي بأن المذابح التي يشيدها الارثوذكسيون في كنائسهم تذكرها بالمذابح اليهودية التي ابطلها المسيح بمجيئه، غير مكترثة بقول رسول الأمم (الوثنيين) في رسالته الى العبرانيين «لنا مذبح خاص لا يحق للذين يخدمون المسكن (اليهود) أن يأكلوا منه» (١٣ : ١٠)

يشبه البروتستانت مذابحنا بالمذابح اليهودية ويستندون على ذلك في تقبيح المذابح. ولو كانوا قد قبحوها استناداً على انكارهم الذبيحة المقدسة لكان لهم شبه عذر ولكننا اكتفينا للرد عليهم بما أوردناه رداً على معتقداتهم الفاسدة في الذبيحة نفسها. أما وقد شاء البروتستانت أن يشبهوا مذابحنا بمذابح اليهود للحط من كرامة الذبيحة الطاهرة التي لا يستطيع المسيحي الحقيقي إلاّ أن يقدم لها كل احترام واجلال .. أما وقد شاءوا ذلك فوجب علينا اثبات حقيقة المذبح المسيحي وذكر تفوقه السامي وسموه الفائق على المذابح اليهودية.

فالمذبح كما لا يخفى هو الموضع الذي يقدم عليه الكاهن الذبيحة، فقيمته في قيمتها. ولم تكن ذبائح العهد القديم الاّ رموزاً الى اشياء مستقبلة. أما ذبيحة العهد الجديد فهي جسد المسيح ودمه، وبما انه من الكفر المبين القول بمساواة الرموز ـ وهي عجول وتيوس وكباش ـ للمرموز اليه ـ وهو الفادي الكريم نفسه ـ فكذلك يكون كفراً مبيناً

القول بمساواة مذابح اليهود لمذابح المسيحيين . وعلى ذلك فلا يمكن تشبيه مذابحنا بمذابح اليهود إلا في الاسم وأما بالنسبة الى الذبيحة فمذابحنا أسمى وأعظم بما لا يقاس .

هذا وإن الكنيسة القبطية لم تقم المذابح الاّ لتتميم النبوات واتباع أوامر الرسل، لا للتشبه باليهود كما يزعم البروتستانت، فقد قال اشعيا النبي : « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر » (اش ١٩:١٩ـ٢١) ومصر كما سبق القول لم تعرف الرب الاّ بعد انتشار المسيحية. وعلى ذلك فالمذبح الذي أشار اليه النبي هو المذبح الحقيقي المسيحي الذي شيده مرقس الرسول في مصر وما زال الكهنة يقربون عليه ذبائح العهد الجديد ، وقد قال له المجد « اذا قدمت قربانك الى المذبح وذكرت هناك ان لاخيك عليك شيئاً فدع قربانك أمام المذبح وامض أولاً وصالح أخاك وحينئذ إيت وقدم قربانك » (مت ٥:٢٣ـ٢٤). يدعي البروتستانت ان هذا الكلام السيدي كان موجهاً الى جماعة اليهود لا المسيحيين، لان المذبح الوارد ذكره في هذه الآية انما هو مذبح اليهود الذي لم يعرف الرسل غيره . فرداً على هذه الفرية نقول إن المسيح كان يتكلم عن مذبح المسيحيين لان قوله هذا كان من قبيل تتميم الشريعة الموسوية وتتميم هذه الشريعة انما كان للمسيحيين لا لليهود. ولو اعتُرض علينا بأن الرسل لم يدركوا هنا ما كان يرمي اليه المخلص، لاجبنا ان الرسل لم يعرفوا كل ما فاه به الرب ولم يفهموه جيد الفهم

أثناء كان يبشرهم، ولذلك وعدهم بأن يرسل اليهم المعزي الذي يعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله لهم (يو ١٤ : ٢٦) . هذا ولو قرأ البروتستانت بتنزه آيات الكتاب الواردة قبل هذه الآية، لظهرت لهم الحقيقة ناصعة ولكفونا وكفوا أنفسهم مؤونة الأخذ والرد : فالمسيح الرب قال « قد سمعتم انه قيل للأولين لا تقتل فان من قتل يستوجب الدينونة أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة . ومن قال لأخيه « رقا »[(١)] يستوجب حكم المجمع ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم فاذا قدمت قربانك إلى المذبح ... الخ »

فالمذبح الذي يتكلم عنه المسيح في هذه الآيات الشريفة هو ذات المذبح الذي قال عنه بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين «لنا مذبح لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه»(١٣:١٠) وفي رسالته الاولى الى أهل كورنثوس « لا تستطيعون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين ولا تستطيعون أن تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين»(١٠:٢١) والمقصود هنا من كأس الرب ذبيحته ومن المائدة مذبحه . كما إن المقصود من كأس الشياطين ذبائح الوثنيين ومن المائدة مذابحهم . ومن ذلك كله يظهر جلياً ان المسيح ورسله هم الذين أمرونا بتشييد المذابح . فلو وجد من يعترضون على ذلك فانما هم يعترضون

(١) رقا لفظ عبراني معناه صعلوك ، وقيل بل هو لفظ سرياني معناه منحط .

على رب المجد ورسله الاطهار .

والنتيجة التي نستخلصها من كل ماتقدم هي انه لايصح ان يطلق اسم كنيسة على المواضع التى يصلي فيها البروتستانت وهي خالية من مذابح تقدس عليها القرابين وانما امثال هذه المواضع هي عبارة عن منتديات يؤمها البسطاء من القبط لسماع مواعظ يقصد منها أصحابها نشر التعاليم البروتستانتية بالطعن على أخص المعتقدات الارثوذكسية

يعترض علينا المعترضون لوجود الحجاب بكنائسنا ويقولون إنه لا محل له بعد انشقاق الحجاب الذي كان يحجب قدس الاقداس في العهد القديم بدليل الآية القائلة: « فانشق حجاب الهيكل (عند موت المخلص) من فوق الى أسفل» (مت ٢٧: ٥١)

أما كلمتنا لهؤلاء فهي : أن الذي يقارن بين الحجاب القديم والحجاب الحالي الموجود بكنائسنا يرى ان الاول حجاب بالمعنى الصحيح لانه كان يحجب «قدس الاقداس» ، فلا يدخله الا رئيس كهنة اليهود مرة واحدة في السنة. فلما مات المسيح على الصليب «وانشق حجاب الهيكل..» أصبح الحجاب الحالي ذو الابواب المفتحة لايمنع أحداً من رؤية «قدس القديسين» والاشتراك في صلاة الكاهن والتقدم لتناول الاسرار الالهية، وعلى ذلك فالحجاب الحالي ليس له شيء من معنى الحجاب القديم وانما الكنيسة تعتبره كفاصل أو حاجز يفصل بين المصلين والهيكل (حيث

الذبح) حفظاً للنظام . ولا شك عندنا في أفضلية وجود الحجاب بالكنيسة على وجود الجلفق (الدرابزين) الرخامي المستعمل ببعض الكنائس الكاثوليكية [١] لاسيما وقد وردت بالقداس الباسيلي صلاة للقديس يعقوب الرسول تتلى بعد الانجيل وتعرف «بصلاة الحجاب» لا بصلاة (الدرابزين) ! وفوق ذلك فاننا نضع في أعلى الحجاب صورة المسيح مصلوباً وعن يمينه وشماله اللصان، تذكيراً للمؤمنين بالآية القائلة « امام عيونكم قد رسم يسوع المسيح مصلوباً » (غل ٣ : ١) .

هذه هي الحقيقة وانما هم المعترضون لا يجدون ما يعترضون به علينا فيلوكون أمثال هذه الاعتراضات السقيمة تمويهاً وتضليلاً ...

* * *

تلك المذاهب التي تسخر من جميع طقوس البيعة المقدسة لانها على دعواها من وضع البشر هازئة بنا لاننا ننزّل هذه الطقوس منزلة الكتب الموحى بها .

الطقوس كلمة اطلقتها بيعة الله على مجموع صلوات وابتهالات معينة يتلوها الكاهن في اداء وتتميم الاسرار المقدسة. وأهم هذه الطقوس طقس القداس ويسمى بالقبطية «انافورا» وقد أخذها السريان فقالوا «نافورا»

---

(١) يحافظ الروم الكاثوليك الى الآن على وجود الحجاب بكنائسهم ، والحجاب الموجود بكنيستهم بدرب الجنينة بالموسكي بمصر أصدق شاهد على ذلك .

واليونان يدعونه افخولجيون (الخولاجي) واللاتين وغيرهم « ليتورجية » وبهذا الطقس تتم الذبيحة المقدسة لانه عند ما يتلو الكاهن صلاة استدعاء الروح القدس يتحول الخبز والخمر الموضوعان على المذبح الى جسد المسيح ودمه الطاهرين : ونظرة واحدة الى صلوات التقديس بجميع القداسات تكفي لتأييد هذه الحقيقة الارثوذكسية الراهنة

ويرجع ترتيب القداس الى الرسل أنفسهم ، فقد وضع يعقوب الرسول قداساً خاصاً لم يزل يتلى في الكنائس الارمنية ، وقد حذا حذوه يوحنا الذهبيّ الفم بطريرك القسطنطينية فوضع قداساً يتلى الى اليوم في الكنائس اليونانية . وأما كنيستنا القبطية فلها ثلاثة قداسات : الاول القداس الكيرلسي لواضعه مرقس الرسول كاروز الديار المصرية ويوجه الخطاب فيه الى الله الآب ، وقد رتبه بشكله الحالي كيرلس الكبير البطريرك القبطي بابا الاسكندرية الرابع والعشرون فنسب اليه . والثاني القداس الباسيلي [1] ويوجه الخطاب فيه الى الله

(١) لواضعه باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك بآسيا الصغرى . ولد سنة ٣٢٩ م بمدينة سبسطية بالكبادوك ثم تعلم باثينا والقسطنطينية وهجر العالم سنة ٣٥٨ م وطاف براري مصر وشاهد رهبانها المتعبدين ولما رجع الى وطنه أقيم سنة ٣٧٠ م رئيساً لاساقفة قيصرية الكبادوك . ورقد بسلام في الخمسين من عمره

الآب أيضاً . والثالث القداس الغريغوري[1] ويوجه الخطاب فيه لابن الله الذي تجسد لاجل خلاصنا . واكثر القداسات استعمالاً عندنا هو القداس الباسيلي وأما القداس الغريغوري فيستعمل في الاعياد السيدية، وأما القداس الكيرلسي فيستعمل في الاصوام ولا سيما الصوم الكبير

هذا وان غبطة البابا الحالي الانبا كيرلس الخامس لما رأى البروتستانت يدعون ان طقوس البيعة من اختراع البشر، كلف حضرتي القمص عبد المسيح المسعودي واقلاديوس بك لبيب بطبع الخولاجي ورد كل ما جاء فيه من الآيات المقدسة الى مصادره في الاسفار الالهية ،فجاءت هذه الطقوس مجموعة آيات مقدسة تدحض الدعوى البروتستانتية وتسقطها اسقاطاً .

* * *

تلك المذاهب التي تنكر على سيدة العذارى وأميرة

(١) لواضعه غريغوريوس الثاؤلوغوس (الناطق بالالهيات) . ولد سنة ٣٢٨ م بمدينة اريانز من اعمال نزينزا بآسيا الصغرى ثم تعلم في مدارس الاسكندرية واثينا واقامه الملك ثاؤدوسيوس الكبير بطريركا على القسطنطينية سنة ٣٨٠ م (وليس على ارمينيه كما ذكر صاحب «اللآلئ النفيسة») ثم آثر العزلة وعكف على تأليف الكتب التي كانت ولم تزل مرجع الباحثين في ابحاثهم الدينية . وكان الثاؤلوغوس صديقاً لباسيليوس الكبير . توفى في الثالثة والستين من عمره

الابكار لقب « أم الله » الذي ورد صراحةً في الكتاب الطاهر على لسان اليصابات ام يوحنا السابق الصابغ (المعمدان) حيث قالت : « من أين لي ان تأتي أم ربي إليَّ ؟ » (لو ١: ٤٣)

أنكر البروتستانت على أم النور ذلك اللقب العظيم ساخرين من قول روح الرب بلسانها : « ها منذ الآن تطوبني جميع الشعوب فان القدير صنع بي عظائم » (لو ١: ٤٨) . انكروا عليها ذلك اللقب الذي امتازت به من بين القابها السامية ، فسقطوا في الهرطقة التي سقط فيها نسطور وكانت سبباً في قيام الكنيسة وقعودها !

كان نسطور بطريركاً على الكرسي الرسولي القسطنطيني وهو أول من رفض تلقيب العذراء « بأم الاله » قائلاً انها « أم المسيح » بدعوى ان الاله لا يمكن أن يولد من امرأة . ولما سمع الشعب القسطنطيني ذلك التعليم اعتبره غريباً عن روح الدين ، وأخذ يلحق بمبدعه الاهانات ، ويتظاهر ضده في الكنائس والميادين . غير ان هذه الهرطقة الجديدة انتشرت بسرعة مدهشة ، وما اتصلت بالاسكندرية حتى برز لسحقها بطل الارثوذكسية بطريركنا كيرلس الكبير البابا الرابع والعشرون فأرسل في سنة ٤٢٩ م إلى رجال اكليروسه وجميع متوحدي القبط (الرهبان) منشوراً دحض فيه هذه البدعة بقوله : « إني لأعجب من وجود قوم يرتابون في تلقيب العذراء القديسة

« بوالدة الاله » لأنه إذا كان يسوع المسيح إلهاً فكيف يُضَنّ على التي ولدته بلقب « أم الله ؟ ؟ »

أما قصد الحبر الاسكندري من هذا المنشور فقد كان تثبيت المعتقد الارثوذكسي في أفئدة قومه . ولما وثق من ذلك ، بعث برسالتين الى نسطور جاء في ثانيتهما : « ان آباء الكنيسة ومعلميها لقبوا البتول القديسة « بوالدة الاله » دون شك ولا ريب ، لأن الاله أخذ منها جسداً مقدساً بنفس ناطقة : هذا ما اكتبه لك (يا نسطور) بالمحبة التي هي يسوع ، متوسلاً اليك كأخ ، طالباً منك أمام المسيح وملائكته القديسين ، ان تعتقد معنا بهذا المعتقد وتعمل به ، ليحفظ السلام بين الكنائس ويبقى رباط المحبة والوناق بين الكهنة متيناً غير منثلم [١] » . فأجابه نسطور برسالة قال فيها : « إذا دققنا النظر في الكتب الالهية ، نلتزم بألا نلقب العذراء « بوالدة الاله »

(١) هذا ما كتبه القديس كيرلس الى نسطور ، وهي كتابة تدل على امتلاء قلب أبينا كيرلس العظيم بالروح المسيحية ، وتشف عن ميله الأكيد الى الصلح والسلام . فأين هذه الروح العالية التي تتجلى في كتابة هذا القديس الكبير من السخائم التي ذكرتها بوتشر البروتستانتية عنه والسموم التي دستها له في تاريخها المعنون « الامة القبطية وكنيستها » حيث نسبت اليه الرشوة والصقت به تهمة الهرطقة عدته من أرباب الفتن والبدع ؟ ! (مجلد ٢ صفحة ٢٤)

بل بوالدة المسيح : اسمع كيف تنادى البشائر (الاناجيل) «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابرهيم » والحال ان الاله لم يكن ابن داود . وزد على ذلك قول الكتاب « وكانت أم يسوع هناك » « وكان مع مريم أمه » « خذ (يايوسف) الصبي وأمه الخ ... »
فلم يرد عليه كيرلس مباشرةً بل أرسل رسالةً الى الملك ثاؤدوسيوس الثاني (الصغير)ورسالتين الى البيت الملكي قال في ثانيتهما . ان البشائر تدعو مريم العذراء « والدة الاله » ، لان جبرائيل رئيس الملائكة بشّرها بقوله : « ان المولود منك هو ابن الله » وبشّر الرعاة بقوله « انه قد ولد لكم اليوم مخلص في بيت لحم هو المسيح الرب » وقال الملك جبرائيل أيضاً عن العذراء « انها ستلد ابناً ويدعى عمانوئيل الذي تفسيره اللهمعنا » فالعذراء إذن هي والدة الاله الذي هومعنا أي الاله الذي اتخذ جسداً كجسدنا وصار انساناً مثلنا » .

ولما لم تُجدِ هذه الرسائل نفعاً عقد كلٌ من بابوي الاسكندرية ورومية مجمعاً مكانياً أو اقليمياً (في كرسيه) وقد حكم كلا المجمعين بضلال التعليم النسطوري فرفض نسطور هذا الحكم .

وإذ جاهر رهبان القسطنطينية ضد معتقد نسطور وقاوموه ، طردهم واضطهد بعضهم اضطهاداً شديداً ، فكتبوا كتاباً للقيصر ثاؤدوسيوس الثاني يطلبون منه ان يعقد مجمعاً مسكونياً وينصفهم ، فقبل القيصر طلبهم ، واجابةً لرغبة نسطور أيضاً انعقد المجمع (وهو

المسكوني الثالث) في أفسس [١] سنة ٤٣١ م من مائتي اسقف تحت رياسة كيرلس الكبير بابا الاسكندرية . وبعد البحث الدقيق والأخذ والرد ، أصدر المجمع الحكم الآتي : « من المجمع المقدس الملتئم في عاصمة أفسس الى نسطور يهوذا الثاني : اعلم انك منزوع من كل وظيفة ودرجة في الكنيسة ، من المجمع المقدس بمقتضى القوانين البيعية ، في الثاني عشر من شهر توت سنة ١٤٧ ش. وذلك من أجل خطبك غير المهذبة واصرارك وعنادك ضد القوانين المقدسة » . ثم ارسل المجمع رسالة الى الملك هذا نصها: « نحن نؤمن ان عمانوئيل هو الاله المتأنس ، وأما نسطور فلم يشأ أن يشاركنا في هذا الايمان ولذلك فهو غريب من الآب والابن والروح القدس ، غريب من ميراث الرسل ، غريب من البيعة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية ، هو وكل من لا يقول إن يسوع عمانوئيل هو الاله المتأنس ، وكل من لا يقول ان العذراء مريم ولدت الاله الكلمة متجسداً . يسوع هو الخالق . يسوع هو الغالب . يسوع هو المخلص ، له المجد الى الابد آمين .

الى هنا انتهى كلامنا على المجمع الافسسي ، ولنعد الى جماعة البروتستانت الذين سلكوا مسلك نسطور فنادوا بأقواله . فلنعد اليهم

(١) أفسس مدينة في جنوب أزمير الحالية ببلاد الاناضول تأسست سنة ٧٠٠ ق م وهي قبالة جزيرة ساموس وتسمى الآن أياصولون أو فبج .

ولنثبت لهم من مؤلفات لاهوتييهم ما اثبته المجمع المسكوني الثالث من قبل:

جاء في كتاب اللاهوت البروتستانتي المعنون « نظام التعليم في علم اللاهوت القويم » صفحة ٢٤٢ و ٢٤٣ ما يأتي « ان كتبة العهد الجديد أشاروا بلفظة رب الى لاهوت المسيح ولذلك فكل آية جاءت فيها هذه اللفظة انما هي دليل على ذلك اللاهوت » .وبالتطبيق يتضح من قوله تعالى «قد ولد لكم اليوم مخلص، هو المسيح الرب» (لو ٢:١١) ومن قوله « من اين لي ان تأتي ام ربي اليّ » (لوقا ١ : ٤٣) أن المسيح هو اله وان العذراء مريم هي والدة ذلك الاله. وكذلك يتضح من قول ملاك البشارة « انه (يوحنا) يردّ كثيرين الى الرب إلههم » (المسيح) (لو ١:١٦-١٧) ومن قول زكريا لابنه(يوحنا) « انت أيها الصبي نبي العلي تدعى لانك ستتقدم امام وجه الرب لتعدّ طرقه» (لو١ : ٧٦) . . يتضح من هذه الآيات كلها أن المسيح هو الرب الاله العليّ اله اسرائيل ، وان العذراء التي ولدته هي والدة ذلك الرب الاله العلي اله اسرائيل .

يدعي البروتستانت ان مريم ولدت المسيح وهي عذراء ولكنها لم تستمرّ عذراء بعد ان ولدته ، وهذه الدعوى انما هي افتراء على القديسة مريم لانها كما ولدت الاله وهي عذراء على ما تنبأ به أشعيا النبي حيث قال« هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (٧:١٤) فقد ظلت أيضاً عذراء بعد ان وضعت ابنها البكر واستمرت

كذلك حتى انتقلت الى الأخدار السمائية، واليك الدليل تفصيلاً :

يقول البروتستانت ان يوسف عرف مريم بعد ميلاد المسيح فولدت منه اخوة الرب يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (مت١٣: ٥٥) و(مر٦: ٣) ويستندون في ذلك الافتراء على لفظة «حتى» الواردة في آية القديس متى القائلة : « لم يعرفها حتى وضعت ابنها البكر (مت ١: ٢٥) ولكن فات اولئك المجدفين على والدة الاله ان لفظة حتى - اذا كانت مسبوقة بنفي - كثيراً ما وردت في الكتاب بمعنى القطع بعدم وقوع ما تعلقت به في الماضي دون اثبات وقوعه في المستقبل، كما في آية متى المذكورة، واما اذا لم تكن مسبوقة بنفي فانها تفيد وقوع ما تعلقت به في الماضي دون نفي وقوعه في المستقبل. وهذه هي الآيات التي تثبت ما قلناه في حتى المسبوقة بنفي :

(أولاً) جاء في سفر التكوين: « وحدث من بعد أربعين يوماً ان نوحاً فتح طاقة الفلك التي صنعها وأطلق الغراب فخرج ولم يرجع اليه حتى جفت المياه عن الارض » (تك٨: ٦) وليس معنى ذلك ان الغراب رجع بعد جفاف المياه كما يفهم من ظاهر الآية، بل ان الغراب لم يرجع الى الفلك اصلاً لاقبل الجفاف ولا بعده ، وذلك مثبوت من سياق الكلام فضلاً عن انه لا خلاف بين المسيحيين على هذا التفسير.

(ثانياً) قال الله ليعقوب « اني لا أهملك حتى أفي لك بكل ماوعدتك» (تك٢٨: ١٥) ولا يؤخذ من ذلك كما يفهم من ظاهر الآية أن الله

أهمل يعقوب بعد ان وفى له بكل ماوعده به،لان الكتاب يشهد بأن الله لم يترك يعقوب أبداً بدليل قوله تعالى « أمة وجماعة امم تكون منك وملوك من صلبك يخرجون . والارض التي جعلتها لابرهيم وإسحق لك أجعلها ، ولنسلك من بعدك أجعل الأرض »(تك٣٥: ١١-١٢) .(ثالثاً) قال يوحنا الانجيلي «فلم يصدق اليهود عنه(اي عن الرجل الاعمى) أنه كان أعمى فأبصر ، حتى دعوا أبوي الذي أبصر» (يو٩:١٨) وربما يفهم الذين يفسرون آيات الكتاب على حسب ظاهرها أن اليهود آمنوا بانه كان أعمى فابصر بعد ان دعوا ابويه ، غير ان الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان بعد مراجعة قصة الاعمى هي ان اليهود لم يصدقوا بانه كان أعمى فأبصر ،بل ازدادوا ضلالاً واخرجوه خارجاً (يو٩:٣٤) . (رابعاً) قال الكتاب : « لم يكن لميكال ابنة شاول ولد حتى يوم موتها »(٢صم٦:٢٣) ومعنى ذلك طبعاً انها لم تلد بعد موتها، ولعلنا لسنا في حاجة الى اثبات ان ميكال حرمت من الاولاد أصلاً ، ولكن لايبعد على من يتجاسرون بان يجعلوا البكر ثيّباً ان يجعلوا العاقر تلد حتى وهي جثة هامدة . . !

اما الآيات التي تثبت قولنا في « حتى » التي لم تسبق بنفي فكثيرة أيضاً، نكتفي منها بواحدة نظرا لعدم علاقتها مباشرة بموضوعنا المختص بحتى المنفية . قال داود النبي « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ :١) ومعنى ذلك هو

ان جلوس المسيح عن يمين الله الآب لم يكن محدوداً الى أن يضع اعداءه موطئاً لقدميه بل كان قبل وبعد ذلك ،وليس من ينكر جلوس المسيح عن يمين أبيه الى الابد . فمن كل ما تقدم يتضح جلياً ان عدم معرفة يوسف لمريم كان قبل وبعد ميلاد المسيح ، ولا يمكن أن يكون خلاف ذلك لئلا يتناقض كلام الله ، اذ ورد في نشيد الاناشيد«اختي العروس جنة مقفلة ينبوع مقفل وعين مختومة » (٤ : ١٢)هذا ماتنبأ به سليمان الحكيم عن السيدة العذراء المنزهة عن الدنس والتي هي جنة مقفلة لايمكن أن تسرق وعين مختومة يجري منها ماء الحياة . وورد أيضاً في نبوءة حزقيال « ارجعني (روح الرب) الى طريق باب المقدس الخارجي المتجه نحو الشرق وكان مغلقاًلا يفتح ولا يدخل منه رجل لان الرب اله اسراءيل قد دخل منه فيكون مغلقاً » (٤٤ : ١ـ٢) . وقد اجمع الاباء والمعلمون على ان هاتين الآيتين نبوءة عن العذراء الطاهرة التي وجد فيها المسيح هيكلا مطهراً لاثلمة فيه، وكان اجتيازه في هذا الحشاء المبارك واسطة لان يختم عليه الى الابد .

أما اخوة الرب الوارد ذكرهم في الكتاب فليسوا اخوته بالمعنى المتداول لان الكتاب نفسه يذكر أبويهم اذ ورد في انجيل يوحنا : « وكانت واقفات عند صليب يسوع امه (أم يسوع) واخت امه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية (يو ١٩ : ٢٥) وورد في انجيل مرقس : « وكانت في ذات الموضع (عند الصليب) مريم المجدلية ومريم

أم يعقوب ويوسي (مر ١٥ : ٤٠) . ومن هاتين الآيتين يعلم ان اللواتي كنّ في موضع الصليب ثلاث مريمات : مريم العذراء والدة الاله، ومريم المجدلية ، ومريم زوجة كلوبا كما ذكر يوحنا ، والتي هي ام يعقوب ويوسي كما ذكر مرقس . وأما سبب تسمية هؤلاء باخوة المسيح فهو ما كان بين والدتهم ووالدة المسيح من القرابة، فضلاً عن ان هذا النوع من التسمية كان شائعاً بين اليهود ولا سيما إبان السبي البابلي (ار٢٢ : ١١) . والنتيجة ان يعقوب ويوسي اخوي الرب لم يكونا ولدي مريم أمه ، بل هما ولدا مريم زوجة كلوبا ، وقد دعيا أخويه كاصطلاح اليهود حينذاك .

يقول البروتستانت ان لفظة «البكر» الواردة في آية القديس متى (٢٥:١) تدل على ان العذراء ولدت غير المسيح «ابنها البكر»، والحقيقة ان القديس متى سمى المسيح، بكر مريم ، لانها لم تلد مولوداً قبله لا لانها ولدت بعده . والكتاب المقدس يسمى الاول بكراً اكثر من مرة ولو كان وحيداً ، فقد سمى الله الشعب اليهودي بكره حيث قال « اسرائيل ابني البكر » (خر ٤ : ٢٢) مع انه لم يكن له سواه . وبولس الرسول سمى المسيح بكر الآب حيث قال « حين يدخل البكر ثانيةً الى المسكونة» (عب ١: ٦) مع انه وحيد الآب . وبالاطلاع على سفر الخروج (٢:١٥ و ١٩:٣٤) يتضح ان اليهود كانوا يسمون بكراً كل فاتح رحم ، بصرف النظر عن كونه متبوعاً بغيره أو لا . ومما

هو جدير بالاعتبار محافظة اليهود على تلك العادة حتى فى أيامنا هذه ، فتراهم يطلقون على كل فاتح للرحم اسم (بوخور) الذي تعريبه (بكر)

هذه هى تعاليم البروتستانت المطابقة لتعاليم نسطور القائمة ، فأين هي من التعاليم الارثوذكسية التي تسلمتها الكنيسة من آبائنا القديسين الاطهار ؟ ؟

* * *

تلك المذاهب التي ترذل البتولية مبدلة لذلك لفظة « الابكار » « بالاطهار » في رؤيا يوحنا (١٤:٢—٥) ولفظة « اخت » « بزوجة » في رسالة بولس الاولى الى كورنثوس (٩:٥) قاصدة ان تبرر عمل زعيمها لوتيروس الذي نقض عهد الرهبنة بأن خلع عنه الاسكيم الدال على التبتل وتزوج بالراهبة كاترين دي بور التي اتبعت هي أيضاً مثاله فنقضت نذر العفة

ان البتولية التى يرذلها أصحاب تلك المذاهب هي فضيلة حفظ البكارة وهي تفضل سر الزيجة المقدس الذي لم يحتمه الله على المؤمنين كافة بل ترك لهم الخيار فى أن يتزوجوا أو يحافظوا على بتوليتهم كما قال بولس الرسول « إنما أنا أقول ذلك على سبيل الاباحة لا على سبيل الأمر فاني أود لو يكون جميع الناس مثلي (أبكاراً) لكن كل واحد له من الله موهبة تخصه ، فبعضهم هكذا وبعضهم هكذا ، وأقول لغير

المتزوجين وللارامل إنه حسن لهم أن يبقوا على هذه الحال كما أنا فان لم يتعففوا فليتزوجوا فان التزوج خير من الاحتراق (١ كو٧:٦ — ٩)[١]

فضل بولس الرسول البتولية على الزواج لأن لأصحابها مجداً عظيماً في ملكوت السموات اظهره الله في الرؤيا ليوحنا الحبيب الذي وصفه بقوله : « وسمعت صوتاً كصوت عازفين بالقيثارة يعزفون بقيثاراتهم وهم يسبحون تسبحة جديدة امام العرش وامام الحيوانات الاربعة والقسوس، ولم يستطع أحد ان يتعلم تلك التسبحة الا المائة والاربعة والاربعون الفاً الذين افتدوا من الأرض ،هؤلاءهم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم ابكار ، هم التابعون للحمل حيثما يذهب، وقد افتدوا من بين الناس باكورةً لله وللحمل ، ولم يوجد في افواههم كذب لانهم بلا عيب امام عرش الله » (رؤ١٤:٢ــ٥) . فهم البروتستانت معاني تلك الآيات الشريفة كلّ الفهم وعرفوا مقدار المجد الذي يعود على من

(١) جاء في التوراة « لا يحسن أن يكون الانسان وحده » (تك ٢ : ١٨) وجاء أيضاً « بارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الارض » (تك ٩ : ١) غير ان الله أوصى آدم ونوحاً وبني نوح بالزواج لكونهم أرومة الجنس البشري وليست هذه الوصية محتمة على كل الناس فيما بعد . فمن يقتدي بالمسيح ويكرس بتوليته لربه فيكون صنيعه أفضل . وهذا ما أراده بولس الرسول ، وعليه فلا تناقض بين قوله تعالى وقول الرسول .

يحفظون بتوليتهم وادركوا المزايا التي تخول الابكار مقاماً سامياً وتراهم مع كل ذلك يسعون عبثاً - ليبرروا سقطة لوثيروس زعيمهم - في ان ينيلوا المتزوجين مجداً قصره الله على جماعة الابكار . فحرفوا الكتاب لذلك غير خائفين ولا وجلين. وقد كان نصيب آيات الرؤيا من تحريفهم أن ابدلوا فيها لفظة «الابكار» «بالاطهار» فجاءت بعد هذا التحريف مناقضة لحقيقة الوضع لان كلمة (الطهارة) التي اختلقوها لا تستلزم البكارة التي يذكرها الكتاب المقدس مع العلم بأن في الذين تربطهم زيجة شرعية بررةً اطهاراً. أجل ان الفرق بين لفظتي الابكار والاطهار كبير لان البكارة كلمة خاصة تستلزم عدم الزواج وأما الطهارة فكلمة عامة قد تكون من صفات المتبتلين والمتزوجين والمترملين . والنتيجة التي يتجاهلها البروتستانت هي ان كل بكر طاهر وليس كل طاهر بكرا ولكن هو استرسالهم في غرورهم زيّن لهم الاقدام على مثل هذا التلاعب الممقوت .

ولما رأى البروتستانت ان قول بولس « امرأةً اختاً » في الآية القائلة « اما يحل لنا ان نستصحب امرأةً اختاً مثل سائر الرسل وبطرس؟» (١ كو ٩:٥) لايوافق اهواءهم حذفوا كلمة « امرأة » والحقوا بلفظة « اخت » لفظة « زوجة » فجاءت الآية في تراجمهم الحديثة هكذا « أفما يحل لنا ان نستصحب اختا زوجة كباقي الرسل » والفرق بين الاصل والتحريف ليس مما يستهان به لان لفظة اخت في الاصل هي

بمثابة تخصيص بعد تعميم فان الرسول بعد ان جاء بلفظة امرأة (العامة) اردفها بلفظة اخت (الخاصة) ولا يؤخذ من هذا القول معنى الارتباط بالزواج. أما لفظة زوجة الواردة في النص المحرف فهي تخصيص للنساء المرتبطات بالزواج . وهكذا يتلاعب البروتستانت بالكتاب المقدس فيجعلونه تابعاً لاغراضهم ، لامتبوعاً يحافظون على ما جاء فيه .

هذا وليعلم أصحاب تلك المذاهب ان النساء اللاتي جلن مع الرسل لم يكنّ زوجات لهم بل خادمات ضحين انفسهن للقيام بحاجيات اولئك الذين تركوا كل شيء ليتبعوا المسيح (لو١٨ : ٢٨) وليس من دليل على ذلك اقطع من قول الرسول الى أهل رومية: «أستودعكم فيبة أختنا التي هي خادمة الكنيسة في كنكرية فاقبلوها في الرب كما يليق بالقديسين وقوموا لها بكل ماتحتاج اليه لانها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا ايضاً» (١٦ : ١)

وفي الختام نقول ان كل من يلقي نظرة واحدة على الاصحاح السابع من رسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس المبدوء بقوله « حسن للرجل ألاّ يمس امرأةً » يحكم حتماً بفساد آراء تلك المذاهب في موضوع البتولية . وهكذا لحكمةٍ عند الله ، نرى الذين يرذلون البتولية يقون ما يؤيدها في الكتاب الذي بين أيديهم. على ان في ذلك سراً لله يتجلى لعيون المؤمنين فيجعلهم يقولون معنا « ان الاغراض تعمي وتصم »!

* * *

تلك المذاهب التي تجحد الاستشفاع بوالدة الاله

والملائكة والانبياء والرسل والشهداء والقديسين، مؤيدةً رأيها بما جاء في رسالة بولس الأولى الى تيموتاوس من « ان الوسيط الوحيد بين الله والناس واحدٌ، هو الانسان يسوع المسيح » (١ تي٢: ٥) وبما جاء في رسالة يوحنا الأولى: «لنا شفيع عند الآب، هو يسوع المسيح البارّ » (١ يو ٢: ١)

الشفاعة هي توسط ذي مكانةٍ لدى صاحب نعمةٍ لصالح شخص يرى ذاته غير مستحقٍ أن يسأل لنفسه شيئاً بدون واسطة وسيط أو شفاعة شفيع. فهي والحالة هذه وساطة ثالث بين اثنين متفاوتين قوةً وجاهاً، وغايتها جلب نعمةٍ من الرفيع الى الوضيع، ولا تتم هذه الغاية الا اذا كان الوسيط ممن لهم منزلةٌ أو حظوة في عين صاحب النعمة.

وتطبيقاً على ما تقدم نقول: ان آدم أخطأ بمخالفته أوامر ربه، فوقعت خطيئته عليه وعلى نسله من بعده، « إذ في آدم اخطأ الجميع » وهكذا أضحى الجنس البشريّ بأسره غير مستحق ان ينال بنفسه العفو والمغفرة، ولولا مرحمة فاقت كل المراحم لكان جزاؤه الموت الابدي.

غيران الله لم يشأ أن يعاملنا حسب خطيئتنا بل أشفق علينا وأراد أن ينتشلنا من الهوة العميقة التي سقطنا فيها، فأرسل لذلك ابنه الحبيب الذي تجسد وتألم ومات فداءً عنا وغفراناً لخطايانا. وهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به. (يو٣: ١٦)

يستند البروتستانت على ماتقدم ويظنونه حجة في قصر الشفاعة على المسيح ، ولو تروّوا قليلاً لعلموا أن المقصود من آيتي بولس ويوحنا هو الشفاعة الكفارية ، أي شفاعة المسيح في محو الخطيئة الاصلية أو الجدّية . لأن المسيح وحده هو الذي خلّص العالم بدمه الكريم ، ولم يشترك معه في ذلك أحد . ولذا فقد ألحق الاناء المصطفى (بولس) قوله: « ان الوسيط بين الله والناس واحد،هو الانسان يسوع المسيح»، بقوله : « الذي بذل نفسه فداءً عن الجميع »

فالمسيح إذن هو شفيعنا الوحيد في محو الخطيئة الوراثية ، وأما فيما يختصّ باسبال الخيرات وتخفيف الويلات ورفع الضربات ومنح النعم والبركات وغفران الخطايا والزلات [1] أو غير ذلك من النعم

---

(١) لا تقتصر شفاعة القديسين على الامور الجسدية بل تتناول الامور الروحية أيضاً كمغفرة الخطايا الاختيارية (وهي التي يرتكبها الانسان بعد المعمودية باختياره) وأدلتنا على ذلك « أولا » تشفع أيوب الى الرب في أصدقائه الثلاثة ليغفر خطيئتهم (أي٤٢:٨) « ثانيا » غفران المسيح لخطايا المخلّع نظراً لايمان حامليه (مر٢ : ٥) « ثالثاً » قول يعقوب الرسول (ان صلاة قسوس الكنيسة بايمان تغفر خطايا المريض) (يع ٥ : ١٤) « رابعاً » أمر يوحنا الرسول بالصلاة لمن يرتكب خطيئةً ليست للموت لتمحى خطيئته فيحيا (١ يو ٥ : ١٦—١٨) . هذا فضلا عن ان جميع الطقوس البيعية الموضوعة منذ صدر المسيحية تشهد بحقيقة تشفع القديسين في غفران تلك الخطايا . فقد جاء في

التي يفتقر اليها الانسان في كل حين (١) فلنا فيها شفعاء يحبهم الله ويجيب أو يرفض ما يسألون حسبما تقتضيه عدالته وما تسمح به رحمته. نعم لنا شفعاء كثيرون هم العذراء والدة الاله والملائكة والانبياء والرسل والشهداء والقديسون، كل هؤلاء - ويطلق عليهم اسم الكنيسة المنتصرة - لهم ان يتشفعوا فينا لدى إله المراحم ويتضرعوا عنا ويصلوا من اجلنا . والى القارىء الحكيم الآيات الشريفة التي تؤيد هذه الحقيقة :

أولاً - : قال دانيال النبي : « لا تصرف عنا رحمتك (يارب) لأجل ابرهيم خليلك واسحق عبدك واسراءيل قديسك»(دا٣: ٣٥)

ثانياً - : قال أليفاز التيماني لأيوب : « أدعُ لعل لك من يجيب وانظر الى أي القديسين تلتفت » (أي ٥: ١)

ثالثاً - : قال الملاك متشفعاً في اورشليم ومدن يهوذا :« يارب الجنود الى متى لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه

قداس مرقس الرسول مانصه : « لسنا يا سيدنا أهلاً لأن نتشفع في سعادة أولئك القديسين ، بل هم القائمون امام منبر ابنك الوحيد يتشفعون في مسكنتنا وضعفنا : كن غافراً لآثامنا يارب من أجل ابتهالاتهم المقدسة ومن أجل اسمك المبارك الذي دعي علينا ».

(١) الشفاعة لا تجدي نفعاً ان لم يكن المستشفع فيه ذا استحقاق.

السبعين سنة ؟ فأجابه الرب : « قد رجعت الى اورشليم بالمراحم فيبنى فيها بيتي » (زك ١:١٢-١٦)

يقول البروتستانت ان الملائكة والقديسين الراقدين في الرب لا يعلمون ما يحصل في هذا العالم، فهم لا يسمعون استغاثات المستغيثين بهم ولا تضرعات المتضرعين اليهم . ونحن لا ننكر عليهم ان الله وحده الذي يعلم الغيب ، لا تفوته شاردة ولا تخفى عليه خافية ، غير أننا نعتقد أيضاً ان الله يوحي -متى شاء- الى ملائكته وقديسيه ،فينطقون عما سيحصل ويرون ما سيكون ، وإلاّ فكيف عرف الملاك خراب أورشليم حتى يتشفع فيها ؟ وكيف عرف صموئيل النبي - بعد انتقاله من هذه الحياة - كل ما أتاه شاول الملك من طغي وبغي، وما كان مزمعاً أن يلاقيه هذا الملك هو وابناه من موت وفناء؟(١صم ٢٨:١٥-١٩) وكيف علم ايليا النبي -بعد انتقاله- بأن يورام بن يوشافاط ملك يهوذا لم يسر في طريق أبيه البار ، بل سار في طرق ملوك اسرائيل وأدخل عبادة البعل وقتل أخويه بالسيف؟ (٢ أي ٢١:١٢-١٦)

كيف يفسر البروتستانت قول المسيح له المجد : « احذروا ان تحتقروا أحد هؤلاء الصغار فاني أقول لكم ان ملائكتهم في السماء يعاينون في كل حين وجه أبي » ؟ (مت ١٨:١٠)

ألا يعلم البروتستانت انه ليس فقط سكان السماء بل سكان الجحيم أيضاً - بارادة الله طبعاً - قد يعلمون الغيب ؟ ألم يعلم الشيطان

مجيء المسيح الى الارض فأتى ليجربه ؟ ألم يعلم ان أيوب رجل صديق بارّ فطلب من المولى أن يسمح له في اختباره ظناً منه انه قادر على تحويله عن صلاحه ؟

وليست الشفاعة التي تعتقد بها كنيسة الله الارثوذكسية مقصورة على الكنيسة المنتصرة كما تقدم ، بل هناك شفاعة ثانية هي شفاعة الكنيسة المجاهدة التي تتألف من جماعة الاتقياء الذين ما زالوا يجاهدون معنا في هذه الحياة الدنيا .

وهذه الشفاعة يأمرنا الله بها صراحةً في قوله لأبيمالك: « ردّ امرأة الرجل فانه نبي وهو يصلي لأجلك» فبكّر أبيمالك - كما يقول الكتاب الطاهر - ودعا ابرهيم وردّ له سارة امرأته. فصلى ابرهيم الى الله فعافى الله ابيمالك وامرأته وإماءه فولدن، لان الرب كان قد حبس كل رحِم في بيت ابيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم (تك ٢٠ :١-١٨)

وقد قال الله لاليفاز التيماني ولرفيقيه: « خذوا سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا بها الى عبدي أيوب وأصعدوا محرقة عنكم ، ويصلي ايوب من أجلكم ، فاني أرفع وجهه لئلا أعاملكم حسب حماقتكم، لانكم لم تتكلموا أمامي بالحق مثل عبدي أيوب» (أي ٤٢ :٨) . وورد في الكتاب ان فرعون ملك مصر سأل موسى وأخاه هرون أن يتشفعا فيه لدى الرب ليرفع الضربات العشر عن بلاده ، فخرج موسى وتشفع الى الرب فرفع الرب الضربات (خر ١٠ :١٦-١٩). وورد ان موسى

تشفع أيضاً في شعب اسرائيل الذي صنع من حليّ نسائه عجلاً مسبوكاً وسجد أمامه وذبح له. فقبل الله الشفاعة وصفح عن هذا الشعب القاسي بعد ان كان قد اضطرم قلبه عليه وأراد أن يفنيه عن آخره (خر ٣٢: ١١-١٤)

هذه هي الشهادات التي تثبت ان الله يقبل شفاعات انبيائه وقديسيه بل تثبت انه يأمرنا بالاستشفاع بهم . فهل بعد ذلك محل للاعتراض بأن لا شفيع لنا غير المسيح ؟ أيجهل المعترضون إن المسيح نفسه — وهو على زعمهم الشفيع الوحيد — قبل شفاعة غيره ؟ أيجهلون أنه شفى ابن قائد المائة في كفرناحوم إجابةً لشفاعة أبيه (مت ٨: ٥-١٣) وأحيا ابنة يايروس رئيس المجمع إكراماً لوالدها الذي تضرع الى يسوع بايمان (مر ٥: ٣٥-٤٣) وأخرج الروح النجس من الأصم الأبكم إكراماً لوالده حيث آمن بحرارة فقال له المجد: « انت تؤمن فكل شيء للمؤمن مستطاع ؟ » (مر ٩: ٢٣)

وهل يجهل هؤلاء المكابرون ان بولس الرسول نفسه طلب من جمهور الأتقياء أن يتشفعوا فيه ، إذ قال في رسالته الى أهل رومية : « اطلب اليكم أيها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات الى الله من أجلي » (رو ١٥: ٣٠) وفي رسالته الاولى الى تلميذه تيموثاوس « أطلب قبل كل شيء أن تقام تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من أجل جميع الناس »؟ (١تي ٢: ١)

هذا ولا يتوهمنّ احد أننا نعتقد بأن كل شفاعة تجاب، لان القول

بذلك تحديد للارادة الالهية ، وحاشا أن يتقيّد الله بطلب ، بدليل انه رفض شفاعة نبيه العظيم ارميا في شعب اسرائيل حيث قال : « لو أن موسى وصموئيل وقفا أمامي (متشفعَين) لَمَا توجهتْ نفسي الى هذا الشعب فاطرحهم عن وجهي وليخرجوا » (أر ١٥:١) .

والنتيجة ان الخلاص خاصّ بالمسيح ، وأما الاستشفاع بقديسيه - القائمين أمام منبره أو الذين هم بعدُ على الارض - فمذكور صراحةً في كلا العهدين ، ومقدس من كنيسة الله الارثوذكسية منذ عهد الرسل الاطهار . وإذ علمنا أن الله إله احياء لا إله أموات (لو ٢٠:٣٨) ، فلا سبيل لنا بعد ذلك الى انكار الصلة التامة والصلوات المتبادلة بين الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة .

هذا هو معتقدنا في الشفاعة مثبتاً من الكتاب الطاهر والتقليد الرسوليّ ، أوردناه للمعترضين وكلنا آمال في أن ينعموا النظر فيه لعلهم يقتنعون بصحته ، « وقد يكون فرح عظيم في السماء بخاطئ واحد يتوب » (لو ١٥:١٠) .

* * *

تلك المذاهب التي تندّد بنا لأننا نكرّم صور الشهداء والقديسين ، ونعظم رفاتهم ونجلّ آثارهم ، مدعيةً أن الله في وصاياه العشر نهى عن صنع التماثيل والصور حيث قال : « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مّا مما في السماء من

فوق ولا مما في الارض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الارض » (خر ٢٠ : ٤ — ٥)

هـذه هي الآية التي يتمسك بها البروتستانت في تنديدهم بنا واعتراضهم علينا ، هكذا ترجموها وهكذا اتخذوها حجةً ضدنا ، مدعين أن الصور المقدسة كالتماثيل ، من يكرمها ويعظمها فانما يدلّي بنفسه الى صفوف الوثنيين وعبدة الأصنام .

وللبروتستانت شركاء في هذا الموضوع ، اتفقوا معهم في المقدمة واختلفوا في النتيجة . هؤلاء ، هم الكاثوليك ، الذين حرّفوا مثلهم وفسروا غير تفسيرهم ، إذ قالوا ان الله لما نهى عن صنع التماثيل والصور ، فانما نهى عن عبادتها ، بدليل قوله تعالى في آخر الآية: « لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ » . وخرجوا من ذلك على أن « السجود الاكراميّ » واجب للتمثال كما هو واجب للصورة [١] .

---

(١) كانت الكنيسة الكاثوليكية متفقةً مع الكنائس الارثوذكسية في تكريم الصور دون التماثيل ، ولنا على ذلك دليلان : أولهما قرار الجلسة السابعة للمجمع الذي عقده الكاثوليك واليونان في نيقية سنة ٧٨٧ م، حيث قضى بوجوب تكريم الايقونات دون أن يذكر شيئاً عن التماثيل . ثانيهما اتحاد هذه الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة اليونانية حتى آخر القرن التاسع حيث تم الانشقاق بينهما،

وعلى ذلك فالكاثوليك بمقتضى هذه الآية يقدسون التماثيل والمنحوتات، ويطوفون الأسواق بتلك الاصنام في كثير من احتفالاتهم الدينية، ولهم في ذلك فنون معروفه وغرام مشهور!

هذان هما الطرفان اللذان قُضِيَ على الكنيسة الارثوذكسية أن تقف بينهما، طَرَفٌ يتلاعب بالآية لينفي كل شيء، وطَرَفٌ يتلاعب بها ليثبت كل شيء، ونحن من بينهما نحافظ على كل شيء، عملاً بقوله تعالى: « لا تزحزح الحدود القديمة التي وضعها آباؤك »(أم٢٢:٢٨)

وهنا وجب أن نرجع الى المنهل الذي استقى منه ناقلو الكتاب الى مختلف اللغات ونعني به الترجمة السبعينية [١] حيث يعاين القارئ

مع العلم بأن الكنيسة اليونانية ترفض التماثيل وتزدلها الى اليوم.

وقد قضت حكمة بابا رومية بأن يدع رهبانه يتصرفون في وصايا الله العشر بما يوافق التعاليم الكاثوليكية! فمدوا أيديهم اليها — في كتب « التعليم المسيحي » التي بين أيدي تلاميذهم — وأسقطوا الوصية الثانية منها الناهية عن صنع الصنم والتمثال، وأعاضوها بأن قسموا الوصية التاسعة الى قسمين اتماماً للعدد العشاريّ ... ولا غرابة في ذلك مادام لقائمقام الاله حق التصرف باسمه تعالى في أوامره ونواهيه!!!

(١) هذه الترجمة وضعت في عهد بطليموس الثاني، ذلك انه بعث برسول الى بني اسرائيل بعد ان أطلق أسراهم، طالباً منهم أن يرسلوا اليه عدةً من علمائهم لنقل التوراة من لغتهم العبرية الى لغته اليونانية

بنفسه الحقيقة التي أخفتها الأغراض وتلاعبت بها يد الأهواء، فقد جاء في النص اليوناني للترجمة السبعينية ما يأتي :

ⲞⲨⲠⲞⲒⲎⲤⲈⲒⲤ ⲤⲈ ⲀⲨⲦⲰ ⲈⲒⲆⲰⲖⲞⲚ ⲞⲨⲆⲈ ⲠⲀⲚⲦⲞⲤ ⲞⲘⲞⲒⲰⲘⲀ ....»

« أُوبي إِيسِينْ سى أَفْتُو إِيذُلُنْ أُوذِي پَانْدُوس أُميمَا »

وتعريب ذلك حرفياً : « لاتصنع لك صنماً ولا تمثالاً مّا . . . »

فأين رأى البروتستانت تحريم الأيقونات ؟ وكيف عثروا على لفظة « صورة » التي لا أثر لها في الأصل اليوناني ؟ وإذ قد ثبت التلاعب (المألوف) بقي أن نقول : إن الآية التي نحن بصددها، جاءت ناهية عن صنع التماثيل وعن تأدية أي اكرامٍ لها ، ولم يرد فيها ما يفيد النهي عن اتخاذ الصور وتكريمها ، وعلى هذا رذلت كنيسة المسيح التماثيل واتخذت الصور، محافظةً في ذلك على نص الآية الالهية الكريمة ، والكنيسة القبطية كنيسة حبيب المسيح (مرقس) تعتصم بما سنه

فلبّوا دعوته وأرسلوا اليه من كل سبط من أسباطهم ستة نفرٍ ، فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً . ولما وصلوا مصر فرّق بطليموس بين أسباطهم وجعلهم ستاً وثلاثين فرقة ترجموا ستاً وثلاثين نسخةً من التوراة، وقد جاءت جميع هذه التراجم متفقةً اتفاقاً تاماً . فنسخة التوراة السبعينية أو البطليموسية هي أصح النسخ وأصدقها .

الكتاب الطاهر والتقليد الرسولي . فهل من لوم يوجه اليها لذلك ؟؟

يقول البروتستانت العصريون : ان الصور التي تصنعها الأيدي البشرية لايصح ان توضع في الكنائس عرضةً لاحترام المصلين واكرام المؤمنين . ويقول لوتيروس زعيم البروتستانتية : « انه مسموح لكل مسيحي ان يتخذ صور القديسين ، لانها حروف هجائية تذكّرنا بالمرسومين عليها وتشخّصهم لنا » [١]

يقول البروتستانت العصريون: ان السجود للايقونات محض عبادة صنمية. ويقول لوتيروس زعيم البروتستانتية :« اني (اذا سجدت قدام ايقونة الصلبوت) لا اكون بذلك سجدت لأيقونة يسوع مصلوباً ولا لخشبة عُلّق عليها الفادي ، انما اكون قد سجدت لذات الفادي بتكريمي الخشبة ، ومن فهم خلاف ذلك فقد أخطأ ، واذا وُجد من تورّط بمثل هذا التكريم وانتقل منه الى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتضى اصلاحه ، ولايليق بنا ان نُرذل تكريم الايقونات اذا وجد

---

(١) لم يقل لوتيروس هذا فقط بل قال أيضاً : « من هو ذاك الذي بلغ به العمى الى هذا الحد حتى يرى أنه من الخطأ تصوير الحوادث التاريخية المسيحية ونقشها ووضعها في البيوت والهياكل المقدسة ؟ أنا لا أرى خطأ في ذلك الخ »

(راجع Wiener. Comparat' Symboli D. Werscied. Kirche Page 153)

من أساء التصرف به . واذا كان هناك من لايدرك حقيقة تكريم الايقونات وانتهى الامر به الى أن عبدها فهل نُلزَم لذلك بالكفّ عن تكريمها ؟ هب انه وُجد من أساء بزيجة سنها الله ، فهل تهجرون بسبب فعله نساءكم (يارجال المجلس الأرليمندي) وتطردونهنّ من بيوتكم ؛ واذا وُجد من أساء تعاطي الخمر ، فهل تهرقونها على الارض وتنقطعون عن شربها مكتفين بالماء ؟ (راجع الجزء الاول من « تاريخ الاصلاح » المطبوع ببيروت سنة ١٨٧٦ صفحة ٦٤ و٦٥ فى موضوع المباحثة التي جرت بين لوتيروس ومجلس أورليمندا البروتستانتي وكارلوستاد زعيم الاورليمنديين)

هذا ماصرّح به زعيم البروتستانت بشأن السجود الاكرامي للايقونات . فما رأي رجال البروتستانتية المصريين في تصريحات زعيمهم ؟ أيشكّون بعدها في بروتستانتيته أم يقولون ان الحق قد أنطقه والحق أحق أن يتبع ؟؟؟ ارجعوا ياقوم الى الكتاب المقدس تجدوا يشوع بن نون وجميع شيوخ اسرائيل منطرحين على وجوههم الى المساء ، ساجدين امام تابوت العهد الذي طرّقت الايدي البشرية ذهب كروبيه (يش ٧ : ٦) . ارجعوا الى كتاب الله تسمعوا داود النبي العظيم يقول لزوجته ميكال — التي نسبته الى السفاهة لرقصه أمام التابوت وشبهته لذلك بالاماء — : « انما أنا أرقص أمام الرب ، وأتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي ، أما في عيون الإماء التي ذكرتها

فانني أزداد مجداً » (٢ صم ١٤:٦ — ٢٣) . ارجعوا الى الكتاب الذي تدّعون تقديسكم له وهو يضطركم الى اقتفاء أثر زعيمكم بشأن صنع الايقونات وتكريمها ، ويقنعكم بالضلال الذي وقعتم فيه بسخريتكم منا لذلك ... اننا لولا حداثة مذاهبكم المتبلبلة بحيث يسبق تاريخ ميكال وداود عهد ظهورها . . لولا ذلك لاعتبرنا ميكال من كبريات قسيساتكم ، لأنها بدل استفهامها من داود عن معنى رقصه ، نسبته الى السفاهة وسخرت منه ، ولم تعلم أن مارأت هي فيه العار والشنار ، رأى هو فيه المجد والفخار ، إذ قد مجّد الله وعبده برقصه أمام تابوته الأقدس . وهكذا نحن الارثوذكسيين ، فاننا انما نمجد الله ونعبده اقتداءً بذلك النبي الكريم ، فاذا رأينا صورة المسيح (١) فسجدنا أمامها فانما نسجد للمسيح الذي تألم ومات ليخلصنا والذي تذكّرنا

(١) لاتصوّر الكنيسة الارثوذكسية اللاهوت (الثالوث الاقدس) لانه جوهر بسيط لايدركه الحسّ ، وقد جلّت ذاته تعالى عن أن يحيط بها سواه . وفوق ذلك فان بني اسرائيل — عند ما كلمهم الله على جبل حوريب — سمعوا صوته دون أن يروا صورته ، ولم يُرِهم العليُّ صورته « لئلا يفسدوا ويعملوا لهم تمثالاً منحوتاً ويعبدوه » (تث ١٢:٤ — ٢٠) وانما الكنيسة ترسم صورة المسيح الذي نظرته الاعين ولمسته الايدي . ولاعبرة بالاختلاف الذي يقع في نسخ الصورة الواحدة ، لأن الغرض من الصور هو التذكرة والعبرة .

صورتهُ المقدسة بأعماله الطاهرة ومعجزاته الباهرة

أما فيما يختص بوالدة الاله والملائكة والأنبياء والشهداء والقديسين، فاننا نُجلّهم لذاتهم كلما ذكرناهم أو وقع نظرنا على صورهم، ولا قيمة للصور عندنا من حيث كونها موادّ ملوّنة مرسومة على قماشٍ أو ورق أو خشب . ولسنا نقول بتحويل هذه المواد الى أجسادوأرواح طاهرة ، بل نقول انها تذكرنا بالاشخاص انفسهم الجديرين بكل تعظيم واجلال - : نحن نشبه الصور بالكتابة ، فكلاهما عبارة عن خطوط مستقيمةٍ أو منكسرةٍ أو منحنيةٍ مرسومةٍ على ورقٍ أو خلافه ، وكلاهما يمثّل في الذهن أموراً معينة ،فكتاب العهد الجديد مثلاً ، يتلو علينا ما أتاه المسيح وهو على الارض من آيات بينات وخوارق ومعجزات ، وكذلك يتلوعلينا ما أتاه الرسل الابرار من صالح الاعمال وما قالوه من حكم الحية ، ولا شك في ان الكتاب الطاهر باعتباره ورقاً وحبراً لاقيمة له، واننا مع ذلك نعتني به كل الاعتناء ونكرمه كل الاكرام.وليست الصور الا كتاباً يعلمنا بأبلغ عبارة — وهوصامت — ما كان عليه أولئك القديسون من الطهر والنقاء . وماقاساه الشهداء من الاضطهاد والعذاب من أجل كلمة الله ، فنقتدي بأعمالهم وننسج على منوالهم عملاً بقول بولس الرسول: «اذكروا مرشديكم الذين بشروكم بكلمة الله ، انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم » (عب١٣: ٧)

فالصور إذن ، كالكتاب المقدس ، وجب ان تكرّم وتعظّم ،

وليس أدلّ على ذلك من القداسات التي وضعها الرسل الاطهار وخلفاؤهم الابرار [١] حيث فرضوا ان يرفع الكاهن البخور لايقونة العذراء وغيرها من ايقونات الشهداء والقديسين . ولا ريب في ان هذه الحجة التقليدية التي لا تقبل الجدل ، لا ندلي بها الى جماعة البروتستانت العصريين الذين ينكرون التقليد الشريف لفظاً لا عملاً — انما نذكرها ليعلم القبط جلال التعاليم الارثوذكسية التي تسلمتها الكنيسة المرقسية من الرسل القديسين وحافظت عليها حتى اليوم .

ورُبَّ معترضٍ يقول : لماذا تأخذ الكنيسة الارثوذكسية بالصور وتنكر التماثيل مع العلم بأن كليهما للذكرى ، ولعل ذكرى التمثال أوقع في النفس وأدعى الى الاعتبار . فجوابنا على ذلك أنه فضلاً عن أن الآية الكريمة نهت صراحةً عن صنع التماثيل ، وفضلا عن أن التقليد الشريف قضى باستعمال الصور دون التماثيل . . فضلا عن ذلك فان الكنيسة المسيحية التي بزغ كوكبها في زمن كان يعبد أهله الاوثان والتي قاومت هذه العبادة ونادت بضلالها وحطمت آلهة الوثنيين ، لم يكن في استطاعتها أن تأمر بتعظيم التماثيل ، لان هذا يؤدي في كثير من الاحيان الى فتح باب أرادت الكنيسة اغلاقه الى الابد [٢] . ولو

(١) راجع صفحة (٩٦) ومنها يثبت لك ان الرسل هم الواضعون الاصليون للقداسات وعلى ذلك فمن عرّض بها فقد عرّض بالرسل انفسهم
(٢) أرادت الكنيسة اغلاق هذا الباب الى الابد ، أما الكاثوليك فانهم اكتفوا باغلاقه حتى القرن التاسع كما بينا ذلك في احدى ملحوظاتنا السابقة !

وجهنا الفكر شطر الاسراءيليين — الذين بعد أن أخرجهم الله من أرض مصر بين الخوارق والمعجزات ، نبذوه وسبكوا لهم عجلاً من حلي نسائهم وقالوا « هذا الهك يا اسرائيل . . . . » — لو وجهنا الفكر شطرهم ، لتجلت لنا الحكمة السامية التي أرادها الكتاب والرسل أو بعبارة أخرى الكتاب والتقليد ، اللذان سارا جنباً الى جنب في موضوع الصورة والتمثال .

أما رفات القديسين وآثارهم فلسنا أول من ينزلها منزلة الاعتبار، لانها منذ القديم محترمة مكرمة من بني اسراءيل ، بدليل ان يوشيا الملك الذي أتى من اليهودية الى السامرة ، أحرق جميع عظام الموتى ولم يمس بأذى عظام النبي والقديس (٢ مل ٢٣:١٧ـ١٨) . وفوق ذلك فقد أراد الله ان يوقر الناس رفات مختاريه وآثارهم فجعلها واسطة ظاهرة لصنع الآيات والكرامات . فعظام أليشع النبي أحيت الميت (٢مل ٢: ١٤) ومناديل بولس الرسول ومآزره شفى الله بها أوجاع المرضى (أع ١٩:١٢) وجثة بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول واسقف ازمير (ميناء بأسيا الصغرى) لم تعمل فيها النار مراراً إبان اضطهاد مرقس اوريليوس قيصر (١٦١ـ١٨٠م) ضد المسيحيين ، وقد حفظ مسيحيو ازمير رفات هذه الجثة لكيما يجتمعوا كل عام في يوم وفاة شهيدهم ويحتفلوا بتذكاره بفرح مقدس [١] وغير ذلك كثير سمح الله به احياء

(١) راجع السنكسار القبطي في ٢٩ امشير ورسالة كنيسة ازمير

لاسم القديسين وتخليداً لذكرهم: « وذكر الصديق يدوم الى الابد » (مز ١١٢: ٦).

هذا ومن غرائب البروتستانت انهم بينما ينكرون علينا اكرام صور الشهداء والقديسين، نراهم في بلادهم (امريكا وانجلترا وغيرهما) يعظمون التماثيل والمنحوتات على مثال معلميهم الكاثوليك. فقد شاهدنا بانفسنا ونحن بلندن سنة ١٩٠٩م تماثيل صنمية لاغنياء رجالهم وقادة جيوشهم مقامةً داخل كنيستي « وستمنستر أبي » و« سانت بول » وغيرهما من كبريات الكنائس هناك. وقد أخذ منا الدهش مأخذه عند ما علمنا ان تلك الكنائس تقيم لهذه التماثيل الاحتفالات السنوية تخليداً لذكرى اصحابها، وقلنا يا سبحان الله! أيحلّ القوم اكرام من اصبحوا عظماء عن طريق التمثيل بأخيهم الانسان، لا لعلة غير الطمع والجشع، ويغضبون علينا غضبة مُضَرية، اذا رأونا نجلّ شهداءنا أبطال المسيحية وفاتحي عهد السلام، الذين جادوا بدمائهم الزكية لاجل شهادة يسوع ولاجل كلمة الله؟! (رؤ٦: ٩ و٢٠: ٤). ألا تثور ثائرة البروتستانتي إذا بدا من أحد الناس ما يستشف منه الاحتقار لصورة ملكه او ملكته أو رئيس جمهوريته أو عزيز لديه؟ وهل تعظيم أهل الدنيا وتكريم تماثيلهم وصورهم محلل، وتعظيم

الى كنائس البنطس في هذا الصدد بتاريخ يوساب (اوسابيوس) الكنسي مجلد ٤

سكان الاعالي وتكريم صورهم محرّم ؟ ويل لطلاب الدنيا من الديّان!

* * *

هذه هي حقيقة المذاهب البروتستانتية التي انتشرت جراثيمها بيننا ووبؤت بها أرضنا وسماؤنا . فأين معتقد تلك المذاهب من معتقد كنيستنا الارثوذكسية الذي تسلمته من مرقس الرسول وخلفائه من بعده، فظل محفوظاً سالماً الى اليوم ؟ ألا يحق لنا نحن القبط - إزاءَ وحدة عقيدتنا الارثوذكسية وتجاه هذه الفوضى البروتستانية - أن ننادي الذين يظنون تلك الشيع على شيء من حقيقه الايمان المسيحي، أن «قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن المسالك القديمة أين الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحةً لانفسكم ! ؟» (ار ٦ : ١٦)

إننا نعرف أن احترام الاديان والمذاهب يجب أن يكون متبادلاً بين الناس لاسيما وانه لايترتب عليه اعتقاد قوم بما يعتقد به آخرون ، وما دام الامر كذلك ، فلا معنى لتقبيح مخالفينا في آرائهم الدينية ولا محل لتحبيذها. اننا نباهي بتعصبنا لعقيدتنا الارثوذكسية، وفي الوقت نفسه نتنزه عن التعصب ضد عقائد سوانا ، وعلى ذلك فاننا لم نتعرض لذكر تلك الشيع حباً في التعريض بها أولانها تخالف معتقدنا ، بل ساقنا الى كشف أمرها ، اساءتها الينا بغير حق، ومحاولتُها ايذاءنا في أعز شيء لدينا هو ديننا القويم ، فلم تشفق علينا عندما نالمنا الضعف، بل انتهزت فرصة اعتلال جسم أمتنا القبطية ، فانهالت على أعضاء ذلك الجسم تفصلها

عنه وتبترها منه دون رحمة ولا شفقة وهو مسبوت مريض في غشية ماظننته يفيق منها .

كان الواجب على أرباب تلك البدع ، ان يفقهوا انهم وان كانوا في مصر بين أقلية ارثوذكسية من القبط ، إلا أن هذه الأقلية عريقة في دين المسيح ، وبقية أمة كريمة في المدنية ، كان لها شرف يعلو جناح النسر ، ويناطح نجوم السماء ، في وقت كان فيه البروتستانت يسبحون في بحار الجهالة والهمجية. فهل يليق بهؤلاء أن يعبثوا بنا لعلة طرأت علينا ، أو لأن حظنا الأسود خبأ لنا أن نكون مغلوبين على أمرنا عصوراً طويلة ؟ - : رُفعت علينا بالأمس يد الاستبداد فأرهقتنا سوءاً ، وأحاطت بنا المظالم ، فاستلّت أرواحنا من بين جنوبنا ، ولم نكد نعتزّ قليلا باستنشاق نسيم الحرية العليل ، حتى امتدت — بفضل بدع البروتستانت — أعناق الشكوك والأوهام ، الى البسطاء والمغرورين من أبناء القبط ، فزعزعت إيمانهم الأرثوذكسي : «والويل لذلك الانسان الذي تأتي منه الشكوك » (مت ١٨ : ٧) .

وإننا لايقاف إخوتنا القبط على حقيقة فوضى البروتستانت الدينية ، لا نرى أوقع في النفس مما ذكره أجنبيّ عنا ، هو حضرة الخوري نقولا غطاس اليوناني، حيث قال في كتابه: «البراهين الجلية» صفحة ٣١٩: «ان بعض القبط لأجل معاش جزئي ينالونه، أو وظيفة

فانية يحصلون عليها ، خرجوا من أحضان أمهم الكنيسة القبطية ، معتقدين بخرافات الشيع البروتستانية التي لارابطة كنسية تربطها ، ملقين بأنفسهم في آبار عميقة ، فأصبحوا عثرة شك للقريب والغريب» ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يمكن أن تؤلف كنيسة من الشيع البروتستانتية ،لا سيما وان كل شيعة منها تعتقد غير ماتعتقده الاخرى، فضلاً عن ان أعلم أصحاب هذه الشيع وأجهلهم يشرح آيات الكتاب المقدس شرحاً مبنياً على الظن والشك والرأي الشخصيّ ، وماشا كل ذلك من المبادئ الساقطة التي لا تجوز حتى في المسائل الصرفية والنحوية » الى أن قال : « أما المتأنجلون حديثاً من القبط ، فبعد أن تقدهم المرسلون الامريكان جنيهاً شهرياً ، تأبط كل منهم انجيلاً ، وقام يبشر غيره ، وهو ناس وا أسفاه نفسه ! وناهيك ياصاح عن الضلال الذي يسقط فيه أولئك المبشرون (كذا) بسبب عدم اقتدارهم على القيام بمهامّ هذه الوظيفة الرفيعة . فقد رأيتهم بعيني وسمعتهم بأذني - في الوجه القبلي بملوي ومنفلوط وأسيوط واخميم - يخبطون في شرح الآيات الانجيلية خبط عشواء ، فتكدرت من سير بعض أبناء الطائفة القبطية على غير هدىً الخ » .

ومن غريب أمر أصحاب هذه الشيع — الذين يبذرون بذور الشقاق بين أسرنا القبطية متبرقعين بالغيرة على الديانة المسيحية — أنه لايحلو لهم مايسمونه وعظاً وارشاداً ،وما يراه المسيحيون الحقيقيون

هراءً وتضليلاً ، الا في أحياء القبط وبجوار كنائسهم ، وعبثاً يجهد الانسان نفسه في الوقوف على أثر شبحٍ لهم في حيّ اسرائيليّ أو اسلامي ! والاغرب من ذلك أن يقوموا في وسط أرضٍ بُشّر فيها بالمسيح ويقولوا : « انما نحن مبشرون » !

كيف تدّعون يارجال «الانجيل الجديد» أنكم مبشرو مصر ، وأنتم تعلمون أن أرضها اصطبغت بدماءٍ زكية أريقت لاجل المسيح ؟ ألم يقع تحت نظركم قول بولس الرسول : « اني احترزت من أن أبشر بالانجيل في موضع دعي فيه اسم المسيح ، لئلا أبني على أساس غيري ؟» (رو ١٥ : ٢٠) ألعلكم تغيرون على المسيحية أكثر من بولس الرسول بل الروح القدس الناطق بلسانه ؟ ألعلكم تفوقتم في الكرز والتبشير على أبينا مرقس كاروز الديار المصرية ، أم كنتم خلفاء هذا البشير الانجيليّ العظيم ؟ دعونا يا قوم في ديننا وانجيلنا وبلادنا وانزحوا الى بلاد تعوّل عليكم وعلى تبشيركم .

يقول الجاهلون أو المتجاهلون إن تلك الارساليات لم تأت إلا « للاصلاح » . فهل من الاصلاح أن ينتقض الذين اتبعوها من اخوتنا ، على طائفتهم ، ويكشفوا عن وجه العداوة لكنيستهم ؟ وهل من الاصلاح أن يصبحوا وهم من صميم القبط حرباً للقبط بل عاراً للقبط ؟ لقد ذكرنا هؤلاء الخوارج بجماعة الاريوسيين (١) الذين انشقوا عنا

(١) نسبة الى أريوس وهو قس اسكندري زعم أن ابن الله ليس بمساوٍ

في القرن الرابع . فأغشونا مضرات وأذاقونا عذابات وجرّعونا مرارات ، ولم نسمع في التاريخ ـ قبل هؤلاء الاقباط الذين باعوا أمتهم وطلّقوا كنيستهم ونعني بهم الاقباط الاريوسيين والأقباط الكاثوليك والاقباط البروتستانت ـ أنّ قبطياً حارب أهله ودينه بمثل هذا الجفاء وتلك القسوة المتناهية ، ولكن الروح القدس يقول صراحةً : « انه في الأزمان الأخيرة يرتدّ قوم عن الايمان ، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين » (١ تي ٤ : ١) .

قال المغرضون : « ان هاته الارساليات قد فتحت المدارس وبفضلها انتشر الكتاب المقدس » . غير أن القائلين بذلك غاب عنهم أن تلك الارساليات لم تدخل مصر إلا بعد أن انقضى زمن الاستبداد ، وتهيأت لنا وسائل النهوض بأنفسنا في عصر النور والعدل والحرية الدينية . ومن لا يقول بأن دخول الأجنبيّ الى بلاد يتهيأ أهلها للنهوض ، إن لم يكن مضراً — وما هو الا كذلك — فلا فائدة منه؟ ومن ينكر علينا أن عدل الحكومة هو أساس الرقيّ ، أليس التاريخ أصدق شاهد على ما نقول ؟ ألم ينهض آباؤنا بأنفسهم مرات كثيرة ؟ ألم يكن ذلك كلما آنسوا من الدولة الحاكمة عدلاً وانصافاً كما حصل أخيراً في القرن

لأبيه في الجوهر بل مخلوق ، وانه قد أتى زمن لم يكن فيه للابن أثر في الوجود . فحرمه المجمع المسكوني الاول المنعقد سنة ٣٢٥ م بنيقية ، وهي مدينة قديمة بآسيا الصغرى تعرف الآن باسم (إسنيك)

الثالث عشر ؟ ألم يكن قليل من عطف الدولة الأيوبية عليهم كافياً لفتح المدارس وتشييد الكنائس ونشر العلوم والمعارف ونبوغ العلماء بينهم كأولاد العسال وابن كَبَر وغيرهم ؟ رحم الله ذلك العصر الذهبيّ الذي لم يبق لنا منه إلا تلك الكتب الادبية واللاهوتية واللغوية الدالة على أن أجدادنا كان يرفعهم العدل ويخفضهم الظلم ، كجوهرة تظهر حيناً فتضيء ، وتختفي أحياناً فيغيب ضوؤها ، وما الذنب ذنب الجوهرة وانما هو ذنب الظالمين الذين يخفونها عن أعين الناظرين... ألا تُناقض هذه الحقائق ما يقوله المغرضون الذين ينسبون الرقيّ الحاليّ — ان كان هناك رقيّ — الى تلك الارساليات التي لاتخدم الا أغراضها المذهبية وغاياتها السياسية ؟ ؟ ؟

ان مدارس هاته الارساليات ومنتدياتها ، لم تُنشأ في قطرنا لفائدة القبط أو حباً في سواد عيونهم ، وانما هي معامل للمقذوفات (كمعامل كروب) يتخرج منها سنوياً عشرات ومئات من أبناء القبط وبناتهم ، ليكونوا سهاماً صائبات تمزق فؤاد الجامعة القبطية وتقضي على الكنيسة المرقسية : فالارساليات والحالة هذه أداة هدم وتخريب ، لا أداة بناء وتعمير ، وما أشبه أبناءنا في أيدي تلك الارساليات بالمِعول في يد السارق أو المُدية في يد القاتل ... نعم ان تلك الارساليات تسيء الينا بأكثر مما أساءتنا المظالم والاضطهادات السالفة ؛ والفرق بين الاساءتين ، أن احداهما جاءت عن طريق التعذيب والاستشهاد ، فكانت سبباً

لضمّ القلوب واعلاء كلمة الدين ، والثانية جاءت عن طريق الملق والودّ الكاذب والتغرير بالعقول ، فكانت سبباً لتمزيق الوحدة القبطية والقضاء على بهاء الدين الارثوذكسي .

وجب على القبط أن يعلموا أن اهل تلك الشيع انما يسعون وراء غاياتهم بكل الطرق الممكنة التي آخرها (والله أعلم بما يأتي به الغد) طريقة « الشيك هَنْدِس » ، وهي أنه بعد ارفضاض مجتمعاتهم تقوم فتيات افرنجيات ، خصيصات لخدمة وترقية تلك المذاهب ، فيمددنَ أيديهنّ الى الشبان فيهزّونها هزاً عنيفاً .والغاية - كما يقولون - تبرّر الواسطة.. ليعلم القبط ذلك «وليحترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بملابس الحملان وهم من الداخل ذئاب خاطفة »(مت٧: ١٥). نعم وجب علينا أن نعلم أنّ منتدياتهم التي تُبنى فوق رُفات القبط، وخيامهم التي تُنصَب في أحياء القبط ، ومدارسهم التي تنشأ لاغواء أبناء القبط ، وجمعياتهم التي تؤسس لاجتذاب شبان القبط، ورسلهم الذين يستخدمونهم من سفلة القبط لخداع القبط. ومجلاتهم وكتبهم التي تنشر بين القبط طعناً في عقيدة القبط.. كل ذلك وجب أن نعلم أنه بعيد عن روح الدين ليس للمسيح فيه نصيب ، وانما هي أغراض مذهبية وغايات سياسية، يخفونها وراء ستار المسيحية !

غير أنه لا يحقّ لنا بحال من الأحوال أن نلوم رجال تلك المذاهب ونساءها ، دون أن ننحي باللائمة على الغافلين أو المأجورين أو المغرضين

من أبناء أمتنا ، الذين إجابة لداعي الجهل أو الدناءة أو المجاملة الكاذبة ، يضحون جامعتهم ، ويتناسون قوميتهم ، ويفصمون رابطتهم ، بل يهجرون كنيستهم لينضموا الى غيرها بحجة تأخر اكليروسها!! وهل لا يدري حضراتهم أنه اذا كان بين الاكليروس من حاز درجة الرعاية دون اهلية ، كان العيب عليهم لا عليه ؟ أنسوا أن الرعية هي التي تنتخب الراعي ، وان العين اذا كانت مرة أفاضت ماء مراً واذا كانت عذبة أفاضت ماء عذباً ؟ وهل في الناس أحط نفساً وخلقاً وأقل مروءة وشهامة ، من قبطي صميم ، يهرب من وجه كنيسته لحاجتها الى الاصلاح ، واعداً بالعودة إليها إذا انصلحت حالها وانتظمت أمورها؟ لماذا لا يكون لكل ابن من أبنائها يد في إصلاحها وإعادتها الى سالف مجدها ؟ واذا ابتعد الكل عن أحضان الكنيسة بحجة تأخرها ، فمن يبقى لانهاضها؟وأين الأبناء الأمناء الذين يسهرون على أمهم العطوف في حالة مرضها ؟ ؟ ؟

ليعلم القبط أنهم وإن كانوا أقلية مغلوبة مقهورة، إلا أن لهم عزاء في استقلالهم الديني ، فليحافظوا عليه محافظتهم على أرواحهم ، لأن تداخل الاجنبي في شؤونهم الملية ، هو القضاء على كيانهم والعار الذي لا يرضاه سلالة الشهداء . فاصلاح شؤوننا الملية لا يتوقف إلا على نهضتنا واستعدادنا الذاتي . ومتى ارتقت الأمة ارتقاء حقيقياً ، ارتقى الاكليروس بالتبع لها ،وانتظمت الاوقاف،وازهرت المدارس،

وأينعت ثمار الجمعيات، وكثر الخير بيننا ، واحترمنا الاجنبيّ ، وأصبح لا يرى له وجهاً للتداخل في شؤوننا ، لأن رقيّنا يسدّ في وجهه الباب الذي يدخل منه، بحجة الاصلاح ، والله عليم بذات الصدور !

تعالوا أيها الاخوة ننضمّ صفوفاً شعارها الاخلاص ورائدها صالح أمتنا، لنرفع سُقُف بيتنا بأيدينا لا بأيدٍ مستعارة. تعالوا نساعد جمعياتنا القبطية الارثوذكسية بكل ما في وسعنا من مال وقوة. تعالوا نرفع شأن لغتنا القبطيـة لغة أجدادنا وآبائنا وكنيستنا ، اذ لا فخر للقبطيّ بتعلم اللغات الأجنبية الاّ بعد التمكن من لغته الاصليـة . تعالوا نسعَ في طبع كتاب الله المقدس نقلاً عن نسختنا القبطية التي صانها المولى من يد العبث، بدلاً من أن نساعد جمعية التوراة البريطانية أو الامريكانية ، التي تحرّف الـكتاب وتتلاعب بآيات الله . تعالوا نأخذ بيد العاملين على إنهاض مدارسنا القبطية من الحضيض، فنضرب الجهل والجهلاء ونقضي على بعض نظّارها الأغبياء ، الذين رغماً عن خلوّ رؤوسهم من العلوم، نراهم يستهينون بدياناتهم المسيحية، ويستهجنون اسماءَهم القبطية، ويهزءون بلغتهم المصرية، فيفكّكون بذلك، الروابط الثلاث (الدين والجنسية واللغة) التي تربط أبناء الأمة الواحدة ، ويميتون العواطف القبطية الشريفة في قلوب النشء . تعالوا نسعَ في إعلاء شأن مدارسنا الاكليريكية بكل الطرق الممكنة ، لتخرج لنا قادةً دينيين ، يعيدون الينا بعلمهم وتقواهم، عصر اثناسيوس وتوفيلس

وكيرلس وديوسقورس . تعالوا ندرّب الرجل منا منذ الطفولة على حب أمته والاخلاص لها ، بواسطة غرس الكمالات والمبادئ الصحيحة في قلبه وهو بين جدران مدارسنا القبطية ، فنحول بينه وبين أن يكون أجنبياً عنا في كل شيء ، ولا سيما اذا تزوج بأجنبية ، فربّت أولاده تربية أجنبية ، من شأنها ان تولد في نفسه احتقار أمته وكنيسته . ويجب ألاّ يفوتنا اننا اذا لم نعمل للوصول الى تربيـة أولادنا تربيةً قوميةً قبطيةً عالية ، أصبحنا غرباء في بلادنا ، اذلاء في وطننا ، لا رابطة تربطنا ، ولا جامعة تجمعنا ولا وحدة تؤلف بين قلوبنا المتنافرة

نعم يجب على القبط ذكوراً واناثاً ، أغنياء وفقراء ، - بعد أن أوضحنا لهم حقيقة حالهم ووصفنا لهم الداء والدواء - أن يقفوا إزاء حوادث الدهر موقف المعتبر ، فيستفيدوا عظةً بالغة من الاخطار التي حاقت بهم ، ويعملوا على دفعها عنهم ، وهم يد واحدة ، وفكر واحد ، ورأي واحد ، وما أبهج اليوم الذي فيه ينقضي افتراق البيعة « وما أحسن اتفاق الاخوة الساكنين في بيت واحد» (مز ١٣٣ : ١)

الفصل التاسع

نظرة اجمالية في تاريخ الامة القبطية

إن تاريخ القبط هو أقدم تاريخ في العالم . يدلك على ذلك بزوغ فجر التمدين عندهم قبل المسيح بسبعة آلاف سنة ، وآثارهم

الخالدة الناطقة بتوفر علومهم وصفاء فكرهم وعلوّ كعبهم في مزاولة الأعمال الجسيمة، واقامة المباني الضخمة بطرق هندسية دقيقة ، أدهشت المتأخرين وأعجزت علماء القرن العشرين .

نبوغ القبط ـ القبط هم أول من قنّن القوانين وسنّ الشرائع وأبدع الفنون والصنائع. اخترعوا الزجاج والورق[١] وعرفوا فنّ الموسيقى ولعب النَرْد (الطاولة) منذ الأسرة الخامسة ، وأتقنوا الطبّ والرياضة والفَلك ، وقسموا السنة الى شهور وأيام ، ورتّبوا الزراعة على النيل باحكام ، ونبغ منهم العلماء الفطاحل والجنود البواسل ممن حفظ التاريخ أسماءهم بالثناء العاطر والشكر الوافر[٢]. ومن نظر الى الآثار وطالع سفر الخروج ، علم أن جميع ما احرزهُ الاسرائيليون من المعارف والصنائع ، كان شائعاً بين خاصّة القبط وعامّتهم.

قوانينهم ـ كان من قوانينهم أنهم يحكمون بالقتل على من يقتل النفس ، وعلى من يحلف يميناً باطلة ، وعلى من يرى

(١) راجع لبسيوس المؤرخ الالماني في كتاب العقد الثمين صفحة ١٩
(٢) تؤيد ذلك الآثار ويؤيده ده روجه المؤرخ الفرنسي (١٨١١ـ ١٨٧٢م) الذي نبغ في علم الآثار المصرية وله مؤلفات عديدة فيها .

انساناً في الهلاك فيتغاضى عن انقاذهِ وهو قادر عليهِ .وكانوا يحكمون بالجلد على من اؤتمن فخان،وعلى من كتم عن الحكومة جنايةً وقعت أمامه.وكانت تقام الحدود على الأحياء والاموات على السواء ، فيُمنع المجرم من أن يدفن باحترام اذا ثبت عليه بعد موتهِ انهُ اقترف ما كان يوجب عقابه في حياتهِ .

نقودهم — كانت نقودهم التي يتعاملون بها ، عبارةً عن قطع ذهبية ، على شكل ضفادعَ وجعارينَ وعجول صغيرة ، ثم على شكل حلقات في عهد الأسرة الثامنة عشرة ومابعدها

غذاؤهم — كان غذاء القوم الخضراوات والبقول ، أما اللحوم فكانوا يقلّلون منها ، لأن كثرتها في الأقطار الحارّة التي تشبه قطرنا ، تورث الامراض،لذلك كانوا يمتنعون عنها في أوقات معيّنة من السنة . وكانوا يحرّمون لحم الخنزير بتاتاً . وهذا كلّه يشبهُ كثيراً صوم القبط الحاليّ ، الذي لما تهاونوا فيه في الأيام الحاضرة ، أصبحوا ضعفاء يشكون العلل والأسقام .

عاداتهم — كان القبط يحترمون النساء احتراماً زائداً

ويقولون عن المرأة : « إنها شريكة الرجل ، ومربية الأولاد ، ورئيسة المنزل » . وكانوا من رجال العمل ، يكرهون البطالة وكانت أغلب تجارتهم في أيدي النساء ، وأما الرجال فللزراعة والحروب والأعمال الشاقة . وكانوا فوق ذلك شديدي الحرص على كتمان أمورهم الداخلية ، فلا يظهرونها للأجانب ولم يسمحوا لهؤلاء بسكنى هذه البلاد ، حتى أيام أهميس الثاني من الأسرة السادسة والعشرين . وكانوا مع رقيهم وغناهم بعيدين عن البهرجة والتبذير ، والتأنق بلبس الحرير ، لا يرتدون الصوف لاعتقادهم انه من دم الحيوان ، وإنما كان لباسهم من التيل والكتان . وكان الرجال يحلقون رؤوسهم ، ولا يرسلون شعورهم الا للدلالة على حزنهم على موتاهم كما هو الحال الآن عند العامة . أما النساء فكن يظهرن حاسرات الوجوه [1] ، وشعورهن مغطاة بالعصايب ، وقد جاء بولس الرسول يحث على ذلك حيث قال : « وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها

(١) اي بلا نقاب ، وهذا أقطع دليل ضد الذين ينسبون الحجاب الى القبط

غير مغطى فتشين رأسها، لأنها تكون ومحلوقة الشعر شيئاً واحداً، والمرأة إن كانت لا تتغطى فليقَصّ شعرها، وان كان قبيحاً بالمرأة ان تقص أو تحلق، فلتتغطّ » (١ كو ١١: ٥-٦). ومن عاداتهنّ انهن كنّ يلبسنَ الاقراط والخواتم والقلائد والاساور، ويعتنين بتدبير المنزل، وتربية الاولاد، وتعليمهم حبّ الوطن، والتمسك بالدين، وتحمل المشاقّ، والشجاعة، والصدق، وغير ذلك مما يرفع شأن الأمة ويوردها موارد الفلاح

القبط هم ذلك الشعب المتعبد الذي خضعت ملوكه للآلهة، في وقتٍ كان لهؤلاء الملوك من السطوة ما يروع الأسود. أما الكهنة (خُدّام المعبودات) فقد كانت لهم القدم الراسخة في العلوم على اختلاف ضروبها وتنوع أصولها وفروعها، حتى قال عنهم هيرودوت المؤرخ: « إن مدارس الكهنة كانت منتشرة في جميع أمّهات المدن بمصر، وكان لهؤلاء الكهنة من المكانة السامية عند الرعية ما للملك » .
وقال افلاطون:[١] « إن الجنس البشريّ بأجمعه، أسير

(١) من فلاسفة اليونان (٤٢٩-٣٤٧ ق م) وهو تلميذ سقراط

احسان القبط، لانهم علّموه الكتابة والصناعة وفنّ الموسيقى». وقال شمپليون فيجاك:[1] «كانت كهنة القبط مصابيح يُهتدَى بنورها، حتى ان أوربا التي بلغت الآن شأواً بعيداً في الحضارة، لم تزل متطفلةً على لَقَطات موائد اليونان، الذين هم أيضاً تطفلوا في أيامهم على لفظات موائد كهنة القبط». وقال بروكش باشا: «ان القبط تبحّروا في جميع العلوم، وعلموا مالم يعلمهُ الراسخون من علماء أوربا الآن، وكانت علومهم مدوّنةً في صحفهم، محفوظةً في صدورهم، منقوشةً على هيا كلهم، فكانت واسطةً لتهذيب الأمة، وبثّ روح الفضيلة فيها». وجاء في كتاب «العقد الثمين» (صفحة٤) قول قبطي لصولون حكيم اليونان: «أنتم ياعلماء اليونان، جميعكم يعدُّ عندنا من الفتيان، ليس فيكم كهول في الفضل ولاشيوخ،

ومعلم ارسطاطاليس أستاذ الاسكندر الاكبر

(١) هوفرنسيّ (١٧٧٨ — ١٨٦٧ م) عالم بالآثار المصرية وأخو شامبليون الصغير. ساعد أخاه المذكور في حلّ الرموز الهيروغليفية، وله مؤلفات عديدة أهمها: «مصر القديمة»

ولا من له في المعارف قدم ثابتة ولا رسوخ » . ومما تقدم يعلم ان القبط كانوا في العلوم سابقين ، وغيرهم فيها من اللاحقين

فللسابقين الفضلُ فيما تقدّموا وليس لمخلوقٍ عليهم تبجُّحُ

القبط هم ذلك الشعب الذي قرع صيتهُ الأسماع ، وسار ذكرهُ على الأفواه ، ففكّر في تذليل الجوّ بالمركبات الهوائية [١] ، وبنى الاساطيل البحرية ، وطاف حول الأرض في طولها وعرضها ، وعرف آسيا وبلاد المكسيك بأمريكا

(١) جاء في مجلة رعمسيس الغراء (شهر أمشير سنة ١٦٢٩) مايأتي : « إن الحفّار القبطي المدعو (ديدال) ، هاجر من مدينة منفيس مسقط رأسه الى جزيرة كريت قبل الميلاد ، ولما اضطهده ملكها (مينوس) صنع لنفسه أجنحةً تحمله مع ولده (إيكار) الى جزيرة صقلّية في جنوب ايطاليا ، وبعد ان طار في الجو أميالاً كثيرة سقط في البحر . والذي اثبت ان هذا القبطي هو أول من فكّر في الطيران ، وجود تمثال له في متحف جنيف بسويسرا ، وهو يصنع أجنحةً له ولولده» . وقالت مجلة الطيران الباريسية : « إن كل ما يحيط بعمل ديدال من القصص ، يجعلنا ان نقول انه هو الذي أوجد الفكرة عند كل الامم لتذليل الجوّ »

والبلاد الاوربية ، ورسم الخرائط الجغرافية ، وقهر القبائل المتمردة قهراً . ونشر تجارته براً وبحراً .

هم ذلك الشعب الذي امتدت مدنيته الى الفرس فهذبتهم ، والى اليونان فأحيتهم ، والى أمم أوربا فسودتهم ، وليس أدلّ على ذلك من مدارس منف وطيبة وعين شمس : تلك المعاهد العلمية الكبرى ، التي تخرّج منها أرباب الأقلام ، وقضاة الأحكام ، الذين منهم علماء اليونان ، كصولون وفيثاغوراس وأُقليدس نوابغ ذلك الزمان . وهذا فضلاً عن مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، التي أسسها مرقس رسول الديار المصرية ، ونبغ منها علماء المسيحية وابطال الارثوذكسية ، مثل اكليمنضس وبنتينوس وأوريجانوس والبابوات الكسندروس ، واثناسيوس وثوفيلس وكيرلس وديوسقورس ، وغيرهم من كبار العقول وقادة الافكار ، الذين قضوا على بدَع اريوس ونسطور وأوطيخا ومن حذا حذوهم ، وبذلك رفعوا للمسيحية أعلى منار .

هم ذلك الشعب الذي عرف أن العدل أساس الملك ، والقانون سياجه ، فأنشأ المحاكم في منف وطيبة وقسّم أراضي

المملكة بأدق المقاييس ، كالسهم والقيراط والفدان ، وضرب الخراج على الزراعة بتناسب مع الزمان والمكان . وساوى في الحقوق بين الامير والحقير ، والذكور والإناث ، حتى أجلس النساء على السدة الملكية ، فنهضن بالامة الى أسمى المراتب السنية

وبالجملة فان القبط كانوا غُرّة في جبين الدهر ، ودُرّة في إكليل الفخر ، متحدين في الدين والسياسة ، لا ينكر عليهم منكرٍ انهم أساتذة العالم ، وهاهو المتحف المصري خير شاهد على تفوقهم في العلوم والمعارف ، وهاهي متاحف أوروبا ملأى بآثارهم الدالة على انهم مصدر الحكمة ومنبع العِرفان ،

فالقبطي اذا قرأ تاريخ أجداده الوثنيين ، استطاره الفرح وأخذت منه هِزة الطرب ، واذا قرأ تاريخ أجداده المسيحيين ، أحرق بخور الثناء لأولئك الشهداء ، الذين لم تروّعهم النائبات ، ولم تنل من صبرهم الملمّات ، فكانوا يجودون بنفوسهم الزكية في سبيل رفع لواء المسيحية واعلاء شأن الارثوذكسية ، حتى ضربت بهم الأمثال ، فقيل فيهم : « كان القبط مع الله ،

فكان الله معهم » و « لو كان للمسيحية تاج ، لكان القبط جوهرته الثمينة » . أضف الى ذلك أن الظلم والاضطهاد لم يخرجاهم عن طورهم ، فلم يخطر لهم ببال — رغماً عما قاسوه من الذلة والصغار — أن يلقوا بأنفسهم في أحضان دولة أجنبية لحمايتهم . ذلك أن شدة إيمانهم ، علمتهم أن المسيح وحده هو حاميهم ، وقد كان إيمانهم وتقواهم من أقوى العوامل التي جعلتهم يتغلبون على الدهر ، فلم يقوَ - رغم عناده وبطشه - على تمزيقهم ، وهكذا بزغ فجر القرن التاسع عشر وجاء عصر محمد علي (عصر السلام) وفي القبط حياة ، ليتمجد اسم الله ولتضاف أعجوبة جديدة إلى عجائب الدنيا السبع [1]

هذه هي الامة القبطية أمة التاريخ ، بل الامة التي قضي

(١) عجائب الدنيا السبع هي : (١) أهرام مصر (٢) منارة الاسكندرية (٣) حدائق بابل المعلقة وأسوارها (٤) صنم جزيرة رودس (٥) تمثال جوبتير في أولبيا باليونان من صنع فيداس الحفار اليوناني (٥٠٠—٤٣١ ق.م.) (٦) هيكل ديان في نيقية أحرقه إيروسترات (٧) مقبرة موزول ملك كاري ببلاد الاناضول اقامتها له زوجته الملكة أرتميز الثانية سنة ٣٥٥ ق. م.

عليها ان تكون كُرَةً مضروبةً بصوالج الدهر ، يتلقفها الفاتحون والغالبون اكثر من الفي سنة . تلك الامة كانت مجتمعةً كلمتها،متحدةً وجهتها، فاذا سألتَ أهرامها ومعابدها وكنائسها ، بل اذا سألت موتاها الخالدين ، وكلَّ أثر من آثارها ، عن القوة التي حفظت كيانها ، وصدّت عنها كوارث الايام ، لاجابتك على الفور: « هي قوة الاتحادوالتماسك ».

فتأمل قليلاً أو كثيراً أيها القارىء ، في كلمات التاريخ ، عن أجدادنا وآبائنا السالفين ، رحمة الله عليهم أجمعين .

ولكن من يدري ماذا تكون كلمة ذلك التاريخ عن أبناء أولئك الآباء ونعني بهم « قبط اليوم » أو « القبط في فجر القرن العشرين » ؟

أيتها البقية القبطية والاقلية المصرية،أحيٌّ أنتِ فيُرجى أم ميت فيُنعى ؟ ها قد انصلح الزمان ، وسطعت أنوار العدل وارتفعت ألوية الحرية ، فعليكِ ألا تسيئي استعمال هذه النعمة، بل ترعَي لأجدادك عهدهم ، فلا تسيري في تيار المدنية الكاذبة سير الاعمى ، واعلمي انه لو أُتيح لاولئك الاجداد أن يعيشوا

خمسين سنة في مثل ما أنتِ فيه الآن من نعيم مقيم ،لقوّموا المعوجّ واستردّوا المفقود من رفعة ومجد .

إن لكل أمة مركزين ، اجتماعياً واقتصادياً . فبالأول، تحفظ شخصيتها ووجودها . وأقسامه كثيرة ، منها الجنس والدين (١) واللغة والأسماء والطقوس والعادات ، وما أشبه ذلك من مميزات الأمم ومشخصاتها التي تُعرَف عند علماء الاجتماع بالروابط ، ذلك لأنها تربط أبناء الأمة ، وتجمع بينهم وتوحّد قلوبهم ، فيتولّد من هذا نشاطهم الروحيّ ، الذي هو سبب ارتقائهم وتقدمهم. نعم قد تؤثّر المظالم والمجاعات والأوبئة على الأمم فتسقطها ، ولكنه سقوط عرَضيّ لا يؤثر فيها متى كانت روحها حيةً نامية ، كما كان شأن أمتنا القبطية منذ القِدَم ، إذ لولا تمسكها بميزاتها ومشخّصاتها ، أو بعبارة أخرى لولا نشاطها الروحيّ ، لأدرجت في أكفانها كما أدرجت عدّة من الأمم المعاصرة لها. ولا شك في أن طريق فناء

(١) من فضائل الدين: محبة الناس، ومساعدة الغير، وعدم ارتكاب ما حرّمه الله في وصاياه العشر، وانشاء الكنائس والمدارس والمستشفيات.

الأمم ، هو أن تتفكك روابطها وينحرف أفرادها عن المقاصد الاجتماعية ، التي تجمعهم كأمة واحـدة ، وبذلك تظهر عليها أعراض الضعف ، وهكذا تسير الى طريق الفناء . فالمعوّل إذن في ارتقاء الأمم ، انما هو على مركزها الاجتماعيّ ، الذي تجب المحافظة عليه ، مع العمل على ترقيته . ومتى علمنا ذلك ، فهل يليق بنا نحن سلالة الشهداء أن نخلع رداء الدين ونسعى في تمزيقه ؟ هل يليق بنا أن نغمط فضل آبائنا ، ونُغفِل ذكرهم وننكر أسماءهم ، فلا نتحدث الآن عن الأجانب ولو كانوا لصوصاً ولا نسمي أبناءنا الا بأسماء أجنبية، ولو كانت معيبة في معناها ؟ ليس من الشهامة والمروءة ولا من العدل أيضاً أن نتمتع بخيرات أولئك الأجداد، ونسكن بلادهم، ونرث عزهم، في وقت ننكر فيه أفضالهم التي يذيعها التاريخ، وأسماءهم المسجلة في بطون الصحف.

أما المركز الاقتصاديّ ، فبـه تحفظ الأمة ثروتها التي تجيئها عن طريق الاخلاق الفاضلة[1] والعلم بالفنون والتجارة

---

(١) من الأخلاق الفاضلة، الاعتماد على النفس، والشجاعة الادبية، وتضحية الأغراض الذاتية على مذبح المصلحة العامّة، وحفظ الحقوق ،

والزراعة والصناعة. ولا تحافظ الأمة على مركزها الاقتصاديّ، إلا اذا زاحمت الأمم الأخرى وجارتها في الاختراعات والاكتشافات، فان وقفت عند حدّ، عُدّ وقوفها جموداً ربما أوردها موارد الفقر والمسكنة، ولذلك وجبت معاشرة الأمم الراقية والأخذ عنها، لا بل والنزوح الى بلادها طلباً لما يفيد الأوطان ويرفع قدر ساكنيها.

ما للقبط قد لعبت ببعض شبانهم نشوة التقليد الأعمى، فقاموا يحذون حذو سفلة الأجانب النازحين الينا، في التخلف الى الحانات ودُور الملاهي، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والميل الى البطالة والكسل، ناسين أو متناسين أنهم من أسرات رفيعة، تتطلع الى رفعتهم، ومن أقلية ضعيفة ترتقبهم ليأخذوا بيدها، (لا بيد بنت الدنّ وبنات الهوى). ولم يقتصر الشرّ على البنين، بل تعداه الى البنت القبطية بنت

وتأدية الواجبات، وانتهاز الفرص، وعدم تضييع الوقت سدىً، وانجاز الأعمال في اوقاتها، وتحمّل المشاقّ، وكرامة النفس، والاقدام على دقيق الأعمال وعظيمها، والتبصر في العواقب، وعدم الاسراف والتبذير.

رمسيس ، فقامت تقلد الاجنبية في خلاعتها وطلي وجهها ، ويا ليتها كانت تعرف للتأنق ذوقاً ، أو للزينة حداً ، فلم تسرف في الملابس ، ولم توقع أسرتها في الدَّين ، ولم تحوّل أموال أهلها لا بل أموال أمتها الى جيوب الخياطات الاجنبيات.

ما لبعض القبط قد سلكوا طريق التبذير والاسراف في المآكل والملابس والمآتم والأفراح ، حتى فقدوا الثروة ورهنوا الممتلكات وتسرّبت أموالهم الى جيوب الغير ، فلم نعد نسمع الا بيوتاً تغلق ، وتفاليسَ تُشهَر ، وقضايا ترفع ، وما ذلك الا نتيجة الغفلة المتناهية ، أو الفخفخة الكاذبة ، أو التبجّح بالمحرّمات ، أو الخلود الى البَطالة والكسل ، في وقتٍ شعر فيه القطر بغلاء المعيشة ، الناجم عن مزاحمة الاجانب لنا وعن تمادينا في الغرور والفساد : ذلك الغلاء الذي سيأخذ في الزيادة تدريجاً ، حتى يؤدّي بنا الى تجرّع كأس الموت جوعاً كما أدّى بالكثيرين من أهالي البلاد التي أُصيبت بضربة التمدين الكاذب؟

ما لبعض شبان القبط ، الذين تثقّفوا بالعلوم وتفقهوا بالمعارف ، ينصرفون عن أمور طائفتهم الى أمور أنفسهم ،

كأن لا حقوق لأمتهم عليهم، وكأني بهم لم يخلقوا الا لأنفسهم؟ وهل هذا ما يقضي به العلم الصحيح والواجب الدينيّ والادبيّ؟

ما لبعض كبار القبط وسراتهم ينفقون الأموال الطائلة ـ عن طيب خاطر ـ في سبيل الاصطياف بالبلاد الأجنبية، بينما يضنّون بالقليل من تلك الأموال على جلائل مشروعات طائفتهم الاسيفة؟ أما اذا كان الغرض من ذلك طلب علم أو تجارة أو اكتشاف فضيلة، فبها ونعمت. وأما اذا كان الغرض منه ترويح النفس وتبديل الهواء، فليعلموا ـ عافاهم الله من داء التقليد الافرنجيّ الذي أودى بالبلاد والعباد ـ أنّ أديرتهم المنتشرة في طول البلاد وعرضها هي من احسن بقاع الدنيا هواءً، وأجملها منظراً، وأوجبها زيارةً بعد قبر المسيح له المجد، لاسيما بعد ان رفعت ألوية الأمن، وعمّت طرق المواصلات في القطر.

اننا لم نعهد العدل والحرية يقتلان أمةً الا البقية الباقية من القبط، فهي تتمزّق في الدين، وتختلف في الأهواء وتتقهقر بغير انتظام، حتى كادت تفقد شخصيتها وتصبح أثراً بعد عين. وبينما أختنا «الاكثرية» تدير دفة مجالس المديريات، وتسير

صاعدةً في طريق التقـدم ، نرانا نحن الاقلية منقسمين على ذواتنا ، متدهورين في الملاذّ والملاهي ، هابطين في أسفل أدوار البؤس والشقاء ... وعما قليل نصبح نحن والاكثرية على طرفي نقيض : هم ، في أول درجات التقدم ، ونحن ، في آخر دركات التأخر !

أُقسم بالتاريخ أبي العبر ، أننا الآن في حالةٍ سيئة لم يسمع عن القبط أسوأ منها ! واذا كان هذا تأثير زمن الحرية والرخاء فينا ، فهل نلام أذا قلنا بملء فينا : «مرحباً بالاضطهاد إن كان فيه صلاحنا وإصلاحنا» ؟ لِمَ ياقوم لاتخوضون لجج الماضي لتعتبروا بما كان ، وتقيسوا عليه ماسيكون ؟ اقرءوا التاريخ لعلّ فيه لكم عظةً وذكرى ، ولا تنسوا أن الاجيال القادمة ستطالبكم بما تقدمه أيديكم ، وتحكم عليكم كما نحكم نحن اليوم على الاجيال المنصرمة . . . أليس من أوجب الواجبات علينا ان ننتهز هذا الوقت الثمين ، لنصلح شؤوننا الاجتماعية والاقتصادية ؟ نحن نشكو اعتلال أحوالنا الملّية ، مع ان بين الأمل والمأمول درجةً واحدةً ، هي ان نطّرِح سخائم القلوب والأغراض الذاتيّة ، وبعد ذلك يسهل كل مرغوب ومرتجّى ، ومتى اتحدت

قلوبنا وصحّت عزائمنا ، كان من أيسر الأمور علينا ان نقوم بكل ما يُطلب منا فننشيء هيئةً نيابيةً محترمة ، وجمعياتٍ قوية ، ولجاناً مؤلفةً من الاختصاصيين ، وبهذا وأمثاله يتيسّر لنا أن نضبط أموال جميع الاوقاف بأنفسنا دون الحكومة ، ونراقب أعمال المجالس الملية ، ونوحّد سير التدريس في جميع المدارس القبطية[1] ونعيد الى عالم الوجود مطبعة الدار البطريركية لطبع الكتب الدينية والطقسية ، الى غير ذلك مما يتطلبه الرقيّ الصحيح ويقضي به التقدم في معارج الفلاح .

هذا وليعلم القبط انهم وان كانوا من سلالة أمةٍ ذات تاريخ مجيد وشرف أثيل ، الا انهم اليوم أقلية تحيط بهم ظروفٌ خصوصية ، فإما أن يحافظوا على جامعتهم القبطية بالمعنى الصحيح ، وإما أن يسمحوا لمصر — اذا سألها سائل عن أهلها القبط — أن تقول : « إن الآباء طواهم الزمان فلم

(١) أشار بالعمل بذلك حضرة الفاضل بطرس افندي حنا عبسود الفيومي ناظر مدرسة التوفيق القبطية بطنطا ، في تقرير رفعه سنة ١٩١٢م الى المجلس المليّ العامّ بمصر والى أفراد الطائفة ، فنال استحسان الجميع

تبقَ إلا أسماؤهم تحمل الصحائف ، وآثارهم تزين المتاحف ، وأما أبناؤهم ، فلا هم أحياء فأرجوهم ، ولا هم أموات فأنعيهم » هذه كلمات نزُفها بصراحة الى أبناء أمتنا، ورحم الله قوماً يسمعون قولاً ، فيحكمون بأعدله، والسلام على من تجرد عن الاغراض الذاتية، وسعى في إصلاح قومه بحكمة وإخلاص وروية.

الباب الثاني

عصر الوثنية فى مصر (٧٥٠٠ - ٣٠ ق.م.)

ينقسم عصر الوثنية في مصر الى ثلاثة أدوار [١] :

الدور الاول - : المدة الغامضة

الدور الثاني: الأسر الوطنية القبطية [٢] المعروفة بدول الفراعنة [٣]

(١) يزيد بعضهم دوراً رابعاً يبتدئ من سنة ٣٠ ق.م. أي من حكم الرومان لمصر ، وينتهي بصدور أمر القيصر تأودوسيوس الكبير سنة ٣٨١م بتحريم عبادة الأوثان بصفة رسمية. غير أننا في هذا الكتاب، اعتبرنا مولد السيد المسيح الحدّ الفاصل بين الوثنية والمسيحية في مصر ، وعلى ذلك فقد جاء ذكر حوادث هذا الدور ضمن حوادث القرون المسيحية.

(٢) قبطي ومصري بمعنى واحد (راجع صفحة ٣٢) من هذا الكتاب .

(٣) مفرده فرعون ويقول الافرنج إن هذه اللفظة محرّفة من القبطية

الدور الثالث ـ : من حكم اليونان الى سنة ٣٠ ق. م.

الدور الاول

في المدة الغامضه الى سنه ٥٠٠٤ ق . م.

المدة الغامضة هي المدة التي تسبق عصر دولة الفراعنة وفيها كان القبط قبائل متفرقة في أنحاء القطر ، يحكم كل قبيلة أمير مستقل . وقد ظلّت الحال كذلك حتى انضمت هذه القبائل الى بعضها فتكونت في مصر مملكتان ؛ الاولى مملكة الوجه القبليّ ، والثانية مملكة الوجه البحريّ . وقد كان للكهنة يدٌ قوية ونفوذٌ عظيم في أمور المملكة ، فهم أول من رتب الديانة ووضع الاسماء المقدسة للآلهة . وكان مقرّهم مدينة طينة [1] ذات المعابد الكثيرة والمحتوية على قبر المعبود (أوزيريس) إله الخير .

(برْ ـ آ) أي الباب الأكبر أو القصر العالي وهو من ألقاب ملوك القبط التي أشهرها لقب (ابن الشمس) . ولكن الأرجح أن لفظة فرعون مأخوذة من اللفظة القبطية (ⲫⲟⲩⲣⲟ إف أورُو) أي الملك.

(١) طينة أوثينيس وتسمى بالقبطية أبيدوس: هي العرابة المدفونة والخربة قبليّ جرجا ، بينها وبين البلينا ساعتان

يبتدىء التمدين القبطي من سنة ٥٥٠٠ق.م. حيث ابتدأ سكان مصر بلبس جلود الحيوانات ، واستعمال النحاس ، وصنع الفخار والسكاكين والسيوف والأواني الفخارية والخزفية والحجرية ، ونسج التيل ، وعمل الآجرّ (الطوب الاحمر) ، وتشييد البيوت بصفة منتظمة ، ومعرفة قيمة الذهب والفضة وبناء السفن الشراعية (١) والاتّجار بواسطتها مع البلاد المحيطة بالبحر الابيض المتوسط

الدور الثاني

في الأسر القبطية المعروفة بدول الفراعنة « ٥٠٠٤ — ٣٣٢ ق م»

قال مانيثون المؤرخ : « ان عدد الأسر القبطية التي تولت مصر حتى ضياع استقلالها بواسطة الفتح اليوناني سنة ٣٣٢ ق م هو ٣١ أسرة قسمها الى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : ـ وتشتمل على العشر الأسر الأولى ، ومدة ملكها ١٩٤٠ سنة

(١) يُستدل على ذلك من الرسوم الموجودة على أوانٍ خزفية في متحف لندن ، وهذا أيضاً دليل على أن القبط سبقوا الفينيقيين في صنع السفن

الطبقة الثانية : ـ وتشتمل على السبع الأسر التالية ، ومدة ملكها ١٣٦١ سنة

الطبقة الثالثة أو الامبراطورية : ـ وتشتمل على الاربع عشرة أسرة الأخيرة ، ومدتها ١٣٧١ سنة [١]

وكانت كل أسرة تُلَقَّبُ بعاصمة حكومتها ، فاذا كان تختها مدينة طينة ، فطينية ، أو منف ، فمنفية ، وهكذا »

الطبقة الاولى (٥٠٠٤ ـ ٣٠٦٤ ق.م.)

كان المفهوم الى وقت قريب أن مصر ظلت منقسمةً الى مملكتين حتى تأسست الأسرة الاولى ، غير أن الآثار المكتشفة في المقابر [٢] الملكية في طينة ، دلت أخيراً على أن

(١) حساب السنين المذكورة في تاريخ الأسر القبطية بهذا الكتاب منقول عن مريت باشا عن مانيثون المؤرخ

(٢) تركب المقبرة عادة من ثلاثة أجزاء : رواق وبئر ومغارة أو لحد . فالرواق عبارة عن حجرة مربعة الأضلاع بابها يتجه غالباً نحو الشرق وجدرانها المبنية بالحجارة تقام مائلة على بعضها كأنها هرم ناقص . وينقش على تلك الجدران اسم الميت وصورته وتاريخه وأنواع الصدقات التي أوصى بها . وأما البئر فتقام في احدى زوايا

مصر حكمها - قبل الاسرة الاولى - خمسة ملوك : أولهم (آب) ، ويظهر ان هـذا الملك هو أول من ضم المملكتين وكوّن منهما مملكةً واحدة .

الاسرة الاولى الطينية . أول ملوكها **مينا أو مينيس** أي الثابت (٥٠٠٤ - ٤٧٥١ ق.م.) تزوج أبوه - ملك الوجه القبلي - باحدى أميرات الوجه البحري ، فكان مينا حاكما بالوراثة على الوجهين ، ومن ثمّ أخذ في اضعاف نفوذ الكهنة واستردّ من أيديهم السلطة المدنية أو الزمنية التي كانوا قد أضافوها الى سلطتهم الدينية وأسس الحكومة الملكية في

الرواق ويختلف عمقها من اثني عشر متراً الى ثلاثين متراً وفي قاعها سرداب يوصل الى اللحد حيث يوضع التابوت منقوشاً عليه اسم الميت ولقبه ، وبجوار التابوت ربع الثور الذي يذبح قرباناً للميت عند دفنه وبعض قدور فيها احشاء الميت التي اخرجت عند تحنيط الجثة . وبعد الدفن يسد السرداب سداً محكماً ثم تردم البئر بالحصى والرمل المبلل بالماء لصيرورته صلباً . وكانت العادة في أيام الأعياد والمواسم أن يجتمع في رواق الميت أهله وذووه والكهنة المكلفون بأداء العبادة فيشاهدون صورة فقيدهم ثم يعددون مآثره وما آل اليه أمره .

مصروبنى هيكلاً للمعبود (پتاه) بقرب الجيزة في بلدة (الحائط الايض) المسماة بالقبطية (نِبْ هِتِنْ) ، وحوّل مجرى النيل من سفح الجبل الغربي الى مجراه الحالي ، فتكوّن لديه متسعٌ بجوار (الحائط الايض) بنى فيه مدينة منف أو منفيس التي من بقاياها الآن ميت رهينة والبدرشين . ثم بنى جسراً لوقاية المدينة من النيل يعرف الآن بجسر القشيشة. وصارت (الحائط الايض) فيما بعدُ ،قلعةً لمدينة منف . ولما مات مينا دُفن في بلدة طينه وخلفه ابنـه الملك **تيتا** فأسس في منف قصوراً ملكية واشتغل بعلم الطبّ ، وعمل مجموعة للتذاكر الطبية توجد الآن بمتحف برلين .

وقد تمكن ملوك الاسرتين الاولى والثانية (٤٧٥١ - ٤٤٤٩ ق م) من ضم القبائل المتفرقة في مصر ،وجعلها أمةً واحدة . وفي مدتهما تقدمت التجارة واستُخرِج النحاس من طورسينا (١)

الاسرة الثالثة المنفية (٤٤٤٩ — ٤٢٣٥ ق م)ـ : تقدّم

(١) شبه جزيرة واقعة في الشمال الشرقي للقطر المصري بين خليج السويس وخليج العقبة ، وفيها أعطى الله موسى الوصايا العشر .

في مدتها فنّ البناء والنقش وعملِ الآلات ، وأصبح من السهل جرّ الأثقال ، الأمر الذي عجز الخلف عنه . ومن أهم آثار هذه الأسرة الاهرام [١] التي بنيت لتكون مدافن للملوك ، وأقدمها الهرم المدرّج بسقّارة قرب البدرشين . بناهُ الملك زُوسَر الذي تولى سنة ٤٣٨٥ ق.م ، والذي وقعت في مدة حكمه مجاعةٌ دامت سبع سنوات. ثم الهرم الكذّاب بميدوم (أمام محطة الرقّة بمديرية بني سويف) ، بناه (سنِفْرو) آخر ملوك هذه الاسرة ، وهو أول من بنى السفن الحربية (الاساطيل). ومن أعمال هذه الأسرة التمثال المشهور (بأبي الهول) [٢]

(١) هرم لفظة قبطية مأخوذة إمّا من (أو ـ راما) أي جبل ، وإمّا من (هان ـ راما) أي جبال . وقد وُجد أن زاوية الميل في جميع الاهرام واحدة ، قدرها إحدى وخمسون درجةً ، وخمس وأربعون دقيقة. وقد جعل القبط هذا الميل ثابتاً لتكون أشعّة كوكب (سيتيس) ـ وهو الشعرى اليمانية ـ متعامدةً عليه من جهة الجنوب . وكانوا يعتقدون أن هذه الأشعّة النورانية تطهّر قبور الاموات داخل الأهرام

(٢) كان ابو الهول في الأصل حيواناً بجسم أسد ورأس انسان،

والمقام بقرب اهرام الجيزة .

الاسرة الرابعة المنفية (٤٢٣٥–٣٩٥١ق.م.)–: في عهدها بنيت أهرام الجيزة الثلاثة فبنى الهرم الاكبر[١] الملك **خوفوأو**

يسكن صحراء ليبيا ، حيث شاهده القبط واليونان ، ثم انقرض نسله كما انقرض نسل غيره من الحيوانات . واسمه بالقبطية (هور–ام–خوت) أي «هوروس(الشمس) في الأفق »، ولذلك كان ابو الهول يُعبد في الصباح والمساء أي عند شروق الشمس وعند غروبها ، ويشير جسم هذا التمثال الى القوّة ، ورأسه الى العقل ، ويسميه الافرنج Sphinx اسفنكس

(١) قال مريت باشا في كتابه (مرشد السياح) : « إن الأهرام تبعد عن النيل بمقدار ثمانية كيلومترات وثلثمائة متر ، وبناؤها من اغرب ما رأته العين ، وقد اختلف المؤرخون في عمرها فقال بعضهم إنه يبلغ سبعة آلاف سنة . وقال آخرون أقلّ من ذلك . وارتفاع الهرم الاكبر ٥ و١٤٦ متراً وطول ضلع قاعدته١٠ و ٢٣١ مترا » . وعلى ذلك تكون مساحة قاعدته ١٧ فداناً . وجاء بصفحة ١٠٨ من كتاب «الاطيان والضرائب في القطر المصري» – لواضعه المرحوم جرجس بك حنين الفيومي مدير الاموال المقررة بنظارة المالية المتوفى في ٩ بشنس سنة ١٦٢٧ الموافق ١٧ مايو سنة ١٩١١–ما يأتي : « والظاهر أن وحدة مقاييس الطول عند قدماء المصريين كانت الذراع . وقد

كيوبس في مدة ثلاثين سنة ، وبنى الهرمَ الثاني الملكُ خافرا ابن خوفو. أما الهرم الثالث فبنى جزءاً منه الملك من - كاو - را أو منقريوس (توجد جثته الآن في متحف لندن) وأتمت بناءه الملكة بنوكريس من الأسرة السادسة.

الاسرة الخامسة — : أصلها من جزيرة أسوان (إلفنتين)[1] (٣٩٥١ - ٣٧٠٣ ق.م.). في عهدها بنيت اهرام (أبي صير) بمديرية الجيزة. ومن ملوك هذه الاسرة الملك (را - أُسُر - آن) صهر (تي) صاحب المقبرة الشهيرة بجهة سقارة بجوار السِّرابيوم.

وجدت له جملة اقيسة تختلف باختلاف مرّ السنين ابتداءً من مباني الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة ، لان الذراع التي استعملت في بناء الهرم الاكبر تعادل ٠٫٤٦٢ متراً وان هذه الذراع تساوي جزءاً من خمسمائة جزء من طول قاعدة الهرم الاكبر البالغ قدره ٢٣٠و٩٠٢ متراً » ، الى ان قال : « وأما القصبة المصرية القديمة فقيل إنها كانت جزءاً من خمسة وسبعين جزءاً من قاعدة الهرم الاكبر الخ »

(١) امام بندر أسوان ، وبها مقياس للنيل من زمن الفراعنة كانت اخفته الأيام عن العيون الى ان اكتشفه الفرنسيون مدة الحملة سنة ١٨٠١ م ، ثم جدّده اسماعيل باشا . وحسّنه الانجليز الآن

ثم الملك **أوناس** وله هرم بالجنوب الغربي للهرم المدرَّج بسقارة وقد وجد في ورقة تورينو [(١)] بايطاليا ان **أوناس** هو آخر ملك من نسل مينا

الاسرة السادسة المنفية - (٣٧٠٣-٣٥٠٠ ق.م.) -: أشهر ملوكها **مري - را** الذي حارب النوبة [(٢)] وليبيا واستولى على طورسينا وجعل لمصر شهرة عظيمة. وخلفه ابنه **مرانسرا الأول** فاستوزر وزير ابيه المسمى **أونا**، وهذا الوزير غزا النوبة وأحضر

---

(١) ورقة تورينو هي مجموعة بردية حُملت من الفيوم الى الاسكندرية وباعها الموسيو دروفيتي قنصل فرنسا سنة ١٨٠٤م الى متحف تورينو بايطاليا . وهذه المجموعة تتضمن ترتيب ملوك مصر لغاية الأسرة الثامنة عشرة. وكتبت سنة ١٤٠٠ ق.م. في عهد رمسيس الأكبر . وما وصلت الى أيدي العلماء حتى صارت جذاذاً وأفلاذاً فضاع منها خمس قطع ، الامر الذي اضرم نار الحسرة في قلب علماء الآثار .

(٢) بلاد واقعة في جنوب مصر بين الشلال الأول والرابع، ولم تكن جزءاً من مصر في ذاك العهد . أما اسمها فمأخوذ من اللفظة القبطية ⲚⲞⲨⲂ (نوب) أي الذهب لوفرته فيها . ولما ظهر عصر المسيحية كان للقبط في النوبة ١٧ أبروشية يستدل عليها من كتاب رسامة الاساقفة.

منها أسلاباً كثيرة ، فكانت له منزلة رفيعة لدى الملك الذي حزن لفقده ومشى في جنازته . ثم الملك **نفر - كا - را** الذي أمر باستخراج المعادن من طورسينا . وقد ظلت مصر تحت حكمه مائة سنة ، حافظت فيها على رونقها ومجدها . وقام بعده **مر - اله - را** الثاني وقد وقعت ثورة بعد سنة من حكمه كان هو بين ضحاياها ، وهذه أول حادثة في العالم قُتِل فيها ملك . ثم خلفته زوجته **نِتوكريس** التي وصفها **مانيتون** «بذات الخدود الوردية » وقال إنها أشهر عصرها جمالاً ، وأعظمهم فضلاً وكمالاً . وهي أول ملكة في العالم حكمت وحدها . قال هيرودوت: «إن **نِتوكريس** لما تولت ، دبّرت مكيدة لقاتلي زوجها فصنعت سرداباً يوصل بين قاعة ، أعدت فيها وليمة فاخرة ، وبين النيل ، ثم دعت قاتلي زوجها وبينما هم في تلك القاعة ، إذ فتحت طريق السرداب من جهة النيل ، فدخل ماؤه الى القاعة وأغرق من فيها» . وهي التي أتمت بناء الهرم الثالث بالجيزة كما ذكرنا في الاسرة الرابعة . وقد أعدت لنفسها مدفناً بأعلى الحجرة التي دُفن فيها الملك **منقريوس** قبلها بخمسمائة سنة.

الأسرتان السابعة والثامنة المنفيتان والأسرتان التاسعة والعاشرة الاهناسيتان (٣٥٠٠-٣٠٦٤ق.م.)-: إن الآثار التي تدلّ على هذه الأسر الاربع هي في حكم المعدوم، لقلتها وتفاهتها، ويرجع ذلك إما لعدم اهتمام تلك الأُسر باقامة آثار لها، وإما لضعفِ أصابها، وإما لعدم الاهتداء الى الجهات التي فيها تلك الآثار. ويقول **مريت باشا**: «إن آثار تلك الاسر ربما كانت من ضواحي ميدوم واللِّشت (أمام محطة المتانية) وأهناس المدينة والأراضي التي عند مدخل الفيوم.»

قال لِپسيوس المؤرخ[1] عن الطبقة الأولى: «إنه في زمنها كثر على الآثار اسم (أوزيريس) والتوسُّل اليه، وأُتقنت صناعة التصوير، وامتازت الرسوم باعتدال القامة واستدارة الوجه وابتسامه. وكان القوم في ذلك العهد يُعنَون بالكتب، فجعلوا لها دُوراً ومراقبين، واهتموا بعمل التقاويم السنوية، فبينوا فيها وقت شروق الكواكب وغروبها لاسيما الشعرى اليمانية، التي

(١) ألمانيّ عالم بالآثار المصرية، وهو من نومبرج من أعمال بروسيا (١٨١٠ — ١٨٨٤ م).

كان ظهورها علامةً على زمن الفيضان ورأس السنة القبطية».
وبالجملة فان مدنية القبط كانت في ذلك الوقت من أرقى المدنيات.

الطبقة الثانية (٣٠٦٤-١٧٠٣ ق.م.)

الأسرة الحادية عشرة الطيبية [١] **(٣٠٦٤-٢٨٥١ ق.م.)**:-

(١) نسبة لمدينة طيبة (راجع حاشية ١ بصفحة ٤٧)، ويقال لها ايضاً ثيبة، ولا يُعلم تاريخ تأسيسها. قال مريت باشا في احد مؤلفاته: «إن اسم طيبة لم يظهر في الوجود الاّ بعد انقراض الأسرة العاشرة وعلى ذلك فلا يمكن الوقوف على شيء من أخبار طيبة قبل ذلك العهد لأن الفترة التي وقعت بين الأسرة السادسة وبين الأسرة الحادية عشرة جعلتنا نجزم بأن مصر كانت إما تحت حكم دولة اجنبية وإما غارقة في بحر الفتن الداخلية. ولما ظهرت مدينة طيبة بظهور الأسرة الحادية عشرة أخذت سلسلة التاريخ ترتبط ببعضها مرةً ثانية. ومن المستغرب ان الجثث التي وجدت مدفونة في (ذراع ابي النجا) بطيبة معظمها جثث عبيد، وتوابيتها مصنوعة باحكام على قدر جسم المقبورين فيها، وهذا النوع من التوابيت لا يوجد الآن إلاّ في المقابر القديمة ببلاد السودان. وذلك ما حملنا على القول بأن قوماً من جنوب مصر أغاروا عليها وحكموها من بعد الأسرة السادسة الى الأسرة العاشرة حيث قام المصريون فأنقذوا بلادهم وأسسوا الأسرة الحادية عشرة بمدينة

من أشهر ملوكها (منتوهتب الثالث) الذي له صورة في جزيرة الكنوز [١] وهو منتصر على أمم أجنبية يقاتلها . وله وقائع منقوشة باتقان في وادي الحمامات [٢] بمديرية قنا . وكان هذا الملك يخص بالعبادة الاله خم معبود مدينة قفط . ومن مشاهير هذه الأسرة أيضاً الملك سا-انخ-كا-را ، وهو الذي اهتم بتنظيم المواصلات التجارية بين مصر وبلاد الصومال [٣] واليمن [٤] وأرسل أحد رجاله المدعو هانو ففتح الطريق الموصلة من قفط الى القصير [٥] وأقام فيها محطات على طولها وحفر عيوناً للاستقاء فبقيت هذه الطريق الى عصر اليونان والرومان

طيبة . وقد ظلت تلك المدينة تناطح الزمان حتى خربها للمرة الأخيرة بطليموس التاسع سنة ٨٢ ق م .» (١) وتسمى ايضاً جزيرة الساحل امام جزيرة فيلي المعروفة باسم أنس الوجود. وكانتا الجزيرتين جنوبي أسوان ، وبينهما ثمانية كيلومترات . (٢) ويسمى أيضاً وادي الحمام وهو على الشاطىء الغربي للنيل، وعلى بعد ٣ ساعات من جبل السلسلة الذي بينه وبين مدينة إدفو مسافة ٤٤ كيلومتراً. (٣)هي جزء من إفريقية واقع على ساحل البحر الاحمر ومقابل لخليج عدن ومن أشهر ثغورها زيلع وبربره (٤) جزء من جنوب بلاد العرب واقع على ساحل البحر الاحمر وعاصمته صنعاء . (٥) ميناء مصري على البحر الاحمر .

تأتي منها بضائع بلاد الهند وبلاد العرب . وكان المصريون يسمون الصومال واليمن بلاد (پونت) فأخذ العرب هذا الاسم وأطلقوه على البن المعروف ، إذ كان من أهمّ صادرات تلك البلاد

ويحفظ المتحف المصري لهذه الاسرة أسلحة وآلات للصناعه وُجِدَت بجهة ذراع ابي النجا .

الاسرة الثانية عشرة الطيبية (٢٨٥١ – ٢٦٠٠ق.م.) –:

دخلت هذه الأسرة في دور جديد وعصر سعيد ، ذلك ان مصر – في عهد بعض الملوك ، قبل حكم هذه الاسرة – كانت مقسّمة بين أمرائها، فلم يكن لملك مصر غير السلطة الاسمية ، كفرنسا قبل عهد رتشليو في أوائل القرن السابع عشر . حكمت هذه الأسرة فكسرت شوكةَ الامراء وكان أول من ملك منها **آمن – ام – هت** الأول او **آمنمس** الذي انتصر على قوم واواي [١] – الذين كانوا العدو الأزرق للمصريين – وأسر المتاثيو [٢] ، وأعاد لمصر رونقها . وكان لهذا الملك ولد ذكيّ الفؤاد

(١) هم النوبيون القاطنون في جنوب جزيرة أسوان .

(٢) قوم من صحراء ليبيا

اسمهُ (أُوسُرْتُسَن الاول). فلما آنس منه رَشَداً أخذ يطلعهُ على أحوالهِ ويأتمنهُ على اسرارهِ كما يظهر ذلك من ورقة ساليه (١) البردية. وقد أشرك هذا الملك ابنَهُ في حكم المملكة مدة عشرين سنة بعد أن كان قد حكم بمفردهِ عشرين سنة مثلها. وقد نصح ابنَهُ قبل موتهِ فقال: «أيْ بُنَيَّ أصغِ إلى قولي واعلم أنهُ يلزمك - بعد أن أصبحت حاكماً على الأقاليم الثلاثة، الوجه البحريّ والوجه القبليّ والنوبة - أن تقتديَ باحسن ما قام به أسلافك وأن تحافظ على حسن النظام بين الرعية، وألاَّ تكون بمعزل عنها، معجباً بنفسك، مقتصراً على مصاحبة ذوي الشهرة والغنى دون خاملي الذكر والفقراء، مسرعاً في تقريب الوافد اليك، ناسياً ان ضميرهُ غير معلوم لديك». ولهذا الملك هرم في اللشت، ولهُ كتاب تداولتهُ المدارس القديمة لعظيم فائدته.

(١) ساليه رجل فرنسيّ عثر على اربع ورقات بردية في طيبة. تتضمن الأولى قطعة تاريخية عن آخر مناوشة ضد الهكسوس، والثانية نصائح جئنا على ذكر بعضها هنا، والثالثة قصيدة للشاعر بنتاؤر القبطي، والرابعة تقويم عن أيام السعد والنحس. وهذه الأوراق محفوظة بمتحف لندن.

الملك **أوسرتسن الاول**:- هو صاحب المسلة القائمة الآن بعين شمس البالغ ارتفاعها ٢٧ ر ٢٠ متراً ، والمكتوب على كل من جوانبها الأربعة بالقلم الهيروغليفي الألقاب الآتية : «ان هوروس ، الشمس ، حياة المولودين ، ملك الوجهين القبليّ والبحريّ ، **خبر - كا - را** ، سيّد التاج المزدوج ، حياة المولودين ، ابن الشمس ، اوسرتسن ، صديق ارواح **أون** ، الخالد ، الإله هوروس ، الذهبيّ ، المولود من الاله الكريم **خبر - كا - را** ، هو الذي صنع هذا الأثر في أول السنة الثلاثين لحكمه الخالد الى الأبد» . وكان بجانبها مسلة أخرى سقطت في أواخر القرن الثالث عشر . وقد كان امام المسلتين هيكل الشمس المشرقة المسمى (توم) . ووجدت للملك المذكور مسلة ثالثة بجوار قرية أبجيج بالفيوم أقامها تعظيماً لمعبودات ذلك الإقليم . ويُعَدّ هذا الملك من المؤسسين الأُوَل لمعبد الكَرْنَك[1]

(١) معبد الكرنك هو جزء من مدينة طيبة واقع على شاطىء النيل الأيمن وقبالته على الشاطىء الايسر المقابر المعروفة ببيبان الملوك التي تبعد عن الاقصر نحو نصف ساعة

بطيبة ، ولهُ هرم في اللشت .

وكان في عصرهِ رجل يسمى (آمني) وُلّيَ على المنيا فبنى مقبرةً في الجهة القبلية (بجوارها الآن بلدة بني حسن)ونقش على المقبره: « إنهُ توجه مع الملك (اوسرتسن) يقود الجيش لمقاتلة النوبة فتغلب عليها وعاد سالماً ظافراً ، وأنهُ عُيّن والياً على قسم (ساه) شرقيّ المنيا ، ولما جاءت السنون المجدبة ، اجتهد في زرع جميع اراضي ولايتهِ وأطعم سكانهُ وقت الجدب. وكان لا يميز في العطاء بين الأرملة والمتزوجة والكبير والصغير، وإذ ولّت أيام الجدب باقبال الفيضان أخذ كل زارع محصول أرضهِ بتمامهِ دون أن يشاركهُ (آمني) في شيء منهُ ». هذه هي الكتابة التي وجدت منقوشة على حجر نُقِلَ من وادي حلفا الى متحف فلورنسا بايطاليا .

أوسرتسن الثاني — : كانت مصر في عهدهِ محافظةً على شوكتها . ومن آثاره هرم اللاهون (بالفيوم) المقامة بجواره مقبرة التماسيح . وللملك المذكور مقبرة بالمنيا بناها لهُ **خنوم – هتب**، بجوارها الآن بلدة بنى حسن ، وعليها نقوش تدل على أحكام

الوراثة في ذلك العصر ، وعلى أن (خنوم ـ هتب) كان قريب الملك وواليًا على المنيا ، وعلى أنه أصلح هذا القسم وأحيا اسم والده نهري الذي كان واليًا قبلهُ ، وعلى أنه شيَّدَ المعابد وأقام بها التماثيل ورتب لها ما يلزم للقرابين وعيَّن لها كاهنًا أقطعَهُ الملكُ أراضيَ كثيرة فرتَّبَ للأموات الصدقاتِ في جميع الأعياد المشهورة ، واشترط أنه إن أبدل كاهنٌ هذهِ الرسومَ عُزِلَ عن الخدمة ولا ينوبُ عنهُ ابنهُ . وعلى قبر (خنوم هتب) المذكور رسومٌ دالة على كيفية الفلاحة وأعمال العسكرية وألحان الموسيقى وتربية المواشي ، وبعض قواعد الأحكام وتدبير المنزل ، وفيها صور طقوس دينية وتاريخيـة وملاحظات على الملاحة وعلم الحيوانات .

أوسرتسن الثالث ـ : كان هذا الملك صاحب عزم وحزم نال بهما شهرة عظيمة فعبدهُ الناس بعد وفاتهِ . ومن أعمالهِ أنهُ أرسل تجريدة لمقاتلة النوبيين قصد توسيع مملكتهِ . وشيد في وادي حلفاء بالقرب من الشلال الأول ، قلاعًا واستحكاماتٍ منها القلعتان المعروفتان الآن باسمي (سِمنة وقُمَّة) قاصدًا بذلك

منع دخول الأعداء إلى مصر. وأقام حجرين كحدٍ فاصلٍ بين مصر والنوبه مكتوباً على أحدهما: «هذا حدّ مصر الجنوبيّ وُضع في السنة الثالثة من حكم الملك أوسرتسن الثالث المخلّد الذكر. لا يجوز لأي أسود كان أن يتجاوز هذا الحد أثناء سفره الاّ اذا كان في سفينةٍ تُقلُّ حيوانات من بقر وغنم وحمير من قِبَل بني الأسود». وكان هذا الملك يحترم المعبودات المصرية ويشيد لها المباني الضخمة بدليل ما وُجد على الآثار ونصّه: «في اليوم الثامن عشر من شهر كيهك سنة ١٤ من حكم الملك أوسرتسن الثالث محب خِم - هر (معبود مدينة قِفط) صدر أمرٌ منهُ بصنع أثرٍ لذلك المعبود في وادي الحمامات وأثرٍ آخر لهِرسف معبود إهناس المدينة». ولهذا الملك هرم في دهشور بجنوب سقاره. وقد عرف الناس قدر ذلك الملك لاسيما بعد موتهِ حيث عدّوه حامياً لمصر، ورجلاً مقدساً. وبعد مضيّ خمسة عشر قرناً من تاريخ موته أي في عصر الأسرة الثامنة عشرة، شيدَ له **تو تمس الثالث** معبداً في سِمنة وكتب عليه ابتهالاتٍ كان القبط يتغنّون بها في ذلك الزمن.

آمِنْ - آم - هَتْ الثالث - : هو ابن الملك السالف الذكر وقد شيد العمارات الفخمة في بلاد الفيوم[١] . ولما رأى ان النيل يفيض بكثرة في بعض أيام السنة ويتناقص في البعض الآخر اهتم بخزن مائه وقت الفيضان ، في أرض منبسطة بالفيوم، أحاطها بجسر وسماها **مِيري** أي بحيرة وقد أطلق اليونان عليها اسم (موريس) . وكانت تلك البحيرة اذا طفحت وقت الفيضان يتصرف ماؤها الزائد في البحيرة الطبيعية المعروفة **ببركة قارون** . وقال هيرودوت: «إن في داخل مسطح البحيرة كانت مشيدة مدينة كروكودوپوليس أو أرسينو (مدينة الفيوم) وكان في وسط البحيرة هرمان عظيمان يعلوهما تمثالان أحدهما تمثال الملك والثاني تمثال زوجته المسماة سَبَكْ - نَفَرورا» . وقد زعم بعضهم أن القاعدتين العظيمتين الموجودتين بجهة بَيهمو (بالفيوم) ربما كانتا قاعدتي الهرمين المذكورين. وزعم غيرهم انهما آثار مَوْرَدَة لشحن وتفريغ المراكب المارّة

---

(١) سنفرد باباً خاصاً لهذه الأعمال في كتابنا « تاريخ الفيوم في عصري الوثنية والمسيحية» الذي عزمنا على وضعه قريباً ان شاء الله.

بالبحيرة حيث كانت هناك سلالم بتمثالين . وقد وُجد رسم هذه البركة في صحيفة بردية محفوظة بالمتحف المصريّ . ومن أعمال هذا الملك المدينة الشهيرة التي لغرابتها ظنها المؤرخون القدماء قصراً واحداً وسموه **لابرانت** وهي لفظة قبطية أصلها (لابور - أهونت) أي معبد فم البحيرة ، وكان يجتمع في قسم منها كبار المملكة وحكامها بأمر الملك ، ويَتداولون في شؤون الحكومة وأحوال البلاد . وقد أقام ذلك الملك بجوار هذه المدينة هرم (هوارة المقطع) ، وله مآثر مذكورة في وادي الحمامات يؤخذ منها أنه استخرج المعادن وأخصها الفيروزج من طور سينا ، وأنه قاتل الزنوج (النوبيين) وفتح بلاداً كثيرة

الملكة **سبك - نفرورا** - : زوجة الملك السالف الذكر وأخت الملك (آمن - آم - هت الرابع) ، تولّت الملك بعد أخيها بحق الوراثة كالملكة (نيتوكريس) من الأسرة السادسة وكالملكة (نَفَرْتْ - آري) من الاسرة السابعة عشرة

ومما تقدم يعلم ان مصر في عهد حكم هذه الاسرة كانت سائرة في طريق الرقيّ فانتظم فيضان النيل ، وازهرت المدارس ،

وانتشرت العلوم والصنائع ، وأُتقِن فنُّ البناء ونقشُ الأحجار ، ولذلك قال أهل التاريخ ، إن أكثر ما يوجد في الصعيد من الأعمدة الحلزونية الشكل ، منسوب الى هذه الأسرة ، ومن أبدع ما نقش في عهدها الجزء الموجود بمتحف برلين من تمثال الملك أوسرتسن الأول ، وهو مصنوع من الصوان.

الأسرة الثالثة عشرة الطيبية (٢٦٠٠ ـ ٢٣٩٨ ق.م.) :-
يطلق على معظم ملوك هذه الأسرة لقب (سَبَكْ هتِبْ) و(نُفرْ هتِبْ) . ووُجِدَتْ أسماء ملوكها مرتبةً في جدولين على ورقة تورينو ، وعِدّتهم سبعة وثمانون ملكاً . وقد كانت بينهم وبين ملوك الأسرة السابقة محبة عظيمة أدّت الى احترام الآخرين لمعبودات الأولين . وحافظت مصر في عهد هذه الأسرة على تمدينها ، كما دلت على ذلك الآثار التي وجدت في جزيرة (أرجو) بجوار دنقلة وفي جهة (صان) وبذلك يتضح أن ملوك هذه الأسرة كانت لهم السيادة على كافة الديار المصرية ، وأن الهكسوس [١]

(١) لفظة قبطية اصلها (هَكْ شاسو) أي الملوك الرعاة وسماهم

لم يدخلوا مصر في مدتهم . وقال مريت باشا عن هذه الأسرة : « إن آثارها توجد جهة الكاب[1] وجهة اسيوط » .

الأسرة الرابعة عشرة السخوية[2] (٢٣٩٨-٢٣١٤ق.م.) - : لم يعرف التاريخ شيئاً عن كثير من ملوكها ، أما آثارها ففي مديرية اسيوط . وقال ماسبرو : « إن انقراض هذه الأسرة نشأ من فتنة ضد آخر ملك لها » .

الأسرة الخامسة عشرة - طيبية وعمليقية - (٢٣١٤-٢٠٠٠ ق.م.) - : ينقسم ملوك هذه الأسرة إلى قسمين : وطنيين وتاريخهم مجهول حكموا الوجه القبلي وأخذوا طيبة قاعدةً لملكهم . وأجانب وهم العمالقة المعروفون بالهكسوس وحكموا الوجه

القبط بهذا الاسم لدناءة أصلهم . وقال مريت باشا : « ان الهكسوس كانوا أخلاطاً من أهل الشام وكنعان وكانت اكبر قبيلة تحكمهم اسمها (خيتا) او (خيتاس) واسمهم في التوراة «الحيثيون» وفي الكتب العربية « العمالقة » وكانوا يسكنون بين الشاطىء الأيسر لنهر الفرات وجبل كورين والبحر الملح » . (٢) الكاب مدينة على الشط الشرقي للنيل جنوبي مدينة اسنا ، بينهما ٢٨ كيلومتراً ، وكانت معسكراً حربياً لمنع غارة أمة الهيروشا (البشارية) . (٣) نسبة لمدينة سخا بجوار كفر الشيخ (غربية) .

البحريّ واتخذوا مدينة (أواريس) [١] قاعدةً لهم ثم جعلوا عاصمتهم مدينة صان . أما السبب الذي مهّد لهؤلاء الأجانب احتلال مصر هو شقاقٌ دبّ بين القبط في آخر حكم الأسرة الرابعة عشرة ، كان من نتائجه أن أغار الهكسوس على هذه البلاد وانتشروا في أنحائها كالجراد وأخذوا يحرقون المعابد والقُرى وينهبونها ، وعلى ذلك هاجر الأمراء الوطنيون إلى الوجه القبلي ،وحكموا هناك في مدينة طيبة، وأصبح الوجه البحريّ في قبضة الهكسوس الذين عيّنوا لهم ملكاً اسمه (سلاطيس) واتخذوا (منف) مقراً لهم . ثم قام بعد سلاطيس خمسة ملوك خافوا من الأمراء الوطنيين فاتخذوا مدينة أواريس قاعدةً لهم. وقد كان القبط يمقتون الهكسوس لفظاظتهم ويضمرون لهم العداء.

الأسرة السادسة عشرة-(عمليقية) -(٢٠٠٠-١٧٥٠ق.م.)-:
أثار ملوك هذه الأسرة حرباً عواناً على القبط فأخذوا منهم الجزء الشماليّ للوجه القبلي وأعقب ذلك وفودُ كثيرين من

(١) هي تلّ الهرّ شرقيّ بور سعيد ، أو هي هيروبوليس (بيتوم) التي مكانها الآن تلّ المسخوطة غربيّ الاسمعيلية

السوريين والعرب الى مصر . وقد أكرم الهكسوس هؤلاء الوافدين لأنهم من أبناء جنسهم، ثم جندوا منهم جيشاً ليكون لهم عوناً على القبط وجعلوا أواريس معسكراً له . وقد جلبت هذه الأسرة الخيل الى مصر [1] . ومن ملوكها را - [illegible] - نن وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد) . قال بعض المؤرخين: «إنهُ في مدة هذا الملك وفد على مصر جماعة الاسمعيليين الذين شروا يوسف الصديق من إخوتهِ وباعوه إلى رئيس شرطة مصر المسمى (إطفير أو فوطيفار) وبالقبطية (بدوفرا) أي «هبة الشمس» . وقد أتى فوطيفار هذا يوسف الى منزلهِ فبهرَ حُسْنُ يوسف زوجةَ فوطيفار فراودتْهُ عن نفسها فأبى، فتسببت في سجنهِ، وكان السجن يومئذٍ في الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (بِپي) ويعرف للآن «بسجن يوسف» . أما قصة يوسف فقد ذُكِرت مفصلةً في التوراة (تك ٣٩) ومنها يعلم أنه ساد

---

(١) ذكر ذلك بعض المؤرخين ، غير أن علماء الآثار لما وجدوا بطيبة صور خيل تجرّ عربات خاصة بالأهالي استنتجوا أن الخيل كانت بمصر قبل ذلك التاريخ ولكنها لم تستخدم في الحروب .

مصر بأمر فرعون ،وفي مدة رياسته وفد عليه أبوه (يعقوب)[١] وإخوته فأقاموا اربعمائة وثلاثين سنة بأرض جاسان أو غسان

وقال بروكش باشا :- « وُجدت آثار بقرب الكاب من عمل رجل قبطي - اسمه پي ولقبه أبانا وكان معاصراً ليوسف - مكتوب عليها ما يأتي : « كنت متيقظاً وقت الزراعة في السنين المخصبة ، ولما حصل القحط مدة طويلة من السنين ، كنت أعطي القمح لأهل المدينة في كل مجاعة» . وقد ذكر بروكش باشا هذا القول دليلاً على حصول الجدب في مصر بعد انتهاء سني الخصب . ويقول بعض المؤرخين إن مجيء بني اسرائيل من أرض كنعان الى مصر كان بعد طرد الهكسوس منها ، أي في مدة الأسرة الثامنة عشرة الوطنية ، حيث أقام يوسف بمدينة مَنف وتسلّط على سائر البلاد في أيام الملك نونميس الذي تولّى بعد طرد الهكسوس . ويدل على صحّة هذا القول ما جاء في

---

(١) لقّب الله يعقوبَ باسرائيلَ ، ولذلك يطلق على ذريته اسم « بنى اسرائيل » ، وكان عددهم عند دخولهم مصر سبعين نفساً ، وعند خروجهم منها ستمائة الف عدا النساء والأولاد .

التوراة على لسان يوسف لإخوته عند حضورهم إليه بمصر حيث قال : « فإن دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم، فقولوا عبيدك أهلُ مواش ـ منذ صبانا إلى الآن ـ نحن وآباؤنا جميعاً ، لكي يسكنكم في أرض جاسان . لان كل راعي غنم رجسٌ عند المصريين » (تك ٤٦ : ٣٣ـ٣٤) وقد انقرضت هذه الأسر العمليقية بسبب الحرب التي أثارتها المناقشات الدينية بين ملوكها وبين الوطنيين من أمراء الوجه القبليّ ، فكانت النتيجة أن استردّ المصريون السلطة في الوجه القبلي وجلس تا ـ آ الاول على سرير الملك ، وأسس في الصعيد الأسرة السابعة عشرة .

الأسرة السابعة عشرة ـ طيبية وعمليقية ـ (١٧٥٠ـ١٧٠٣ ق.م.) ـ : كانت مصر في عهد هذه الأسرة تحت حكم حكومتين : وطنية وقاعدتها طيبة ، وعمليقية وقاعدتها أواريس . ولما تولى الملك تا ـ آ أشهر الحرب على الهكسوس ، وبمساعدة الأمراء له طرد الهكسوس تدريجاً ، وقام خلفاؤه بعده فأصلوهم ناراً حامية طلباً لاستقلال مصر بحيث لم يبقَ للمحتلين الا معسكرهم الحصين في أواريس . وأخيراً تغلّب عليهم (أهمس) الأول

وطردهم نهائياً ، فلم يبق الاّ النذرُ اليسير منهم، ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطئ بحيرة المنزلة محترفةً صيد السمك وقنص الطيور (راجع صفحة ٤٢). وهكذا انتهت الطبقة الثانية على أحسن نتيجة هي استقلال القبط بمُلكهم.

الطبقة الثالثة أو الامبراطورية (١٧٠٣–٣٣٢ ق. م.)

الأُسرة الثامنة عشرة الطيبية (١٧٠٣–١٤٦٢ق.م.):–
ظهرت هذه الأُسرة بمظهر القوة والعظمة فانفردت بالسلطة، وكان لها من السطوة ما جعل عهدها يفخر على كل العصور السابقة، حيث اتسعت مصر وزادت ثروتها وسمّيت امبراطورية فكانت أولَ أمبراطوريةٍ عُرِفت في العالم. وأول براطرتها **آه - مس** (اهميس)، ويسمى أيضاً **أمازيس**، وهو الذي قام بجيشهِ وحاصر قلعة أواريس برّاً وبحراً (كما ذكرنا) ففتحها وطرد الهكسوس مقتفياً أثرهم الى نهر الفرات بأرض الجزيرة (ما بين النهرين)، فخلص مصر منهم بعد أن جرّعوها كأس العذاب مدة خمسمائة سنة. ثم أصلح هذا الامبراطور المعابد المتداعية للسقوط، واستخدم أسرى الهكسوس في نقل

الأحجار من (طرا)، وأصلح معبد (بتاه) بمنف ومعبد (آمون) بالكرنك، وهدم قلعة أواريس، وهجر مدينة صان، وقد وجدت جثته بكنز الدير البحري[1].

(١) معبد الدير البحري هو جزء من مدينة طيبة واقع على الشاطىء الغربي للنيل، بنته الملكة هاتاسو من الأسرة الثامنة عشرة. وفي جنوب الدير البحري وُجد الكنز الثمين الذي عثر عليه محمد أحمد عبد الرسول من أهالي القُرنة. وكان هذا الكنز محتوياً على آثار ثمينة، سلب بعضها محمد أحمد المذكور وأفراد أسرته وباعوه الى السياح. ولما كانت تلك الآثار غايةً في العظم طارصيت الكنز الى أوربا، فسمع به هناك الموسيو ماسبرو مدير المتحف المصري فحضر الى مصر واخبر داود باشا مدير قنا يومئذٍ بالأمر، فأحضر هذا محمداً وشركاءه وسجنهم مدة شهرين، ولما انكروا ما نسب اليهم أطلق سراحهم. وأخيراً وقع نزاع بين السارقين بسبب هذه الكنوز، فخاف محمد أحمد على نفسه وأرسل تلغرافاً الى مصلحة الآثار في شهر يوليه سنة ١٨٨١م ينبئها بجلية الخبر، وعلى ذلك قام بروكش باشا وأحمد بك كمال مفتش الآثار ورجال المديرية لمعاينة الكنز، ومن ثم باشرت مصلحة الآثار الحفر مدة أسبوعين فوجدت توابيت وموميات (جثثاً) من الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بينها جثة رمسيس الأكبر، ثم من الأسرة العشرين والحادية والعشرين. وقد نقلت تلك الآثار الثمينة الى المتحف المصري. قال ماسبرو: «إن الذي نقل هؤلاء الملوك

الامبراطور (تهوتمس) أو (توتميس) الأول أي ابن توت. كان مقداماً شجاعاً تغلّب على بلاد النوبة واتيوبيا [١] - وكانت تلك البلاد تصدّر لمصر الحيوانات والحبوب والجلود والعاج والأخشاب والمعادن لاسيما الذهب - ثم غزا توتميس العمالقة (الهكسوس) بفلسطين وأرض كنعان ووصل الى نهر

من مقابرهم الأصلية بيبان الملوك الى الدير البحري هو ، إما بنيوتم من الاسرة الحادية والعشرين وإما (آيوث) ابن الملك ششنق سنة ٩٦٩ ق.م ، وذلك خوفاً من أن يسطو اللصوص عليهم » .

(١) إتيوبيا (أي الوجوه المحترقة) وتسمى بالعبرية (كوش): هي جنوب النوبة وتمتد من الشلال الرابع الى السادس. وكانت قبلاً ولايةً خاضعةً لمصر . ثم إن الكهنة المصريين الذين استحوذوا على العرش المصري في أواخر الأسرة العشرين،أسسوا في إتيوبيا حكومة جعلوا عاصمتها مدينة (نباطه) او (نباتا) بجوار جبل بركل ، وهي مدينة على بعد ١٧٠ ميلاً من دنقلة،ومحلها الآن مروي وابودومة، ومن هؤلاء الكهنة تناسلت ملوك إتيوبيا الذين منهم (بيانخي) حيث استولى على مصرهو وذريته حتى الأسرة الخامسة والعشرين،ومن ثم استقلت إتيوبيافي حكم بسامتيك الاول من الاسرة السادسة والعشرين. وليلاحظ ان إتيوبيا والنوبة هما الآن ، السودان الانجليزي المصري، وان إتيوبيا هي خلاف الحبشة الحالية والفرق بينهما ظاهر على الخريطة .

الفرات . ولهذا الملك عمارات كثيرة ومسلة توجد في معبد آمون بالكرنك .

الملكة **هاتاسو** : هي ابنة توتميس الأول . أقيمت وصية على أخيها القاصر توتميس الثالث فتولت الحكم وشرعت في تشييد الهياكل وتعيين القرابين والصدقات لها ، وكانت تحكم بلاد الشام والنوبة بيد قوية . وشادت مراكب حربية وارسلتها الى البحر الاحمر للاستيلاء على بلاد پونت (اليمن والصومال) ، فسلم أهلها بدون قتال . ثم أسست معبد الدير البحري في مدينة طيبة سنة ١٦٦٠ ق.م . وكتبت على جدرانه قصة غزوتها لبلاد الپونت ، ومن أعمالها أيضاً أنها أنشأت معامل لصنع الزجاج وأقامت مسلتين بمعبد الكرنك ، ولم تزل واحدة منهما الى الآن مكتوب عليها : « إن الملكة **هاتاسو** أقامتها لتخليد ذكر والدها توتميس الأول » . ولما بلغ أخوها سن الرُشد أشركته معها في الحكم وقد ماتت بعد أن حكمت معه مدة ٢١ سنة .

الأمبراطور توتميس الثالث : هو من أعظم ملوك مصر ، وقد امتنع في مبدأ حكمه أهل الشام عن دفع الجزية ، وخرج

عليهِ أغلب سكّان آسيا فهزمهم شرّ هزيمة ، وفتح الشام، ووصل الى (نينوى) [١] بلاد الجزيره ، وقهر بلاد النوبة ، ونقش انتصاراته على جدارن هيكل الكرنك وعلى حجرٍ محفوظٍ بالمتحف المصريّ وفيهِ صورتهُ أيضاً ، وشيَّد أُسطولاً عظيماً كانت لهُ السيادة على الجزء الشرقيّ من البحر الأبيض ،وفتح بمساعدة هـذا الأُسطول جزيرة قُبرُص والأناضول (آسيا الصغرى) ، فاتّسع نطاق التجارة وعاش القبط في عهدهِ عيشاً رَغَدًا . وقد أقام الأمبراطور مسلّتين في عين شمس أحضرتهما الملكة كليوبطره سنة ٤٤ ق . م . الى الأسكندرية فسميتا باسمها [٢] . وقد كان أكبر وزرائه رِكمارا من كبار السياسيين

---

(١) نينوى مدينة قديمة كانت عاصمة الآشوريين وواقعة على الشاطئ الأيسر لنهر دِجلة ببلاد الجزيرة. أمامها الآن مدينة الموصل. وقد أسس نينوى الملك مينوس زوج الملكة سميراميس ـ صاحبة حدائق بابل المعلقة ـ وذلك في سنة ٢٠٠٠ ق.م.

(٢) احداهما الآن منصوبة على شاطئ نهر التاميز بلندن بقرب سراي البرلمان (مجلس النواب) . وقد رأيت في أسفل هذه المسلة ـ وأنا بلندن ـ لوحةً فيها ماتعريبه : « أهدى هذه المسلة محمد علي

وصورته في القُرنة من أحسن النقوش . ومات توتميس الثالث في آخر برمهات سنة ٤٤ من حكمه بعد أن شجع العلوم والمعارف وانشأ معامل الزجاج والفخار، وقد كان عصره من أعظم العصور التي تفتخر بها مصر، وجثته محفوظة بالمتحف المصري .

الامبراطور (آمن-هتِبْ) او (امِنوفيس الثالث) — : لما صعد على سرير الملك كانت مملكتهُ تمتد من أعالي الفرات الى الشلال الرابع ، ولشهرته في الأقطار الأوربية سماه اليونان (ممنون) . وفي عصرهِ اشتدت الفتن في الشام فأطفأها لانه كان ذا وقارٍ ومهابة ، يُحْسِنُ التدبير والسياسة ، ماهراً في صيد

سنة ١٨١٩ إلى الأمة الانجليزية تذكاراً للجنرال نلسون وأبير كرامبي وقد أحضرت من طريق الاسكندرية في أسطوانة من حديد . فلما كانت في خليج بسكاي بشواطىء أسبانيا (بلاد الاندلس) ، ثارت زوبعة فألقت بها في البحر ثم أخرجت بعد ذلك وأقيمت هنا في السنة الثانية والاربعين من حكم الملكة فيكتوريا أي سنة ١٨٧٨م . وهذه المسلة يرجع تاريخها الى حكم الملك توتميس الثالث، وكانت في عين شمس ثم احضرتها الملكة كليوبطرة الى الاسكندرية» . أما المسلة الأخرى فقد أهداها إسمعيل باشا الخديو سنة ١٨٧٧م الى مدينة نيويورك بأمريكا.

الاسُود. ويُعرف ذلك من النقوش المرسومة في هيكل الاقصر وفي صخور بالقرب من جزيرة فيلي أو فيليا.[٢] ولهذا الملك آثار عظيمة منها: هيكل للمعبودة (مُوت) زوجة آمون معبود طيبة، وهيكل في الجهة الغربية من الكرنك للمعبود آمون. وأنشأ أيضاً على شاطئ النيل الأيسر تجاه الأقصر معبداً كان بمعرفة المهندس الشهير امنهوتب، وكان هذا المعبد من أعظم الآثار المصرية. ولم يبقَ منه الآن إلاّ التمثالان الكبيران الموضوعان على يمين ويسار الداخل إلى المعبد، يمثّل كلٌّ منهما صورة الملك، ويُعرفان (بشامة وطامة) ، ويُعرف التمثال الموجود في الجهة البحرية

(٢) جنوبيَّ اسوان وبينهما ثمانية كيلومترات، وتعرف عند العوام باسم « أنس الوجود »، وبها الهيكل الشهير بقصر انس الوجود وهو من بناء البطالسة . ولم تشتهر هذه الجزيرة الاّ في أيام الملك نقطانب الثاني آخر ملوك القبط، ثم بنى فيها اليونان ثم الرومان معابد كثيرة تمسك باحترامها اهل تلك الجهة ولم تؤثر فيهم أوامر تاودوسيوس الكبير القاضية بتحريم عبادة الاوثان سنة ٣٨١ م، وظلوا على عبادة أوزيريس وزوجته إيزيس ستين سنة ولم يتنصروا إلاّ في سنة ٤٥٣م في حكم القيصر (مرسيان) مرقيانوس .

عند الافرنج باسم (ممنون) ، ولهُ عند الرومان حكاية غريبة نذكرها هنا على سبيل الفائدة :

في سنة ٢٧ ق.م. حصل زلزال شديد سقط بسببه تمثال ممنون عن قاعدته ، وقد لوحظ أنه عند طلوع الشمس يُسمعُ للقاعدة المذكورة صوتٌ طويل ممتدّ ، فكان ذلك موضوع عجب السيّاح من يونان (١) ورومان وفي سنة ١٣١م. زار مصر

---

(١) زعم اليونان ان هذا الصوت هو صوت تحيّة (ممنون) لأمه (أورور) أي الفجر . وورد في « دائرة المعارف » بهذا الصدد : « أن ممنون ، أبوه نيشون ملك مصر وأتيوبيا ، وأمه أورور ، وقد كان سبب موته أن أباه أرسله الى (ترواده) لا نقاذها من يد اليونان فانتصر عليهم ، غير أن (أخلاوس) أحد قواد اليونان قتله فكانت أمه تنوح عليه في كل صباح . أما التمثال المعروف بهذا الاسم فهو للملك (آمنوفيس) الثالث في مدينة طيبة ومتى سقط الندى على القاعدة وقت الصباح سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس» وأما مدينة (ترواده) . فكانت في الشمال الغربي من أسيا الصغرى خرّبها اليونان سنة ١١٨٠ ق م بعد حصار دام عشر سنوات وتجد ذكرها في قصيدة (الياذه هوميروس) التي نظمها هومير الشاعر اليوناني الشهير الذي لم يعرف تاريخ عصره .

الامبراطور الروماني (ادربانه) او ادريانوس وزوجته (سابين) فقصدا الصعيد ليسمعا صوت هذا التمثال وقد أخذتهما الدهشة والشفقة لما شاهداه ، فأمرا بوضع الجزء الملقى عن القاعدة في مكانهِ ولما امتلأت فوارغهُ بالمونة انقطع ذلك الصوت. واتضح فيما بعد أن الحجر كان مركباً من أخلاط كثيرة ومتى حصل تغيّر فجائي في الجوّ بظهور الشمس حدث من الندى والهواء اللذين يتخللان مسامّهُ صوتٌ رنّان. «واذا ظهر السبب بطَل العَجَب».

الامبراطور (آمن-حتِبْ) أو (آمِنوفيس) الرابع -: ١٤٠٢ - ١٣٨٥

كان هذا الامبراطور قبل تولّيهِ المُلك عابداً للشمس وكاهناً لها ، فلما تولّى ، حَمَلَ الناس على عبادتها ورفض غيرها من سائر المعبودات، وسمى نفسه (خوت-إن-أَتِن) أي نور قرص الشمس، وصار يمحو اسماء أجدادهِ المذكورة مع اسم المعبود (آمون) لبغضهِ لهُ . وقد سرى اليهِ هذا المعتقد من أمّهِ (تاهي) التي كانت تقدس الشمس، وأمر هذا الملك بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنه قرب المنيا على الشاطئ الشرقيّ للنيل . وقد جعلها تختاً للحكومة بدلاً من مدينة طيبة التي فيها

المعبود آمون ، ونقل الى مدينته الجديدة تمثال قرص الشمس في معبدٍ بناهُ لها وصارت الديانة الشمسية شعار آلهُ ولمشايعيهِ ، ومع ذلك كان محافظاً على بلاده جرياً على عادة أجداده . ومن آثاره هيكلٌ ومسلةٌ بطيبة، وقد مات عن غير وارثٍ فتولى بعده خمسة ملوك ، قامت في مدتهم فتن عظيمة في انحاء القطر بسبب تغيير الديانة وتعدد احزابها ، وأخيراً قام الاهالي ودكّوا هيكل الشمس وخرّبوا المدينة الجديدة ، وأحرقوا جثة الملك فضعف القبط وتضعضعت حالهم لكثرة المنازعات بينهم ، وعلى ذلك طمعت فيهم الأمم الأخرى وخرج من طاعتهم أهلُ آسيا وسوريا وانضموا الى الخيتاس .

الأسرة التاسعة عشرة الطيبية (١٤٦٢–١٢٨٨ق. م.) :- اجتهد ملوك هذه الأسرة في إخضاع إمارات آسيا ، حتى أنهُ لما تولى الأمبراطور **سيتي الاول** [١] ابن الملك رمسيس الاول [٢] ، خفَّ الى الأعمال النافعة، وعزّز جانب المملكة المصرية، مقتدياً بجده تونميس الثالث ، فهجم على سكان آسيا الغربية ، وتوجه

(١) ولقبهُ منفطا (٢) معناه ابن الشمس

بجيشه الى فلسطين وحارب الخيتاس فتغلّب عليهم، ولكنهم استمرّوا على المكابرة والعناد حتى ارتبط معهم بمعاهدة. وقد شيّد جزءاً كبيراً من معبد الكرنك اسمه «إيوان المائة العمود» كما شيّد هيكلاً في العرابة المدفونة، وهو الذي رسم لأول مرة الخرائط الجغرافية (١)، ووصل نهر النيل بالبحر الأحمر، بواسطة ترعة حفرها من تلّ بسطة (الزقازيق) متجهةً نحو الشرق في وادي الطميلات (رأس الوادي) الى ان تصبّ في البحيرات المرّة، وفتح طريقاً للقوافل، من قرية ردَاسية (بإقليم اسنا) الى معبد الذهب الموجود بجبل أتوكي، وحفر هناك عيناً يتفجّر منها الماء كما هو منقوش على صخور رداسية في ٢٠ ابيب من السنة الـ٩ لحكمه. ولهذا الامبراطور قبرٌ في بيبان الملوك يقرّ الناظر، أما جثته فمحفوظة بالمتحف المصريّ.

(١) منها خريطة على ورقة بردية ـ اكتشفها بَلزُوني في بلاد النوبة سنة ١٨١٦م ـ وعليها مرسومة أراضي «كوش» (النوبة وإتيوبيا) الواقعة على البحر الأحمر، مع بيان مواقع معادن الذهب هناك. وهذه الخريطة محفوظة بمتحف تورينو، وهي أقدم خريطة في العالم. وقد تألفت شركة انجليزية في أيامنا هذه لاستخراج الذهب من المعادن المبينة في تلك الخريطة.

الأمبراطور **رمسيس الاكبر** وهو **رمسيس الثاني** ويسميه اليونان **سيزوستريس** (١٤٠٥-١٣٣٩ق م) -: كان أكبر ملوك القبط بل ملوك الأرض سطوةً وجاهاً وأعظمهم قوةً وبأساً. ترعرع في حياة أبيه **سيتي الاول** وتربّى في حَجْر الشجاعة والحماسة والسياسة . وضعهُ ابوهُ وهو في سنّ الطفولة على



تتويج رمسيس الأكبر

على يمين هذه الصورة المعبود هوروس ، وعلى يسارها المعبود ست* وهما يضمان التاج المزدوج (تاج الوجهين القبلي* والبحري*) فوق رأس رمسيس قابضاً بيده اليسرى على سوط القوة لقهر الاعداء

حَجَره فأدّى لهُ الشعب التحية والإكرام. وكان أبوه يُوجده معهُ في الحَفَلات الرسمية يعلو هامتهُ تاجٌ صغيرٌ من الذهب. ولما قصد صحراء ليبيا في احدى غزواتهِ استصحبهُ وهو في العاشرة من عمره ....

تولى **رمسيس الاكبر** فتمرَّد عليهِ سكان شمال سوريا [1] ١٢٠٠ - ١٢٤٤ فهزمهم في أرض الآموريين ونقش حوادث انتصاراتهِ في مسلّة منصوبة على شاطىء «نهر الكلب» شماليّ (بيروت). وقد عصاهُ أيضاً قبائل الخيتاس وكاتي وكَرْكَميش التي يخترقها نهر الفُرات، فتحزّبوا ضدّه وزحفوا حتى وصلوا الى وادي الأُرُونط (نهر العاصي) المارّ بمدينة حَماه وأنطاكية، فبرز رمسيس لمحاربتهم بالقرب من قادش [2] واذ ضلَّ وجيوشهُ الطريق شعر بالخطر الذي حدَّق بهِ فعقد مجلساً من قوّادهِ وما لبثوا

(١) هم قبائل الأراميين أو السوريين القاطنين فيما بين جبال لبنان ونهر الفرات، وأشهر هذه القبائل قبيلة الخيتاس، وأعظم مدنها كركميش ودمشق وحمص. ولم يتكوّن من هذه القبائل مملكة قطّ، وقد كانت عُرضةً لهجمات القبط والاشوريين والبابليين والفرس (٢) في برية حمص شماليّ دمشق على بعد ١٣٦ كيلومتراً، ويعرف موضعها الآن ببحيرة قادش.

أن هجم عليهم الأعداء فلاذ معظم جيشه بالفرار وبقي رمسيس منفرداً ، فانقضَّ بعربته على المتحزّبين - بعد أن تضرّع الى المعبود آمون - وخاض غمار القتال على مرأى من أتباعه ، فأحاط به ألفان وخمسمائة عربة ، وفي كل عربة ثلاثة محاربين ، فهزمهم شرَّ هزيمة ، فاضطربت قلوبهم وعميت بصيرتهم فكان كلٌّ منهم يفني صاحبهُ بالمهاجمة والمصادمة ، وهكذا خرج رمسيس من وقعة قادش [1] أو وقعة الخيتاس رافعاً راية الغلبة والنصر . ثم جمع جيوشهُ ووبخهم قائلاً : « لقد احتدم عليكم قلبي واشتدَّ غضبي . هل بينكم من أدّى مافرَض عليه الوطن وحَمى الحمى والسكن ؟! إنهُ لو لم يقف مولاكم هذا الموقف الرهيب ، لادركم الموت وحلّ بالوطن البلاء » . وبعد قتال وحروب دموية دامت ١٦ سنة بين رمسيس والخيتاس ، سألوه الصلح وعقدوا بينهم معاهدةً في ١٣ طوبة من السنة الـ ٣٤ لحكمه . ثم سار رمسيس بجيشهِ الى بلاد إثيوبيا وفتحها وحمل منها شيئاً

(١) واقعة قادش مرسومة على باب معبد الكرنك والاقصر وايدوس وابسمبل وبيت الوالي (في النوبة)

كثيراً من الذهب والعاج وريش النعام. ثم شيّد أسطولاً لحفظ سيادة مصر السياسية في الشرق ونشر تجارتها في سائر الأنحاء. وكان لذلك الأسطول السيطرة على البحر الأبيض والبحر الأحمر وبحر الهند وجزائره، حتى أن أهالي أفريقية كانوا يؤدون الجزية لمصر من الذهب وخشب الأبنوس وسنّ الفيل وسنّ فرس البحر وجلده والحيوانات النادرة الوجود، وكذلك بلاد العرب فانها كانت تؤدي لها الذهب والفضة والحديد والنُّحاس والمرّ والبَخور، ومثلها بلاد الهند فانها كانت تبعث اليها بالحجارة الكريمة والموادّ المعدنية والأقمشة الثمينة. وبعد ذلك شرع رمسيس في إقامة المباني والآثار بكل مدينة، فبنى هيكل الرّمسيوم بطيبة وهيكل أُبْسُمبل (بالقرب من كُرُوسكو) ومعبد الكرنك والاقصر وأبيدوس ومنف وتلّ بسطة، ونصب مسلّتي الأقصر [1]، وشجع العلوم والفنون

(١) اخذت فرنسا احداهما بأمر محمد علي سنة ١٨٣١ م وأقامتها في ميدان «الكُونكُورد» بباريس، أما الثانية فلم تزل للآن على باب معبد الأقصر، ترى مرسومةً عليها صورة رمسيس جاثياً امام المعبود آمون.

والزراعة حتى بلغت مصر في الحضارة شأواً لم تكن لتراه من قبل[١]، وقد جعل بعد ذلك إقامته في مدينة تانيس (صان)، وسخر بني اسراءيل في بناء مدينتي رمسيس (رعمسيس) وپيتوم (هيروپوليس) بأرض جاسان، وأمر بأن تقاس أراضي القطر فقيست بالسهم والقيراط والفدان. وكان له جدول[٢] فيه أسماء المشهورين من أجداده ملوك القبط، ومجموعة بردية[٣] كتاريخ للممالك التي فتحها وبلغت اثنتي عشرة مملكة، وقد نظم (پنتاؤر) الشاعر القبطي الشهير قصيدة منقوشة على معبد الكرنك وعلى غيره من المعابد الشهيرة امتدحه بها لتشجيعه العلوم ومحبته لأبيه. وكان رمسيس بطلاً مهيباً تقياً ورعاً. مات بعد ان حكم ٦٧ سنة ودفن في بيبان الملوك وخلفه (منفطا) وهو الثالث عشر بين أبنائه. وقد وجدت جثة رمسيس الأكبر بكنز الدير البحري (راجع صفحة ١٨٤) تلوح عليها الهيبة والوقار، بعد أن اعتدت عليها أيدي

(١) قال بعض المؤرخين إن أخا رمسيس الأكبر المسمى (داناؤس) هاجر الى بلاد اليونان ونقل اليها المدنية القبطية. (٢) نقل هذا الجدول من العرابة المدفونة (ايدوس) الى متحف لندن. (٣) محفوظة بفرنسا.

اللصوص فسلبتها تاجها وصولجانها، وبعد أن ظلّت محجوبةً نحو ثلاثة آلاف سنة ومائتي سنة. ظهرت جثة ذلك الملك العظيم لتعيد لنا ذكرى عظمة أجدادنا القبط . وهي الآن بالمتحف المصريّ تندب حظّ بنيها وتئنّ لِما آلت اليه حالهم من ضَعفٍ وانحطاط ...

الامبراطور (**مر-إن-پتاه**) ومعناه محبوب پتاه ، ويسمى أيضاً (منفطا الأوّل) وهو لقب جدّهِ (**سيتى الاول**) [١].

تولّى **منفطا** ولهُ من العمر ستون سنة وفي أيامهِ أغار الليبيون على مصر من جهة الغرب ، والحيتاس من جهة الشرق ، قاصدين فتح الوجه البحريّ ، فأقام **منفطا** الاستحكامات على ضَفة فرع رشيد ، وأرسل طائفةً من جيشهِ الى مواقع العدوّ ، وبينما هو كذلك اذ رأى في المنام معبوده (پتاه) يقلّدهُ سيفاً ويأمره بأن يبرز الى ميدان القتال بنفسه ، فامتثل وكسر الأعداء في حرب حميّ وطيسها ، وقصة هذه الوقعة تُرى منقوشةً على معبد الكرنك . ولهذا الملك عمارات وآثار بطيبة ومنف تدلّ على علوّ همته وسموّ مكانته ، وله مقبرةٌ ببيبان الملوك ، وقد

(١) ما زال القبط يطلقون أسماء الأجداد على الأحفاد حتى اليوم.

عثر على جثته[١] المستر لورث سنة ١٨٩٩م. في قبر أَمنهوتپ الثاني بطيبة ، وأحضرها الى المتحف المصريّ. قال بعض المؤرخين إن خروج بني اسرائيل من مصر على يد موسى النبيّ كان في حكم (منفطا الأول) وقال غيرهم بل كان ذلك في حكم ابنه (سيتي الثاني) .

خروج بني اسرائيل من مصر - : كان من عادة الفراعنة استخدام الأسرى في تشييد العمارات والآثار . ولما كان بمصر عدد كبير من أسرى بنى اسرائيل الذين فضّلوا الاقامة فيها بعد موت

(١) لما نزعت الاكفان عن هذه الجثة سنة ١٩٠٧م. وُجد مكتوباً على صدرها : «هنا بقايا منفطا ملك مصر العليا والسفلى». ومما يؤيد ذلك أن طريقة تحنيطها هي نفس الطريقة التي اتبعت في تحنيط جثتي رمسيس الأكبر أبيه وسيتي الأول جدّه . ولما فحصت جثة منفطا دلّت شرايينه وأضلاعه على أنه مصاب باضطراب في الأعصاب وألم في الأسنان فضلاً عن داء النِقرِس (وجع المفاصل) . وهذا ما جعله قاسياً وأدّى به الى التقلب مراراً ضد موسى وقومه ، ولا يمنع ذلك من أن يكون الله قد زاده قسوةً على قسوته ليُعرَف الرب في مصر . وليس في التوراة ما يدلّ صراحةً على ان منفطا هذا مات غرقاً في بحر سُوف (بحر القُلزُم أو البحر الأحمر)

يوسف واخوته ، سخرهم رمسيس الأكبر في عماراته ومبانيه خوفاً من نموهم وكثرتهم، وقد كانوا رغماً عن ذلك في ازدياد مستمر، ولما خشي رمسيس عاقبة زيادتهم المطردة، أمر بطرح الذكور من أولادهم في النيل ، واتفق في ذلك الحين أن تزوج رجل منهم - ينسب الى بيت (لاوي)- بابنة من هذا البيت ، فوضعت مولوداً ذكراً وخبأته ثلاثة أشهر ، وإذ خافت أن يفتضح أمرها أخذت سفطاً (سلة) من البردي وطلته بالقار (الزفت) والحمرة، ووضعت فيه الصبي وألقته بين الحلفاء النابتة على حافة النيل، وكان ذلك في مدينة تانيس (صان) في نفس المكان الذي اعتادت الأميرة (ماريس)- ابنة رمسيس الأكبر- ان تستحم فيه. وقد أوقفت أم الصبي أخته على بعد لترى ما يحل به، واذا بابنة فرعون أقبلت في جواريها فوجدن الطفل يبكي، فقالت الأميرة بالقبطية ما تعريبه: «هذا من أولاد العبرانيين» فمثلت أخته بين يديها وقالت: «هل تسمح سيدتي الأميرة بان آتيها بمرضع؟» فأجابتها الى سؤلها ، فذهبت وعادت بأم الصبي، فدفعته الاميرة اليها- وهي لا تعلم من أمرها شيئاً- وقالت: «أرضعيه ولك أجرتك» فأخذته قريرة العين فشب في حضنها، ولما ترعرع تبنته الأميرة وسمته (موسى) ومعناه: «المنتشل من الماء». ولما كبر موسى خرج الى اخوته العبرانيين ليرى ما هم عليه، فرأى قبطياً يضرب أحدهم ، فالتفت ذات اليمين وذات اليسار فلم يجد أحداً حوله فانقض على القبطي وقتله، وما لبث أن بلغ الأمر آذان فرعون

(رمسيس الاكبر)فأمر بقتل موسى،فخاف هذا وفرّ هارباًمن مدينة رمسيس الى أرض(مَدْيَن) بالشام حيث تزوّج(صفّورة)بنت(رعوئيل) وله من العمر يومئذٍ أربعون سنة.ثم أمره الله بالعودة الى مصر وإخراج شعبه منها ففعل وأخرجهم على الصورة الواردة في سفر الخروج(ص١٢ و١٣و١٤) وكان خروجهم[1] ليلاً من مدينة رمسيس(رعمسيس)الى سُكّوت[2] ثم عبروا البحر الأحمر من جنوب السويس الى برية سيناوكان عددهم اذ ذاك ستمائة الف رجل عدا الأولاد والنساء. ولقد أجاد من قال: «إن خروج بني اسرائيل من مصر كان رمزاً الى خلاص المسيحيين من عبودية الخطية، ونقلهم من أرض الشقاء الى أرض النعيم أورشليم السموية»

مملكة بني اسرائيل في ارض كنعان ـ : ولما سخطَ الله على شعب اسرائيل ضلّوا في البرية أربعين سنة . ثم أمرهم أن يعبروا نهر الأردنّ ويدخلوا الأرض الموعودة وهي أرض كنعان جنوبيّ سوريا . ولما كانت هذه الأرض مأهولةً اذ ذاك بسبع قبائل[3] أشهرها الحيثيون

---

(١) قال بعض المؤرخين ان الخروج كان سنة ١٣١٧ ق.م وقال آخرون انه كان سنة ١٣٢٥ ق.م (٢) سكوت (ثوكوت) واقعة بالقرب من المحل القديم المسمى(سرابيوم)جنوبيّ الاسمعيلية(٣) كان جنوب سوريا منقسماً الى قسمين: القسم الغربيّ، وهو واقع على الساحل وممتد بين غزّة وجبل الكرمل ويعرف بأرض فلسطين(وكان الفلسطينيون سكان هذه الارض قوماً من شواطىء كريت وآسيا طردهم رمسيس الثالث من مصر لاغارتهم عليها).والقسم الشرقيّ،وهو واقع حول نهر

والكنعانيون والفرزيون واليبوسيون، قال الرب لاسرائيل: «ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب به لآبائك ابرهيم واسحق ويعقوب. فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب غليظ الرقبة» (تث ٩: ٥-٦). ثم دخل بنو اسرائيل أرض كنعان وانتشروا على نهر الأردن واقتسموا الأرض بينهم اثني عشر قسماً، لكل سبط قسم [١]. فحكمهم القضاة أولاً، ثم انضم الاسباط بعضهم الى بعض وكونوا مملكة اسرائيل وأقاموا (شاؤل) ملكاً عليهم سنة ١١٠٠ ق.م. ثم خلفه داود بن يسى سنة ١٠٥٦ ق.م فجعل أورشليم [٢] عاصمة لملكه وأخضع فلسطين وسوريا وحماه وامتد نفوذه حتى نهر الفرات.

الأردن ويعرف بأرض كنعان التي كانت قد سكنتها تلك القبائل السبع.

(١) أما تلك القبائل الكنعانية فقد انحصرت فيما بين البحر الأبيض وجبل لبنان واطلقت على نفسها اسم «الفينيقين» وأشهر مدنها صور وصيدا على ساحل البحر الأبيض (٢) أورشليم لفظة عبرية: هي رؤيا السلام ووادي الرؤيا. وقد سماها الكتاب أيضاً «صهيون» و«مدينة الملك العظيم» (مز ٤٨: ٢) و«مدينة داود» (مت ١: ١) و«مدينة القدس» (نح ١١: ١)، كما سماها المجمع المسكوني الثاني (القسطنطيني) «أم جميع الكنائس» (راجع رسالة التوبيخ التي بعثها هذا المجمع إلى داماسوس بابا رومية). وهذه المدينة المقدسة هي التي منها أتى المخلص،

وداود هذا ، هو ذلك الملك العظيم الذي وهبه الله مع الملك النبوءة، فألف المزامير المشهورة، واستنبط لها نغمات شجية، وانتقى اربعة آلاف

(أر٣: ١٧) ومنها خرجت الشريعة (أش: ٣٢) وفيها حلّ الروح القدس على والدة الاله ومن كنّ معها من النسوة الطاهرات وعلى اخوة الرب وتلاميذه القديسين (أع ٢: ٣ — ٤ و١٦: ٢٢) كما حلّ على الانبياء من قبل ، وفيها أيضاً انعقد المجمع الرسولي العظيم الذي رأسه يعقوب أخو الرب وأول عُمُد الكنيسة (أع١٥: ٥ـ٣٠ وغل٢: ٩)، والذي كان رسماً للمجامع المسكونية المقدسة . وقد كانت أورشليم قديماً عاصمة اليهودية وظلت كذلك حتى خربها (نبوخذنصر) ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م. ثم رُممت ثم دمرها (تيطس) القائد الروماني سنة ٧٠م فتمت فيها نبوة المسيح حيث قال: لن يبقى بها حجر على حجر إلا ينقض (مر١٣: ٢ ـ ٨) . ولما شرعت القديسة هيلانة ـ أم الملك قسطنطين البار ـ في تجديد قبر الفادي سنة ٣٢٦ م. حذا أهالي أورشليم حذوها وعكفوا على تجديد مدينتهم وتعميرها ، فعاد اليها شبابها وأصبح المؤمنون يؤمونها في كل عام لزيارة الأماكن المقدسة التي تضمها بين جوانبها. ولقد يتطاير قلب القبط فرحاً ، ويصفقون طرباً كلما ذكروا الأبنية الفخمة التي خلفها لهم الأنبا باسيليوس بأورشليم الأرضية ، ويسألون لذلك الراعي الأمين السكنى في أورشليم السموية، ويتمنون لو اقتفى أثره خلفه الأنبا تيموثاوس فيكون خير خلف لخير سلف . وتعرف

فتى يلحنونها يومياً (١أي٢٣:٥)، ولا غرو فهو القائل: «ويرنم قلبي وجسمي للاله الحيّ» (مز ١٣ : ١٣)

وقدرقد داود بسلام سنة ١٠١٦ ق.م. فخلفه في الملك ابنه (سليمان) الذي وهبه الله مع الحكمة أياماً هادئة، فبنى هيكلاً للرب بأورشليم وزخرفه بكل أنواع الزينة وقضى في ذلك سبع سنين، وفي سنة ٩٧٦ ق.م. مات وخلفه ابنه (رَحُبْعام) الذي انقسمت المملكة في أيامه إلى قسمين: مملكة اسرائيل وفيها عشرة أسباط وعاصمتها السامرة وأقيم يرُبْعام ملكاً عليها، ومملكة يهوذا وفيها سبطان وملوكها من ذرية داود وعاصمتها أورشليم. وعلى أثر هذا الانقسام قامت بين المملكتين حروب دموية أدت الى ضعفهما. وبعد ٢٥٥ سنة انقرضت المملكة الأولى بتسلط الأشوريين عليها حيث خرب (سرجون) ملك آشور مدينة السامرة سنة ٧٢٢ ق م. أما المملكة الثانية فبقيت ٣٨٩ سنة، ثم تسلط عليها الكلدانيون (البابليون) فدمروا أورشليم سنة ٥٨٦ ق م وأسروا (صِدْقيا) ملك يهوذا ـ وهو الملك العشرون من نسل داود ـ وأسروا معه باقي اليهود في بابل، وبعد أن استمر

أورشليم اليوم باسم «بيت المقدس» أو «القدس الشريف»، وهي تقرب كثيراً من قمة سلسلة جبال فلسطين وتبعد ٣٢ ميلاً عن البحر الأبيض و١٨ ميلاً عن البحر الميت، شرقيها جبل الزيتون، وغربيها جبل صهيون، وعدد سكانها ٥١ ألف نسمة.

الأسر البابليّ سبعين سنة ، هجم (كورُش) ملك الفرس على بابل وفكّ اليهود من أسرهم، فرجعوا الى أرض يهوذا وجدّدوا مملكتهم وأصلحوا الهيكل وخضعوا لسيادة المتغلبين على آسيا وهم الفرس فاليونان ثم الرومان الذين في حكمهم ولد السيد له المجد .

الامبراطور **سيتي الثاني** : ـ هو ابن **منفطا الاول** وكان ناذراً نفسه **لثالوث طيبة** « آمون، وزوجته موت، وابنهما خنسو » فبنى محراباً في معبد الكرنك وقبراً في بيبان الملوك غايةً في الاتقان ، وفي آخر أيامه نازعه المُلكَ رجلٌ اسمهُ « سِپتاه » أو « أمنميس » فاختلّ الأمن وسادت القلاقل مات سيتي بعد أن حكم سنتين ـ وقد عثِرَ على جثته في قبر آمنهوتب الثاني بطيبة ـ فانفرد الولاة كلٌّ بولايته، ومن ثمَّ كثر وفود الأجانب على مصر فزاحموا أهلها في مرافقهم الحيوية حتى انقرضت تلك الأسرة .

الاسرة العشرون الطيبية (١٢٨٨ـ١١١٠ ق.م.) ـ: عدد ملوكها اثناعشر ملكاً، أطلَق كلٌّ منهم على نفسه اسم رمسيس، تيمناً باسم رمسيس الأكبر . وأول هؤلاء الملوك **رمسيس الثالث** وهو من أعظم ملوك القبط، وحفلة تتويجه الشائقة تُرى

منقوشةٌ على أسوار مدينة (آبو) بطيبة. ولما تولى وطّدَ دعائم الأَمن في القطر، وبعد ثلاث سنين هاج الليبيون فأخضعهم، ثم ثار أهل سوريا، وباتحادهم مع بعض قرصان (لصوص) البحر، من شواطئ آسيا الصغرى وشواطئ كريت، هجموا على الوجه البحريّ، فقابلهم رمسيس الثالث بأسطوله العظيم وكسرهم على شواطئ سوريا وأغرق سفنهم وأسر كثيرين منهم . وهذه الوقعة تُرَى منقوشةً في الرواق الأول من معبد (آبو) . ثم بنى رمسيس سوراً بالقرب من السويس لحماية مصر، وأمر بزيادة القرابين لآمون، وبعث بالسفن الى بلاد پونت لجلب البضائع، وأرسل تجريداتٍ الى سينا فأخضعها، وحصلت مصر في مدته على شيء من الراحة فاشتغلت بالتجارة والزراعة والصناعة، ومات رمسيس الثالث بعد أن حكم ٣٢ سنة ودفن ببيبان الملوك، وتابوته وجثته محفوظان بالمتحف المصري.

الامبراطور **رمسيس الرابع** :- هو ابن رمسيس الثالث وكان عهده عهد سلام، فزار معظم مدن القطر وكان مغرماً بالعمارات فشجّع المهندسين وقرّبهم منهُ، والنقوشُ الموجودة

في وادي الحمامات، تدلّ على ذلك كما تدلّ على أنه كان يستخرج من هناك حجر الجرانيت «الصوّان» والرّخام السّماقي. وله قبر ببيبان الملوك منقوشة فيه أدعية وابتهالات للمعبودات. ومات رمسيس الرابع بعد أن حكم احدى عشرة سنة وقد وجدت جثته في قبر أمنهوتب الثاني بطيبة وهي محفوظة بالمتحف المصري.

ومن أشهر خلفائه **رمسيس السادس**: فانه كان فلكياً ماهراً، وكانت لهُ المؤلفات النفيسة في علم الزراعة، وقد وجدت جثتهُ بالدير البحريّ. أما باقي ملوك هذه الأسرة فلم يشتغلوا بالحروب، وتركوا السياسة للكهنة، وانغمسوا في التّرَف والبَذَخ، فضعفت لذلك شوكتهم وزالت هيبتهم. وقد أنشأ «هر ـ هيرو» رئيس كهنة آمون حزباً مضاداً لحزب الرمسيسين، فتفرّقت كلمة القبط وانتهى «هر ـ هيرو» هذا بأن انتزع السلطة من **رمسيس الرابع عشر** وجعلها في قبضة الكهنة.

الأسرة الحادية والعشرون الطيبية والتانيسية (١١١٠ ـ ٨٩٠ ق م) ـ: رأسَ **هر ـ هيرو** حكومة طيبة، ولما كان ذلك بغير حق شرعيّ ساءت الأحوال وفقدت مصر كثيراً من

مستعمراتها. ومما زاد الحال اضطراباً أنْ قَبَضَ (هر - هيرو) على من بقيَ من الرمسيسيين - وعددهم أربعة أمراء - ونفاهم إلى الواحات. ولما مات هر-هيرو تولّى ابنه الكاهن **بيانخى**، الذي لضعف عزيمته كثرت الفتن واختلّ الأمن حتى نُبِشَتْ القبور. وخلَف يانخي ابنه الكاهن **بنبوتم أو بنبوزم**[1] وفي أيامه هجم على مصر **نمرود** (ملك آشور) بجيش جرار وانتزعها منه وأدخلها تحت حكمهِ سنة ٩٨٠ ق م. ولما مات نمرود دفن بالعرابة المدفونة وخلَفهُ ابنهُ الملك (شَشَنْق) في حكم مصر وآشور.

هذا ما كان من أمر ملوك طيبة أما فيما يتعلق بملوك تانيس فقد قال عنهم ماسبرو: « إنهُ لما أراد هر-هيرو حصْر الملك في أسرته عارضه سكان الوجه البحري وأقاموا **اِسمنتو-مياموره** ملكاً عليهم فاتخذ مدينة تانيس قاعدةً لحكومتهِ ونفى بعضاً من الكهنة الى إتيوپيا ولكنّ الإتيوپيين - لضعفهِ وضعف خلفائهِ الاربعة - خرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم

(١) راجع حاشية كنز الدر البحري بصفحة ١٨٤.

كاهن قبطيّ من نَسل (هر-هيرو) ثم التجأ ملوك تانيس الى الدولة الآشورية وصاهروا ملوكها، فانقضت عليهم البلاد الموالية لهم ونشأ عن ذلك ضعف القبط وتملك الآشوريين.

الأسرة الثانية والعشرون البسطية : (أشورية) [١]

(٩٥٠ — ٨١٠ ق م) — : قاعدتها مدينة بَسْطة المعروفة بتلّ بسطة جنوبيّ الزقازيق، وأول ملوكها «شَشْنَق» وتسميه التوراة شيشَق: وُلِدَ هذا الرجل في مصر ولذلك احترم معبوداتها وزار قبر أبيه في العرابة المدفونة، وإذ وجد أن خُدَّام القبر سرقوا منه الأمتعة النفيسة أمر بإعدامهم [٢] ثم غزا أرض فلسطين وقصد أورشليم بألف ومائة عربة وستين ألف فارس. وقاتل رَحُبْعام بن

(١) ذهب بعض المؤرخين إلى أن نمرود وابنه شَشَنْق ليسا بأشوريين وانما هما من ليبيا من قبيلة المشواشين وحجتهم في ذلك، النقوش التي وجدت على عمود في السرابيوم . وقد ذهبوا أيضاً الى ان ششنق كان رئيساً للجيش المصريّ في عهد الأسرة السابقة وانه استولى على المُلك بتزوجه باحدى أميرات العرش المصري (٢) هذه القصة وجدت مكتوبةً بالقلم الهيروغليفي على حجر بالعرابة المدفونة وقد ترجها بروكش باشا فقال في مطلعها: «إن ششنق ملك مصر واشور حين زار قبر أبيه نمرود الخ».

سليمان ونهب أموال القصور الملكية وسلب التروس السليمانية الذهبية ، وقد رُسِمَتْ هذه الحادثة على السور القبلي من معبد الكرنك كما رسمتْ عليه صورة ملك يهوذا موثق اليدين وبأسفلها ماتعريبه: «ملك يهوذا »، ثم شاد إيوانًا قبليّ هيكل رمسيس الثالث يسمى « ايوان البُباسطة». ومات بعد أن قطع دابر نابشي القبور وبعد أن حكم ٢١سنة . ثم خلفه **أوسوركون** أو **أسرخاد** المذكور في التوراة باسم « زاراح الكوشي » ، فحارب مملكة يهوذا ، ولما التقى بملكها في «وادي صَعَد» وقع الرعب في قلب زاراح فمات وخلفهُ ابنه **تاكلوت** الذي لم يقف له التاريخ على أثر. وقد كان ضعفه وضعف الملوك الآشوريين باعثاً الى استيلاء جماعة من التانيسيين المصريين على المملكة .

الاسرة السادسة والعشرون التانيسية (٨١٠-٧٢١ق م)-:
أول ملوكها **بتسو باستيس** . حكم الوجه البحريّ وأخذ في تقوية المملكة ونزع طيبة من الإتيوبيين ودام حكمه أربعين سنة وقام بعده أربعة ملوك خاملي الذكر. وقد كانت أيام هذه الأسرة أيامَ مشاغبات وتحزبات فانقسمت مصر الى ولايات

صغيرة ، أما مستعمراتها فشقت عصا الطاعة واستقلت بالحكم.

الأسرة الرابعة والعشرون الصاوية[١] (٧٢١-٧١٥ ق م):

أول ملوكها **تفنخت**. كان حاكماً على مدينة **منوفى**[٢] : ولما تولى المملكة كانت مصر منقسمة الى عشرين ولاية ، فأخضع كل هذه الولايات ثم قام بجيوشه إلى الصعيد فوصل الى قسم أرمنت وحاصر قسم أهناس الذي كان تحت حكم الإتيوبيين. ولما بلغ ذلك **يانخى** ملك إتيوبيا حضر بنفسه وهزم تفنخت[٣] وضم مصر الى سلطانه وأناب عنه تفنخت في حكمها . ولما توفي تفنخت خلفه ابنه **بوخوريس أو باكوريس** وكان قانونياً متضلعاً[٤] ذا رأي صائب: فنزع السلطة من يد الأمراء وخلع عن مصر نير الإتيوبيين . أما يانخي فمات على أثر وصوله الى إتيوبيا وقام بعده **كاشتا** الذي لم يكن من أسرة ملكية. ثم خلفه

(١) نسبة الى مدينة صا الحجر بالقرب من القضابة شمالي كفر الزيات واسمها قديماً (سايس) وقد وردت في تاريخ الكنيسة باسم (صا).

(٢) هي المجاورة لمدينة كانوب على مصب فرع رشيد، وكانوب هذه هي ابوقير (٣) صورة هذه الوقعة منقوشة على حجر بالمتحف المصري.

(٤) من قوانينه عدم سجن الجندي وعدم سجن المدين اذا لم يف دينه.

ابنهُ سبافون أو شبقا. واذ وقف على ما أتاه باكوريس بن تفنخت قصد مصر لمحاربته. ولما رأى سبافون أن أمراء مصر يمقتون باكوريس لنزعه السلطة منهم تعاون بهم عليه كما تعاون بهم بيانخي على تفنخت من قبل. وإذ وقع باكوريس في قبضة سباقون طرحهُ في النار، وهكذا عادت مصر الى حكم إتيوپيا وتشتّتت الأسرة الصاوية المصرية في الدلتا تترقب خروج الإتيوپيين من مصر.

الأسرة الخامسة والعشرون الصاوية — إتيوپية — (٧١٥ — ٦٨٠ ق م) - : ان السبب في احتلال ملوك إتيوپيا لمصر هو اختلاف كلمة أمراء القبط في الأسرة السابقة واشتعال نار الفتن الداخلية، فقضى الله أن يتولى أمر مصر ملكٌ جبار يدير شؤونها، فأتاح لها سبافون الأتيوبي (الذي أتينا على ذكره في الأسرة السابقة) فلقّبَ نفسهُ بالألقاب الفرعونية وأبقى كل أمير على ولايته ثم قوّى جسور النيل وطهّر الترع وعمّر مدينة بسطة وأصلح معابد طيبة وحكم بالعدل وأبدل عقوبة القتل بالأشغال الشاقة فتمتعت مصر بالسكينة على يديه.

وحدث أن مملكة آشور كانت في ذاك الوقت مستظهرة على الفينيقيين وعلى بني اسراءيل والفلسطينيين فرأى هؤلاء من الصواب أن يتحالفوا مع (سباقون) لينقذهم من شر الآشوريين، فبعث هوشع ملك بني اسراءيل بهدايا الى سباقون وطلب منه التحالف على (سلمناسر) ملك آشور فأجابه سباقون الى طلبه، ولما علم سلمناسر بذلك، أسر هوشع أولاً وحاصر مدينة السامرة، ثم مات وتولى بعده سرجون، فاقتدى بسلفه وفتح السامرة ثم زحف بجيوشه على فلسطين. فلما رأى سباقون أن سرجون غدر بحلفائه انضم بجيوشه الى أحدهم - وهو مانون ملك غزة - فقابلتهم جيوش الاشوريين وأسرت مانون وهرب سباقون الى مصر مهزوماً، فعصاه سكان الوجه البحري وطردوه الى طيبة وبذلك استقلت مدينة صا الحجر وبسطة وأهناس. ثم مات سباقون وترك حكم الصعيد وإتيوپيا لابنه سبخون وكان النزاع قائماً بين الاسرتين الصاوية والتانيسية طمعاً في الاستيلاء على الوجه البحري. فلما تولى سبيخون انتقم من الأسرتين اللتين ناصبتا والده العداء وانفرد بملك مصر، وما

لبث أن قتله **طهراقة أو ترهاقة** الإتيوبي وانتزع منه المُلك وساعد أمراء سوريا وفلسطين ضد الأشوريين، فأغار **آشور أخي الدين** ملك آشور على مصر من ناحية فرع الطينة[1] وهزم طهراقة والإتيوبيين المحتلين ونهب مدينة منف وطيبة سنة ٦٧٢ ق.م. وأرسل مانهبه الى بلاده ليكون شاهداً على انتصاره، ثم اشتغل باصلاح مصر وردّ الى أمرائها - وعددهم عشرون - امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وأقام **نخاو الاول** أمير صا الحجر (أو أمير منف) رئيساً عليهم. وكان **نخاو** هذا ذا نشاط وغيرة وحمية كأسرته التي كان جلُّ مناها التئام الحكومة القبطية وإصلاح شأنها. ثم رجع (آشور أخي الدين) الى نينوى عاصمة بلاده رافعاً راية النصر كما رفعها تو تميس الثالث وأمنوفيس الثاني على نينوى قبله بتسعمائة سنة. وبعدمدة أغار

(١) فرع او بحر الطينة هو أحد فروع النيل وكان يبتدىء من رأس الدلتا ويمر بتل بسطة ويصب في البحر الأبيض عند مدينة الطينة ومن آثاره الآن بحر البقر . اما مدينة الطينة او الفرما (بيلوزيوم). فهي تجاه بور سعيد واسمها في التوراة (سين). قتل أمامها بومبيوس سنة ٤٨ قم وأحرقها الافرنج في أوائل القرن الثاني عشر .

طهراقة على مصر فبلغ (آشور أخي الدين) أمرهُ وكان قد تنازل لابنه (أشور بانيبال) الذي توجه لمحاربة الإتيوپيين في مصر وتغلب عليهم وأرجع الحكم ثانيةً الى أمراء مصر. ولما عاد الى وطنه أعاد طهراقة الكرّة على مصر واسترد طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل أپيس نكايةً في القبط لانهم على زعمه ساعدوا الاشوريين عليه . ولما علم بذلك ملك آشور عاد الى مصر وهزم الإتيوپيين أمام طيبة ونهب المدينة التي كانت آخذة في إصلاح ما تخرب منها في حملة (آشور أخي الدين) عليها سنة ٦٧٢ ق.م. وأخذ الاشوريون مسلتين نصبوهما في نينوى، واستمرت مصر تابعة لمملكة آشور التي باضمحلالها استولى تنوات ميامون ـ ملك إتيوپيا وربيب (ابن زوجة) طهراقة ـ على الوجه القبليّ بواسطة طائفة من الإتيوپيين كانوا قد أسسوا لهم حزباً قوياً في طيبة . أما أمراء الوجه البحريّ فعارضوهُ وحاربوه، فأشار عليهم رئيسهم (پكرور) بأن يؤدوا له الطاعة.

الفترة ما بين الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين

مدتها ١٥ سنة وفيها ضعفت مصر وشقّ على أهلها تحمل حكم ملوك

اتيوبيا ولو كانوا عادلين ، إذ كان أصعب ما على نفوس القبط الانقياد للأجانب ، فقام حكام وأعيان مدن الوجه البحري وطردوا الاتيوبيين وملكوا عليهم (بسامتيك) بن نخاو الاول . ولقد اورد هيرودوت هذه الحادثة في قصة غريبة فقال : «إن كاهناً انبأ أمراء الوجه البحري الاثنى عشر بأن سيأتي يوم يشرب فيه أحدهم الشراب في قدح حديدي تقرباً من المعبود بتاه ، وبذا يصير ملكاً على مصر . وحدث أنه بينما كان أولئك الأمراء مجتمعين للتنادم على الشراب تقرباً لذلك المعبود ، وبينهم احدى عشرة كأساً من الذهب ، أخذ كل منهم كأساً وبقي بسامتيك بدون كأس فنزع مغفره الحديدي عن رأسه وشرب فيه . فتذكر رفقاؤه نبوءة الكاهن فأكرهوا بسامتيك على ان يختلي في أجمة شمالي الدلتا . واتفق أن رست بتلك الجهة سفن تحمل رجالاً اشداء من ملاحي اليونان لينهبوا الشواطىء فتحالف معهم بسامتيك على أن ينصروه وانضم اليهم حزبه ايضاً فتغلب بسامتيك » .

الأسرة السادسة والعشرون الصاوية (٦٦٥ — ٥٢٧ ق م) :-

لما انفرد **بسامتيك الأول** بالحكم افتتح لمصر ثانية باب المجد المؤثل وعاد اليها رونقها الأول ، وبعد أن أتم فتح الوجه البحري حتى مدينة مومنفيس الشهيرة الآن بمنوف ، فتح الوجه القبلي الى الشلال الأول . ولما كان بسامتيك غريباً عن الأسرة

المَلَكية فلم يكن لذريته حق الوراثة قانوناً ، غير أن تزوُّجه بأميرة من السلالة الملكية جعل لذريته ذلك الحق، فتزوج (تانبت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) حاكمة الوجه القبلي، وبذلك صار ملكاً شرعياً . وكان معظمُ أبطال المصريين في مبدأ حكمه قد هلكوا، فاعترى مصر الخراب من حروب الإتيوپيين والآشوريين ومن ثمّ شرع بسامتك في إصلاح التُرَع والطرق وإعادة الأمن الى نصابه وبثّ العلوم والمعارف بين الأهالي وتعمير المعابد . فأُتقنت صناعة النقش والرسم وجَمَعت التماثيل بين التناسب والاعتدال ، ثم عَمَدَ بسامتيك فشيدَ حصوناً وقلاعاً في مضايق طرق الشام وضواحي بحيرة المنزلة خوفاً من هجوم مملكة آشور على بلاده، وحصّنَ الشلال الأول، وجعل جزيرة أسوان معسكراً لصدّ هجمات الإتيوپيين، ثم حصّنَ النقطة المشيدة عليها الاسكندرية اليوم، إتقاء غزو الليبيين . ولما أتم كل ذلك انتقل من حالة الدفاع الى حالة الهجوم فغزا النوبة [١] ثم أرض كنعان . قال هيرودوت :

(١) هذه الوقعة منقوشة على معبد أبسمبل

«إن بعد هذه الفتوحات دهمت مصر مصيبة كبرى وهي وفود الأجانب من يهود ويونان عليها ، فأكرم بسامتيك مثواهم وأقطعهم ـ ولاسيما اليونان وبعض سكان الاناضول (الكاريون) ـ أرضاً بالقرب من تلّ بسطة ليسكنوها ، فأدخل اليونان أولادهم في المدارس القبطية فنبغ منهم الفلاسفة صولون وفيثاغوراس وأفلاطون ، الذين نقلوا بلادهم بعلوم القبط من حالة الهمجية الى درجة المدنيـة . وكان بسامتيك في عنايتـهِ بشأن هؤلاء الأجانب ناظراً الى الفائدة التجارية التي تعود على بلادهِ من من اختلاطها بهم ، ولـكن فاتهُ أن الأجانب لم ينزحوا عن بلادهم إلاّ ورائدهم الصالح الشخصيّ وسيّان عندهم عمار البلاد التي يحتلونها وخرابها . وهذا ماتمّ فعلاً فان الاجانب سعوا في تكدير راحة القطر وسلب أموال الاهالي فنفروا منهم وقد جاء إنعام بسامتيك على اليونان بالرتب والنياشين ضِغثاً على إبّالة فاستاء منهُ القبط لذلك ، وازدادوا استياء عند ماضمّ الى حرسهِ فريقاً من أولئك الاجانب ، ومن ثم عزم بعض الاهالي على هجر البلاد وإخلائها لبسامتيك وأصفيائهِ الاجانب . فاجتمع

منهم نحو المائتين والاربعين ألفاً وكلهم شاكي السلاح وجعلوا وجهتهم بلاد إتيوپيا، ولم يعلم بسامتيك بخبرهم إلاّ بعد خروجهم من مصر، فسار في أثرهم واستعطفهم بمعبودات بلادهم فلم يقوَ على مصالحتهم . أما ملك إتيوپيا فقابلهم بكل حفاوة واتخذهم جنوداً له ونِعم الجنود، ومن هؤلاء تكونت أمة عظيمة بين النيل الابيض والازرق. ولما رأى بسامتيك بلاده مجردةً من جنودها البواسل عضّ إصبَع الندم وأخذ في تدريب غيرهم ولكنهُ لما رأى إن إرجاع مصر إلى سطوتها القديمة بعيد المنال اشتد قلقهُ ومات سنة ٦١١ ق م فدفن في صا الحجر وخلفهُ ابنهُ نِخاو .

الملك نخاو الثاني (نِخو) (٦١١ — ٥٩٥ ق م) :— سُمّيَ باسم جدهِ وتولى طاعناً في السن فسلك بهمة ونشاط مسلك مشاهير الفراعنة التوتميسيين والسيتيين حتى أعاد لمصر ثوب المجد، فأتم نظام الجيش الوطنيّ الذي دربهُ والده في آخر أيامه، ورتّبَ قوادهُ وبنى سفناً حربية وأبدل السفن القديمة بسفن جديدة تسير بالمجاذيف (الأغربة) رغبةً في الاستيلاء على سواحل البحرين الأحمر والأبيض . ثم همّ بمشروع عظيم

هو اتصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض وذلك بقطع برزخ السويس - وكان قد سبقه الى هذا المشروع سيتي الأول - فأعاد نخاو حفر الترعة من مدينة بسطة الى بركة التمساح والبحيرات المرّة. قال هيرودوت : « إن مائة وعشرين ألف نفس هلكت في حفر هذه الترعة فتشاءم نخاو ولم يتم حفرها[1] لا سيما بعد ما أخبره الكهنة بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية » . ثم أمر نخاو بعض رجاله بأن يطوفوا حول أفريقية فساروا من البحر الأحمر الى المحيط الهنديّ ثم الى بحر الظلمات « المحيط الأطلسيّ » بعد أن ساروا حول « رأس الرجاء الصالح » حتى بلغوا بوغاز « أعمدة هرقول » المعروف ببوغاز « جبل طارق » أو « زقاق سبتة » ، ومروا منه الى البحر الابيض فوصلوا الى مصر في ثلاث سنين ، وقالوا إنهم في بعض المواقع رأوا الشمس في الجهة الشمالية ، مما يثبت أنهم مروا

(١) سنرى فيما يلي ان (دارا الاول) الفارسي حفرها ثم اهتم بأمرها ملوك البطالسة ثم طمست حتى دخل العرب مصر فأعاد عمر ابن الخطاب حفرها ثم طمست ثانية في زمن ابي جعفر المنصور العباسيّ ولم تفتح الآ اخيراً في أيام اسمعيل باشا سنة ١٨٦٩ م .

بخطّ الاستواء . وفي هـذه الاثناء انحطّت قوة الآشوريين بسبب حروبهم مع الليديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وصعد الى كركميش عن طريق الفرات بجيش جرار ، ولما اجتاز مدينة (أشدود) إلى مضيق (كَرمِل) صدّته عساكر « يوشيّا » ملك يهوذا . قالت التوراة : « صَعَدَ نِخو ملك مصر الى كركميش ليحارب عند الفرات فخرج يوشيّا للقائه ، فأرسل اليـه نِخو يقول: مالي ولَك يا ملك يهوذا لستُ أنا عليك اليوم ولـكني على بيت حربي، والله أمر بإسراعي فـكُفَّ عن الله الذي معي، فلا يهلـكك . فلم يصدق يوشيّا وأبى إلاّ الحرب فانتشبت بينهم في بقعة مجدُّو (مَجدَل) [1] وأُصيب يوشيّا بسهم من سهام القبط، فقال لعبيده انقلوني من عربتي فقد جُرحتُ ، فنقلوه الى عربة أخرى وساروا به الى أُورُشَلِيم حيث فاضت رُوحه» (٢أي٣٥: ٢٠ — ٢٥). ومن ثم عرّج نخاو على قادش فـكركميش (قرقزية) حتى وصل الى الفرات وأدخل تلك البلاد البحرية جرابلس

(١) مدينة من سبط منسّى على بعد ١٤ ميلاً من شمال أورشليم وعلى ثلاث ساعات من شاطى البحر الابيض .

تحت حوزته. ولما نزل بجوار مدينة حَماه بلغهُ أن اليهود تظاهروا ثانيةً بالعِصيان وجعلوا (يَهُوآحاز) بن يوشيّا ملكاً عليهم فاستدعاه اليه وعزلهُ وولى (إلياقيم) أخاه بدلهُ وسماه (يَهُوياقيم) وحكم على شعب يهوذا بغرامة قدرها مائة وزنة من الفضة ووزنةٌ من الذهب. وبعد أن استولى على سوريا وفلسطين رجع الى مصر ظافراً منتصراً ومعهُ (يهو آحاز) المعزول. أما مملكة بابل [1] فانها في ذاك الوقت استظهرت على مملكة آشور وخرّبت نينوى سنة ٦٢٥ ق.م. ومن ثم سقطت آشور ولم تقم لها قائمةٌ بعدُ، وهمّ (نبوخذ نَصّر) أو (بختُنصّر) ملك بابل (٦٠٩-٥٦١ قم) باسترجاع سوريا وفلسطين من نخاو، فتقاتلا عند نهر الفرات بالقرب من كركميش سنة ٦٠٥ ق م فانهزم نخاو، ولكنّ (نبوخذ نصّر) اضطرّ أن

(١) بابل مدينة على نهر الفرات بالقرب من ملتقى النهرين دجلة والفرات. كانت عاصمة الكلدانيين أو البابليين واشتهرت بحدائقها المعلقة واسوارها المنيعة. استولى عليها دارا الاول ملك الفرس سنة ٥١٠ قم. وهي الآن خراب دائر وفي جنوبها قرية صغيرة اسمها (الحِلة).

يعقد معاهدةً معه لفتنة ثارت ببابل . أما **يهوياقيم** ملك يهوذا فانهُ عمل الشرَّ في عينيَّ الرب فصعد اليه (نبوخذ نصَّر) وقيَّده بسلاسل من نحاس وسحبهُ الى بابل ، وبعد ذلك بسنتين مات **نخاو الثاني** وخلفهُ ابنهُ بسامتيك الثاني

الملك **بسامتيك الثاني** — : لما تولى قامت عليهِ إثيوبيا فأخضعها سنة ٥٩١ ق.م. ومات ولم يُعلَم من سيرته شيء وخلفه ابنه **بره - آبـرا** أو **أُبريـس** . وفي عصره استنجد به (صِدْقيا) ملك يهوذا على (نبوخذ نصَّر) ملك بابل ، وكان إرَميا النبي يُنذر صِدْقيا وأسلافه بالكفَّ عن فعل الشرَّ في عينَي الرب لئلا يؤول أمرُ مملكتهم الى الدمار فلم يُصغِ أحدٌ اليه . وخرج صِدقيا عن طاعة البابليين وامتنع عن أداء الجزية فغضب (نبوخُذ نَصَّر) لذلك وسار بنفسه الى أورشليم وقتل صِدقيا وفقأ عينيهِ وسلب أمتعة الهيكل وأحرقهُ سنة ٥٨٦ ق.م وسبى من بقي من اليهود الى بابل (السبي البابلي) . غير أن بعض اليهود التجأ الى مصر فقبلهم **أُبريس** وانتشروا في مجدل (شرق الدلتا) ومنف والصعيد فأراد (نبوخُذ نَصَّر) أن ينتقم

من ملك مصر لأخذه بناصر اليهود . قال يوسيفوس المؤرخ: «أغار (نبوخُذ نصّر) على مصر وقتل ملكها وأقام حاكماً عليها من قبله ثم ساق أمامهُ اليهود الذين استوطنوها». أمّا هيرودوت (الذي سبق يوسيفوس بأكثر من اربعمائة سنة) فقال: «إن القبط يقولون بانكسار جيش (نبوخُذ نصّر)، كما يقولون إن سفنهم هزمت السفن الفينيقية التي استخدمها البابليون، وإن أهل سوريا سلّموا لهم». ولما استنجد أهالي سواحل ليبيا بالملك **أبريس** على قبائل اليونان سكان القيروان رأى من الصواب ألاَّ يرسل الى اهل هذه القبائل جنوداً يونانيين من جنسهم فأرسل اليهم جيشاً من الوطنيين، ولما اشتبكت الحرب بين الفريقين جهة (ايراته) انهزمت فرقة الجيش المصريّ ، فقامت مصر على الملك لمخاطرته بجنودها الوطنيين دون جنوده اليونانيين وانتشر العصيان حتى عمّ جميع القطر، فبعث اليهم الملك رجلاً اسمهُ أَحمِس[١] ليسكّن

(١) أصل هذا الرجل من مدينة سيوف بجوار صا الحجر وقد اعجب الملك بفطنتهِ فقلده قيادة بعض فيالق الجيش

هياجهم، فأخذ يشير عليهم بالهدوء والسكينة وبينما هو كذلك إذْ أقبل عليه أحدُ الجنود وألبسهُ مغفراً وصاح الجند بأعلى صوتٍ. «قد رضيناك ملكاً علينا» فقبل ذلك أحمس وسار معهم لمحاربة الملك أبرياس الذي لم يكن في صفهِ غير الجنود الأجانب البالغ عددهم ثلاثون الفاً، فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر وانهزم الملك وجنودُه ووقع أسيراً في قبضة أحمس. قال هيرودوت: «لقد ساء الجنود الوطنيين ميلُ الملك أبرياس الى جنودٍ أجانب فتشفوا بما انتابهُ من عزلٍ وضيم وقتلوهُ خنقاً سنة ٥٧٢ ق . م » .

الملك أحمس الثاني (اموزيس) ـ : لما جلس على عرش مصر تزوّج بحفيدة الملك بسامتيك الثاني وحافظ على نفوذ مصر في فينيقيا وأتمّ فتح جزيرة قبرص في البحر الأبيض، وكان ذكيّ الفؤاد حسن السياسة فهابتهُ الدول. ولما كان يخاف على مملكتهِ من بطش الفُرْس (العجم) الذين اشتدّ ساعدهم في ذاك الوقت، حسّن علاقتهُ مع ملكهم كورش وصفا له الجوّ خمساً وعشرين سنة فارتقت الزراعة ونمت التجارة

وسعدت مصرُ في أيامه . ومن مآثرهِ أنهُ حتَّم على كل قبطيّ أن يثبت اسمهُ في آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها وأن يبيّن صناعتهُ وأسباب معيشتهِ ، وعاقب من خالف ذلك أو كان متشرداً عائشاً من النصب والاحتيال . ولما كانت زوجتهُ مقيمةً بطيبة رمّمَ ما بها من الآثار[١] ثم بنى في صا الحجر ، مداخل لمعبد (نيت) ونصب أمامها تماثيل لأبي الهول ومسلّتين كبيرتين . قال هيرودوت . « إن أرض مصر لم تُخصب كما أخصبت في أيام هذا الملك ، فقد أفاض عليها النيل الخيرات » .
وقد حذا هذا الملك حذو سلفهِ في الترحيب باليونان حيث اسكنهم مدينة نقراطيس[٢] وأباح لهم إشهار دياناتهم ، فنموا وكثروا وراجت تجارتهم ، غير أنهم لم يقابلوا الاحسان بمثله إذ كانوا ينقلون أخبار مصر الى الخارج ، ممّا تسبب عنه طمع الأمم فيها لاسيما الفُرْس الذين كانوا يتحيّنون الفرص لشنّ الغارة عليها . واتفق أنْ مات كورش ملك الفُرْس وخلفَهُ

(١) يؤيد ذلك النقوش التي على تابوت هذه الملكة المحفوظ بمتحف لندن.
(٢) هي نبيرة الحالية غربيّ إتياي أو تيه البارود بمديرية البحيرة.

ابنهُ **قمبيز** فطلب أن يتزوّج بابنة **أحمس** ظناً منه أن أباها يرفض طلبهُ فيحاربهُ . غير أن أحمس أدرك هذه المكيدة وأرسل اليه أبنة أبرياس سلفهِ بدلَ ابنتهِ ، فناداها **قمبيز** يوماً باعتبارها ابنة أحمس فانكرت عليه ذلك. فحقد قمبيز على أحمس وعوّل على أن يغزو مصر طمعاً في كثرة خيراتها وفيض نيلها، ولم يثْنهِ عن عزمهِ الاَّ خوفهُ من ضياع جيشهِ في الصحراء المتسعة، إذ كان لا يعرف طريقاً غيرها يوصّله إلى مصر . غير أن خائناً يونانياً يدعى (فانيس)-كان بين جنود مصر الأجانب- دلّه على أقرب الطرق، وبإشارة هذا الخائن عقد **قمبيز** معاهدةً مع قبائل سوريا التي كانت على تلك الطريق لتنقل الى جيشه الماء على ظهور نُوقها . وعلى ذلك سار الجيش الفارسيّ ، وما بلغ مدينة الطينة حتى علم بوفاة أحمس وتولية ابنهِ بسامتيك الثالث.

الملك بسامتيك الثالث - : دارت رحى القتال بين قمبيز الفارسي وهذا الملك، وبعد أن دافع المصريون دفاعاً طال أمده كانت الغَلَبة لقمبيز بسبب كثرة جيوشه وانتشار جواسيسه الأجانب المنتظمين في الجيش المصريّ. ثم تقدم قمبيز الى منف

وحاصرها واستولى عليها قسراً وقتل كثيراً من الأعيان وأسر بسامتيك وأرسله الى فارس فمات هناك وبذلك دخلت مصر تحت حكم الفرس للمرة الأولى .

الاسرة السابعة والعشرون ـ الفارسية الاولى ـ (٥٢٧ـ ٤٠٦ق.م)ـ: أول ملوكها **قمبيز** (٥٢٧ـ٥٢٢ق م). سلك في مبدأ أمره مسلك العقلاء فأبقى مصر على عبادتها واحترم امتيازات أمرائها وقرّب أمناء الديانة المصرية منه وتعلّم الحكمة القبطية من الكاهن (أوزاموس) وعزم على أن يجعل مصر حصناً يستعين به على فتح أفريقية، ولمّا كان فتح **قمبيز** لمصر قد أفزع الأمم المجاورة أتاهُ الليبيون ودفعوا الجزية وكذلك القورينيون (سكان قورينة وهي برقة الآن). قال هيرودوت: «أراد قمبيز أن يغزوَ ثلاث أمم مختلفة في آنٍ واحد، وهم القرطاجيون سكان مدينة قرطاجة[١] والآمونيون سكان واحات آمون (واحات سيوه) والكوشيون

(١) قرطاجة أو قرطاجنة مدينة أسسها الفينيقيون في أفريقية سنة ٨٨٣ ق.م بقرب تونس الحالية . كانت عاصمةً لجمهوريةٍ صغيرة نشأت بعد سقوط مدينة صور وقاومت رومية في الحروب البونية أو الفينيقية وأخيراً تغلّب عليها الرومان وخرّبوها سنة ١٤٦ ق . م

وهم الإتيوپيون فجهز لغزو القرطاجيين سفناً يقودها الفينيقيون. وإذ كان بين هؤلاء والقرطاجيين صلةُ قرابةٍ فشلت هذه الغزوة. وأرسل الى الواحات خمسين الف جنديٍ لفتحها وهدْم هيكل المشترى (١) فضلّوا الطريق ونفد منهم الزاد وهبّت عليهم ريحُ السَّموم فأغرقتهم في بحر الرمال وبذلك لم يتجاوزوا حدود مصر.

ولما رأى قمبيز ما آل اليهِ أمر الإتيوپيين من رفعة المكانة بسبب كثرة الذهب ببلادهم، طمع فيهم وأرسل اليهم رُوّاداً من وادي الكنوز بأسوان يحسنون لغة إتيوپيا ويحملون الهدايا لملكها فعرف الإتيوپيون أنهم جواسيس قمبيز ولكنهم رحّبوا بهم، وأعجب ملكهم بهدية الشراب (من نبيذ التمر) التي كانت بين تلك الهدايا، واراد أن يتحف قمبيز بهدية عظيمة، فأحضر قوساً وأوترها بحضور رُسُل قمبيز وقال لهم: «إن ملك إتيوپيا ينصح ملك الفرس أن يحضر بنفسهِ لمحاربتهِ إذا استطاع هو أو أحد رعيته أن يوتّر قوساً مثل هذه». وما بلغت هذه العبارة آذان قمبيز حتى طاش عقله وهمَّ بجيشه على غير انتظام قاصداً

(١) هو هيكل آمون وكانت تحج اليه الناس من كل فجّ.

(نباتا) عن طريق الصحراء باعتبارها أقرب طريق الى إتيوپيا فانحرف عن شواطىء النيل وتوغّل بعساكره الكثيرة في صحراء كروسكو، ولما قطع ربع الطريق وصل الى سهولٍ رملية، فنفد زادهُ وأكل الجيشُ الحيواناتِ التي كانت تحمل مامعه من الأثقال، ثم أكل بعضُهم بعضاً بالاقتراع. وإذ خاف قمبيز على نفسه من الهلاك رَجع بجيشه القهقرى، ولما وصل الى طيبة اراد أن يستعيض خسائره الجسيمة فسلك مسلك القَسوة والجور وسلب أمتعة الهياكل وذخائرها. وإذ صادف دخولهُ منف يوم احتفال الأهالي بعيد العجل أپيس، توهّم أنهم فرِحون بهزيمته فقتل الكهنة وبعض الأمراء وطعن العجل أپيس وخرّب مدينة عين شمس ونهب النفائس الدفينة في القبور. وقد أسهب المؤرخون في وصف عتُوّه وقبح أعماله حتى قالوا إنه كان في بلاده (فارس) يلهو بقتل الأعجام ويذبحهم كالأغنام وإن عتههُ وتوحشهُ أدّيا به الى قتل أختهِ وزوجته.

قال هيرودوت: «بينما كان قمبيز يركب جواده في المكان الذي طعن فيه العجل أپيس قاصداً بلاد الفرس ليخلع عن عرشها

من اغتصب مُلكهُ بها إذ انساب سيفهُ من غمده فجرحهُ في فخذه جرحاً مات على أثره ». وبعد موت قمبيز تولّى (دارا الاول)

الملك دارا الاول:- لما جلس على تخت بلاد فارس نظّم أمورها ووسّع ممتلكاتها وضرب نقوداً من الذهب استعملت في مصر بدل النقود المصرية التي كانت على أشكال الحلقات والجعارين وغيرها، وفرض على مصر جزيةً من الغلال تكفي لمؤونة جيش الاحتلال البالغ قدره اثنا عشر الفاً. قال ده روجه: « إن دارا أحسن معاملة القبط لينزع من صدورهم ما كمن فيها من فظائع قمبيز، فاحترم ديانتهم وكهنتهم غير أنه أساء صنعاً بعدم خلعه (أرياندُس) الفارسيّ من منصب نيابة مصر - الذي كان قمبيز قد أسنده اليه - إذ قد افسد ارياندُس أعمال دارا مما أهاج القبط ودعا دارا الى عزله وقتله ولم يكفه ذلك بل حضر بنفسه الى مصر وهدّأ خواطر أهلها وتوجّه الى منف ليظهر أسفهُ لموت العجل أبيس وهكذا أخمد نار الفتنة » .

وقال هيرودوت: « قبل أن يبارح دارا مصر زار معبد (پتاه) وأراد أن يصنع تمثالاً بجوار تمثال رمسيس الاكبر فمنعهُ

الكهنة قائلين: إنّ ما أتيته من فتح وغزو لا يذكر بجانب ما أتاه رمسيس الأكبر لان رمسيس فتح بلاد السكيثة[١] التي لم تفتحها أنت. فامتثل لقول الكهنة واحترم رأيهم ». ثم مهّد دارا طرق التجارة فوصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض بواسطة الترعه التي لم يتمّ حفرها نخاو الثاني، وفتح أيضاً طريق قفط الموصّل الى البحر الأحمر وطريق أسيوط الممتدّ الى العرابة المدفونة فأسوان. وحصّن الواحات الكبرى وأصلح معبد آمون غير ان القبط مع كل ما كان عليه دارا من حسن السياسة كانوا يترقبون فرصة الاستقلال لمقتهم تسلّط الاجنبي عليهم. ولمّا أراد يونانيو ساردس[٢] ان يتخلصوا من سلطة الفرس وساعدهم سكان أثينا على ذلك، غضب دارا وتوجّه إلى بلاده وارسل حملةً الى أثينا تحت قيادة (هبياس) فعبروا بحر الأرخبيل، فقابلهم الآثينيون بقيادة (ملتيادس) وانتصروا عليهم عند سهل (مرتون) سنة ٤٩٠ ق.م. أما مصر فطردت جيش الاحتلال الفارسيّ

(١) السكيثة هي الآن التركستان الصينية والروسية.

(٢) مدينة بآسيا الصغرى مكانها الآن مدينة سارت.

وولت **خبيش** ملكاً عليها سنة ٤٨٦ق.م. وقد كان خبيش هذا من ذرية بسامتيك: بدأ حكمه بتحصين مصر والوجه البحريّ بالقلاع خوفاً من هجوم الفرس. وفي هذه الآونة مات دارا سنة ٤٨١ق.م. وخلفه في فارس ابنهُ **شيارش أو زركسيس** الذي عند ما استتبّ لهُ الملك، هجم على مصر وقهرها ونهب معابدها، وبسبب ظلمه وعَبَثه بالقوانين خرجت من يده تسّاليا ومقدونيا (بالبلقان) . ولما جهّز حملةً لمحاربة اسبارطة باليونان قابلها ثلثمائة من أشدّاء الأسبرطيين عند مضيق (ترموبيل) واستبسلوا في الدفاع حتى هلكوا عن آخرهم فانقضّ اليونانيون على الفرس وهزموهم في خليج (سلاميس) سنة ٤٨٠ ق.م. وفي حكم الملك ارتخشيارش الفارسيّ (٤٦٥-٤٢٥ق.م.) استقلّ القبط أيضاً ونصّبوا **إيناروس** بن بسامتيك الثالث ملكاً عليهم، ولما لم يقوَ بجيشه الصغير على مقاومة الفرس تحالف مع الآثينيين، ولكنّ ارتَخشيارش اجتهد في إضرام نار الشقاق بين الطرفين. فرشى الآثينيين لينقطعوا عن مساعدة مصر وقد نجح فيما سعى.. ومن ثم هجم الفرس على مصر وأسروا

اينار وس وأرسلوه الى فارس فقتل هناك وأُقيم ابنهُ **تانيراس** مكانهُ . ولما مات أرتخشيارش قام بعده **سيارسيه الثاني** **فسوغد يانوس فدارا الثاني** ، وفي هذه الأثناء ضعفت شوكة الفرس فاستدعى القبط **أميرتيوس** — الذي كان أمير الدلتا ونصير إيناروس - وجعلوهُ ملكاً عليهم فاستظهر في الحرب على الفرس وطرد جنودهم المحتلة وبموت **دارا الثاني** انقرضت من مصر أسرة الفرس الأولى وكانت مدتها ١٢١ سنة واستقلت مصر استقلالها الاخير الذي دام ٦٦ سنة

الاسرة الثامنة والعشرون الصاوية (٤٠٦ - ٣٩٩ ق.م.)

لما ارتقى **أميرتيوس** عرش مصر ثارت نار الفتن بسبب توليته لانه لم يكن من السلالة الملكية ، فسعى في إخمادها وتوطيد سطوته ، فلما اعترف له جماعة الثائرين بالسيادة أطلق على نفسه الالقاب الفرعونية وأصلح في سني حكمه السبع كل ما دمرته دولة الفرس من المعابد ، وأحيا الصنائع الاهلية ، ثم أدركته الوفاة فحالت دون نفاذ بقية مشروعاته الجليلة .

الأسرة التاسعة والعشرون المندسية[(١)] (٣٩٩-٣٧٨ق.م.):-

عدد ملوكها أربعة ومدتهم ٢١ سنة. أولهم الملك **نفريتس الاول** ولم يعلم التاريخ سبب ارتقائهِ العرش ولكنه يعلم انهُ كان باذلاً همتهُ في تقوية مملكتهِ ووقايتها من الفرس مقتدياً في ذلك بالملوك الصاويين، فعقد المعاهدات مع خصوم فارس، غير أن الفارسيين لم يهجموا على مصر في مدتهِ لاشتغالهم بحروب أخرى، ومات **نفريتس** وخلفه الملك **اخوريس** فتعاهد مع أهل جزيرة قبرص وأثينا والقيروان وحصّن بلاده من غارة الفرس الذين هجموا على مصر فردّهم خائبين، وسعى في إصلاح ماخرّبتهُ أيديهم كما دلّت على ذلك النقوش المرسومة على هيكل طيبة، ومات أخوريس سنة ٣٨٢ ق.م فخلفهُ الملك **بساموتيس** الذي لم يُقف له على أثر غير صورته المنقوشة في الكرنك ومعبده الصغير في طيبة. وخلفه الملك **نفريتس الثاني** ابن الملك أخوريس ولم يحكم الاَّ اربعة شهورٍ عزله الجيشُ بعدها، ومن

(١) هي تمي الأمديد بقرب المنصورة، وكان يخترقها الفرع المنديسي أحد فروع النيل المطموسة الآن.

آثاره تمثال أبي الهول المحفوظ بمتحف باريس .

الأسرة الثلاثون السمنودية (٣٧٨-٣٤٠ق.م) - : عدد ملوكها ثلاثة: أولهم **نخت-هورهيب** المشهور **بنقطانب الأول**. كانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات لاهتمام الفرس اذ ذاك باسترجاع مصر، ولما هجم الفرس - البالغ عددهم مائتا الف - على مصر وهزموا اخفر السواحل قام نقطانب بجيشه وكسرهم وخلص مصر من أيديهم، وهكذا رفرف الأمن على الربوع المصرية، فبنى نقطانب هيكل (ايزيس) جهة بهبيت[1] وبوابة في معبد خنسو بالكرنك ثم مات (وتابوته محفوظ بمتحف لندن) وخلفه الملك **نامو** الذي فكر في أن يصد عن مصر هجمات الفرس قبل وصولهم اليها فأبرم معاهدة مع أهل إسبارطة (باليونان) تقضي عليهم بان يكونوا يداً واحدة في مقاتلة الفرس اذا هاجموا فينيقية. وكان جيش **نامو** مؤلفاً من ١٨ ألف وطني و١٠ آلاف أجنبي ومائتي سفينة بحرية، غير أن الجنود الوطنيين كانوا متحزبين ضد ملكهم

(١) بلد بمديرية الغربية يبعد عن المنصورة بعشرة كيلومترات وهو بقرب الخط الحديدي الذي يصل المنصورة بالمحلة الكبرى

لميله الى الجيش الأجنبي فما بارح الملك مصر حتى تمرد عليه الجنود الوطنيون وعزلوه وأقاموا قائدهم **نقطانبوس** ملكاً عليهم باسم **نقطانب الثانى** (٣٥٨-٣٤٠ق.م) فاستمر هذا في تجهيز المعدات الحربية وإقامة المتاريس والاستحكامات لمقاتلة الفرس الذين تولى عليهم **اوخوس** ابن أرتخشيارش واتحد **نقطانب** مع أهل صور وصيدا، وإذحارب الفرسُ الصوريين أرسل اليهم نقطانب أربعة آلاف مقاتل لمساعدتهم فانهزم الصوريون وحرق أوخوس مدينة صور وتقوى على مصر، ونزل بجوار قلعة الطينة والتقى بجيش نقطانب الثاني، ولما كان ثلثا هذا الجيش من الأجانب انهزم نقطانب الثاني أمام الفرس وجمع أمواله وهرب إلى بلاد إثيوبيا سنة ٣٤٠ ق.م. ومن ذلك الحين غربت شمس المملكة الفرعونية وانقطعت سلسلة ملوك القبط ومال رواق عزهم وطويت صحيفتهم الناصعة من صحف التاريخ.

الاسرة الحادية والثلاثون - الفارسية الثانية - (٣٤٠- ٣٣٢ ق.م) -: بعد أن تخلصت مصر من حكم الفرس ستاً وستين سنة تغلبوا عليها ثانيةً وأسس أوخوس هذه الأسرة وعدد

ملوكها ثلاثة: أولهم أوخوس وتولّى باسم **ارتخشارش او اردشير** الثالث فاتّبع طريق القسوة في فارس وفي مصر فمات مسموماً، وخلفهُ الملك **أرسيس** ثم **كودومانوس** باسم **دارا الثالث** الذي في عهده ضعفت دولة الفرس لاختلاط ملوكها باليونان كما ضعف قبلهم المتأخرون من ملوك القبط. وفي هذه الأثناء أخذت مقدونيا (شمال اليونان) في الظهور تحت حكم ملكها فيلبش أو فيليب، ولما مات فيليب هذا خلفهُ ابنهُ **الاسكندر الاكبر** في السنة التي تولّى فيها **دارا الثالث** وهي سنة ٣٣٦ ق.م، فوسّع مملكة أبيه ثم بدّد شمل فارس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ ق.م. ومن ذلك الحين دخلت مصر تحت حكم المقدونيين كما سترى. وقد عثر على حجر[١] نقشت عليه حرب الفرس مع المقدونيين في مصر، وغضبُ المعبود خنوم على مصر، وتنبؤه بزوال حكومة القبط، والقصر على تخليد ذكرى ملوكهم على ممرّ السنين. وكانت مصر إذ ذاك قد أصابها الدمار لما كان عليه

---

(١) هذا الحجر محفوظ الآن بمتحف نابولي بايطاليا وقد كتبه في عصر دارا الثالث كاهن قبطيّ اسمه (سمتاوي تفنخت)

الفرس من طغي وبغي حيث سلبوها أموالها وكنوزها العلمية والفنية وعمّروا بها بلادهم التي كانت غريقة في بحور الجهالة والهمجية .

﴿ تراجم بعض علماء القبط في زمن الفراعنة ﴾

عثر علماء الآثار المتأخرين في الأوراق البردية والآثار التي اكتشفت إلى الآن على أسماء بعض علماء اشتهروا في عصر الأسر القبطية أو عصر المدنية القبطية . وإني رغماً عن كوني قصرت بحثي على الشيء القليل مما كتب في هذا الموضوع رأيت أن أذكر للقارئ الكريم ما وصل اليه علمي من أسماء هؤلاء العلماء الأعلام ، ولعل الذين لهم ولع بمثل هذه الأبحاث وصلوا الى أبعد مما وصلت ، ولعل في الأرض من الكنوز التي يكشفها المستقبل ما يدل على فضل غير هؤلاء

(١) كا كمنه — : كاتب أديب عاش في أيام الملك نفر ـ كا ـ را الملقب بـ « هونى » من الأسرة الثالثة. وقد وصلنا من نصائح كا ـ كمنه قليل دلّنا على قوة عقله ورجاحته ، من ذلك قوله : « إذا جلست لتأكل مع قوم كثيرين فتعفف عما تشتهيه من الطعام لان تعففك لا يتجاوز زمن أكلتك » . « الجاهل الذي لا يعرف الانسانية لا يؤثر فيه كلام ويكون عبوساً عند كل عطاء ولو عن قلب سليم فهو غم لأمه وأهله « اجتهد ليذكر كل إنسان اسمك بالشكر »

(٢) بتاه حوتب — : فيلسوف قبطي اشتهر بحكمه وآدابه في

الأسرة الخامسة التي يرجع تاريخها إلى ما قبل المسيح بنحو أربعة آلاف سنة . ومن حكمه البالغة «إن المرأة منحة تشرف صاحبها» ، « لا تغضب والدتك لئلا ترفع يدها إلى السماء فيستجيب الله دعوتها » ، « إن كنت حكيماً فاعتن كثيراً بأمور بيتك وأحب زوجتك وأخلص لها وأطعمها اذا جاعت وداوها إذا مرضت وأسعدها إذا شقيت فهي أغلى ماتملك وأعز نعم الله عليك وحذار أن تقسو في عشرتها وكن بها رحيما فان الرحمة تحببك اليها وتقربك من قلبها والقسوة تنفرها منك وتقصي ودها عنك » . وقد وجدت إحدى رسائله في قرطاس بردي أرسله بريس دافيد الى المكتبة الأهلية بباريس ومما جاء فيها قوله : « إذا صرت عظيماً بعد أن كنت وضيعاً ، وإذا كنت قد جمعت ثروة بعد فقر ... فلا تجعلن قلبك متعجرفاً بسبب ثروتك لأن الله واهبها اليك » وهذا يدل على جمال هذه الحكم وكان عمره اذ ذاك مئة سنة وعشرة

(٣) آمني ـ آمن (أمنيامن) ـ : كاتب قبطي مجيد اشتهر بقصصه الروائية في الأسرة الثانية عشرة وقد ترجم بعض قصصه فلندرس بتري الأثري الشهير في كتاب « القصص المصرية » الذي طبعه سنة ١٨٩٩ م

(٤) سنموت ـ : من كبار المهندسين الاقباط في عهد الملكة هاتاسو (الأسرة الثامنة عشرة) كان وصياً على أختها نفرورا

(٥) ركمارا ـ : سياسي كبير كان وزيراً لتوتمس الثالث (صفحة ١٨٧)

(٦) أمنهوتب ـ: مهندس قبطي اشتهر في عصر الملك أمنهوتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة

(٧) أخنوتن ـ : شاعر قبطي اشتهر في زمن أمنهوتب الرابع (الاسرة الثامنة عشرة) يرجع تاريخه الى ما قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ سنة. وله قصيدة في مدح الشمس منقوشة على مقبرة(آي)في تل العمارنة

(٨) بنتاؤر ـ : شاعر قبطي اشتهر في زمن رمسيس الأكبر (الاسرة التاسعة عشرة) له قصائد منقوشة على معبد أبيدوس وغيره من المعابد. (راجع صفحة١٩٨)

(٩) أمينت : مهندس قبطي شهير بنى مدينة رمسيس بأمر رمسيس الاكبر وزينها بدور الكتب وجنائن الحيوانات وخلافه

(١٠) آنانا (آني ـ نا): كاتب قبطي ماهر وجدت قصصه في المجموعة البردية الرابعة التي اكتشفها انسطاسي والمحفوظة بمتحف لندن. عاش هذا الكاتب في زمن رمسيس الاكبر وابنه منفطا وقد ذكر الموسيو ماسبرو في كتابه « القصص الدارجة لمصر القديمة » بعض أقوال آنانا الذي نحن بصدده . ولصاحب الترجمة رسالة في قرطاس بردي بالمتحف المصري تحتوي على نصائح قالها لابنه خنسوهتب منها : « لا تتجسس وأنت في منزلك على أعمال غيرك». «يكره قدس الاقداس (الاله)الكلام بصوت مرتفع فصلّ بخشوع وبقلب خالص يتكلم وأنت صامت حينئذ يحفظك الله ويسمع تضرعاتك». «لا تمش وراء امرأة ولا تجعلها تسود على قلبك» الى آخر ما جاء بتلك الرسالة من الدرر الغوالي.

(١١) سنوهيت و (١٢) ساتني : روائيان ورد ذكرهما في مقدمة كتاب الموسيو ماسبرو: « القصص الدارجة لمصر القديمة » حيث قال : « اكتشف الموسيو ده روجه سنة ١٨٥٢ م أوراقاً بردية بها حكايات وقصص، حذا حذوها واضعو قصص ألف ليلة وليلة، وبها ايضاً مدائح للآلهة وقصائد تاريخية وانشاءآت أدبية من جملتها قصص سنوهيت وساتني » الخ . (١٣) بتيسيس : نقاش قبطي اشتهر في مدة الملك نقطانب الاول من الاسرة الثلاثين .

الدور الثالث

في حكم اليونان (الأسرة المقدونيه ودولة البطالسه). (٣٣٢-٣٠ قم)

الأسرة المقدونية (٣٣٢ — ٣٠٥ ق م — : أول ملوكها الاسكندر الأكبر وقد عامل المصريين بالرفق واللين وأطلق لهم حرية العبادة ورفع عنهم المغارم التي كانوا يؤدونها للفرس واحترم المعبودات آمون وبتاه والعجل ابيس وقدّم لها الهدايا والقرابين، وفي سنة ٣٣٢ ق م بنى مدينة الاسكندرية في المكان المسمى (راكوتي) وأباح للاجانب من يونان وسوريين وغيرهم ان يستوطنوا بها، وأسند ولاية مصر الى امير وطنيّ من نقراطيس اسمهُ (اقليومنوس)، ثم سار بجيشه الى آسيا وقهر

دارا الثالث ملك فارس بقرب مدينة (إزبل) عند الموصل سنة ٣٣١ ق.م، وبعد ذلك غزا الهند ورجع الى مدينة بابل بموكب عظيم وقضى بها سنة أقام في خلالها المواسم والمآدب احتفاءً بانتصاراته، ولما كان لهُ من العمر ٣٣ سنة اصيب بحمّى مات على أثرها سنة ٣٢٣ ق.م. وكان له اخ من أبيه اسمه (فيلبس اريدس) وابنٌ من بنت دارا الثالث اسمهُ (هرقولوس)، فاجتمع رؤساء الجند وولّوا أخاهُ **اريدس** سنة ٣٢٠ ق م فوزّع الإيالات على طوائف أمراء الجند وقلّد (بطليموس لاغوس) النيابة على مصر. ولما مات اريدس خلفهُ **هرقولوس** باسم **الاسكندر الثاني** سنة ٣١٧ ق م وحكم ست سنوات وبموته انقرضت الاسر المقدونية وتقسمت مملكة الاسكندر بين قواده[1] فاستقلّ بطليموس

---

(١) اقتسم مملكةَ الاسكندر سنة ٣٠١ ق.م قوادُه، بطليموس وكاساندر وسلوقيوس بعد حروب دموية دامت ٢٠ سنة، فاختص بطليموس بمصر، وكاساندر بمقدونيا واليونان، وسلوقيوس بولايات آسيا بما فيها مملكة الفرس القديمة .فضم سلوقيوس ولايات آسيا الى مملكة الفرس وجعلها مملكة واحدة تمتد من البحر الأبيض الى نهر السند (الهندوس) وسماها مملكة سوريا،ثم بنى مدينة انطاكيا على

بحكم مصر وكوّن الاسرة المشهورة بدولة البطالسة .

دولة البطالسة (٣٠٥ ـ ٣٠ ق.م.) ـ : انفصلت هذه الاسرة عن مملكة مقدونيا انفصالاً تاماً وجعلت تحتها مدينة الاسكندرية . عدد ملوكها ١٤ وآخرهم الملكة كليوبطرة .

الملك **بطلميوس الأول** (سوتير) .(٣٢٣-٢٨٥ق.م)-: كان والياً على مصر مدة ١٧ سنة ولما استقرّ به الملك سنة ٣٠٥ق.م تفرّغ لتنظيم شؤون مصر وبنى الهياكل التي أشهرها هيكل سيرابيس[1] بالاسكندرية ، وأسس المدرسة والمكتبة الشهيرة «برواق الحكمة» التي كتب فيها أُقليدس[2] كتابهُ «العناصر» وهيروفيلس «علم الجراحة» وأُبقراط[3] «الطب»

الأُرونط وجعلها عاصمة ملكه بعد مدينة بابل، واستمرت مملكة سوريا ٢٧٠ سنة حتى انقسمت الى ولاياتٍ دخل بعضها تحت حكم الرومان.

(١) كان في هيكل سيرابيس مكتبة بها ٧٠٠ ألف مجلد من حكمة القبط .وسيرابيس لفظة محرّفة عن آسار ـ هابي أي أوزيريس المختفي

(٢) أقليدس (٣٢٣-٢٨٣ق.م) يونانيّ تلقى علومهُ بالاسكندرية ونبغ في الرياضة (٣) ولد أبقراط سنة ٤٦٠ق.م في جزيرة (قوس) من جزر الارخبيل بالبحر الابيض وتعلّم في الاسكندرية. استدعاه

وفي أيام بطليموس انتشرت التجارة وكثر وفود الأجانب على مصر - لاسيما اليونان اذ كانوا من جنس الأسرة المالكة - وأصبحت اللغة اليونانية لغةَ البلاط الملكيّ، أما اللغة القبطية فظلّت لغة الأمة كما ظلّت الأوامر المَلَكية تكتب بها متبوعةً باليونانية. وقد أرسل بطليموس قائدهُ (نيكاتور) لفتح سوريا، وأسر كثيرين من اليهود وضمّ الى مصر برقة وجزيرة قبرص (بالبحر الأبيض) وفينيقية، ثم تنازل لابنهِ بطليموس الثاني وتوفي سنة ٢٨٣ ق م.

الملك بطليموس الثانى (فيلادلفوس) - (٢٨٥-٢٤٧) ق. م.: نهج منهج أبيهِ في رفع شأن العلوم والفنون فجمع الكتب المفيدة وأرسل البعثات لاستكشاف شواطىء البحر الأحمر والمحيط الهنديّ وتأسيس المراكز التجارية هناك، وجدّد ترعة سيتي الاول التي أصلحها نخاو الثاني وأتمها دارا الثالث، ثم أمر بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية (هي الترجمة

ارتخشيارش ملك الفرس لمقاومة الطاعون الذي فشا في جيشه فرفض الدعوة وقال: «إن الشرف يمنعني عن مداواة اعداء بلادي».

السبعينية : راجع صفحة ١١٩)، وأوعز الى مانيثون بوضع تاريخ لمصر (راجع صفحة ١٧) وعمّر بمدينة الفيوم ضاحيةً باسم (ساماريا) وسمّاها فيما بعد (ارسينو) على اسم زوجته، وشيد منارةً بالاسكندرية في محل طابية برج الزّفر لتهتدي بها السفن، وبنى هيكل أنس الوجود القريب من خزان أسوان (راجع صفحة ١٨٩) ثم مات وخلفه ابنهُ بطليموس الثالث

الملك بطليموس الثالث (ايفرْجيتس)[١] -(٢٤٧-٢٢١ ق م)- أشهرَ الحربَ على **سلوقيوس** ملك سوريا[٢] وانتصر عليه ثم غزا البلاد التي في غرب الفرات وأخضع الجزيرة والعراق وتوغّل في فارس حتى وصل الى همَذان وبَلْخ واستردّ معبودات المصريين التي كان قد أخذها قمبيز في إغارته على مصر، ثم

(١) أي الكريم ولقّب بذلك تهكماً (٢) كان انطيوخوس ملك سوريا قد طلّق زوجته (لاوديك) والدة سلوقيوس وتزوّج برنيقة بنت بطليموس الثاني واخت بطليموس الثالث فحقدت عليه (لاوديك) وعملت على قتله، وبمسعاها أقيم سلوقيوس ملكاً بدله، وقتلت برنيقة وابنها الصغير في (دَفنة) بضواحي انطاكيا فكان ذلك سبباً في الحرب التي أشهرها بطليموس على سلوقيوس انتقاماً لأخته برنيقة .

عجل بالعودة الى الاسكندرية لفتنة قامت بها فأخمدها، ومن ثمَّ نحا نحو أبيهِ فوسع دائرة العلوم والفنون وسلَّم ادارة المكتبة الى العلاّمة (ايراتوستين)[١] وأسس معبد (إدفو) ذا الأبراج الشاهقة، وفي إيامهِ سقط صنم جزيرة رودس[٢] ثم مات بطليموس الثالث وخلفهُ ابنهُ بطليموس الرابع.

الملك **بطليموس الرابع** (فيلوپاتير)[٣] - (٢٢١- ٢٠٥ ق.م) - : كان صبياً مشتغلاً عن الرعية بانهماكهِ في الملاذّ والملاهي، وكان وزيره (سوسيبيوس) ينقل اليه أخباراً كاذبة ليحفظ مكانتهُ عنـدهُ. وحدث أن انطيوخوس الثالث ملك

(١) ولد ايراتوستين في القيروان سنة ٢٧٦ قم وهو من فلاسفة مدرسة الاسكندرية وقد وضع مؤلفاً في علم الفلك تداوله الناس أربعة قرون ثم أتى بطليموس الفلكيّ الاسكندريّ ووضع مؤلفاً غيره انتقده العالم (كوبرنيك) في القرن السادس عشر. (٢) كان هذا الصنم مسبوكاً من البرونز. أقامه أهالي رودس تخليداً لذكرى بطليموس الاول عند ما أمر قائده ديمتريوس بفكّ الحصار عن جزيرتهم وبعد مضيّ ستٍ وستين سنة على رفع هذا الصنم، سقط وظل ملقىً على الارض حتى سنة ٦٧٢م حيث باعه معاوية (أول خلفاء الدولة الأموية) إلى اسرائيليٍ قيل إنه حمل من معدنه ٦٠٠ جملٍ. (٣) أي محب أبيه ولقب بذلك تهكماً

سوريا أغار على مدينة سيلوقية التي يخترقها نهر الأرونط والتي كانت من أملاك مصر، فألح الناس على بطليموس أن يذهب بنفسه لمقاتلة ملك سوريا فسار اليه ومعه سبعون الف جندي بين قبط ويونان فالتقى الفريقان بين العريش وغزة وكان بين الجيش السوري فيلة هندية وبين الجيش البطليموسي فيلة ليبية، وبعد أن اقتتلا قتالاً عنيفاً سنة ٢١٧ق.م جزعت الفيلة الليبية وكاد النصر يكون حليف السوريين غير أن فرقة من القبط استبسلت في الهجوم على العدو فحولت دفة النصر شطر مصر [١] فانهزم ملك سوريا وولى مدبراً الى (رفح) ودخل بطليموس يافا وسار الى أورشليم وسأل كاهن اليهود أن يريه « قدس الاقداس » وأواني الهيكل فأبى فحقد بطليموس على اليهود وما عاد الى الاسكندرية حتى أمر باستئصال شأفتهم، ثم وسع معبد إدفو ورمم دير المدينة [٢] ثم انهمك في اللهو فمات وخلفه ابنه بطليموس الخامس

(١) راجع كتاب « تاريخ مصر » لأمهرست بصفحتي ١٩١ و ١٩٢

(٢) هو في النصف الغربي من مدينة طيبة بجوار قرية القرنة وبين

الملك بطليموس الخامس المسمى إيفان أي الماجد (٢٠٥-١٨١ق.م.) - : تولى المُلك وهو في الخامسة من عمره وفي عهده أثار العامّة فتنة ضد وصيّه (اغاسقُليس) الذي كان أحد وزراء أبيه، وكانت تلك الفتنة سبباً في سقوط اغاسقليس المذكور عن الوصاية ومن ثم عهد بها الى (اريستومين) . ولما بلغ **ابيفان** سنّ الرشد تزوّج بكليوبطره بنت انطيوخوس الثالث ملك سوريا، وقد ارتكب من المظالم ما حمل الأهالي على المناداة بخلعهِ غير انهُ تدارك الأمر بأن بعث الى روميه سنة ١٩١ ق . م . بالف رطل من الذهب ضمن هدايا أخرى، فأيّده مجلس شيوخها (السناتو) ولكنه مات مسموماً تخلفهُ ابنهُ بطليموس السادس

الملك بطليموس السادس (فيلوماتير)[1] .(١٨١-١٦٤ق.م.) تولّى المُلك قاصراً فقامت امهُ كليوبطرة بنت انطيوخوس بالأمر بحزم وعزم غير أن أخاها (سلوقيوس) ملك سوريا

هذا الدير والاقصر ساعتان . بني في زمن امنوفيس الثالث ويقصدهُ السياح ليشاهدوا اتقان وجهته المحفوظة حتى اليوم . (١) أي محب أمه ولقب بذلك تهكماً

قام يغزو مصر دون أن يراعي حرمة اخته وابنها القاصر إلا ان المنية لم تمهله فمات وخلفه **انطيوخوس** الرابع الذي اتّبع طريق سلوقيوس وهجم على مصر ووصل الى منف سنة ١٧٣ ق.م. فخافت كليوبطره بطشه ومن ثم أرسلت الجمهوريه الرومانية قائداً اسمهُ (بوبيليوس) تغلب على عسكر سوريا وأخرجهم من مصر . ولما كان انطيوخوس الرابع ملك سوريّا قاسياً على اليهود باورشليم فرّ من وجهه اونياس بن حنانيا رئيس كهنة اليهود والتجأ الى بطليموس وطلب منه التصريح ببناء هيكل لليهود بمصر على مثال هيكل بيت المقدس - وكان عدد اليهود بمصر يومئذٍ يقرب من المائة الف نسمة - فأذن لهُ بتشييد الهيكل الذي اشتهر بعد ذلك باسم اونياس [1]

الملك **بطليموس السابع** المسمى أوباتير أي الممجّد اباه (١٤٦-١١٧ ق.م.) -: قامت عليه الرعية بسبب ظلمه وقسوته

(١) شُيد هذا الهيكل مكان هيكل ليونتوبوليس الذي بني في عهد رمسيس الثالث بقسم عين شمس. وقد بقي هيكل أونياس عند اليهود موضع فخر واعجاب حتى هدمه الامبراطور تيطس سنة ٨٠ م

فالتجأ الى جزيرة قبرص ولم يرجع الى الملك الا بمساعدة الرومان ولما مات خلفهُ اخوهُ بطليموس الثامن

الملك **بطليموس الثامن** المسمى لاتيروس[1] «١١٧-١٠٧»: اتخذ له جيشاً اجنبياً وسام الرعية خسفاً فمقتته ، ولما استفحل شرّهُ ثارت عليهِ رعيته فهرب الى قبرص ثم أُعيد ثانيةً ٨٨-٨١ق.م. حيث اشتغل بتشجيع العلوم الادبية التي تلقاها على المعلم ارستارخس الشهير . وفي أيامهِ سافرت البعثة العلمية المصرية لاستكشاف بحر الهند برياسة القائد هورشيش القوزيقي الذي كان يحسن الأرصاد الفلكية فتبين مواقع الأرض وتخطيطها وطاف حول افريقية. ثم مات بطليموس الثامن وخلفه العاشر «لموت التاسع سنة ٨٨ ق . م . »

الملك **بطليموس التاسع** المسمى فِسكون[2] «١٠٧-٨٨ق.م.»: كانت أمهُ تبغضهُ وتحب أخاه الاسكندر فقام بينها وبين بطليموس نزاع شديد وقعت نتائجه على رؤوس القبط حيث

---

(١) اي الأرقط وهو من يشوب جسمه الابيض نقط سوداء أو بالعكس (٢) أي البطين ولقب بذلك لضخامته وكبر بطنه.

قامت الفتن الداخلية وكثرت الاحزاب مما ادّى الى خلع بطليموس وتولية أخيه الاسكندر ، وما تولّى هذا حتى طغى وكرهته امه فقتلها وغضبت عليه الرعية فهرب من وجهها هاجراً مصر وعلى ذلك استدعيَ بطليموس ثانيةً وكانت طباعه قد تهذبت فبقي ملكاً حتى مات .

الملك **بطليموس العاشر** (ديونيروس)[١] -(٨١-٨٠ ق.م)-: تولى بمعاونة السناتو الروماني ، ولما رأى الجنود المصريون ان الرومان يتداخلون في شؤون مصر بدون حق وان بطليموس راضٍ عن ذلك ، عقدوا النية على قتله فقتل ذبحاً بعد تسعة عشر يوماً من حكمه وبذلك انقرض نسل لاغوس .

الملك **بطليموس الحادى عشر** « أُوليتِس »[٢] (٨٠ — ٥١ ق.م) - : لما تولى أوليتس احتج ورثة لاغوس على توليته لدى الجمهورية الرومانية فقاوم أُوليتس هذا الاحتجاج بهدايا أرسلها مع وفد الى بعض أمراء هذه الجمهورية اعتقاداً منه بأن

---

(١) اي الخمّار لولعه بشرب الخمر (٢) أي الزامر ولقب بذلك لولعه بالمزمار وهو ابن غير شرعي لبطليموس الثامن .

« البراطيل تنصر الأباطيل » . ولما انعقد المجلس الروماني للنظر في الأمر قام المستشار « رولوس » وطلب من المجلس أن يضم مصر الى الدولة الرومانية فعارضه الخطيب (شيشرون) وقال : « إن موقع مصر الجغرافي يقضي ببقائها مستقلة » فوافقه المجلس. وحدث بعد ذلك ان ثار المصريون على أوليتس فهرب الى قبرص ومنها إلى رومية وظل بها حتى سنة ٥٥ق م حيث أقيم «بومبيوس» قنصلاً على الرومان وأمر قائده «بينوس» بأن يعيد أوليتس الى مصر ويرد اليه تاجها، فقام بينوس بجيش يقوده معه « مرقس أنطنيوس» صديق أوليتس ، ولما وصلوا الى الاسكندرية قاتلهم « أرخيلاوس » زوج بنت أوليتس فقتلوه وأقروا أوليتس على سرير الملك، ولما استقر له الامر انتقم من معارضيه وصادرهم في أموالهم وسلمها لبينوس ومرقس اللذين تركاه وقفلا عائدين الى رومية مثقلين بالذهب بعد ان أبقيا مع أوليتس من يحميه وقدمات ممكنا الرومان من شؤون مصر فخلفه ابنه بطليموس الثاني عشر .

الملك بطليموس الثانى عشر « ٥١—٤٧ ق.م » — : كان

قاصراً وكانت أخته كليوبطرة المشهورة في التاريخ تبلغ من العمر ١٧ سنة . وقد أوصى أبوهما قبل وفاته بأن تشارك كليو بطرة أخاها القاصر في الملك لتدفُّق دلائل الذكاء من عينيها . وكان لها ولع بالسياسة واستعداد للسيادة والحكم . فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين . ولما وقعت العداوة بين « يوليوس قيصر » و« بومبيوس » - اللذين كانت بيدهما رياسة الدولة الرومانية - أرسل بومبيوس أكبرَ أولاده مع قائد من حزبه اسمهُ « كور نليوس سيبوس » الى مصر يطلب من كليوبطرة نصرته على خصمه ، فمدته بستّين سفينة حربية وخمسمائة جندي ، ولما كان ذلك على غير رغائب أوصيائها حرّضوا الأهالي عليها حتى فرت الى سوريا ولم تُجدِ نجدتُها لبومبيوس نفعاً إذ قد جاء الى مصر فاراً من وجه يوليوس . فقبض عليه بطليموس - وكان قد بلغ أشُدَّه - وأمر بقتله أمام مدينة الفرما . ولما حضر يوليوس قيصر الى الاسكندرية وعلم بمقتل خصمه حزن عليه وحنق على بطليموس وردّ كليوبطرة الى مصر لتحكمها بالاشتراك مع أخيها .

أما المصريون فكانوا ناقمين على الاسرة المالكة وعلى تداخل الرومان في شؤون البلاد فأشاروا على الامير «أخِلاَّس» قائد الجيوش المصرية بأن يزحف على الاسكندرية ويطرد قيصرَ منها ، فاتفق الوزير « بوطين » الطواشي مع أخلاّس وهجما على الاسكندرية ومعهما ٢٢ ألف جنديّ ، فارتبك قيصر وفضّل احراق سفنه الحربية على وقوعها في أيديهم ، وبينما كان على شفا الهزيمة إذجاءهُ جنود من سوريا يقودها «ميتريدات» وعاونوه على قهر الاسكندرية فغرق بطليموس في النيل وعلى أثر ذلك طلب أهالي الاسكندرية الصلح فأجابهم قيصر الى طلبهم وعين لهم بطليموس الثالث عشر ملكاً بالاشتراك مع أخته كليوبطرة وأخيراً رجع الى رومية

الملك **بطليموس الثالث عشر** (٤٧-٤٣ ق.م) :- تزوج بأخته كليوبطرة فأصبحت صاحبة الكلمة والنفوذ التام في مصر ثم توجهت مع زوجها الى رومية لتوثيق عرى المودة بينها وبين يونيوس قيصر فقابلها الرومانيون بالاجلال والترحيب واقامت بقصر على نهر التيبر . ولما قويت شوكة يوليوس قيصر

أراد حزب الجمهورية أن يتخلص منه بقتله، فأوعز بذلك الى (بروتوس) الذي جرّد خنجراً طعن به قيصر في المحفل العام في ١٥ مارس سنة ٤٤ ق. م. وقال قيصر وهو يحتضر: «لقدطعنتَ أباك ياهذا». قيل وقد كان بروتوس بن قيصر من السفّاح غير انه الى وقت اعتدائه عليه لم يكن يعلم هذا السرّ، وبعد موت قيصر (١) أصبحت كليوبطرة فاقدة النصير، لاسيما بعد ان فقدت زوجها الذي قيل إنها دسّت له السمّ لتتوصل الى تمليك أصغر أولادها بطليموس قيصرون الملقب **ببطليموس الرابع عشر** وهو على دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر (٤٢-٣٠ق.م). وفي مدة حكم بطليموس الرابع عشر، كان مرقس

(١) كلف يوليوس قيصر سوسيجين الاسكندري الفلكي سنة ٤٥ ق. م. باصلاح خطأ التقويم الروماني فجعل سوسيجين السنة ٣٦٥ يوماًوربع يوم تماماًوقرّر أن يُلحَق بكل ثلاث سنوات سنة كبيسة مركّبة من ٣٦٦ يوماً. وقد ظلّ هذا الحساب معمولاً به حتى سنة ١٥٨٢م. حيث عمل التعديل الغريغوري، فحافظ على قاعدة سوسيجين وأضاف اليها أن يلحق بكل ثلاثٍ من السنين المئوية البسيطة سنة مئوية كبيسة.

أنطنيوس - الذي قاد الجيش المساعد لبطليموس الزامر كما مرّ - رئيساً لمجلس رومية مع شريكه (أكتافيوس). فلما رأى انطنيوس كليوبطرة أذهله جمالها فعشقها وأهمل بسببها شؤون وظيفته مفضلاً الاقامة مع معشوقته، ولما هدّده مجلس رومية بخلعه من منصب الرياسة خرج من مصر مكرهاً. فتوجه الى ايطاليا ومنها إلى سوريا لغزو الفرس، وقد طلبت كليوبطرة منه أن يعطيها جزيرة قبرص وبلاد العرب لتوسيع ملكها وترويج تجارة الاسكندرية التي كسدت إذ ذاك. وبينما هو في الطريق عرّج على مصر ليقوم بطلبات كليوبطرة، وقد حاول إضعاف الجمهورية الرومانية، وأعطى لقب ملك لولديه من عشيقته، فحكم عليه المجلس بالعزل وأشهر الحرب على مصر. فتأهبت كليوبطرة وتبعها أنطنيوس الى ساحة القتال في مدينة (أكتيوم) التي هي (أزيو) على ساحل موريا في اليونان، وكان ذلك في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق.م. وبينما الحرب تدور رحاها إذ انفصل ستون سفينة عن باقي العمارة البحرية، فولّت كليوبطرة هاربةً من القتال تمخر البحر على احدى هذه السفن - قال بعض الكتّاب: «ولا يُعلم ان

كان هرب كليوبطرة لفزعها من الحرب أو لاتفاقٍ وقع بينها وبين أكتافيوس رئيس الجمهورية» - وولّى أنطنيوس وراءها غير أن اكتافيوس اقتفى أثرهما فسلمته كليوبطرة مدينة الفرما التي هي مفتاح مصر وأرادت بهذه الخيانة أن تخطب ودّه عازمةً على تقريبه منها بإقصاء عشيقها عنها ، ولما وصل أنطنيوس الى الاسكندرية قابلته كليو بطرة بفتور ، وباشارة من تلك اليونانية الخائنة انفصل الجيش عن أنطنيوس وانضمّ الى اكتافيوس، ولكنها عادت فشعرت بسوء فعلتها فتوارت في مدفن كانت قد شيدته لتُدفن فيه وأشاعت أنها تريد الانتحار، فلما علم أنطنيوس بذلك طعن نفسه بخنجر، ثم بلغه وهو في النزع ان كليوبطرة لم تزل على قيد الحياة فأمر أن يجمعوه بها فأنزلوه في جهة من المدفن حيث مات شرّ ميتة. وأما كليوبطرة فكانت تتظاهر والخنجر في يدها بطلب الموت قاصدةً أن تفتن اكتافيوس كما فتنت عمهُ يوليوس قيصر وغيره فخاب ظنها ، ولما خافت الأسر قتلت نفسها شر قتلة. وقيل انها وضعت ثعباناً في سلّة ومكّنته من ثديها فقتلها ، واما اكتافيوس ،

فقد قتل ابنها بطليموس قيصرون، ولما عاد الى رومية عمل لكليوبطرة تمثالاً وبجانبه ثعباناً ينهشها . وبموتها انتهى حكم اليونان (البطالسة) لمصر سنة ٣٠ ق.م. وأصبحت هذه البلاد إيالة تابعة لحكومة رومية الى سنة ٦٤٠ م .

قال المؤرخون: ومع أن مصر تأخرت في أيام هذه الدولة ورجعت القهقرى، إلا أنها كانت كثيرة المفاخر والمآثر . فان البطالسة أطلقوا الحرية لجميع أهل البلاد وجعلوهم متساوين أمام الشريعة، وأتموا كما ذكرنا عمارات كثيرة في بلاد النوبة وجزيرة البربى التي هي أنس الوجود وبنوا مدينة أرمنت وحسنوا اطيبة وأقاموا فيها هيكل دير المدينة وقد شيدت كليوبطرة هيكل دندرة ومدينة إدفو القديمة. ولم تضعف دولة البطالسة إلاّ بعد معاهدتها مع رومية حيث أخذت في الاضمحلال والفناء.

الباب الثالث

عصر المسيحية فى مصر

ينقسم عصر المسيحية في مصر الى أربعة أدوار :– الدور الاول في حكم الرومان من سنة ٣٠ ق.م. الى سنة ٦٤٠ م. الدور الثاني في حكم

العرب (٦٤٠-١١٧١). الدور الثالث في حكم الاكراد والاتراك العثمانيين (١١٧١-١٨٠٥م). الدور الرابع في الأسرة الخديوية (١٨٠٥-٠٠٠)

وقد رتبنا حوادث هذه الأدوار على حسب القرون الميلادية ذاكرين في كل قرن: (أولاً) الحوادث الدينية المتضمنة تاريخ بابوات الاسكندرية وهم بطاركة القبط خلفاء مرقس الرسول. (ثانياً) الحوادث المدنية المتضمنة تاريخ حكام مصر

الدور الاول

في حكم الرومان من سنة ٣٠ ق‌م. الى سنة ٦٤٠م.

سميت هذه الدولة رومانية نسبة الى عاصمتها (رومية) وهي مدينة في ايطاليا على نهر التيبر بناها (رومليوس) أول ملوك هذه الدولة سنة ٧٥٣ ق‌م. وسكان رومية من اللاتين. وكانت حكومتها ملكية الى سنة ٥١٠ ق‌م. ثم جمهورية الى سنة ٣٠ ق‌م حيث كان رئيسها يسمى بالقنصل أي منفذ الأحكام . وأخيراً امبراطورية يحكمها القياصرة وذلك من سنة انضمام مصر اليها (سنة ٣٠ ق‌م.). وقد تقدم الرومان وعلت كلمتهم وملكوا جميع الدنيا تقريباً، غير ان قياصرتهم سلكوا مسلك الترف والبذخ مما أدّى الى ضعف المملكة وانقسامها سنة ٣٩٥م. الى قسمين : مملكة غربية وتختها مدينة رومية - وقد دالت دولتها سنة ٤٧٦ م . بهجوم قبائل الغوط عليها فتجزأت الى جملة ممالك منها المانيا وفرنسا وانجلترا - ومملكة شرقية وتختها القسطنطينية (الاستانة أو استانبول)

وقد بقيت رومانية الى أن أخذها محمد الثاني التركي سنة ١٤٥٣م. أما مصر السيئة الحظ فكانت تابعة بعد تقسيم الدولة الرومانية للقيصرية الشرقية الى سنة ٦٤٠م. وكان يحكمها قبل التقسيم وبعده نواب من قِبَل القياصرة ساموها الخسف كما سترى ، وفي منتصف القرن الاول الميلادي اعتنق القبط الديانة المسيحية. أمّا حكومة الرومان المحتلة فقد استمرت وثنية وظلّ قياصرتها يضطهدون المسيحية في جميع الولايات التابعة لهم (راجع صفحة ٥٣) الى أن تولى القيصر ثاؤدوسيوس الكبير فحرّم عبادة الاوثان سنة ٣٨١ م . واصبحت حكومة مصر مسيحية الى سنة ٦٤٠ حيث دخل العرب المسلمون، فانقلبت الحكومة اسلاميةً وانحصرت المسيحية في الامة القبطية الى وقتنا هذا تحت رعاية باباواتها العظام خلفاء مرقس الانجيلي العظيم في الآباء .

القرن الاول الميلادي

(الحوادث الدينية في القرن الاول)

قلنا فيما سبق أن مرقس انطنيوس عشيق كليوبطره كان شريكاً لاوكتافيوس في رياسة الجمهورية الرومانية وبعد قتل انطنيوس آلت رياسة تلك الجمهورية الى اوكتافيوس وحده فسمّى نفسهُ امبراطوراً (سنة ٣٠ق م الى سنة ١٤م) وأطلقت عليه

رعيته لقب **أوغسطس** اي السامي، وقد ارسل هذا الامبراطور من قبله (هيرودس) والياً على سوريا و (كرنليوس غالوس) (٣٠-٢٦ق.م) والياً على مصر . فقام هـذا الاخير باصلاح ما أفسدتهُ الحروب القريبة، العهد وجاء بعده (بترونيوس)، ونظراً لكثرة الضرائب التي ألقيت على عاتق الأهالي في مدته ثاروا عليه، ولما هدأت الثورة همَّ أهل إثيوبيا تحت قيادة (قنداقة) ملكتهم بالهجوم على مصر فهزمهم (بترونيوس) وخرَّب (نباتا) عاصمتهم فلم تقم لها قائمة حتى اليوم. ولما تعين «اليوس» والياً على مصر « ٢٥-٢٤ ق.م » استصحب معه «استرابون» الجغرافي « راجع صفحة ١٨ » وعكف على تحسين مجرى النيل، أما العلوم والمعارف فتضعضعت حالها وانحطت درجة المكاتب الأهلية لان الرومان كانوا أهل حرب وغزو لا يميلون الى العلوم والفنون. شيمتهم الظلم وسليقتهم النهب والسلب، فعظم الداء وعزَّ الدواء، وفي هذا الوقت العصيب أرسل الله ابنه على ما تنبأ به الانبياء .

مولد المسيح له المجد — : في ليلة ٢٩ كيهك في السنة ال٤٢ من

حكم أوغسطس قيصر والسنة ٣٢٢ من موت الاسكندر الاكبر، في عهد ولاية هيرودس على اليهودية (سوريا) ، ولد المسيح الرب من مريم العذراء أفضل نساء العالمين ،وهى ابنة « يواقيم » (المسمى هالي) «وحنة» من مدينة الناصرة بالجليل -: توجهت العذراء مع خطيبها يوسف النجار في أيام حملها الالهي الى مدينة « بيت لحم » جنوبيّ أورشليم بسبب الاحصاء المسمى في انجيل لوقا « الاكتتاب الثاني ». ولما تمت أيامها في تلك الليلة انزوت في مذود للبهائم وولدت ابنها البكر وأضجعته في ذلك المذود . وكان على مقربة من بيت لحم رعاة يسهرون الليلَ على حراسة اغنامهم ، واذا ملاك الرب قد وقف بهم ونور السماء اشرق عليهم فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك : لا تخافوا ، ها أنا ذا أبشركم بأنه قد ولد لكم الليلة في مدينة داود (بيت لحم) مخلِّص هو المسيح الرب [1] والعلامة لكم هي ان تجدوا طفلاً

(١) سمي المولود مخلّصاً لأنه كان مزمعاً ان يخلصنا من عقاب الموت الابدي الذي استحقه آدم بمخالفته أمر الرب . وسمي مسيحاً لانه ممسوح من الله وماسح خطايا العالم

مضطجعاً في مذود. ثم توارى عنهم الملاك واذا جمهور من الملائكة يسبحون الله بصوت جهوري قائلين: « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة ». ولما زال دهش الرعاة وسرى عنهم الخوف جاءوا الى بيت لحم ورأوا الصبي مع مريم ويوسف فسجدوا له واخذوا يحدّثون بما رأوا. وجاء مجوس من المشرق الى أورشليم وطفقوا يسألون عن المولود الجديد ملك اليهود قائلين: « انّا رأينا نجمه في المشرق واتينا لنسجد لهُ » فلما علم هيرودس بهذا كله انزعج وخاف خوفاً شديداً على سلطة الرومان، فجمع رؤساء كهنة اليهود وسألهم عن المكان الذي يولد فيه المسيح فقالوا: « بيت لحم » فقال هيرودس للمجوس: اذهبوا وابحثوا عن الصبي واذا وجدتموه ارجعوا اليّ لأني انا ايضاً اريد ان اسجد لهُ. فسار المجوس والنجم يتقدمهم حتى اتوا الى حيث الصبي. فقدّموا لهُ هدايا: ذهباً، للدلالة على انه مُلك، ولباناً، للدلالة على انه إله، ومرّاً، للدلالة على آلامه وموته. وباتوا ليلتهم فرأوا في منامهم ملاكاً يقول لهم: لا ترجعوا الى هيرودس بل سيروا في طريق أخرى، ففعلوا، فاشتد القلق بهيرودس

فأمر بقتل صبيان بيت لحم وما يتاخمها من ابن سنتين فما دون. وهكذا رأى يوسف في منامه ملاكاً يقول لهُ: «قم فخذ الصبي وأمهُ واهرب الى مصر لأن هيرودس يطلب نفس الصبي». فقام يوسف غلساً وأخذ مريم وابنها وأركبهما حماراً وانحدر بهما الى مصر وأبثوا بها حتى ظهر الملاك ثانيةً ليوسف في الحلم وقال له: «قم فخذ الصبي وأمهُ وارجع الى أرض اسرائيل فقد مات هيرودس» (مت ٢ : ١٣ — ٢٣).

مجيء الاسرة المقدسة الى مصر — : كان مجيء السيد الى مصر ليبارك شعبها ولتتم النبوءة القائلة: «من مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). وذكر السنكسار في يوم ٢٤ بشنس ما يأتي: «جاء السيد الى مصر مع والدته ويوسف النجار وسالومي ومرّوا بمدينة بسطة وأتوا الى سمنود ومن هناك اجتازوا غرباً بجبل النطرون (برية شيهيت) فباركتهُ أمّ النور. ولما انتهوا الى الاشمونين أقاموا فيها أياماً وقصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء الشهير الآن بالمحرّق[1]

(١) هذا الدير العظيم يبعد عن محطة نزالي جنوب بمقدار ساعة

وحينئذ مات هيرودس بالشام فظهر ملاك الرب ليوسف كما أسلفنا فعاد بمن معهُ الى مصر ونزل في بابيلون [1] في المغارة

وعدد رهبانه سبعون. ويبلغ ايراده السنويّ من الاطيان والأملاك ما يقدّر بنحو العشرة آلاف جنيه مصري . واسقفه الحاليّ هو الانبا باخوميوس. وسميّ هذا الدير بالمحرق لوجودهِ بقرب حوض زراعي اشتهر بالحوض المحرّق وذلك لنضوب المياه منه قبل غيره من الحياض.

(١) قال ديودور الصقليّ عن بابيلون مصر ما يأتي: «إن الأسرى البابليين الذين أسرهم رمسيس الاكبر من آسيا احتلوا قلعة (هابنين) على شاطئ النيل تجاه مدينة منف وبنوا هناك مدينة دعوها (بابيلون) أو (بابل) على اسم عاصمة بلادهم» . وقال يوحنا النقيوسي «أسس هذه القلعة سابقاً نبوخذنصّر ملك المجوس والفرس وسماها قلعة بابيلون وقد كان ذلك في وقت تملّكه على مصر بارادة الله . . » ورواية النقيوسي تخالف الواقع لان نبوخذنصّر لم يكن ملك الفرس بل ملك بابل وانهُ لم يملك مصر على الاصحّ . وهناك رأي ثالث لمسيو (كازانوفا) أحد أعضاء جمعية العاديات المصرية فى القاهرة حيث قال: « ورد فى الكتابات الهيروغليفية انهُ كان فى سالف الأعصار هيكل ليس يبعيد عن دير القبط المسمى الآن دير بابيلون. وفى هذا الهيكل كان كهنة القبط (فى عصر الوثنية) يحلون العجل ابيس (أحد معبوداتهم) ليستريح برهةً أثناء مسيره من منف الى عين شمس وكان

(الكائنة) بدير القديس سرجيوس[١] (ابو سرجه) بمصر

اسم هذا المكان بالقبطية « بي أبين أون » أي مقام أيس في سيره الى أون وهي هليوبوليس فصحّف اليونان هذا الاسم وجعلوه (بابيلون). وقد بنى القيصر الروماني ترايانوس (تراجان) (٩٨-١١٧ م) قلعة في شمال بابيلون تسمى الآن (قصر الشمع)، وقيل ان «قصر الشمع» اسم قديم نشأ من إقامة الاعجام المجوس في تلك المدينة وعبادتهم للنار. وقال المقريزي (٢: ٤٧١): «كان ببابيلون كنيس لليهود بني قبل خراب اورشليم للمرة الثانية بنحو ٤٥ سنة، وكان بالكنيس نسخة قديمة من التوراة بخط عزرا الكاهن» وجاء ان هذه النسخة قد سرقت ثم هدم الكنيس وبني خلافه ولما ظهرت المسيحية بأوسع معانيها في مصر اعتنقها أغلب اليهود وتحول الكنيس الى كنيسة، ولما حدث الانشقاق بين الكنيسة القبطية واليونانية في (مجمع خلقيدونية) سنة ٤٥١ م أخذ الملكيون هذه الكنيسة وبقيت في حوزتهم الى إن انقرضوا في أوائل الجيل التاسع فاستولى عليها القبط. ولما اضطر أحمد بن طولون البابا ميخائيل الثالث (ا ٥٦) الى دفع غرامات طائلة، استأجر اليهود هذه الكنيسة من غبطته لمائة سنة وقيل انهم اشتروها شراءً، وعلى كل حال فهي في يدهم الى الآن.

(١) كنيسة ابي سرجه هي أقدم كنيسة في مصر بعد كنائس الاسكندرية وأصغرها مساحة وقد قيل: انها بنيت في عهد الرسل. أما

القديمة ثم رحلت الاسرة المقدسة الى المطرية واغتسل افرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدست من تلك الساعة ونمت بقربها شجرة البلسم الموجودة الى اليوم والتي «من دهنها كانوا يصنعون الميرون المقدس ويكرّسون الكنائس وأوانيها». وقد اختلف المؤرخون في مدة اقامة الأسرة المقدسة بمصر فقال بعضهم سنتين وقال البعض الآخر بل اربعة.

الكنيسة التي تعلوها فقد قال عنها سعيد بن بطريق «انه كان لعبد العزيز والي مصر في عهد الدولة الأموية كاتب من القبط يسمى اثناس فاستأذنه في بناء كنيسة بقصر الشمع فأذن له فبنى كنيستي ابي سرجه وابي كير اللتين داخل القصر» . وقد بقي اثناس هذا الى أيام عبدالله بن عبدالملك (٧٠٤ـ ٧١٠ م) (راجع صفحة ٤٣) . وقال بعض المؤرخين إن ابن السرور ـ يوحنا بن يوسف المعروف بابن الابحّ كاتب سر الخليفة بمصر سنة ٧٨٩ ش، (ولعل ذلك الخليفة هو المستنصر الفاطمي) ، ـ هو الذي بنى هاتين الكنيستين » . غير ان هذه الرواية لم يقصد بها الاّ الترميم فقط . أما ابو سرجه أو القديس سرجيوس فقد جاء ذكره بالسنكسار في اليوم العاشر من شهر بابه. وأما أبو كير ورفيقه يوحنا فهما من دمنهور واستشهدا سنة ٢٩٢ م في عصر الشهداء وقد ورد ذكرهما بالسنكسار فى اليوم السادس من شهر أمشير واليوم الرابع من شهر ابيب .

كرازة المسيح له المجد: بعد أن رحلت الاسرة المقدسة من مصر استوطنت مدينة (الناصرة) بالجليل، وأخاسمي المسيحيون نصارى نسبةً الى تلك المدينة، وقد ظل المسيح بها حتى بلغ الثلاثين فعمّدهُ يوحنا المعمدان في نهر الاردنّ يوم ١١ طوبه وهو **عيد الغطاس** او **عيد الظهور**، وسميّ بذلك لظهور الثلاثة الاقانيم: اذ كان الابن في النهر، والروح القدس مستقراً عليه في شبه حمامة، والآب ينادي من السماء قائلاً: « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». ثم تقدم المسيح امام يوحنا المعمدان فشهد لهُ يوحنا علانيةً وقال: « هوذا حمل الله الذي ينزع خطايا العالم » (يو ١: ٢٩) . وصام المسيح اربعين يوماً جرّبهُ الشيطان اثناءها غير أن الفادي انتصر عليه وقهره، ممّا يؤخذ منه أن الصوم سلاح التغلّب على الشيطان . وطاف يسوع اليهودية والجليل وتخوم صور وصيدا يكرز ببشارة الخلاص من خطية آدم وقرن كرزه بسيرة طاهرة وعجائب باهرة : فأبرأ العُميان والبُرْص والمقعدين وأحيا الموتى وأتى كثيراً من المعجزات والآيات البينات بقوة لاهوته الكريم .

ولما كان السيد مزمعاً أن يدعو العالم اجمع الى طاعة الانجيل (الكلمة) اصطفى بعدد اسباط بني اسرائيل اثني عشر رسولاً يُعرفون عند العرب بالحواريين وهم: يعقوب ويوحنا ابنا زبَدى وبطرس واندراوس اخوه وتوما ويعقوب بن حلفى وسمعان ومتياس وفيلبس وبرتولماوس ومتى العشار ويهوذا الاسخريوطي. ثم انتخب ٧٠ تلميذاً ليعاونوا الرسل في التبشير بكلمة الخلاص. انتخبهم من عامة الناس لكي تتأيد دعوته المقدسة بمعجزة الهية، وعلّمهم طريق الكمال المسيحي وقد قضى في كرازته نيفاً وثلاث سنين، ثم تألم وقبر وقام في اليوم الثالث (عيد القيامة المجيد راجع صفحة ١٥) وظهر للرسل ولأكثر من خمسمائة أخ ليقوّي إيمانهم وباركهم برسم إشارة الصليب وصعد الى السماء (عيد الصعود) بعد قيامتهِ باربعين يوماً ولا يأتي بعده مسيح ولا نبي آخر، وسيأتي بمجد عظيم ليدين الاحياء والاموات. وبعد صعودهِ بعشرة أيام حلّ الروح القدس على الرسل (عيد العنصرة) فقلدهم ثلاثة أنواع من الاسلحة: الاول التكلّم بلغات لم يكونوا ليعرفوها من قبل، الثاني القوة والجرأة على

التبشير باسمه أمام الملوك والسلاطين. الثالث القدرة على صنع العجائب والمعجزات باسمه حيث قال : « قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم بهِ وها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ١٨-٢٠) .

مرقس الرسول (٣٤-٦٨م)[١] - : هو كاروز الديار المصرية وأول بابوات الاسكندرية وأحد السبعين تلميذاً[٢] ذكره الكتاب المقدس باسم «يوحنا» وقرّر مشاركته لبولس وبرنابا في الكرازة والتبشير، كما قرّر أن بطرس دعاه ابنه (اعمال ١٢ وبطرس الأولى ٥ : ١٣) . ومرقس هو صاحب الانجيل والقداس الموسومين باسمه، وهو الذي أشار اليه السيد حيث قال لتلاميذه : « اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له :

---

(١) هذا التاريخ هو تاريخ السيامة والنياحة، وهو مطابق للتاريخ الوارد بجدول اسماء البطاركة (٢) راجع أوريجانوس في كتابه : « الايمان المستقيم » وأيفانيوس في الهرطقه الحادية والخمسين .

ⲠⲒⲀⲄⲒⲞⲤ ⲘⲀⲢⲔⲞⲤ
ⲠⲒⲈⲨⲀⲄⲄⲈⲖⲒⲤⲦⲎⲤ⳾
Ⲟⲩⲟϩ
ⲠⲢⲰⲦⲞⲠⲀⲦⲢⲒⲀⲢⲬⲎⲤ
ⲚⲦⲈ ⲀⲖⲈⲜⲀⲚⲆⲢⲒⲀ



القديس مرقس الانجيلي أول بطاركة الاسكندرية

يرى الناظر الى هذا الرسم ان القديس يكتب انجيله الشريف. أما الاسد الذي بجانبه فهو الرمز الذي رمز اليه به، وذلك لافتتاحه انجيله بالصراخ الاسدي صراخ يوحنا المعمدان في البرية حيث قال: «أنا هو الصوت الصارخ في البرية». ولقد رمز الى لوقا بعجل لافتتاحه انجيله بكهنوت زكريا كهنوت الذبائح والضحايا. والى متى بانسان لافتتاحه انجيله بالنسب البشري الذي تسلسل منه المسيح. والى يوحنا بنسر لافتتاحه انجيله بلاهوت الكلمة السامي. (حز ١: ٤–٢٧ ورؤ ٤: ٦–١٠)

المعلم يقول إن زماني قد اقترب وعندك أصنع الفصح مع تلاميذي»[١].

نشأ يوحنا بالقيروان في حضن أبويه التقيين الاسرائيليين اريسطوبولس ومريم. ثم لقب بمرقس إثر رحيله مع أسرته من القيروان الى أورشليم، وهي المدينة المقدسة التي ظلّ بها حتى استصحبه بولس وبرنابا لمشاركتهما في التبشير بالانجيل، فزفّ معهما كلمة الخلاص الى انطاكية في أوائل سنة ٤٥م.[٢] ثم طاف بصحبتهما جهات سلوكية[٣] وقبرص وسلاميس

(١) مت ٢٦: ١٨. قال المطران يوسف الدبس الماروني المتوفى سنة ١٨٧٠ في كتابه «تحفة الجيل في تفسير الاناجيل» ص٣١٨: «ان المدينة التي أشار اليها الرب في هذه الآية هي أورشليم لان الشرع الموسويّ كان يحرّم أكل الفصح خارجاً عنها (تث١٦). أما الشخص الذي في بيته أكل المسيح الفصح مع تلاميذه وأشار اليه بلفظ «فلان» فهو مرقس، وانما أشار اليه المخلص بهذا اللفظ المبهم لإخفاء الأمر على يهوذا الاسخريوطي خشية أن يرشد رؤساء كهنة اليهود الى حيث سيده فيحولوا دون وضع سر العشاء الربانيّ. وأما بيت مرقس فكان ــ كما قال الكردينال بارونيوس (١٥٣٨ــ١٦٠٧م) ــ محطّ رحال المسيح وتلاميذه، ففيه اكل الفصح معهم، وفيه اختفوا بعد موته، وفي علّية منه حل عليهم الروح القدس، ولقد كان هذا البيت أول كنيسة مسيحية (أع١٢: ١٢)»

(٢) راجع أع١١: ٢٧و١٢: ٢٥ويوسيفوس في «تاريخ اليهود» ك٢ر٥

(٣) هي ميناء لانطاكية وكان اسمها سلوكية البيرية (نسبة الى جبل بيروس) وقد خربت، وبقربها قرية القلصي.

(بقبرص) وبرجة بمفيلية[1] حيث تركهما وعاد الى أورشليم (اع ١٣: ١-١٣) ولما انعقد المجمع الرسولي بين سنتي ٥١ و ٥٢ م. حضره مرقس الذي وقع الخلاف بسببه بين بولس وبرنابا بعد إرفضاض ذلك المجمع، فأخذ بولس سيلا وانطلقا الى سوريا أما مرقس فقد عرّج مع برنابا على جزيرة قبرص (أع ١٥: ٣٦-٤١) وهناك افترقا، فيمّم مرقس شطر افريقية حيث بشر الخمس المدن الغربية باسم يسوع الناصري

وفي سنة ٥٥ م. قصد الديار المصرية - وكان عدد سكانها يومئذ اثني عشر مليوناً - فنشر الديانة المسيحية في معظم أقاليمها ومدنها، وقد تتلمذ له كثيرون من القبط رجالاً ونساء (راجع اوسابيوس ك ٢ ف ١٥ و ١٦) فعمدهم[2] وكتب لهم انجيله المقدس[3] ثم وضع قداسه باللغتين اليونانية

(١) بآسيا الصغرى واسمها الآن اسكي قلصي بقرب ميناء أتاليا (اضاليا).

(٢) سنكسار ٣٠ برموده «وأخبار القديسين» للسيد مكسيموس مظلوم الرومي الكاثوليكي المتوفى سنة ١٨٥٥ ج ٢ ص ٥٥٢

(٣) اوسابيوس ك ٥ ف ٨ -: قال الجزويت ان مرقس كتب انجيله في رومية وان بطرس بعد ان آزره في تدوينه ثبّته وأمر بتلاوته في الكنيسة! (راجع حواشي العهد الجديد طبعتهم ص ٤٩٢). أما نحن فنقول: انه اذا كان الروح القدس لم يحل في بيت مرقس على الرسل والتلاميذ فقط بل على النساء أيضاً، أفلا يكون قد حلّ على مرقس صاحب ذلك البيت؟ وإذا تقرر ذلك فما الذي كان يضطر مرقس في كتابة انجيله الى مؤازرة بطرس له كما يدّعي الجزويت؟! وكيف يكون بطرس هو الملي

والقبطية(راجع « الدر المنظوم » للسيد بولس مسعد الماروني ص٢٣٤)
وفى سنة ٥٨ م قصد بطرس الرسول مصر لتبشير اليهود المشتتين بها

لذلك الانجيل بينما نرى حادثة انكاره لسيده وتجديفه عليه مذكورة فيه بلهجة شديدة تكاد تكون معدومة فى الاناجيل الثلاثة الأخر ؟! وكيف يكون بطرس قد آزر مرقس فى تدوين انجيله بينما نكاد لا نرى بذلك الانجيل أثراً للصخرة البطرسية الفردية الموهومة التي قويت على زعزعتها جارية كانت تصطلي ؟ ! ان مرقس لم يكتب انجيله لا باملاء بطرس ولا باملاء بولس بل « باملاء الروح القدس » (تفسير الاناجيل للدبس ص١). ولم يكتبه إلا في مصر كما يقرر ذلك الذهبي الفم الذي عاش فى أسطع عصور المسيحية نوراً حيث قال من فوق منبر كاتدرائية القسطنطينية : « ان انجيل القديس مرقس قد كتب فى مصر » (راجع ميمره على انجيل متى ١ : ٣). نعم كتب مرقس انجيله فى مصر، ولم يكتبه باللاتينية وحدها ولا باليونانية واللاتينية معاً كما يدعي المدعون بل باليونانية فقط ثم ترجم الى القبطية (راجع « الدر المنظوم » ص١٨و٢٨) ولقد وجد بالبندقية «Venise بايطاليا» نسخة يونانية أصلية من نسخ ذلك الانجيل « المعتبر أساساً للاناجيل الثلاثة الأخر » (راجع دا. مع. فر. م ١٦ ص٨٧١). ويقول الدبس ان هذه النسخة قد نقلت الى البندقية سنة ١٤٥٢م. أو سنة ١٤٧٢ م (تفسير الاناجيل ص٣٣٤) . وهكذا سطا افرنج البندقية على انجيل مرقس كما سطوا على جسده الكريم وفروا بما سرقوا آمنين ولسان حالهم يقول: « الغاية تبرر الواسطة » وصوت الرب يخترق القلوب الحجرية ويقول : « لا تسرق » ! !

فلاقاه مرقس في بابل «بابيلون»[١] التي منها حرّر رسول الختان رسالته الاولى الى اليهود المشتتين في أقاليم أسيا الصغرى وهي البنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية . ولما بارح بطرس مصر الى تلك الأقاليم قصد مرقس الاسكندرية عاصمة القطر المصري إذ ذاك فأسس كنيستها ورفع أنيانوس (حنانيا) الى منصب اسقفيتها في السنة ٨ لملك نيرون (٦٢م.) على ما يشهد به اوسابيوس[٢] وقد ختم مرقس أعماله الاولى في القطر المصري بسيامة اثني عشر قساً كعدد رسل الرب، لينتخب الاسقف الاسكندري من بينهم[٣] ثم رحل بعد ذلك الى رومية كما يؤخذ من رسالة بولس

(١) انظر فصل تأسيس كنيسة رومية

(٢) (ك٢ ف١٤) ان ايرونيموس (جيروم Jérôme ٣٣١ — ٤٢٠م أحد آباء الكنيسة اللاتينية) قد أساء فهم عبارة أوسابيوس فاستنتج من تعيين انيانوس سنة ٦٢م أن مرقس قد مات في نفس هذه السنة (راجع ايرونيموس في حياة القديس مرقس)، ولكن فات هذا الغربي ان مرقس وغيره من رسل الرب وتلاميذه انما كانوا يؤسسون الكنائس بصفتهم اساقفة مسكونيين فيقيمون عليها الأساقفة المكانيين ثم يبرحونها لتأسيس غيرها .

(٣) قال افتيخيوس في كتابه «نظم الجوهر» المطبوع باكسفورد باللاتينية والعربية سنة ١٦٥٩ ص ٣٣١: « بعد انتخاب البطريرك من بين هؤلاء القسوس الاثني عشر كان الاحد عشر الباقون ينتخبون رجلا صالحاً من بين الشعب اتماماً للعدد الرسولي الذي حدده مؤسس الكرسي

التي بعث بها من رومية الى أهل كولوسي [1] سنة ٦٣م، ومن رسالته التى بعث بها من رومية أيضاً الى تلميذه فليمون سنة ٦٤م، حيث قال فى الاولى: « اذا جاء اليكم مرقس فلاقوه بحفاوة لانه تعب مثلي (هنا) فى حقل ملكوت الله» (كو ٤: ١٠) أما فى الثانية فقد وضع مرقس فى مقدمة الذين عاونوه فى أسره برومية (فل: ٢٤) ولا بدّ أن يكون القديس مرقس قد ترك رومية بعد هذا التاريخ كما يؤخذ ذلك من الرسالة التي بعث بها بولس من تلك المدينة الى تلميذه تيموثاوس بأفسس سنة ٦٨م حيث قال له: « ان وقت اضمحلالي قد دنا .. فاحضر اليّ وأحضر معك مرقس لانه ينفعني كثيراً فى الخدمة... واجتهد أن يكون قدومك قبل الاسكندري». ولقد سرّ الروح القدس بان يقوم بمهمة انتخاب البطريرك جماعة الأساقفة وجمهور الشعب كما يؤيد ذلك كتاب رسامة البطاركة حيث جاء فيه مانصه: « فلينتخب البطريرك من سينودوس (مجمع) الأساقفة والشعب كله كمسرة الروح القدس » (راجع الانخولوجيون الخطي المحفوظ بالمتحف القبطي بكنيسة المعلقة بمصر القديمة وكذلك المطبوع برومية سنة ١٧٦١م. ج ٣ ص ٨٤) . هذا ومن الغريب ان تقوم رومية الآن — بعد ان قدّست حقوق شعبها في الانتخاب حتى القرن الثامن عشر — وتنادي بضلال من قال بان انتخاب الراعي حق من حقوق الرعية !! . أما اذا كانت قد كفّت عن ان تسرّ بما يسرّ به الروح القدس فما شاءت فلتفعل ...

(١) مدينة في فريجية شمالي ميناء اضاليا بآسيا الصغرى وهي خربة الآن.

الشتاء» (٢تي ٤: ٦-٢٢) وبعد ان قضى كاروز الديار المصرية شطراً من حياته في تعليم وتهذيب الكنيسة الرومانية، عاد الى رعيته فتفقد ابناءه الاسكندريين وسرّ بالكنيسة الصغيرة التي شادوها ببوكوليا[1] وشاد لهم المدرسة اللاهوتية[2] وأقام العلامة يسطس رئيساً عليها، ثم أخذ يطوف

---

(١) بوكوليا معناها «دار البقر»: كان مقرها شرقيّ الاسكندرية على شاطئ البحر بالقرب من الوادي الذي كان يضم الاضرحة والمقابر. وقيل انما سميت كذلك لأنها كانت حظيرة للثيران التي كان الوثنيون يقرّبونها لاصنامهم، وربما أطلق عليها هذا الاسم لتصارع الثيران فيها.

(٢) أنشأ مرقس هذه المدرسة كما يشهد بذلك أوسابيوس (ك ٥ ف ١٠) فعطرت بأريجها الشرق والغرب. وكفى هذه المدرسة فخراً أن تخرّج منها فطاحل باباوات الاسكندرية وعمد الأرثوذكسية كديونيسيوس وكيرلس، وحماة البيعة المسيحية ونوابغها كغريغوريوس وباسيليوس. وقد بلغت هذه المدرسة من الرقيّ شأواً عظيماً حتى درّس فيها، فوق اللاهوت والفلسفة، المنطق والطبيعة والرياضة والفلك والموسيقى (راجع أوسابيوس ك ٦ ف١٨) أما مديروها فكان أولهم يسطس في سني مرقس الأخيرة وفي حبرية أنيانوس وميليوس وكردونوس وبريموس. وثانيهم أومانيوس في حبرية يسطس. وثالثهم مركيانوس في حبرية أومانيوس. وأعقب هؤلاء بنتينوس وأكليمنضس وأوريجانوس في حبرية ديمتريوس. ثم ياروكلاس فديونيسيوس فثاوغنست فبيروس فارشلاوس في حبرية ثاؤنا. فبطرس في حبرية أرشلاوس. فسرابيون فمقار السيامي فديديم الضرير في حبرية أثناسيوس الرسولي. ثم رودون

مدن القطر والخمس المدن الغربية مثبتاً تشعبه في الايمان الارثوذكسي بالتعليم والتقى المشفوعين بالآيات والمعجزات. ولما كانت هذه المدرسة اللاهوتية قد أينعت ثمارها وأزهرت علومها، تم لمرقس ما أراد حيث نكّس علم الوثنية ورفع لواء المسيحية، وهكذا أصبحت الاسكندرية أورشليم الثانية (راجع «أخبار القديسين» لظاوم ج ٢ ص ٥٥٢). وقد ظهر الدين المسيحي في القطر المصري وتنتذ بأجمل مظاهره، فخلع قلوب الوثنيين الذين أوجسوا خيفةً على دينهم، وكذلك خشي الرومان الحاكمون أن يكون الدين المسيحي سبباً في لمّ شعث القبط وانتقاضهم عليهم

في حبرية كيرلس الكبير. ولما حدث ذلك الانشقاق المحزن الذي سبّبه مجمع خلكيدون في أواسط القرن الخامس، اندرست معالم هذه المدرسة التي أصبحنا لا نعرف عنها إلا انها كانت مركز العلوم ومحط رحال العلماء!

هذه هي المدرسة اللاهوتية الشهيرة التي تجاهلت بوتشر البروتستانتية عهد تأسيسها لكيلا تسطر للقبط مأثرة الا تأتي على ما يضيع مزيتها. مع انها لو راجعت ماقاله شيخها البروتستانتي موسهيم في كتابه: «تاريخ الكنيسة» لاقتربت من الصواب. قال موسهيم: «ان الرسل أقاموا مدارس وأمروا الآخرين بأن يقيموا مثلها... وكان أشهر هذه المدارس في الأيام المتأخرة مدرسة الاسكندرية التي كانت تسمى المدرسة الكاتشيس (أي تعليم قواعد الايمان بالسؤال والجواب) وقيل ان مرقس هو الذي أنشأها» (ك ١ ص ٣٨). فهل يأتي يوم على القبط يظهرون فيه الحقائق التي شوّهتها من حاولت أن تكون مؤرخةً على حسابهم ؟؟

فاضطرمت قلوبهم سخطاً وحقداً وأضمروا لمرقس الخيانة والغدر. وفي يوم ٢٩ برموده (٢٦ ابريل) من السنة الرابعة عشرة لملك نيرون (٦٨ م.) بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح في كاتدرائية الاسكندرية (١) والوثنيون بعيد إلههم سيرابيس، هجم الأوغاد على بيت الله وقبضوا على رسول مصر وطوّقوا عنقه بحبل ضخم وسحبوه فوق صخور بوكوليا، فتمزقت لحمانه وسال دمه الزكيّ تخضّب تلك الصخور، وفي ليلة ذلك اليوم العصيب ألقاه الأشرار بين جدران السجن المظلم، وبينما هو غريق في الصلاة اذا ملاك الرب قد وقف به وقال: «تشجع فقد كتب اسمك في سفر الحياة». وما توارى عنه الملاك حتى ظهر له الرب وحيّاه قائلاً: «السلام لك يا مرقس يا رجلي الانجيلي». وفي صباح الغد ٣٠ برموده أعاد الوثنيون التنكيل بالرسول فجروه على الصخور وطافوا به الطرقات وهم يزأرون أن «جرّوا الثور الى بوكوليا» أما هو فكان يصلي الى الله من أجل أعدائه قائلاً: «ربِّ اغفر لهم فانهم لايدرون ما يعملون»، ثم لفظ آخر نسمة من حياته الغالية فصعدت روحه الطاهرة الى الأخدار السماوية وفاز باكليل الشهادة الذي لايبلى.

ولما حاول الوثنيون ان يحرقوا جسده هبت العواصف، وأرعدت السماء وأبرقت، وانفتحت ميازيبها بماء منهمر، فارتاع الجناة وولّوا مذعورين

(١) الكنيسة الكاتدرائية هي كنيسة الكرسي الاسقفي، وقد كان بيت انيانوس الخاصّ هو الكاتدرائية الاسكندرية التي سيم اسقفاً عليها.

وعند ذلك أسرع المؤمنون الى أبيهم الطاهر فحملوا جثته الى كنيسة بوكوليا حيث صلى عليها خليفته الانبا انيانوس يحدّق به الاكليروس والشعب[١]. وبعد الصلاة تقدموا جميعاً فقبلوا يدي «شهيد المسيح» بين العبرات والزفرات، ودفنوه في قبر نحتوه له بتلك الكنيسة، التي لقبت من ذلك العهد « بكنيسة القديس مرقس »[٢].

---

(١) راجع السنكسار القبطي (٣٠ برموده) وأعمال استشهاد القديس مرقس المسطرة بالقبطية واليونانية والمعتمدة من الكنيسة شرقاً وغرباً.

(٢) ظلّ خلفاء مرقس الرسول قروناً وهم ينتخبون على قبره وكذلك ظلوا مدة القرون الثلاثة الاولى يدفنون بجانبه . وقد شهد السنكسار (٤ ابيب) بأن كنيسة القديس مرقس كانت في القرن الخامس في عهد البابا كيرلس ال٢٤ قائمة ببوكوليا على شاطئ البحر تضم جسد القديس، وكذلك شهد بانه كانت هناك كنيسة أخرى جنوبيّ الاسكندرية باسم القديس مرقس أيضاً . وقد ظلت الكنيسة الاولى قائمة حتى القرن السابع حيث دخل العرب فخربوها في جملة ما خربوه من الكنائس الاخرى (سنكسار ٨ طوبه) . ومن ذلك العهد صغرت تلك الكنيسة واطلق عليها اسم «الكنيسة التي تحت الارض» . قال الراهب برنار الفرنسي: «إنه في أوائل القرن التاسع كانت مدينة الاسكندرية تضم قبر الرسول خارج بابها الشرقي، وهذا ما مكّن أهل البندقية من أن يحملوا جسد القديس على سفينة لهم ويقلعوا الى بلدهم فائزين بهذا الكنز الثمين » (راجع كتابه في رحلته لزيارة الاماكن المقدسة سنة ٨٦٠م). وقال أبو صالح الأرمني: «انه لما حصل الخلاف في الايمان الارثوذكسي

وهكذا استشهد هذا الرسول العظيم بعد ان سلم مقاليد الكنيسة

بمدينة خلكيدون (٤٥١ م.) طلب الملكيون أن تقسّم كنائس الاسكندرية بينهم وبين اليعاقبة (يريد القبط خطأ) فاختص الملكيون بالكنيسة التي تحت الارض والتي أبقي بها جسد الرسول، واختص القبط بالكنيسة الأخرى (الجنوبية) التي نقل اليها رأس الرسول. فما كان من الافرنج إلا ان سرقوا هذا الجسد بوضعه في عمود مجوف من الرخام، ولما وصلوا بغنيمتهم الى البندقية، قابلهم أهاليها بفرح عظيم وجعلوا جمهوريتهم الحديثة تحت حماية الاسد المرقسي لما كان لمرقس الانجيلي من المآثر في ايطاليا». وقال العلامة ابن كبر في كتابه «مصباح الظلمة وايضاح الخدمة» : « ان الافرنج سرقوا جسد الرسول، أما الرأس فنقل الى دار أولاد السكري بالاسكندرية». ثم نقل الرأس الى ضريح البطاركة بالمرقسية الحالية بالاسكندرية وهي الكنيسة التي جدّدها البابا اسحق البرلسي ال ٤١ «سنكسار ٩ هاتور» ولم يزل الرأس محفوظاً بها بكل عناية. وقد ظل باباوات الاسكندرية يؤمون الرأس عند سيامتهم ليقبلوه ويستمطروا بركات أبيهم الحبيب وسيدهم العظيم حتى جلس على الكرسي المرقسي البابا بطرس الـ ١٠٤ الذي، بعد أن أدى هذه الفريضة المقدسة، علم ان هناك من يحاولون سرقة الرأس كما سرق الجسد من قبل فأمر بحفظ تلك الدرة اليتيمة في ضريح البطاركة المذكور بعيدةً عن أيدي الطامعين. وقد جاء بكتاب رسامة البطاركة المطبوع برومية سنة ١٧٦١ م عن رأس الرسول ما نصه: «ليأخذ (بطريرك الاسكندرية بعد سيامته) في حضنه الرأس الرسولي الذي للناطق بالالهيات مرقس لانه صار خليفةً له » الخولوجيون ج ٣ ص ١٥١ .

التي اسسها، الى خلفائه بطاركة القبط الذين تعاقبوا على السدة المرقسية، والذين سيتعاقبون عليها حتى منتهى الايام . نعم سيتعاقبون على اريكة مرقس جدهم فيذودون عن ذمارها ويصدّون عن ابنائها هجمات الارساليات الافرنجية الدينية التي سرت سمومها في بلادنا المصرية، فشوّهت بدعها جمال الديانة المسيحية، ودنّست بأضاليلها طهارة العقيدة الارثوذكسية . سيتعاقبون على سدة ذلك الراعي الصالح، ولا يمكّنون تلك الذئاب الخاطفة من الفتك برعيته التي بذل نفسه دونها، واضعين نصب عيونهم ذلك الانذار الالهيّ الرهيب: «من اعناقكم أطلب خرافي يوم الدين حز ٣٤: ١-١٠» [١]

* * *

هذه هي ترجمة سيد بابوات الاسكندرية التي مدّ الكاثوليك اليها يد العبث محاولين أن يتوصلوا بذلك الى جعل القديس مرقس آلة في يد بطرس الرسول يحركها كيف شاء . بحيث يرسله الى مصر ويستكتبه الانجيل المنسوب اليه اعتباطاً كما يدعون الخ الخ.. وهم يدعون فوق ذلك ان بطرس قضى معظم أيامه برومية، وأنه المؤسس لكنيستها الخ الخ .

(١) تحتفل الكنيسة القبطية بعيد استشهاد القديس مرقس في ٣٠ برموده من كل سنة . والواجب على الدار البطريركية وكذلك الأسر والمدارس القبطية في جميع أنحاء القطر أن تحتفل رسمياً بهذا اليوم المقدس، وقد تنبهت الى ذلك الواجب بعض الجمعيات القبطية الراقية كجمعيتي التوفيق والايمان بمصر وجمعية الاخلاص بالاسكندرية. فهل يأتي اليوم الذي يتم فيه القبط هذا الواجب بأكمل مظاهره ؟؟

كل هذا يدعونه ليخرجوا منه الى اثبات رياسة باباواتهم المطلقة على جميع الكنائس المسيحية !! أما هذه الرياسة فسيرد الكلام عليها في فصولنا القادمة. وأما هنا فنأتي على ترجمتي الرسولين بطرس وبولس وعلى كيفية تأسيس كنيسة رومية لما لذلك من العلاقة بتاريخ القديس مرقس، مؤيدين أقوالنا بالبراهين السواطع . ليتضح لذي عينين قصر حجة القوم الذين كثيراً ما يكابرون ويغالطون بل ويتحككون في آيات الكتاب المقدس. وماذلك الا أثر الصلف والعناد الذي ورثه باباوات رومية ، أيامَ قعد العالم الغربي تحت حكمهم ولم يك ليعصي لهم أمراً ....

بطرس الرسول :— ولد في مدينة بيت صيدا بالجليل حوالي سنة ١٥ ق.م. وابتدأت رسالته سنة ٣٤ م إثر حلول الروح القدس على رسل الرب وتلاميذه في علّية صهيون . وقد أقام الله بطرس رسولاً لأهل الختان (غل ٢:٧—٨) وهم اليهود الذين جاء المسيح اليهم أولاً بجميع أنواع البركات (أع٣:٢٥—٢٦) فأخذ بطرس مع باقي الرسل يعملون فى حقل الكنيسة المسيحية بمدينة أورشليم، محافظين فى ذلك على وصية معلمهم الذي قال لهم: «اذا حل عليكم الروح القدس تكونون لي شهوداً في أورشليم أولاً وفى جميع اليهودية ثم فى السامرة والى أقاصي الارض » (اع ١ :٤ —٩ ولو ٢٤:٤٧) .

وبين سنتي ٣٥ و٣٦ م أرسلت الهيئة الرسولية (رسل الرب) - التي كانت مقيمة في أورشليم - بطرس ويوحنا الى أهل السامرة [1] ليمنحاهم سر.

(١) السامرة وكانت تدعى سوخار وقد خربت منذ القرن الثالث

الميرون (التثبيت) لأن الشماس فيلبس الذي كان قد عمدهم لم يكن في سلطانه ان يمنحهم ذلك السر، فقام هذان الرسولان بتلك المهمة[١] بعد ان بشرا في طريقهما اليهود الذين في دائرة اليهودية والجليل. وحوالي سنة ٣٨م

وكان بقربها مدينة سبسطية شمالي أورشليم. تسلط عليها ملك اشور كما ذكرنا في صفحة ٢٠٥ فسبى أهلها الى بابل واسكنها من بعدهم قوماً كلدانيي الأصل. فلما دخلوها هاجت عليهم الأسود، فأمر الملك كهنة اليهود أن يعلموهم التعبد لله على مقتضى الطقس اليهودي ليكونوا بذلك في مأمن من فتك الأسود بهم. وإذ رأى السامريون أن عبادتهم لإله اسرائيل قد خاطت أفواه تلك الوحوش، واظبوا عليها كما واظبوا على عبادة أصنامهم، ولذا كانوا مرذولين من اليهود كما يتضح ذلك من استغراب المرأة السامرية عند ما كلمها المسيح وهو يهودي «يو ٤: ٩». ويسكن السامريون الآن نابلس على بعد ١٦ ميلاً من السامرة وهم لا يزيدون على مائتي نسمة وديانتهم تقرب من اليهودية.

(١) لو لاحظ الذين يسلطون بطرس على الهيئة الرسولية ويحكمونه في رقابها ان الرسل في هذه الحادثة مرسِلون وان بطرس مرسَل منهم، ولو لاحظوا أن الله قال «ليس مرسَل افضل من مرسِله» (يو١٣: ١٦) وانه له المجد لم يقل لرسول ها أنا معك... بل قال للرسل جماعةً ها أنا معكم كل الايام الى منتهى الدهر (مت٢٨: ٢٠).. لو لاحظوا ذلك لكفّوا عن اتهام رسول مسيحي شيخ بالتذرع بالسلطة الغشومة المطلقة، ولعلموا ان السلطة في الكنيسة ليست لفرد معرّض للسقوط تارةً وللنهوض اخرى بل للهيئة التي يعصمها الاله الحق المستقر في وسطها فلن تتزعزع (مز٤٦: ٥).

عاد هذان الرسولان الى أورشليم [١] حيث قدم اليها بولس رسول الامم في نفس هذه السنة بقصد زيارة بطرس ويعقوب [٢] كما يشهد بذلك بولس في رسالته الى أهل غلاطية (١:١٥—١٨)

(١) (أع ٨:١٤—٢٥) و (دا. مع. فر. م ١١ ص ٢٥٤) وتلّيمون Tillemont المؤرخ الفرنسي الكاثوليكي (١٦٣٧—١٦٩٨) في المقالة الـ ٢٨ على القديس بطرس .

(٢) قام بولس بزيارة بطرس كما قام بزيارة يعقوب فعلّق دكاترة الكاثوليك العصريون أهمية كبرى على زيارته للاول دون أن يعلقوا أدنى أهمية على زيارته للثاني ، فقالوا انما قصد بولس اورشليم ليقدم فرائض العبودية لسيده بطرس !! غير ان هؤلاء الدكاترة يخالفون الذهبي الفم حيث يقول : «لم يقد بولس الى زيارة بطرس غير الاتضاع، لان ما أتاه ذلك الرسول العظيم «بولس» من الاعمال الخطيرة الباهرة قد جعله في غنى عن بطرس، ولكنه مع ذلك ومع علمه بمساواته لبطرس في الكرامة ، قد قام بزيارته بصفته أسنّ منه كما قام بزيارة يعقوب بصفته أعظم منه وأكرم». وليس هذا كل ما قاله الذهبي الفم في زيارة بولس لبطرس بل قال أيضاً : « ان الشعور الذي يقود الكثيرين اليوم الى زيارة رجال اشتهروا بالقداسة قد قاد بولس في تلك الايام الى زيارة بطرس » (راجع مقالته في تفسير رسالة غلاطية ١:١١) .ولا نخال أحداً في عصرنا هذا يجهل ما رأته مدينتنا الفيوم من تقاطر أعاظم القوم عليها لزيارة اسقفها انبا ابرآم الذي ضرب بقداسته المثل . فهل كانت زيارة نيافة

وفي سنة ٣٩م قصد بطرس لدة[١] فسارون[٢] فيافا ثم قيصرية فلسطين حيث ردّ كورنيليوس القائد الاممي وأهل بيته (أع ١٠)[٣] ولما عاد الى اورشليم سنة ٤٠م اختصمه الرسل وسائر أهل الختان بدعوى انه خالف أوامر الرب بدخوله بيت رجل اممي، فما كان منه الا ان قصّ عليهم الرؤيا التي رآها في هذا الصدد (أع ١١: ١ — ١٨) وقد توصل بذلك الى تسكين خواطرهم الثائرة. وبعد ان قضى بطرس اربع سنين فى اليهودية — كما يشهد بذلك ابولونيوس من أئمة القرن الثاني —[٤] سجنه هيرودس أغريباس الاول ملك اليهود (١٤ق م — ٤٤م) وكان في نيته ان يسلمه للشعب بعد عيد الفطير غير ان الكنيسة صلت الى الله من أجل بطرس، فقبل الله شفاعتها فى رسوله وأخرجه بمعجزة من سجنه، ومن ثم ذهب تواً الى الكنيسة (بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس) حيث كان المؤمنون مجتمعين للصلاة، فأوقفهم على خبره وطلب ان يخبروا

الأنبا متاؤس مطران الحبشة الحالي لهذا البار يوم ٤ اكتوبر ١٩٠٢ دليلاً على أن الاول قصد الثانى ليقدم له فروض العبودية ؟!

(١) هي لدّ الحالية في الجنوب الشرقيّ ليافا على طريق أورشليم وفيها ولد القديس جاورجيوس (مار جرجس: ومار سريانية تعريبها السيد)

(٢) سارون أو شارون هو الساحل بين قيصرية فلسطين ويافا المشهور بخصب أرضه ونضارة نرجسه.

(٣) افردنا لحادثة تعميد هذا القائد مبحثاً يراه القارئ في آخر ترجمة بطرس الرسول.

(٤) اوسابيوس ك ٥ ف ١٨.

يعقوب والاخوة بذلك ثم بارحهم وذهب إلى موضع آخر لم يأت الكتاب المقدس على ذكره . ولا يمكن أن يكون ذلك الموضع الآخر [1] خارجاً عن دائرة اليهودية، لأن بطرس كان لابدّ له من أن يتمّ تأسيس وتثبيت كنائسها، وقد ظل مشتغلاً بذلك حتى سنة ٥١م حيث حضر المجمع الرسوليّ الذي انعقد بأورشليم بين سنتي ٥١و٥٢م (مظلوم ج٣ ص ٢٤٩) . وفي سنة ٥٣ م قصد بطرس أنطاكية [2] فاعتزل

(١) قصد بطرس ذلك الموضع الآخر سنة ٤٥ م أي بعد موت هيرودس أغريباس الاول مضطهده (راجع يوسيفوس ك ١٩ ر٥ وأع ١١ : ٢٥ — ٣٠ و ١٢ : ١ — ٢٤) .

(٢) يدعي معظم الكاثوليك أن بطرس الرسول أسس كنيسة أنطاكية بين سنتي ٣٦و٣٧ م وانه أقام بها سبع سنين أبحر بعدها الى رومية، ولكنا إذا تتبعنا الكتاب المقدس نرى فساد هذه الدعوى ، فقد جاء فيه ما خلاصته : انه إثر مقتل اسطفانوس رئيس الشمامسة سنة ٣٥ م (راجع قاموس القواميس لجيرين Guérin الأسقف الكاثوليكي من رجال القرن التاسع عشر ج٣ ص١١٩٥) استمر الاثنا عشر رسولاً بأورشليم ، أما المتلمذون للرب فتبدّدوا في بلاد اليهودية والسامرة (أع ٨: ١) ثم اجتازوا فينيقية فقبرص حتى جاءوا الى أنطاكية، فكان اليهود منهم مقتصرين على تبشير اليهود كما كان الأمميون (قبرصيون وقيروانيون) مقتصرين على تبشير الأمميين (أع ١١: ١٩-٢١)

مسيحييها القُلف خوفاً من مسيحيي أورشليم المختونين الذين كانوا قد اختصموه في حادثة تعميد كورنيليوس ، غير ان بولس رسول الامم الذي كان بأنطاكيـة وقتئذ، وبخه وقاومه علناً لأنه كان مستحقاً

ولما كانت يد الرب مع أولئك المبشرين، آمن كثيرون من الأنطاكيين على أيديهم ورجعوا الى الرب إلههم ، فبلغ خبرهم الى الكنيسة بأورشليم فأرسلت اليهم برنابا سنة ٤٣ م ليثبتهم في الايمان ، فلما أقبل ورأى آثار نعمة الله تتجلى في أفق تلك الكنيسة المقدسة سرّ جداً، ولما رأى وجوب إخطار بولس بتأسيس هذه الكنيسة الأممية بصفته هامة رسل الأمم خرج الى طرسوس في طلبه وجاء به الى أنطاكية فمكثا بها سنة كاملة حتى نمت كلمة الرب وأينعت ، وكان من نتائج ذلك أن المتلمذين للرب - الذين كانوا حتى هذا التاريخ معروفين بالناصريين (أع ٢٤:٥) - قد دُعوا مسيحيين بأنطاكية أولاً (أع ١١:٢٥-٢٦) وبين سنتي ٤٩و٥٠ م عاد بولس الى أنطاكية حيث أتم تأسيس كنيستها وثبتها بأن سام لها أسقفاً كما سام لغيرها من الكنائس التي سبق فأسسها (أع ١٤:٢٠—٢٣و٢٠:٢٨) . وهكذا تم تأسيس هذه الكنيسة الاممية على يد بولس رسول الامم لا على يد بطرس رسول الختان .

أما ما جاء في رسالة لاون الأول أسقف رومية الى أناطوليوس بطريرك القسطنطينية من أن بطرس هو أول من بشر أنطاكية وان اسم مسيحيين ظهر على أثر هذا التبشير، فمما يجب اضافته الى مفتريات ذلك الأسقف الروماني وهي كثيرة جداً سيرد الكلام عليها في القرن الخامس.

للتوبيخ [١] إذ قد انتهج منهجاً ريائياً [٢] وسلك على غير مقتضى حق الانجيل (غل ٢ :١١-١٥) [٣] وقد لبث بطرس بأنطاكية يبشر

(١) عرّب الدومينيكان (في طبعتهم للعهد الجديد) هذه الآية هكذا: « قاومته مواجهةً لانه كان مستأهل التوبيخ » . فجاء تعريبهم مطابقاً للاصل اليوناني ، أما الجزويت « فلطفو » هذه العبارة وقالوا : « قاومته لانه كان ملوماً » ! !

(٢) هكذا عرّب الدومينيكان طبقاً للاصل اليوناني،أما الجزويت فأبدلوا لفظة « الرياء » بلفظة « التظاهر » تلطيفاً ! !

(٣) قال بولس الرسول : « لما جاء كيفا (بطرس) الى أنطاكية قاومته مواجهةً لانه كان مستحقاً للتوبيخ اذ قبل أن يأتي قوم (يهود) من عند يعقوب كان يأكل مع الاميين، ولما أتوا اعتزل الاميين خوفاً من أولئك اليهود ، ولما رأيت ان سائر اليهود وبرنابا نفسه قد انقادوا الى بطرس في ريائه ، ولما رأيت انهم بصنيعهم هذا لم يسلكوا باستقامة على مقتضى حق الانجيل ، قلت لكيفا (بطرس) قدام الجميع : إن كنت وأنت يهوديّ تعيش عيش الأمميّ (لا اليهودي) ، فلمَ تلزم الأمم أن يتهوّدوا ؟ » (غل ٢ :١١- ١٥) . هذه هي الالفاظ التي وردت بالكتاب المقدس في موضوع توبيخ بولس لبطرس . ومنها نستفيد أن بطرس لم يكن المؤسس لكنيسة أنطاكية ولا لغيرها من الكنائس الأممية ، وإلاّ لما كان لخوفه من اليهود معنًى، كما نستفيد وجوب ايقاف الراعي المخطئ عند حدّ ، فلم يقل بولس للأساقفة

اليهود المشتتين بها حتى سنة ٥٥ م[١]، ثم غادرها ميمماً شطر أقاليم البنطس وغلاطية وكبادوكية وأسيا وبيثينية لنفس المهمة[٢] وأخيراً عرّج على بابل مصر (بابيلون) حوالي سنة ٥٨م حيث التقى بمرقس رسول الديار المصرية وحيث حرّر رسالته الاولى الى يهود تلك الاقاليم

(خلفائه وخلفاء اخوته الرسل) : عيشوا في الرعية مفسدين وليتستر بعضكم على مساوئ بعض، بل قال لهم ما خلاصته: عليكم بمن لا يسلك باستقامة على مقتضى الحق الانجيلي ، عليكم به فأوقفوه عند حده كما أوقفت أنا بطرس . وبدل أن يقول لهم: « إن لكم بركة وحركة فلتؤخذ بركتكم وليبتعد عن حركتكم ، قال : « اقطعوا الخبيث من بينكم » . (١ كو ٥ : ١٣) .

(١) راجع كتاب القائد الأمين لجامعه السيد أمبروسيوس الرومي الكاثوليكي طبعة بيروت سنة ١٨٦٣ م ص ٥٣ .

(٢) راجع أوسابيوس في جدوله للازمنة عن سنتي ٤٢و٤٣ وفي تاريخه الكنسي ك ١ ف ٣و٤ — : قال العلامة أوريجانوس « انما كان بطرس في كل مدينة مرّ بها ، يزف كلمة الانجيل الى أهل الختان (اليهود) المشتتين بين الامم » . (راجع أوسابيوس في تاريخه الكنسي ك ٣ ف ١) ، ولعل الكاثوليك بعد هذه الشهادة الصريحة يكفون عن الادعاء على رسول الختان بأنه لم يكن ليمرّ بتلك المدن إلا «ليثبّت» تعليم بولس رسول الامم! ولعلهم يثوبون الى رشدهم ويدركون ما في مثل ذلك الادعاء من التعريض بالروح القدس «الناطق بلسان الانبياء والرسل»

الخمسة (راجع قاموس القواميس لجيرين ج ٥ ص ٧٨٢ و ١ بط ١:١ و ٢:١٢) . وهنا أغفل التاريخ الكنسي ذكر بطرس حتى التقائه بولس في كورنثوس في أوائل سنة ٦٥ م كما أغفل الكتاب المقدس ذكره إثر توبيخه من بولس بأنطاكية سنة ٥٣ م . وقد اختلف المؤرخون والمفسرون فيما أتاه ذلك الرسول في المدة التي تتخلل سنتي ٥٩ و ٦٤ م [١] أما المرجح لدينا فهو ان بطرس لم يغادر بابل مصر إلا ووجهته أقاليم البنطس وغلاطية الخ، تلك الاقاليم التي كانت شغله الشاغل والتي ظل يثبّت يهودها في الايمان حتى أوائل سنة ٦٥ م حيث قصد كورنثوس عاصمة أخائية ببلاد اليونان وحيث التقى بيولس رسول الامم على ما يشهد به ديونيسيوس الكورنثي [٢] في رسالته الى أهل رومية . (أوسابيوس ك ٤ ف ٢٣) .

هذا ويقرر المؤرخون المتقدمون أن بطرس ذهب بعد ذلك الى رومية في السنة الـ ١٢ والـ ١٣ لحكم القيصر نيرون والـ ٦٦ والـ ٦٧ م ومن هؤلاء المؤرخين العلامة أوريجانوس الذي قال في الجزء الثالث من

(١) لايمكن أن يكون بطرس قد انقطع في هذه الفترة عن عمله الرسولي، كما لا يمكن أن يكون قد سافر فيها الى رومية (انظر فصل تأسيس كنيسة رومية) .

(٢) هو أسقف كورنثوس استشهد في اضطهاد ديقلاديانوس ومسكسيميانوس (سنكسار ٢٣ بابه) .

تفسيره سفر التكوين : « انما وصل بطرس الى رومية في آخر حياته »[١] أما ذهاب بطرس الى عاصمة المملكة الاممية فلم يكن الغرض منه تأسيس كنيستها التي سبق فأسسها رسول الامم وانما كان لمطاردة سمعان الساحر[٢] كما يشهد بذلك جميع المؤرخين الاقدمين بما فيهم أوسابيوس في تاريخه الكنسي (ك ٢ ف ١٤) وايجيزيبوس[٣] في مؤلفه : « خراب أورشليم » (ك ٢ ف ٢).

قال السيد مظلوم : « لما برز بطرس وبولس لمقاومة الساحر وأماتاه مكراً مهشماً احتدم رجز نيرون عليهما فسجنهما تسعة أشهر ثم قتلهما »

---

(١) من الغريب ان القس بولس قلادة (أغناطيوس برزي) القبطي الكاثوليكي يترجم في كتابه « الحق الجليل » ص٥٢ شهادة أوريجانوس بما يأتي : « ان بطرس مكث في رومية حتى آخر أيام حياته » . ولو أراد حضرته أن يقف على صحة هذه الترجمة فليراجع الاصل اليوناني وترجمته بالفرنسية الواردين بصفحة ٧٦ من كتاب « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة Constitution Divine de l'Eglise » تاليف بطريركه كيرلس مقار طبعة جنيف بسويسره سنة ١٩١٣ م .

(٢) بدأ بطرس بهذه المطاردة في قيصرية سنة ٣٧م (أع ٨: ١-٢٥)

(٣) كان ايجيزيبوس يهودي الاصل وقد اعتنق الديانة المسيحية برومية سنة ١٨١ م وسيم أسقفاً على هيرابوليس - بآسيا الصغرى في شمال لاودكية واسمها الآن (بيوك قلعةسي) - وكان له تاريخ كنسي حفظ لنا أوسابيوس نتفاً منه (قاموس القواميس لجيرين ج٤ ص٥٢٤).

(أخبار القديسين ج ٣ ص ٢٤٩) . وقال العلامة أوريجانوس: «انما استشهد بطرس برومية منكساً على الصليب لانه أراد أن يتألم هكذا» (راجع أوسابيوس ك ٣ ف ١)

بحث في تعميد كورنيليوس — : يفتري الكاثوليك على الله وعلى الحقيقة فيدعون ان بطرس بشر الامم قبل بولس ، وقد ضرب البرزي على هـذه النغمة فقال في كتابه « الحق الجليل » ص ٢٥ : « ان الله أرسل القائد كورنيليوس الى بطرس باكورة المؤمنين من الامم » . والحقيقة تخالف هذه الادعاءآت لان بولس قد ابتدأ بتبشير الأمم من سنة ٣٥ م أي منذ تاريخ انتدابه للبشارة كما يجاهر هو بذلك في رسالته الى أهل غلاطية (١٥ : ١٨) وبعد ان بشّر دمشق وبلاد العرب مدة ثلاث سنوات ، توجه الى أورشليم حيث زار بطرس ويعقوب. وقد قرر المؤرخون انهذه الزيارة وقعت بين سنتي ٣٨ و ٣٩ م كما قرّروا مع كتاب الله أن بطرس سافر على أثرها الى لدة فسارون فيافا ثم الى قيصرية حيث عمّد كورنيليوس وأهل بيته . ومما ذكر يتضح بأجلى بيان ان تبشير بولس للألوف من الاممين قد سبق تبشير بطرس لكورنيليوس الاممي بثلاث سنين !!

يزيد الكاثوليك على ماتقدم أن بطرس رسول الختان أصبح بتعميده كورنيليوس رسولاً للأمم . غير ان بطرس لم يكن رسولاً للأمم لامن قبل أن يعمد كورنيليوس ولا من بعد، واذا كان لبطرس سلطان

على تعميد الأمم — ولو سراً كما يقول السيد مسعد الماروني في كتابه « الدر المنظوم » ص ٢٢٧ ـ فلماذا كان يتردد في قبوله مأمورية تعميد هـذا القائد الاممي (أع ١٠:٢٠) ؟ بل ما الذي كان يضطره ـ قبل دخوله بيت كورنيليوس ـ أن يقول له ولأهل بيته : « أنتم تعلمون انه حرام على رجل يهوديّ أن يختلط بانسان أجنبي أو يقترب منه» (أع ١٠:٢٨) ؟ هـذا ولو كان بطرس بعد تعميده كورنيليوس قد أضحى رسولاً للأمم كما يزعمون، فما الذي كان يدعو الرسل واليهود بأورشليم الى اختصامه والحنق عليـه ؟ ! وما الذي كان يدعوه الى تبرئة نفسه بايقافهم على تفاصيل رؤياه بشأن تعميد ذلك القائد ؟

ان للكاثوليك أساليب يعمدون اليها في سبيل تعزيز أقوالهـم ، منها أنهم يلجأون الى تحريف آيات الكتاب المقدس ، فمن أمثلة ذلك انه جاء في سفر الاعمال مايأتي : « بعد ان جرت مباحثة طويلة (في المجمع الرسوليّ المنعقد بين سنتي ٥١و٥٢ م بشأن اختتان الأمميين) قام بطرس وقال: « أيها الرجال الاخوة أنتم تعلمون انه منذ أيام متقدمة اختار الله من بيننا أن يسمع الامميون بفمي (أنا رسول الختان) كلمة الانجيل فيؤمنون » (أع ١٥:٧) . ولا يختلف اثنان في أن بطرس انما أشار بقوله هذا إلى حادثة كورنيليوس التي أجراها الله على يديه سنة ٣٩ م والتي ورد ذكرها في الاصحاح العاشر من سفر الاعمال ، غير ان الكاثوليك قد حرّفوا الآية الرسولية فعرّبوا العبارة اليونانية

« Ηⲙⲉⲣⲱⲛ ⲁⲣⲭⲁⲓⲱⲛ » بقولهم: « الايام الاولى »
بدلاً من « أيام متقدمة » ليخرجوا من هذا التحريف « الخفيف »
على أن بطرس هو المبشر الاول للامم فضلاً عن اليهود !! غير ان
الكتاب المقدس يكذّبهم حيث يقرر أن بطرس وقف في المجمع الرسولي
وذكر حادثة تعميده لكورنيليوس وأهل بيته دون أن يزيد عليها
حرفاً ، بعكس بولس وبرنابا اللذين أخذا يشرحان جميع ما أجراه الله
على أيديهما من الآيات والمعجزات « في الامم » (أع ١٥: ١٢) فاذا
تكون معجزة اعتماد أممي واحد وأهل بيته بجانب الآيات والمعجزات
الكثيرة التي أجراها الله على أيدي بولس وبرنابا في معظم البلاد
الأممية الشاسعة الاطراف؟ واذا كان بطرس - بعد تعميده كورنيليوس -
قد عمّد أممي أنطاكية ورومية الذين يعدون بالالوف والملايين (٤٦ -
٥٢ م)، فلمَ تحاشى ذكر ذلك العمل الخطير في المجمع الرسوليّ العظيم؟
أيكرّر ذكر معجزة اعتماد كورنيليوس التي أجريت على يديه بقيصرية
من ثلاث عشرة سنة مضت ، ويغفل ذكر المعجزات والآيات التي
أجريت على يديه أخيراً بعواصم البلاد الاممية ولاسيما سيدتهن رومية؟!
واذا كان اتضاع بطرس - مثلاً - قد قاده الى اخفاء تلك العظائم
والخوارق على هيئة الكنيسة ! ! فما كان السر الذي ألجأ مرقس -
تلميذ بطرس على زعمهم - الى وقوفه بجانب معلمه صامتاً ، مع العلم
بأنه كان أحد ممثلي تلك الهيئة (أع ١٥: ٣٥ - ٤٠) ؟ أكان اتضاعه

هو أيضاً ؟ ! كلاّ فليس من سر في الأمر سوى سقوط تلك الدعوى من أساسها . وما رأي الكاثوليك في إتيان «الرسالة المجمعية الرسولية» على ذكر كنائس أنطاكية وسورية وكيليكيا الامية (أع ١٥: ٢٣) واغفالها ذكر كنيسة رومية وغيرها من الكنائس التي يدّعون ان بطرس كان قد قام بتأسيسها منذ سنين بعيدة ؟؟ هم مجمعون على ان بولس قد كتب رسالته الى أهل غلاطية بين سنتي ٥٧و٥٨ م، وقد ورد في هذه الرسالة المحررة بعد حادثة تعميد كورنيليوس بثماني عشرة سنة ما يأتي : « لما صعدت الى أورشليم أنا وبرنابا بوحي إلهي، بادر يعقوب (أخو الرب) وكيفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون كأعمدة (للرسل) ومدوا إليّ والى برنابا يد الشركة لنقوم نحن بتبشير الامم وليقوموا هم بتبشير أهل الختان (غل ٢: ١ ـ ٩) وان يعقوب وكيفا ويوحنا بمدهم يد الشركة إليّ لم يأتوا شيئاً سوى الاقرار بالنعمة الالهية التي منحت لي لابشر الامم كما منحت لبطرس ليبشر اليهود» (غل ٢: ٩) فلو كان بطرس قد أصبح ـ بعد تعميده كورنيليوس سنة ٣٨ م ـ رسولاً للامم فكيف جاز لبولس بل الروح القدس الناطق بلسانه أن يقرر في سنة ٥٧ م أن بطرس قد منح النعمة لتبشير اليهود دون الامم؟! أكان المقرّر جاهلاً حادثة تعميد كورنيليوس؟! أم هم الكاثوليك يضفرون من الباطل حبالاً يطوّقون بها عنق السذج من أشياعهم ؟ ! !

بولس الرسول — : رسم المسيح أن يسمع الاميون صوته بعد اليهود (أع ١:٤ — ٩) وعلى يد تلميذ غير بطرس رسول اليهود، فأنار لذلك بصيرة شاول (بولس) الذي طالما اضطهد الكنيسة والذي كانت له اليد الطولى في مقتل اسطفانوس رئيس الشمامسة بأورشليم (أع ٥٧:٧ — ٥٩ و٨:٣) .

ولد صاحب الترجمة سنة ١٠ ق م بطرسوس في كيليكيا بآسيا الصغرى من أسرة اسرائيلية شريفة. وانتخبه المسيح للرسالة سنة ٣٥ م في مدينة دمشق الأممية (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١) وأناط به رسالة الامم بنوع خاص اذ قال له : « انطلق فاني انا مرسلك بعيداً الى الأمم » (أع ٢٢: ٢١) . ولقد أراد المخلص أن يعمم مهمة بولس الذي لم يبرع أحد مثله في علم الكتاب[1] ، ففوض اليه تبشير العالم بلا قيد ولا شرط حيث قال: «هذا اناء مختار لي اخترته[2] ليحمل اسمي أمام الامم وأمام الملوك وأمام

---

(١) راجع ترتوليانوس قس كنيسة قرطاجنة (١٦٠ـ٢٤٠ م) في كتابه الرابع ضد مرسيون .

(٢) قال ايرونيموس: انما سمي بولس اناءاً مختاراً لانه كان خزينة الناموس والكتاب (راجع الدبس في ترجمة بولس) . وقال الدبس في «تفسير الرسائل» ص ٣٣٨: «ان بولس لم ينتخبه الرسل كما انتخبوا متياس (بدلاً من يهوذا الاسخريوطي) بل انتخبه المسيح نفسه الذي لم يدعُه وهو على الارض كما دعا سائر الرسل بل وهو جالس على يمين أبيه في السماء ، ولذلك كانت دعوة بولس أسمى وأشرف من دعوة الرسل جميعاً » .

بني اسرءيل» (أع ٩: ١٠-١٧)[١] . وعلى ذلك شرع بولس في التبشير باسم من طالما اضطهده مبتدئاً بأهل الموعد (الذين هم بنو اسراءيل) مردفاً بهم الأمم (أع ١٣: ٤٦) . وبعد أن بشر بولس دمشق وبلاد العرب ثلاث سنوات ، توجه في أوائل سنة ٣٩ م الى اورشليم فزار بطرس ويعقوب (غل ١: ١٧-٢٠) والتقى بسائر الرسل ، وكان برنابا واسطة التعارف بينهم لأنهم لم يكونوا قد تعرفوا ببولس بعد (غل ١: ٢٢) ولانهم كانوا يخافونه ولا يصدقون أنه أصبح تلميذاً (أع ٩: ٢٦-٣١)

وبين سنة ٤١ و ٤٢ م أرسلت الهيئة الرسولية بولس الى قيصرية فطرسوس «أع ٩: ٢٨-٣١» (كما ارسلت بطرس الى السامرة من قبل) وهناك لحق به برنابا ودعاه للقيام الى انطاكية ليبشر أهلها بصفته هامة رسل الامم . فبادر الى تلك العاصمة الأممية الكبرى وظل مشتغلاً بتبشيرها سنة كاملة (٤٣-٤٤م) عاد بعدها هو وبرنابا الى أورشليم حاملين الى مسيحييها المساعدة التي أمدهم بها اخوتهم الانطاكيون خشية ان تفتك بهم المجاعة التي تنبأ عنها اغابيوس النبي . وبعد ذلك رجع الرسولان الى انطاكية يرافقهما مرقس[٢] فأقاموا بها مدة اختطف في خلالها بولس الى

(١) قال الذهبي الفم في تفسيره (١ كو ٩): «ان بولس الذي كان ملاكاً ؛ قد سلم مقاليد المسكونة بأسرها » .

(٢) يوسيفوس (ك ٢ ر ٥) و(أع ١١: ٢٧-٣٠ و ١٢: ٢٥ و ١٣: ١٣).

السماء الثالثة حيث رأى مالم تره عين ولم يخطر على قلب بشر[١] ثم أرسل بولس وبرنابا من الروح القدس الى كيليكيا ومن هناك أبحرا الى قبرص يصحبهما مرقس (أع ١٣: ١-٤). ولما بلغوا بافوس (مدينة بقبرص) عمّد بولس واليها وقاوم باريشوع الساحر. ثم ان بولس وبرنابا -بعد أن تركهما مرقس عائداً الى أورشليم- اجتازا برجة بمفيلية وأقبلا الى انطاكية بيسيدية بآسيا الصغرى سنة ٤٦م حيث القى بولس خطبته الشهيرة التي قرر فيها وجود رسل الرب بأورشليم حتى تلك السنة (أع ١٣: ١٤-٤٤)[٢]

ولما ثار سكان هذه المدينة على بولس وبرنابا غادراها الى ايقونية[٣] ثم لسترة حيث شفى بولس مقعداً كان قد ولد بهذه العاهة فأدهشت هذه المعجزة سكان تلك النواحي حتى قالوا: «ان الآلهة قد تشبهوا بالناس ونزلوا الينا». ولما خشي اليهود العاقبة أغووا الجموع فرجموا بولس وجرّوه الى خارج المدينة وهم يظنون انه قد مات، غير انه في الغد انطلق مع برنابا

---

(١) (٢ كو ١٢: ١-٦) و«تفسير الرسائل» للدبس ص ٣٠٤ و«اخبار القديسين» لمظلوم ج ٣ ص ٢٥٤.

(٢) قال تيوفيلاكتوس رئيس اساقفة بلغاريا (٥٧٠-٦٤٠م) في كلامه على هذه الخطبة «لقد ترك برنابا لبولس الخطابة في هذا المقام، كما ترك أندراوس الخطابة لبطرس في يوم الخمسين» (راجع تفسيره أع ١٣: ١٥. ١٦)

(٣) هي ايكونيوم (قونية) عاصمة ليكاؤنية في شمال كيليكيا بآسيا الصغرى وأشهر مدنها دربة ولسترة.

الى دربة فلسترة فأيقونية فبيسيدية فأتالية ثم الى انطاكية حيث قام بولس بتثبيت كنيستها وإقامة اسقف عليها أسوةً بغيرها من الكنائس التي سبق فأسسها (أع ١٣ : ٤ ـ ١٤ : ٥١ و ١٤ : ١ ـ ٢٧) وكان ذلك بين سنة ٤٩ و ٥١ م (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١). ثم قصد هذان الرسولان مجمع الرسل بأورشليم (٥١ ـ ٥٢) رافعين اليه قضية الختان التي وقع عليها الخلاف بين المؤمنين الانطاكيين، وكان معهما تيطس الذي كان قد أقامه بولس أسقفاً على جزيرة كريت [١] وبعد ارفضاض ذلك المجمع وقع الخلاف بين بولس وبرنابا بشأن مرقس كما أسلفنا ، فأخذ بولس سيلا وطاف سوريا وكيليكيا يؤيد كنائسها التي أسسها ويسلمها حكم المحكمة الكنسية العليا لتسلك بمقتضاه (أع ١٥ : ١ — ٤١) ثم قدم الى لسترة حيث التقى بتلميذه تيموثاوس الذي كان قد أقامه أسقفاً على أفسس [٢] . وبعد ذلك قصد فيلبي أول مدن مقدونية فأخرج شيطاناً من جارية هناك فسجنوه هو وسيلا رفيقه بعد ان جلدوهما وأثخنوهما جراحاً، غير ان زلزالاً عظيماً زعزع أسس السجن في تلك الليلة وفك قيود المسجونين، ولما أظهر السجان رغبته في نيل الخلاص قال له بولس: « آمن

(١) راجع حواشي العهد الجديد للجزويت ص ٥١٤ .
(٢) أوسابيوس (ك ٣ ف ٤) . قضى تيموثاوس حياته بتولاً . (راجع الدبس في تفسيره الرسائل ص ٥١١) . ولقد شبهه بولس الرسول بنفسه حيث قال مخاطباً أهل فيلبي : « ليس عندي من يهتم بأحوالكم بنية خالصة كشخصي غير تيموثاوس » (في ٢ : ٢٠) .

بالرب يسوع» فآمن السجان وأهل بيته[1]. ولما بلغ آذان الولاة أن بولس ورفيقه رومانيان أطلقوا سراحهما وتوسلوا اليهما أن يبرحا المدينة، فيمما شطريبرية بمقدونية حيث ترك بولس سيلا مع تيموثاوس وقصد هو أثينا (عاصمة اليونان) التي كان سكانها منهمكين في عبادة الأصنام رغم توغلهم في العلوم الفلسفية، فآمن بتبشيره كثيرون وفي مقدمتهم ديونيسيوس الاريوباغي[2] فأقامه بولس أسقفاً عليها (راجع أخبار القديسين لمظلوم ج ٣ ص ٢٥٦). ثم برحها معرّجاً على كورنثوس باليونان حيث التقى باكيلاّ البنطي (نسبة الى البنطس) وزوجته برسكلاّ وكانا قد نفيا من رومية مع جميع اليهود الذين نفوا منها بأمر كلوديوس قيصر[3] فانضمّ اليهما بولس في صنع

(١) هل للكاثوليك أن يفهموا أن الخلاص موقوف على الايمان بالرب يسوع لا على الايمان بمن يدّعون انه (قائمقام) الرب يسوع؟؟ وهل لهم أن يحذفوا من كتب «تعليمهم المسيحي» الدعوى بهلاك من خرج عن كنيستهم الرومانية؟ هل لهم أن يحذفوا تلك الدعوى وأمثالها من الدعاوى الباطلة التي يسمّمون بها عقول الأطفال والشبان وهم بعد على مقاعد التلمذة؟؟

(٢) نسبة الى أريوس باغوس وهي المحكمة العليا عند قدماء اليونان.

(٣) هذا ماقاله كتاب الله بشأن نفي اليهود (أع ١٨: ١—٤). اما التاريخ المدني فقال: «ان كلوديوس القيصر نفى اليهود والمسيحيين من رومية» (راجع سويتون Suétone ٦٥_١٣٥م) في «ترجمة كلوديوس»

الخيام [1] وكان في السبت يحاجّ اليهود واليونان. ولما سمع من تجديف اليهود ماسمع تركهم وشأنهم وأخذ في تبشير أمم هذه المدينة ولبث في ذلك سنة وستة أشهر (٥٣و٥٤ م) كتب في خلالها رسالتيه الى أهل تسالونيكي (سالونيك) وهما أول رسائله على ما رواه تاودوريتوس والذهبي الفم (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١ وتفسير الرسائل للدبس ص ٤٧١و٤٧٩) ثم أقلع الى أنطاكية حيث وقف في وجه بطرس ووبخه علنا لغرسه بذور الشقاق في كنيسة هي بعدُ في المهد. وبعد ان قضى بأنطاكية زمناً قصد غلاطية مثبتاً التلاميذ في كل مدينة مرّ بها، ثم قدم الى أفسس فكتب رسالته الى أهل غلاطية سنة ٥٦ (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١ والدبس ص ٣٣٧) ثم رسالته الاولى الى أهل كورنثوس سنة ٥٧ م (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١) وقد بعث بها الى اليهود والامم معاً (الدبس ص ١٣٠) وظل يبشر بأفسس سنتين كاملتين (٥٥–٥٧) حتى سمع كلمة الرب جميع سكان أسيا الصغرى من يهود ويونانيين (أمميين) وآمن كثيرون بالرب يسوع. وكان ذلك

ف ٢٥). وأما جيرين فقال: «ان نفي اليهود والمسيحيين من رومية بأمر كلوديوس كان سنة ٥٢م (قاموس القواميس لجيرين ج٣ص١١٣) وقد أجمع المؤرخون على ان ذلك النفي قد انقضى اجله بانقضاء اجل كلوديوس وتولية نيرون سنة ٥٤ م.

(١) لعل سكان ادبرتنا بأكلهم خبزهم بعرق جبينهم ارادوا الاقتداء ببولس، ذلك الراهب المتواضع والرسول العظيم.

بفضل فصاحة بولس وقوة حجته وبما كان يجريه الله على يديه من المعجزات حتى ان مناديله ومآزره كانت تشفي المرضى وتخرج الارواح الشريرة . ثم عرّج على كورنثوس وأقام بها حتى شتاء سنة ٥٨م. حيث كتب رسالته الى أهل رومية من كنكرية القريبة من كورنثوس، وبعث بها اليهم على يد فيبة خادمة كنيسة تلك المدينة (دا. مع. فر. م ٢٦ ص ١١١ وتفسير الرسائل للدبس ص ٢ وأخبار القديسين لمظلوم ج ٣ ص ٢٦٤) ثم عوّل على حضور العنصرة بأورشليم فقصدها مجتازاً مقدونية حيث كتب رسالته الأولى الى تلميذه تيموثاوس كما رواه أثناسيوس الرسولي وثاودوريتس (راجع الدبس ص ٥١٢) ، وكذلك رسالته الثانية الى أهل كورنثوس (راجع الدبس ص ٢٢٩) . وفيما هو ماضٍ الى أورشليم قال : « لا بدّ لي أن أرى رومية » (أع ١٩ : ٢١) ثم ركب سفينةً سارت به الى قيصرية حيث نزل ببيت الشماس فيلبس (رسول السامرة وأحد السبعة الشمامسة) وحيث التقى بأغابيوس النبي الذي تنبأ عمّا سيصادفه الرسول بأورشليم من الأسر والاهانة، فحاول الشعب أن يحول دون مبارحة بولس لمدينتهم، غير ان الرسول أبى ذلك قائلاً : « اني مستعد لا لأن أوسر بأورشليم فقط، بل لأن أموت بها أيضاً لاجل اسم يسوع » (أع ٢١: ٨-١٣) .

ولما صعد بولس الى أورشليم قصد يعقوب (أسقف هذه المدينة)

وسلّم عليه وعلى شركائه في الخدمة الالهية، وأخذ يروي لهم بالتفصيل كلّ ما أجراه الله على يديه في الأمم، فمجدوا الله وسُرّوا جداً، غير أن يهود آسيا إذ رأوا بولس في الهيكل، أثاروا الشعب ضده وهجموا عليه صارخين أن « أغيثونا يارجال اسراءيل، هذا هو الرجل الذي يعلّم جميع الناس في كل مكان تعليماً مضاداً لناموس موسى » فاستعرت نار الثورة بأورشليم واندلع لسانها الى مركز الضبط فخف قائد الألف الى مكان الحادثة في جمهور كبير من الجنود المسلحين وقواد المئين، غير أنهم لما علموا بجنسية بولس الرومانية كفّوا عن أذاه وأرادوا أن ينقذوه من أيدي الأشرار الذين كانوا يريدون أن يمزقوه تمزيقاً، فزجوا به في ظلمات السجن حيث ظهر له الرب وقال: « تشجع يابولس، فكما شهدت لي في أورشليم كذلك يجب أن تشهد لي في رومية أيضاً ». (أع ٢٣: ١١) ولما أصبح الصباح سلّم قائد الالف بولس الى فيلكس الوالي بقيصرية، وكان اليهود يتهمونه بأنه يثير الفتن والقلاقل في الشعب بصفته امام شيعة الناصريين[١] (أع ٢٤: ٥) فأبقاه هذا الوالي في السجن سنتين كاملتين (٥٩ — ٦١) (أع ٢٤: ٢٧). وفي أوائل سنة ٦١ م آلت ولاية قيصرية الى فستس الذي عرض على بولس ان يحاكم في أورشليم، ولما لم يرد بولس إلاّ أن يقيم دعواه في رومية قال له الوالي: « الى قيصر رفعت دعواك فاليه تمضي » (أع ٢٥: ١٠-١٢) وعلى ذلك

(١) هذه شهادة خصوم الناصريين فما رأي الكاثوليك الناصريين؟!

سلّم بولس ولوقا الانجيليّ وغيرهما من الأسرى الى قائد مائة، فأركبهم سفينةً سارت بهم الى ميرة في ليكية حيث نقل القائد جميع الأسرى الى سفينة أخرى كانت قادمة من الاسكندرية ووجهتها ايطاليا (أع ٢٧: ٥-٧) وقد لعبت الانواء بتلك السفينة فأشرفت على الهلاك، غير ان ملاك الرب ظهر لبولس في الرؤيا وطمأنه قائلاً: «لا تخف فلابد أن تقف أمام قيصر برومية. ولقد وهبك الرب جميع المسافرين الذين معك» (أع ٢٧: ٢٤) وعلى ذلك سارت تلك السفينة بحيث لم تصل الى جزيرة مالطة إلا بعد الجهد الجهيد. وبعد أن قضى بولس ثلاثة أشهر بتلك الجزيرة - صنع في خلالها عجائب كثيرة - أقلع هو ومن معه الى ايطاليا على سفينةٍ اسكندرية كانت قد شتّت في مالطة، ثم قصدوا رومية وهناك سمع الاخوة بخبرهم فخرجوا للقائهم، فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع، ثم دخل رومية، فأذن له أن ينزل حيث شاء مع الشرطي الذي كان يحرسه، وما مضى على وصوله ثلاثة أيام حتى دعا وجهاء اليهود هناك وقصّ عليهم أمره، فقاطعه المجتمعون قائلين: «انه لم تأتنا رسائل من اليهودية في أمرك، ولم يقدُم الينا أحد من الاخوة ويحدثنا عنك بسوء، غير أنّا نروم أن تُسمعنا رأيك في ذلك المذهب (المسيحي) فانه معلوم عندنا انه يقاوم في كل مكان» (أع ٢٨: ٢١-٢٢) فطفق بولس يبشرهم بملكوت الله ويحاجّهم في أمر يسوع معتمداً على ناموس موسى والانبياء، فاقتنع البعض بتعليمه فآمن، وأصرّ البعض الآخر

على أعناده فلم يؤمن، ثم أنذرهم بولس بقوله : « ليكن معلوماً عندكم انه الى الأمم قد أرسل هذا الخلاص خلاص الله وسيسمعونه» (أع ٢٨:٢٨) [١] فما قال هذا إلا انفرط عقد اليهود، فأخذوا في الانصراف وهم مختصمون فيما بينهم اختصاماً كبيراً [٢] ومن ثم استأجر بولس بيتاً أقام فيه سنتين كاملتين (٦٢ـ٦٤ م) لم يكف في خلالهما عن التبشير بملكوت الله وعن نشر التعليم المسيحي بكل جُرأة دون أن يمانعه

(١) كان بولس إذا دخل مدينة ليشيد بها كنيسة مسيحية يبدأ بزف كلمة الانجيل إلى اليهود أولاً بصفتهم أهل الموعد، وكان اذا لم يصادف منهم آذاناً مصغية لصوت الرب، لا يلبث أن يبرأ منهم ويتحول شطر الامم كما أتى ذلك في أنطاكية (أع ١٣ : ٤٦) وفي غيرها، وهذا عينه ما أتاه بولس برومية . ومن سين التنفيس في لفظة «سيسمعونه» الدالة على المستقبل القريب - (وقد أثبتها الدومينيكان في طبعة الموصل سنة ١٨٧٦ عن طبعة رومية سنة ١٧٠٣ وحذفها الجزويت « عمداً» في طبعة بيروت سنة ١٨٩٩)-..من هذه السين يثبت ثبوتاً لاريب فيه ان رومية الاممية لم تكن قد سمعت كلمة الانجيل من فم رسول، قبل ان زفها اليها بولس رسول الأمم .

(٢) هذه هي الحقيقة التي أثبتها الدومينيكان في طبعتهم بعكس الجزويت فانهم لما رأوا ان هذه الخصومة المحتدمة ليست في مصلحتهم ، لطّفوا النص الرسوليّ فقالوا : « ولما قال بولس هذا ، خرج اليهود من عنده ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم » !!!

أحد (أع ٢٨ : ١٤ - ٣١) حتى أن كثيرين من أصحاب الوظائف الملكية ومن نفس قصر نيرون قد اعتنقوا الدين المسيحي (فيلبي ٤ : ٢٢ وأخبار القديسين لمظلوم ج ٣ ص ٢٢٦) . وبعد ان بشر بولس مدينة رومية ووعظها بكلمة الحق وأسس كنيستها ، رفع تلميذه لينوس الى مسند أسقفيتها كما شهد بذلك بطرس نفسه حيث قال : « ان أول أسقف أقيم على رومية هو لينوس سامه بولس » (قوانين رسولية ك ٧ ف ٤٦) ومن ثم أصبحت كنيسة رومية في عداد الكنائس الرسولية التي يتكون منها جسم كنيسة الله الارثوذكسية (فيلبي ١ : ١٢ - ٢١) .

ولم يكن اشتغال بولس بتأسيس كنيسة رومية - عاصمة العالم الأممي إذ ذاك - لينسيه الكنائس الاممية الشرقية العديدة التي شادها قبل تلك الكنيسة بسنين كثيرة [1] . ففي أثناء تأسيسه كنيسة رومية كتب الى تلك الكنائس أربع رسائل برسم أهل أفسس (الدبس نقلاً عن تاودوريتس ص ٣٨٥) فأهل كولوسي ، فأهل فيلبي ، فتلميذه فليمون (الدبس ص ٤٧٧ و ٤٤٢ و ٦٠١) كما انه لم يكن لينسى أهل الموعد (العبرانيين) ولا سيما الاورشليميون منهم فقد بعث اليهم برسالة من ١٣ فصلاً يوصيهم في الأخيرة منها أن يذكروه في صلواتهم ليعود اليهم في القريب العاجل (الدبس ص ٦٠٧) .

---

(١) هذه الكنائس الشرقية ، هي بنات « الأم صهيون » (أورشليم) وعلى ذلك تكون كنيسة رومية الغربية حفيدة تلك الأم.

وقد رحل بولس من رومية متبعاً في ذلك خط السير الذي كان قد اختطه لنفسه من قبل (رو١٥:٢٨). قال الرهبان الدومينيكان: « لما كان الله قد دعا بولس لتبشير الامم فما بارح هذا الرسول رومية إلا ووجهته إيطاليا ففرنسا حيث غرس بذور التعليم المسيحي على ما رواه ميتافوست الكاثوليكي (من مؤرخي القرن العاشر). ولم يقتصر على نشر كلمة الخلاص بتلك الاقطار بل نشرها باسبانيا أيضاً » (راجع « سير القديسين » للدومينيكان ج١ ص٨٠٦) . وفي سنة ٦٥م عاد بولس الى المشرق حيث التقى بطرس في كورنثوس كما شهد بذلك ديونيسيوس الكورنثي (اوسابيوس ك ٤ ف ٢٣) ومن هناك عاد الى رومية في أواخر سنة ٦٦ م حيث تسبب في قتل سمعان الساحر وحيث جذب الى دين المسيح احدى سراري نيرون ، مما أهاج سخط هذا الطاغية عليه فحكم بطرحه في السجن حيث قضى بين جدرانه تسعة أشهر، كتب في خلالها رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس يرجوه فيها أن يحضر اليه ومعه مرقس الانجيلي ليعاونه في أسره (راجع الذهبي الفم بالدبس ص ٥٥٦)

وفي أوائل سنة ٦٨ م حكم نيرون بقتل بولس بحد السيف (مظلوم ج ٣ ص ٢٦٧) وفيما كان رجال الضبط يقودونه الى منقع العذاب هدى الى الايمان ثلاثة منهم فاستشهدوا معه . قال الذهبي الفم: «ولما قطع الجلاد رأس بولس خرج من عنقه حليب غزير » وقال الرهبان

الدومينيكان : « بهذه المعجزة وبغيرها من المعجزات التي جرت في استشهاد ذلك الرسول العظيم ، اهتدى الى الايمان ٣٥ رجلاً ممن حضروا مقتله » ثم قالوا : « وانما أراد الله أن يشير بذلك الحليب الطاهر الذي فاض من عنق رسوله عند استشهاده ، الى ان ذلك الرسول كان كظِئر (مرضع) ترضع المؤمنين بحليب التعليم السماوي النقيّ » (سير القديسين ج ١ ص ٨٠٧)

في تأسيس كنيسة رومية — : زحف بومبيوس الروماني بجيش جرّار على أورشليم سنة ٦٣ ق.م فنزع الملك من اريسطوبولس الثاني المكابي ، ثم ساقه مع من أسرهم من اليهود الى رومية حيث استُعبدوا مدةً طويلة . وأعقب ذلك أن أعتق الرومان هؤلاء الأسرى وتركوا لهم الحرية الدينية واطلقوا عليهم اسم « ليبرتيني » أي المحرَّرين . فبنى هؤلاء اليهود المحرَّرون على شاطئ نهر التيبر حارةً يهودية وظلوا ينمون ويكثرون حتى بلغ عددهم عند موت هيرودس الكبير ملك اليهودية (٤٠ق.م-١م) نحو الثلاثة آلاف نسمة (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٧ف ١ وك ١٨ف ٣٥) . وكانوا يأتون الى أورشليم في أيام الفصح ومعهم الهدايا والضحايا [1] وبسبب اختلاطهم بأهل رومية دخل كثيرون من الرومان في دين اليهود عُرفوا بالدخلاء ، وكانوا يقصدون أورشليم مع إخوتهم في الدين للاحتفال بالفصح (أع ٢ : ١٠) .

(١) راجع ص ١٤ من رسالة فيلون العبري الاسكندري (٣٠ق.م -٥٤ م) الى القيصر غايوس كاليجولا (٣٧-٤١م)

وفي السنة التي صعد فيها المخلص الى السماء (٣٤م) كان بين الذين حضروا العيد بأورشليم كثيرون من أهل رومية يهود ودخلاء شاهدوا حلول الروح القدس على التلاميذ، فآمن بعضهم بالرب يسوع (أع ٢: ١-١١ و٤١ و٤٢). ولما عادوا الى وطنهم مع أنسباء بولس الرسول[1] نشروا هناك الدين المسيحي كما يشهد بذلك بولس نفسه في الرسالة التي بعث بها الى أهل رومية والتي يتضح منها انه لم تكن - حتى تاريخ تحريرها وهو سنة ٥٨م - قد تأسست برومية كنيسة مشكلة من هيئة رسولية

ولما كان بولس الرسول يعلم انه ليس في سلطان أولئك المتلمذين للرب أن يقيموا كنيسةً مشتملة على جميع الصفات الرسولية، كان قلبه يضطرم شوقاً الى رؤية رومية لتأسيس كنيستها، لا سيما وقد كان يتردد في آذانه صدى صوت المسيح القائل: «تشجع يا بولس فكما شهدت لي في أورشليم لا بدّ أن تشهد لي في رومية أيضاً» (أع ٢٣: ١١) وعلى ذلك لما سيق بولس مكبّلا بالقيود الى عاصمة المملكة الرومانية سنة ٦٢م وأفرج عنه هناك، أخذ في نشر التعاليم الالهية وفي شرح حقيقة الدين المسيحي، وبذلك أسس الكنيسة الرومانية وثبتها، ومنذ ذلك العهد أصبحت كنيسة رومية عضواً حياً في جسد بيعة الله الارثوذكسية الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية.

هذه هي الحقيقة التاريخية بشأن تأسيس كنيسة رومية، غير ان هذه الحقيقة - كغيرها من الحقائق الكثيرة - لم ترق في عيون الكاثوليك

(١) هم اندرونيكوس ويونياس وهيروديون (رو ١٦: ٧ و١١).

فانحرفوا عنها مدّعين ان بطرس بشّر رومية قبل بولس الذي لم يكن إلاّ «وزيراً» له على رأي الجزويت في حواشي العهد الجديد ص ٥١٠ ، أو «خادماً» على رأي المعلم زوين السوري الكاثوليكي في كتاب «الشهب الثواقب» المطبوع ببيروت سنة ١٨٧٠ ص ٤٧ . يدّعي الكاثوليك هذه الدعاوى الباطلة ويوردون لاثباتها ضرباً من الخبط يتخيلونه أدلةً ، وما هو إلا كلام يلوكونه، قلّما يخلو من الشطط وقلما يثبت على النقد. ولا شك في ان الباحث المدقق متى وقع نظره على أمثال تلك التخرّصات أدرك ان الانسان ضعيف الفطرة، يفقد قوة التمييز بين الحق والباطل كلما مُسّ شعوره أو اعترضه غرض ، سواء كان ذلك الشعور وهذا الغرض من شؤون هذه الدنيا أو الآخرة، وعلى ذلك يحرّف الكاثوليك آيات الكتاب المقدس ويؤوّلونها بما لا ينطبق على تاريخ وبما لا يقبله عقل نشط من عقاله. فقد جاء في الآية الثالثة عشرة من الفصل الخامس من رسالة بطرس الاولى ما تعريبه عن الأصل اليونانيّ: «تسلم عليكم المختارة معكم في بابل ومرقس ابني» فضرب الكاثوليك صفحاً عن ذلك الأصل وعرّبوا الآية هكذا : «تسلّم عليكم الكنيسة المختارة التي في بابل ومرقس ابني» ثم انهم لم يكتفوا بهذا التحريف بل قالوا ان بطرس الرسول قصد بلفظة (بابل) مدينة رومية بدليل قول صاحب الرؤيا: «بابل أمّ زواني الارض القائمة على سبعة جبال التي أسكرت العالم بخمر زناها» (رؤ ١٤:٨و١٦:١٩و١٧:٥) وبدليل انه لم يكن في عصر

صاحب الرؤيا مدينة متوفرة فيها هـذه الصفات غير رومية (تفسير الرسائل للدبس ص ٨٠٣ والحق الجليل للبرزي ص ٥١) .

وجوابنا على ذلك انا لا ننكر على الكاثوليك وأتباعهم أن سفر الرؤيا يرمز ببابل الى رومية أمّ زواني الأرض، ولكنا نذكّرهم أولاً بأن هذا السفر الجليل لم يكتب الاّ بعد موت بطرس الرسول بثلاثين سنة تقريباً كما يشهد بذلك الدبس في مقدمة تفسير سفر الرؤيا والدومينيكان في كتابهم «العهد الجديد» ص ٥٢٥. ثانياً ـ أن يوحنا الحبيب صاحب هذا السفر لم يكن قد أخذ على عاتقه تفسير رسالة بطرس الأولى أو تأويل ما ورد بها من الالفاظ كما يدّعي البرزي في « الحق الجليل » ص ٥١ بل إن يوحنا كتب سفره تنبؤاً بما يحصل في مستقبل الايام، لا تفسيراً لما حصل في ماضيها كما يشهد بذلك الدومينيكان في كتابهم العهد الجديد ص ٥٢٥ . ثالثاً ـ ان انشاء الرسائل لا سيما رسائل التحية والارشاد يجب فيها توخّي الحقائق وتجنّب المجازات والكنايات، بعكس النبوات فقد شاء الروح القدس ان يُتّبع فيها طريق الغموض لحدّ محدود . رابعاً ـ إن سفر أعمال الرسل ذكر رومية باسمها الحقيقي خمس مرات (٢:١٠و١٨:٢و٢٣:١١و٢٨:١٤ـ١٦) وكذلك وردت هذه المدينة باسمها الحقيقي في رسائل القديس بولس ثلاث مرات (رو١:٧و١٥ و٢تي١:١٧) . خامساً ـ ان إتيان بطرس في رسالته على ذكر رومية بلفظ مجازي، لا معنى له غير التضليل بالمرسَل اليهم وتحويل أنظارهم

عن رومية التي يدّعون انها مركز الوحدة ومصدر الخلاص ! وعلى ذلك يتضح جلياً ان لفظة بابل الواردة في رسالة بطرس الاولى لا يمكن أن يكون المقصود منها رومية .

ولما كانت « بابل أشور » في ذلك العهد خراباً كما قرّر استرابون الجغرافي ودائرة المعارف العربية للبستاني تحت كلمة « بابل أشور »، لم يبقَ أمامنا إلاّ بابل مصر (بابيلون) التي قال عنها يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٨ و١٩ ف ٨ و٩) : « إن اضطهاد الاممين لليهود بها كان سبباً في خراب جزء كبير منها » . وبديهي أن خراب الجزء لا يفيد خراب الكل بل هو على عكس ذلك يفيد عمار الجزء الآخر ومع كلٍ فقد قالت دائرة المعارف الفرنسية تحت كلمة « بابيلون مصر »: ان هذه المدينة كانت عامرة في زمن استرابون الجغرافي وكانت مركزاً لاحد الفيالق الرومانية الثلاثة التي كانت محتلةً مصر حينئذ. وإذا تقرر ذلك فيكون بطرس الرسول قد كتب رسالته في بابل مصر حيث كان ضيفاً على مرقس رسول الديار المصرية سنة ٥٨ م. وهذا هو ميتافرَست الكاثوليكي يقول : « ان بطرس بعد المجمع الاورشليمي (٥٢ م) رجع الى رومية (كذا) واجتاز في طريقه مصر وأفريقية» (راجع « سير القديسين » للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٧٩٥).

هذا وليس من الغريب أن يلجأ الكاثوليك الى النقط التي تظهر معقّدة ليتصيّدوا أقوالاً باطلةً غامضة وليعجزوا العوامّ عن سبر غور

مماحكاتهم ، وانما الغريب ان هؤلاء الكاثوليك لم يتفقوا فيما بينهم بل اختلفوا اختلافاً عظيماً بشأن تحديد السنة التي يحاولون ان يوجدوا فيها بطرس برومية. واليك شيئاً من أقوالهم التي يصادم بعضها بعضاً :

قال الكردينال بارونيوس ـ وهو إمام الكاثوليك ونبراسهم ـ في «جدوله للازمنة عن سنتي ٤٢و٤٣ » ما يأتي : «ان بطرس بعد ان أسس كنيسة انطاكية سنة ٣٦ م ومكث بها سبع سنين (أي الى أواخر سنة٤٢م) توجه الى رومية في نفس هذه السنة».غير انه قدفات هذا الكردينال ان بطرس لم يترك انطاكية الا ووجهته أقاليم البنطس وغلاطية وكبادوكية واسياويثينية كما يقرر ذلك كلّ من اوسابيوس (في جدوله للازمنة عن سنة ٣٦ ومابعدها) وايرونيموس (في مشاهير الرجال ف١) . وعلى ذلك تكون دعوى بارونيوس من ان بطرس سافر في أواخر سنة٤٢م الى رومية ، دعوى فاسدة لا يمكن التعويل عليها. وفضلا عن ذلك فقد أثبت الكتاب المقدس (أع١٢: ٤) واجمع المؤرخون على ان بطرس سجن بأورشليم سنة ٤٤ م فكيف نوفق بعد ذلك بين ذهاب بطرس الى رومية فى أواخر سنة ٤٢م وبين وجوده سجيناً باورشليم سنة ٤٤م ؟ ولو سلمنا جدلاً بهذا القول فهل يعقل ان بطرس الذي قضى بانطاكية سبع سنين على زعمهم، لا يقضي برومية العظمى غير أيام معدودات ؟ واذا كان بطرس ذهب ليبشر رومية فى تلك السنة، فما الذي اضطره الى العودة بهذه السرعة المتناهية قبل البدء

فى عمله الخطير ؟ ألا ان بطرس لم يذهب الى رومية فى تلك السنة ولا يمكن أن يكون قد ذهب اليها. وهاهو ابولونيوس (من أئمة القرن الثاني) يقول: « اني تسلمت من الاقدمين ان المسيح قبل صعوده الى السماء كان قد أوصى رسله بألا يبتعدوا كثيراً عن اورشليم مدة اثنتي عشرة سنة» (اوسابيوس ك ٥ ف ١٨). وهاهم الفرنشسكان يقولون في ص٣٣ من تاريخهم الكنسي المطبوع باورشليم سنة ١٨٧٢ : « إنّ الرسل بعد تبشيرهم اليهودية تفرّقوا لتبشير العالم سنة ٤٥م».

أما المطران يوسف الدبس فقد قال فى كتابه « تفسير الاناجيل» ص ٣٧٣ : « ان بطرس ومرقس قصدا رومية سنة ٤٥ م . أي بعد خروج الأول من سجنه بأورشليم» . غير انه لما رأى ان مرقس كان فى هذه السنة وما بعدها مشاركاً لبولس وبرنابا فى الكرازة كما يشهد بذلك سفر أعمال الرسل ، قال: « ان مرقس الذي كان مع بولس وبرنابا هو غير مرقس الانجيلي الذي كان مع بطرس ! » . وهكذا اكتشف الدبس ـ لاغراضه ـ مرقسين احدهما انجيلي والآخر غير انجيلي !! أما نحن فندع الرد على هذه الاقوال السقيمة للدبس نفسه حيث قال (فى كتابه « تفسير الرسائل» ص٧٦٩) : « انه فى سنة ٤٥ م أمر القيصر كلوديوس بنفي المسيحين واليهود من رومية » . ولا ندرى كيف يتفق ان يقصد كل من بطرس ومرقس عاصمة المملكة الرومانية ويقيمان فيها مع نفي اليهود والمسيحين منها !!.

أما السيد مظلوم فانه لم يوافق الدبس على اكتشاف مرقس آخر بل قال : « ان بطرس ومرقس كانا برومية سنة ٤٩ م » [1](راجع أخبار القديسين ج٢ ص٥٥٢) بيد ان العلاّمة لاكتَنس ـ الذي ائتمنه

(١) ادعى السيد مظلوم أيضاً ان بطرس أقام مرقس أسقفاً على الاسكندرية وهو في رومية. وهذا قول مردود ، لان الرسل لم يكونوا ليقيموا الاساقفة على الكنائس إلا بعد تأسيسها بايجاد الرعية لئلا يقام الراعي على الجدران ويكون بلا كرسي In partibus. وفضلاً عن ذلك فان كتاب الله والتقليد الرسولي وتاريخ الكنيسة تنبئنا صراحة بأن رسل الرب كانوا يؤسسون الكنائس ولم يكونوا ليبرحوها للتأسيس غيرها الا بعد أن يقيموا عليها الاساقفة الخاصين بها والملزمين برعايتها والسهر عليها، كما أتى ذلك بولس في انطاكية ورومية، وبطرس في اليهودية، ومرقس في الاسكندرية الخ، ولم تنبئنا تلك الكتب المقدسة بأنهم كانوا يقيم بعضهم بعضاً أساقفةً على الكنائس التي يؤسسونها ! ولو أتوا ذلك لنقضوا أمر مرسلهم الذي ائتمنهم على تبشير العالم بأسره حيث قال لهم : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها »(مر ١٥:١٦) . والخلاصة ان الرسل والتلاميذ هم أساقفة مسكونيون لامكانيون ماعدا يعقوب أخا الرب، فانه فضلاً عن كونه أسقفاً مسكونياً فقد أقيم أسقفاً مكانياً على أورشليم بصفة استثنائية، وذلك من يد المسيح نفسه بشهادة الذهبي الفم (مقالة ٢٨ على ١ كو ١٥) ومن يد الرسل بشهادة ايرونيموس (سلسلة المؤلفين الكنسيين ف ٣) .

القيصر قسطنطين على تهذيب ابنه كرسبينوس والذي لفصاحته سمي بشيشرون المسيحي — ينقض هذه الدعوى حيث يقول في كتابه « الاضطهادات » ص٣ « انما سافر بطرس الى رومية في حكم القيصر نيرون » . ومعلوم ان نيرون ملك من سنة ٥٤ الى ٦٨ م.

أما كيرلس مقار القبطي الكاثوليكي فقد قرر — إذ كان قساً باسم جرجس مقار ومتشبعاً مما قرأه في مؤلفات الجزويت — ان بطرس ذهب الى رومية بصحبة مرقس سنة ٤٤ (راجع كتابه « تاريخ الكنيسة الاسكندرية » ص ٢٤) . ولما عرفه الكاثوليك بطريركاً عليهم قال في صفحة ١٠ من محاضرته التي ألقاها في الجمعية الجغرافية سنة ١٩٠٠م عن سفر مرقس الى مصر ، ما يأتي : « لا يمكن أن يكون القديس مرقس في سنة ٤٥م قد سافر الى رومية أو الى مصر ، لان الرسل لم يكونوا بعدُ قد تفرقوا في العالم للكرازة بالانجيل ، اذ نراهم بعد زمن ليس ببعيد (٥٢م) مجتمعين في المجمع الرسولي » . وأخيراً لما أنار الله بصيرته ، قرّر في كتابه « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » ص ٧٧ : « ان بطرس لم يذهب الى رومية الا في آخر حياته لمقاومة سمعان الساحر » .

أما ما يقرره فريق كبير من الكاثوليك من ان بطرس سافر الى رومية سنة ٤٢ م ومكث بها ٢٥ سنة ، ففضلاً عن كونه مخالفاً لشهادات جميع المؤرخين فانه لا يتفق مع قول الكاثوليك أنفسهم من أن بطرس ظلّ يبشر بأنطاكية سبع سنين . اذ من المعلوم انه لو كان هذا

الرسول قضى سبع سنين بأنطاكية وحدها، ثم قضى بعد ذلك خمس سنين في تبشير البنطس وغلاطية وكبادوكية وأسيا وبثينية، بل لو فرضنا انه قضى فى طواف هذه الاقاليم الخمسة وفى تبشيرها سنتين فقط على أقل تقدير، لنتج ان دخول بطرس الى انطاكية يسبق دخوله الى رومية بتسع سنين، وهكذا تكون السنة التي سافر فيها بطرس الى انطاكية لتأسيس كنيستها، هي نفس السنة التي مات فيها المخلص والتي كان بطرس ينكره فيها ويجحده ! !

هذه هي المتناقضات التي يستقي منها لاهوتيو الكاثوليك مياه السفسطة القائلة بالرأي المحتمل والأقل والأوسط والأكثر احتمالاً[١] وانما أزاءها، نرى من الواجب علينا أن نبين للقارئ الكريم مصدر الخرافة الكاثوليكية القائلة بسفر بطرس الى رومية فى السنة الثانية لكلوديوس قيصر والـ ٤٢ م. ذلك ان جميع المؤرخين الكاثوليك العصريين نقلوا عن الكردينال بارونيوس وهذا نقل عن أوسابيوس[٢]

(١) سيأتي الكلام على هذه الآراء فى فصولنا القادمة.

(٢) ان اوسابيوس كما نقل (في ك ٣ ف ٢٥) عن ديونيسيوس الكورنثي و(في ك ٣ ف ١) عن اوريجانوس أن بطرس لم يسافر الى رومية إلا فى آخر أيام حياته، فانه كذلك نقل عن يوستينوس أن سمعان الساحر سافر الى هذه المدينة سنة ٤٢ م (أوسابيوس ك ٢ ف ١٣)، ولو كان أوسابيوس جزم بصحة الرواية التي نقلها عن يوستينوس، لما كان ينقضها بقوله: «ان سمعان لم يذهب الى رومية الا بعد أن انتشر دين المسيح فى المسكونة

الذي ذكر ما ذكر عن يوستينوس[1] بقصد جمع آراء لا تقرير حقائق. وعلى ذلك يكون يوستينوس هو المحور الوحيد الذي يدور حوله ذلك القول الهراء. واذا رجعنا في هذا الصدد الى عبارته فمحصناها، ادركنا حقيقة قيمتها ومقدار ما يجب أن يكون لها من الشأن في عيون الباحثين.

قال يوستينوس في كتابه «الاحتجاج الاول» : إن الرومانيين قد انخدعوا بسحر سمعان السامري، فأقاموا له على شاطيء نهر التيبر ـ بين قنطرتين هناك ـ تمثالاً تاريخه السنة الثانية لملك كلوديوس قيصر مكتوباً عليه «Simoni Deo Sancto» أي « سمعان الاله القدوس » فنقل اوسابيوس ذلك نقلاً خبرياً واستنتج منه ذهاب بطرس الى رومية في تلك السنة لِما كان راسخاً في ذهنه من ان بطرس كان يقاوم سمعان الساحر أينما حلّ. على أن هذه الرواية نفسها باتت لا قيمة لها عند الباحثين والمؤرخين العصريين بعد ان اتضح ان التمثال المشار اليه لم يكن مقاماً إكراماً لسمعان الساحر كما توهم يوستينوس، بل إكراماً

وعمّ الأرض (أوسابيوس ك٢ ف١٢). ومعلوم أن دين المسيح في سنة ٤٢ م لم يكن منتشراً في كل المسكونة وأن رومية في ذلك التاريخ لم تكن قد عرفت عن هذا الدين شيئاً.

(١) ولد حوالي سنة ١٠٠م في فلسطين ومات سنة ١٦٥م برومية وله عدة مؤلفات أخصها احتجاجاه وكتابه ضد الهراطقة . (راجع دا. مع . فر . تحت كلمة «Justin»)

«لاله العقود والاتفاقات» المسمى عند السابينين [١] «Semo Sancus» أو « Deus Fidius ». ولقد عثر الاثريون على ذلك التمثال منذ قرنين فوجدوه مكتوباً عليه « Semo Sancus Deus Fidius » وليس « Simoni Deo sancto» وينتج مما تقدم ان الاساس الذي بنيت عليه تلك الرواية فاسد ولا ريب في فساد ما بني على الفساد .

هذا ولم يكن يوستينوس هو المصدر الوحيد الذي نقل عنه اوسابيوس أمثال هذه الخرافة، بل هناك مصدر آخر هو «الاكليمنضيات» فقد نقل عنها اوسابيوس تأسيس بطرس لكنيسة انطاكية سنة ٣٦م واستصحابه مرقس الى رومية سنة ٤٢م واستكتابه لانجيله بها واتخاذه إياه تلميذاً له الخ [٢] غير ان نقل اوسابيوس لهذا كله انما كان نقلاً خبرياً أيضاً كما اسلفنا بدليل قوله : « يقولون» كيت وكيت (ك٢ف ١٥) .

(١) هم سكان سابين « Sabin »وهي مقاطعة شمالي رومية بايطاليا.

(٢) «لم تكن دعوى تتلمذ مرقس لبطرس الا خرافة بنيت على سقطات بعض الكتاب المتقدمين» (الذين لم يدّعوا العصمة) « دا. مع. فر. م ١٦ ص ٨٧١ » . وقد استدل اصحاب الغايات على صحة دعواهم بقول بطرس : يسلم عليكم ابني مرقس . والحقيقة ان بطرس لم يقل «ابني» باعتبار ان هناك معلماً وتلميذاً ، بل شيخاً وحدثاً . واذا رجعنا الى قول بولس الرسول لتيموتاوس :اعتبر الشيخ كأبيك (١تي ٥: ١-٢)، أدركنا ما ربما أدركه الذين يتلاعبون بالحقائق . هذا فضلاً عن مساواة مرقس لبطرس في التتلمذ للمسيح (راجع حاشية ٢ ص٢٧٢) .

والاكليمنضيات هي مجموعة روايات عن سياحة بطرس وكرازته موضوعة في قالب حكايات خرافية تقرب من حكايات ألف ليلة وليلة بقدر ما تبعد عن التواريخ الصادقة الموثوق بها . لفّقها غربيّ مجهول في غضون القرن الثاني (١٧٠م) ووسمها باسم اكليمنضس الروماني (اسقف رومية) فنسبت اليه واشتهرت باسمه . وهذه الاكليمنضيات أو مجموعة تلك المؤلفات المزورة، ترمي كلها الى غرض واحد، هو جعل بطرس رسولاً للأمم بنوع أخص! وتسليطه على يعقوب أسقف أورشليم وعلى بولس ومرقس وسائر الرسل! وتحكيمه في رقاب الملوك والسلاطين! واسناد خلافته في كل هذا الى اسقف رومية المسيح المنظور! المعصوم! الذي أعطي كل سلطان في السماء وعلى الارض! ! ومن بديع ما ورد بالاكليمنضيات في هذا الصدد على لسان اكليمنضس المذكور قوله: « لما أراد بطرس أن يأتمني على «الكاتدرا» التي علّم من فوقها، رأيتني غير أهل لان أرتقي الى مثل هذا المقام الرفيع، فتوسّلت اليه أن يقيلني من شرف تلك الكاتدرا وسلطانها، فبدل أن يلتفت اليّ حوّل وجهه عني وقال للجمهور : اخضعوا في كل شيء لرئيس الحقيقة (اسقف رومية) واعلموا ان الذي يحزنه انما يرفض المسيح الذي ائتمنه على كاتدراه[1] !» أما ما جاء في الاكليمنضيات بخصوص العقائد الدينية فمما تبرأ منه

(١) راجع الاكليمنضيات طبعة درّسيل Dressel سنة ١٨٥٣م نقلاً عن النسخة التي عثر عليها في مكتبة الفاتيكان في القسم المسمى «اوتوبونيانوم».

جميع الاديان فضلاً عن الدين المسيحي، فقد ذكرت تلك الاكليمنضيات ان اقتناء الاملاك خطيئة! وان الزواج رجس!! وان المسيح هو التجسد الثامن للنبيّ الحقيقي!!! الى غير ذلك من الاراجيف والاباطيل (راجع دا. مع. فر. تحت كلمة كليمنتين Clémentines). أما تزوير هذه الاكليمنضيات فأصبح الآن مما لا شك فيه عند جميع المؤرخين من كاثوليك وغير كاثوليك. ولقد ورد في قاموس القواميس للاسقف جيرين الكاثوليكي (م٣ص١٢١) وكذلك في دائرة المعارف الفرنسية تحت كلمة «كليمان» Clément: «انه لم يبق من المؤلفات الشرعية التي وضعها اكليمنضس الروماني غير الرسالة الاولى التي بعث بها الى الكورنثيين، والتي يقرر فيها تقدم كنيسة أورشليم على كل الكنائس، وهو يحضّهم في هذه الرسالة على تجنّب الشقاق والخصام والاخلاد الى السلم والوئام. وقد فقدت تلك الرسالة في القرون الوسطى ثم ظهرت في القرن السابع عشر. أما المؤلفات الأخرى التي نسبت لهذا الحبر غير هذه الرسالة (كالاكليمنضيات وغيرها) فمجردة من كل صبغة شرعية».

ولقد ظهر مما تقدم خطأ الكاثوليك في ادعائهم ان بطرس سافر الى رومية في السنين التي يقررونها، ولقد اتضح لنا اختلافهم وارتباكهم فيما بينهم مما لا حاجة بنا الى اتخاذه دليلاً جديداً على اسقاط دعاواهم، والآن فلنبحث فيما اذا كان بطرس قد سافر حقيقةً الى عاصمة المملكة الرومانية وفي أي تاريخ كان ذلك.

قال بولس الرسول لأهل رومية في رسالته التي حررها لهم سنة ٥٨ م « اني اذا أتيتكم فانما آتيكم بكمال بركة انجيل المسيح ». (رو١٥: ٢٠ و٢٩) . ولقد يؤخذ من هذا القول عدم وجود كنيسة رومانية في ذلك التاريخ. أما الذين يقولون عكس ذلك فيضطرون الى أن ينكروا على بطرس الرسول ـ الذي يدّعون انه المؤسس الاول لكنيسة رومية ـ السلطة في منح كمال بركة انجيل المسيح . واذا كانت رومية قد رأت رسولاً قبل بولس ، فما معنى وعد بولس للرومانيين بالقدوم اليهم لتثبيتهم ومنحهم موهبة الروح القدس (رو ١٥: ١٦) بينما هو يصرّح بأنه احترز دائماً من أن يبشر بالانجيل حيث دُعيَ اسم المسيح، خشية أن يبني على أساس غيره (رو ١٥: ٢٠) ؟ ؟. إن بولس الرسول يقول لأهل رومية صراحةً : « إني أتضرّع إلى الله في صلواتي دائماً عسى أن يتيسر لي القدوم اليكم لأمنحكم موهبةً روحية وأثبّتكم، وإني أود ألاّ تجهلوا اني كثيراً ما قصدت أن آتي اليكم ليكون لي ثمر فيكم كما في سائر الامم . ان عليّ ديناً للأمميين والهمجيين (الذين ليسوا رومانيين ولا يونانيين) وكذلك للحكماء والجهلاء ،ولذا فاني مستعد أن أبشركم بالانجيل أنتم أيضاً الذين في رومية » (رو ١: ٨ـ١٥). فما معنى صدور هذه التصريحات من بولس ان لم يكن هو وحده رسول الامم «الخاص» ونذير البلاد الأممية التي منها رومية الموجهة اليها تلك الرسالة ؟ وكيف يتضرع بولس الى الله سنة ٥٨ م ليمكنه من مشاهدة أهل رومية لكي

يثبتهم ويمنحهم موهبة الروح القدس إذا كان بطرس قد سبق من سنة ٤٠ أو ٤٢ أو ٤٥ أو ٤٨ أو ٤٩ الخ، فثبتهم ومنحهم تلك الموهبة؟ يدّعون أيضاً ان بطرس عاد الى رومية، بعد المجمع الاورشليمي، وبعد ان وبّخه بولس بأنطاكية. غير ان رسالة بولس التي حررها الى أهل رومية سنة ٥٨م والتي سلّم فيها على ثمانية وعشرين شخصاً بين ذكور واناث وعلى جملة بيوت، لم يكن لاسم بطرس بها من أثر! فكيف أغفل بولس ذكر بطرس في رسالته وهو يعلم انه برومية (ان صحت الدعوى)، كما يعلم انه رأس الكنيسة! وخليفة المسيح! والحبر الاعظم! والأب الاقدس الى غير ذلك من الالقاب الرومانية الضخمة؟ وكيف لم يقرئه السلام ولو على يد أولئك الاشخاص الذين أتى على أسمائهم في رسالته؟ وكيف تجاسر بولس وأقام منهم عليهم رقيباً بعد ان أوصاهم بأن يعظ بعضهم بعضاً (رو ١٥: ١٤) (١) وهو يعلم ان رقيبهم ورقيبه وواعظهم وواعظه ومرشدهم ومرشده وسيدهم وسيده، قائم فيهم و « جالس سعيداً» على « كاتدراه » التي تحنو لها كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض؟؟!!.

يقول القديس لوقا في « سفر الاعمال » الذي تتبع فيه أعمال الرسل من سنة ٣٤ حتى سنة ٦٣م (راجع العهد الجديد طبعة الجزويت

(١) هذا ماجاء بنسخة الدومينيكان وهو يطابق الاصل اليوناني أما الجزويت فقد أبدلوا لفظة « يعظ » بلفظة « ينصح » ..

حواشي صفحة ٥٠١) : « لما أتينا رومية وسمع الاخوة بخبرنا، خرجوا لقائنا، فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع » (أع ٢٨: ١٤-١٧).. يقول لوقا الانجيلي ذلك دون أن يذكر ان بطرس كان في رأس أولئك الاخوة بصفته سيد كنيسة رومية ! سيدة كنائس العالم ! وأم « الأم صهيون » (مز ٨٦ طبعة الجزويت سنة ١٨٦٢) . فهل ترفع بطرس عن ملاقاة بولس الذي سماه « أخاه الحبيب » (٢ بط ٣: ١٥)، لاسيما وهو يعلم ان ذلك الاخ الحبيب لم يأت رومية إلاّ مكبّلاً بالقيود بصفته أسير يسوع المسيح ؟ ! أيؤوي بطرس أخاه بولس بمنزله بأورشليم خمسة عشر يوماً ثم يبرأ منه في الغربة ؟ واذا سلمنا جدلاً بأن الغطرسة الرومانية كانت قد استولت على قلب بطرس حتى رأى ان في ملاقاته بولس حطاً من كرامته بصفته رأس الكنيسة « المنظور »، أما كان يرسل اليه ولو مندوباً ليقوم من قبله بهذا الواجب ؟ واذا سلمنا بأن بطرس الامس كان كأسقف رومية اليوم، بحيث لم يتحرك من مكانه إلاّ محمولاً على الاعناق. فكيف لم يبادر بولس الى مواجهة سيده بطرس لينطرح على قدميه - كما يفعل ذلك أعظم بطاركة الكاثوليك اليوم - فيقبّل « حذاءه المصلّب » او يقدّم فرائض العبودية برومية لمن وبخه علناً بأنطاكية ؟

ان القديس لوقا قد أتى في سفر الاعمال على حلاقة رأس بولس (أع ١٨: ١٨) ولم يأت على لفظ واحد ولو مجازيّ يؤخذ منه دخول بطرس الى رومية. فهل كانت أهمية حلاقة رأس بولس تفوق أهمية

تأسيس بطرس لكنيسة «المدينة المؤبدة» كما يقولون ؟ ؟ انه لو لم يمس لوقا تاريخ رومية اصالةً ، لما استبعدنا أن يتبجح المتبجحون فيقولوا ان ذلك الكاتب الالهي قد هالته عظمة تلك المدينة الابدية ، فرأى وجوب اغفالها « تأدباً » كما رأى بطرس وجوب الاشارة اليها بلفظ « بابل » المجازي « تلطفاً ! » . غير ان القديس لوقا لسوء حظهم لم يقتصر في سفر الاعمال على ذكر رومية باسمها الحقيقي خمس مرات كما ذكرنا ، بل تتبّع خطوات بولس الرسول فيها وفي جميع بلاد الامم ، وأفرد لذلك ١٨ فصلاً (من ١١ الى ٢٨) ، كما تتبع خطوات بطرس الرسول في اليهودية وجميع ضواحيها وأفرد لذلك ١٢ فصلاً (من ١ الى ١٢) .

قال بولس الرسول في رسالته التي بعث بها من رومية الى أهل كولوسي سنة ٦٣ م : « يسلم عليكم أرسترخس ومرقس نسيب برنابا ويشوع الملقب يسطس الذين هم من أهل الختان ، والذين هم وحدهم قد عاونوني في أمر ملكوت الله » (كو ٤ : ١٠ ــ ١٢) . فلو كان بطرس قد سبق بولس في تأسيس كنيسة رومية أو كان على الاقل شريكاً له في ذلك التأسيس ، أما كان الواجب على رسول الامم ان يقدمه على أولئك الثلاثة المختونين ؟ وكيف جاز لبولس ان يسقط « رسول الختان » من بين أهل الختان الذين عاونوه في تأسيس كنيسة رومية ؟ أكان بطرس في أنطاكية مختوناً عند ما اعتزل أهلها القُلف حتى استحق توبيخ بولس وتأنيبه ، وبمجرد دخوله رومية أصبح أقلف فانطرّ

بولس الى اسقاطه من بين المختونين ؟ .

اننا لاندري كيف يخرج عشاق السلطة الرومانية المطلقة من هذه المآزق الحرجة التي حشروا بأنفسهم فيها دون ان يحسبوا للخروج منها حساباً ! ماذا هم فاعلون فى لوقا الانجيلي الذي قال: «ان وجهاء اليهود فى رومية لم يكونوا ليعرفوا من أمر الدين المسيحي قبل مجيء بولس اليهم الا انه دين يقاوم فى كل مكان (أع٢٨: ٢٢) ؟ ماذا هم فاعلون فى ذلك الكاتب الالهي وفى بولس الرسول اللذين لم يذكرا حرفاً واحداً عن بطرس فى رومية ؟ نرجو ألا يعرّضوا بهما ماداموا مسلّمين معنا ومع جميع المسيحيين بأنهما لم يكتبا ما كتباه إلاّ بالهام الروح القدس ، كما نرجو أن يسلّموا معنا بأن حجة الاكليمنضيات المزوّرة لاتقوى على مقاومة حجة الكتاب المقدس.

وأخيراً يقول الكاثوليك ان اغفال الكتاب حادثة تأسيس بطرس لكنيسة رومية، لايصح أن يؤخذ دليلاً على انكار هذه الحادثة، ونحن نسألهم هل يصح ان يكون هذا الاغفال دليلاً على تأييدها ؟

إننا يجب أن نفرّق بين تأسيس بطرس لكنيسة رومية وبين ذهابه الى تلك المدينة . أما تأسيسه للكنيسة الرومانية فمسألة يكذبها جميع المؤرخين الاقدمين فضلاً عن مناقضتها للكتاب الطاهر الذي يخص بها بولس دون سواه من الرسل. وأما ذهابه الى رومية «فى آخر أيام حياته» فمسألة لايصح انكارها بعدان قررها بعض المؤرخين الذين

يُرجع الى أقوالهم ، غير ان عدم اشارة الكتاب المقدس اليها اصالةً يفيد صراحةً انها ليست بذي قيمة من الوجهة الدقيقة ...

قال ديونيسيوس الكورنثي : « ان بطرس الرسول سافر الى رومية ومرّ فى طريقه بكورنثوس » (أوسابيوس ك ٣ ف ٢٥). وقال ايجيزيبوس : « ان بطرس قصد رومية لمحاربة سمعان الساحر» (كتابه « خراب أورشليم » ك ٢ ف ٢) . وقال أوريجانوس: «ان بطرس وصل الى رومية فى آخر أيام حياته » (أوسابيوس ك٣ف١) ولقد أيدهذه الشهادة الاخيرة كل من سلبوس سويرس[1] (تاريخه ك٢) وفيلاستروس[2] (كتابه « الهرطقات » ف ٣) حيث قالا ان حادثة سمعان الساحر لم تكن إلاّ فى آخر ملك القيصر نيرون . والنتيجة التي نستخلصها من كل ذلك هي أن بطرس سافر الى رومية فى آخر أيام حياته لمقاومة سمعان الساحر الذي أتى اليها فى آخر ملك القيصر نيرون .

هذه هي الحقيقة التي يخفيها قوم ليروّجوا ادعاءآتهم السقيمة ويجهلها أقوام لثقتهم العمياء بالذين يلقّنونهم ساقط الكلام ويزيّنون لهم الوهم الباطل والخيال الكاذب .

الخلافة الرومانية :ـ أقام المخلص له المجد رسله الاطهار وتلاميذه الأبرار اساقفةً مسكونيين ، بأن قال لهم : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر١٦: ١٥) فكان سلطان هؤلاء

(١) هو « Sulpice Sévère » . مؤرخ كنسي (٣٦٣ـ٤٠٦م)

(٢) الكردينال « Filastre » اسقف إكس بفرنسا (١٣٤٤ـ١٤٢٨م)

في التبشير وما يتعلق به يشمل المسكونة بأسرها، اذ لم يكونوا مقيدين بمكان محدود أو دائرة معينة، ولذلك كانوا اذا حلّوا في جهة بشّروا أهلها وثبتوهم فى الايمان ثم أقاموا منهم عليهم اسقفاً مكانياً، له نفس سلطان الاسقف المسكوني، ضمن دائرة معينة تسمى فى الاصطلاح الكنسي «بالايبرشية»[1] (راجع تليمون مقالة ٤ على يعقوب الرسول)

وعلى ذلك فمرقس الرسول - بصفته أحد تلاميذ الرب السبعين - كان اسقفاً مسكونياً، فبشّر القطر المصري والخمس المدن الغربية، غير انه قبل ان يبارح تلك الجهات لتبشير سواها أقام عليها اسقفاً مكانياً هو انيانوس الذي أصبح له - على تلك الايبرشية وحدها - نفس السلطان الذي كان لمرقس الرسول. فمرقس وان كان أول أساقفة القبط، باعتبار انه أول من بشرهم وأسس كنيستهم، إلاّ انه ليس بأوّل أسقف تقيّد بخدمة هذه الكنيسة، بعكس انيانوس الذي هو أول أسقف مكاني أقيم عليها وتقيّد بخدمتها.

واذا طبّقنا ما تقدم على كنيسة رومية، نرى ان بولس الرسول لما قدِم تلك المدينة سنة ٦٢م وبشر أهلها بالايمان، أقام تلميذه لينوس[2]

---

(١) الايبرشية (بفتح الباء وسكون الراء) لفظة يونانية معناها مقاطعة. وقد اتسع نطاق ايبرشية الاسكندرية باتساع نطاق الدين المسيحي، فانقسمت الى جملة ايبرشيات تتألف منها الكرازة المرقسية.

(٢) هو لينوس الوارد اسمه في رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس (٤: ٢١).

أسقفاً مكانياً عليها، وهكذا كان لينوس أول أسقف تقيد بخدمة الكنيسة الرومانية دون سواها من الكنائس المسيحية. غير أن الكاثوليك - الذين أرادوا أن تكون لباباتهم العصمة والرياسة والسلطة زاعمين انها حقوق نالوها من المسيح له المجد فى شخص بطرس الرسول - قد شوّهوا الحقائق التاريخية فقالوا : إن بطرس هو أول من بشّر رومية ؛ ثم انهم قلبوا الوضع الالهيّ فقالوا : انه أول اسقف مكاني لتلك المدينة .

أما عن الدعوى الاولى فقد اتضح فسادها كما أوردنا ذلك فى « تأسيس كنيسة رومية » إذ أثبتنا بالحجج التي لا ترد، أن أول من بشر مدينة رومية هو بولس لا بطرس . وأما عن الدعوى الثانية فان كان صواباً ما يدّعيه الكاثوليك، من ان الرسول الذي يبدأ بتبشير مدينة؛ يصبح أسقفها المكاني، لكان بولس أحق من بطرس باسقفية رومية وأولى، غير ان بولس مع ما له من الاسبقية فى تأسيس الكنيسة الرومانية، لم يكن - باقرار الكاثوليك أنفسهم - أسقفاً خاصاً على رومية ، فلمَ يريد هؤلاء الكاثوليك ان يكون بطرس هو ذلك الاسقف الخاص ، مع انه لم يكن أول مبشر لها ولا أول مؤسس لكنيستها ؟ .

يقول الكاثوليك العصريون إن بطرس الرسول هو أول أسقف روماني استمدّ منه بابوات رومية سلطتهم وعصمتهم ، ومن الغريب انهم يستشهدون - لاثبات ذلك - بايريناوس أسقف ليون (بفرنسا) حيث قال فى الفصل الثالث من كتابه الثالث ضد الهراطقة : «ان الرسولين

(بولس وبطرس) بعد ان بشرا رومية أقاما لينوس أسقفاً على كنيستها وسلّماه عصا رعايتها». أما نحن فان سلّمنا جدلاً بصحة شهادة ايريناوس، فاننا نرى فيها ما ينقض دعوى الكاثوليك لا ما يؤيدها، لان ايريناوس يزعم ان بطرس اشترك مع بولس في سيامة لينوس . فلو فرضنا انه يصح أن يكون الرسل أساقفة مكانيين، فأي الرسولين استحق أن يكون اسقفاً على رومية ، وأيهما أولى بأن تسند اليه خلافة البابوات ؟ أهو بولس أم بطرس أم الاثنان معاً ؟ !

ويجب ألاّ يغرب عن ذاكرتنا ان شهادة ايريناوس ـ بغضّ النظر عما فيها من المآخذ ـ لا تتفق مع القوانين الرسولية القائلة صراحةً ان لينوس (أول اساقفة رومية) سامه بولس لا بطرس (ك٧ف٤٦). ومما يجدر بالملاحظة هنا ان البابوات الرومانيين في قداساتهم الاحتفالية، يرفعون البخور أولاً الى « تمثال! » بولس القائم على يمين المصلوب، ثم الى «تمثال!» بطرس القائم على اليسار . ولا شك في ان هذه التقاليد التي غابت عن الكاثوليك مراميها، تدل على ان الاقدمين من بابواتهم كانوا ينتسبون لبولس، جرياً وراء الحقيقة، ثم لبطرس، طمعاً في الرياسة والعصمة اللتين أرادوا أن ينسبوهما له قوةً واقتداراً .

ولو انعمنا النظر في شهادة ايريناوس لرأيناه يقول: « ان الرسولين (بولس وبطرس) ساما لاسقفية رومية لينوس الذي أخلفه انا كليتس ثم أكليمنضس وهو الاسقف الثالث بعد الرسولين، فهل نستفيد من

هذا القول ان بطرس هو أول اساقفة رومية ؛ ولو كان الكاثوليك أصحاب هذا الزعم قد استنتجوا من الاقوال المتقدمة أن الرسولين معاً كانا الاسقفين الاولين لرومية ، لكانت دعواهم أقرب الى المنطق منها الى اللغو والهذر . ولو فرضنا ان الكاثوليك في هذه القضية أصبحوا منطقيين على نوع ما ، فقالوا ان بولس وبطرس كانا معاً اسقفين على رومية ، فانهم يخطئون أيضاً لان القوانين الكنسية تحرّم جلوس اسقفين على كرسي ايبرشية واحدة في زمان واحد .

ومن المدهشات ان الكاثوليك يسلكون في ادعاءاتهم من هذا القبيل على نقيض الكتاب المقدس ، فاذا اعترف الكتاب لبطرس بتأسيس كنائس اليهودية ، فانهم لا يعلّقون على ذلك أقل أهمية ولا يذكرون عن اسقفيته لها شيئاً . واذا أغفل الكتاب اسم بطرس اغفالاً عند ذكر تأسيس كنيسة رومية ، ثم اختلف المؤرخون بعد ذلك في مجرّد تقرير وجوده بتلك المدينة ـ مما يحيط هذه الدعوى بالشك ـ قام الكاثوليك يتحكمون في الجدال ويمارون في الباطل . فما السر في ذلك يا ترى ؟ وهل من كاشف يُفضي الى أمثال هذه الأسرار فيستخرج دفائن صدور القوم ؟

يقولون ان بطرس بعد ان طاف أقطار المسكونة عرّج على رومية فسفك فيها دمه الطاهر ، وبذلك تثبّت كرسيّه في تلك المدينة واصبحت المميّزات الالهية التي يخصّون بها هذا الرسول[١] ، وقفاً على ذلك الكرسي

(١) المميزات الالهية هي السلطة والعصمة والرياسة . وقد اختصت

الروماني، ويقولون أيضاً - برهاناً على ان بابواتهم هم خلفاء بطرس - انه لم يقم أحد من اساقفة المدن التي كان قد بشرها هذا الرسول فادّعى بخلافته له ، على عكس البابوات الرومانيين الذين نادوا بهذه الخلافة منذ صدر المسيحية [1] !!

وانما نستبعد جداً أن يقتنع عقلاء الكاثوليك بهذه الحجج الواهية لانه لو كان البلد الذي سُفك فيه دم رسول يضحي مقراً لخلافته، فلمَ تضحي رومية مقراً لخلافة بطرس دون بولس وكلاهما استشهد بها ؟ ولو كانت مدينة رومية نالت من دم بطرس الرسول تلك المميزات - ان كانت هناك مميزات - فلمَ لا تكون أورشليم التي سفك فيها دم ربِّ بطرس أولى من رومية بهذه المميزات؟ ألم يكن دم الرب أزكى من دم العبد؟

ولو شايعنا الكاثوليك في رأيهم وسلمنا معهم جدلاً بأن مدينة رومية قد نالت من دم بطرس تلك المميزات المزعومة، فأين كانت هذه المميزات في الوقت الذي أقام فيه البابوات الرومانيون في مدينة أفينيون (بفرنسا) بين سنة ١٣٠٩ م وسنة ١٣٧٧ م ؟ [2] بل أين تضحي

بها المجامع المسكونية المستكملة الشروط أما الكاثوليك فجعلوها خاصةً ببطرس الرسول ليتوصلوا بذلك الى اسنادها الى بابواتهم .

(١) راجع ص ٨١ و ٨٢ من كتاب « الدلالة اللامعة » الذي طبعه مجمع انتشار الايمان برومية سنة ١٧١٠ م. وأعاد الرهبان الفرنسكان طبعه في أورشليم سنة ١٨٦٣ م .

(٢) البابوات الرومانيون الشرعيون الذين أقاموا في أفينيون بفرنسا

هذه المميزات في الوقت الذي فيه تتم النبوات الهائلة عن خراب مدينة بابل (رومية) أم زواني الارض ؟ [1] أتظل هذه المدينة الزانية سيدة

هم أكليمنضس الـ ٥(١٣٠٥-١٣١٤)ويوحنا الـ ٢٢(١٣١٦-١٣٣٤) وبنديكتوس الـ١٢(١٣٣٤-١٣٤٢) واكليمنضس الـ٦(١٣٤٢-١٣٥٢) واينوشنسيوس الـ٦(١٣٥٢-١٣٦٢)وأوربانوس الـ٥(١٣٦٢-١٣٧٠) وغريغوريوس الـ ١١ (١٣٧١-١٣٧٨) وهناك بابوان غير شرعيين أقاما بأفينيون بعد رجوع البابوية الى رومية وهما اكليمنضس الـ٧ (١٣٧٨-١٣٩٤) وبنديكتوس الـ١٣ (١٣٩٤- ١٤٠٩) .

(١) راجع أشعيا ف ٤٧ وأرمياف٥١ وناحوم ف١ وسفر الرؤيا ف١٧و١٨-:قال بوسويه« Bossuet »أسقف مو«Meaux» بفرنسا (١٦٢٧-١٧٠٤م) : « ان مدينة بابل الزانية التي ذكر سفر الرؤيا انها قائمة على سبعة جبال وانها سادت على جميع ملوك الارض (رؤ١٧: ٩ و١٨) ان هي إلا مدينة رومية» (راجع مجموعة مؤلفات بوسويه طبعة ليل « Lille » بفرنسا سنة ١٨٣٦م مجلد٦ص ٥١٤).وقال المطران يوسف الدبس : « ان رومية بابل الزانية ستسترد عزتها في أيام المسيح الدجال، وتعود الى عبادة الاوثان، وتكون على الحالة التي كانت عليها في أيام يوحنا (صاحب سفر الرؤيا) في دولة دومديانوس وداكيوس ونيرون وغيرهم من القياصرة الوثنيين،وهكذا بعد ان تكون مسيحية تصبح وثنية وتطرد عنها «الحبر الاعظم» (كذا) والمسيحيين « تابعيه » وتضطهدهم وتفتك بهم كما هو وارد في سفر الرؤيا (١٧:٦) ... وانما

مدن العالم والمدينة الابدية ذات الشرف السامي والمجد الرفيع رغم ماسيحلّ بها من الخراب والدمار ؟ !

قال ايجيزيبوس أسقف هيرابوليس: « ان اخوة الرب الذين جلسوا بالتعاقب على الكرسي الاورشليمي قرناً كاملاً كانت لهم الاولية على الكنيسة المسيحية بأسرها » (أوسابيوس ك ٣ ف ٣٢ وك ٤ ف ٢٢) فهل ادّعى مدعٍ بأن هذه الأولية كانت مبنية على سفك دم المسيح بأورشليم ؟ ولو صحّ ذلك ، فلمَ قرر مجمع نيقية (المسكوني الاول) في قانونه السابع ان يكون أسقف أورشليم تابعاً لاسقف قيصرية فلسطين ؟ بل ولمَ يقدّم الكاثوليك العصريون كنيسة رومية على كنائس المسيح بما فيها كنيسة أورشليم ؟

ان الحق الذي يجب أن يُعلنَ للملأ هو أنّ تقدُّم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبنياً على سفك دم بطرس ولا على سفك دم سواه

سميت رومية زانية لانها حينئذ (أي في أيام الدجال) تتشبث بكل عبادة وثنية وبكل رذيلة شيطانية كالزانية التي تزني مع كل أمة، ولهذا قيل عنها بحق انها بابل العظيمة أم زواني الارض ، السكرى من دماء القديسين والشهداء . وان قلت كيف تسترد رومية عزتها وجاهها في أيام الدجال وكيف تعود الى عبادة الاوثان ، أجبتك ان هذا أمر لا يعلمه غير الله » . (راجع « العنوان العجيب في تفسير رؤيا يوحنا الحبيب » للدبس ص ٤٣٥) .

وانما هو مبني على التقدم المدني المحض . ولذلك فاننا نرى آباء المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) ـ عند ما أصبحت القسطنطينية مماثلة لرومية في الرفعة المدنية ـ قد بادروا الى مساواتها بها في الرفعة الدينية حيث قرروا في القانون الثالث [١] ان تكون لها الدرجة الثانية بعد رومية، وان تُلقّب برومية الجديدة ، وهكذا أصبحت أسقفية القسطنطينية (البيزنطية) ـ التي أغفلها المجمع النيقاوي في قانونه السادس لصغر شأنها وقتئذ ـ متقدمةً على أسقفيتي اسكندرية وانطاكية .

ولقد جاء فى القانون ال ٢٨ من قوانين مجمع خلقيدون [٢] ـ الذي ترذله كنيستنا القبطية وتقدّسه الكنيسة اللاتينية ـ « ان المدينة التي حظيت بالملك (رومية الجديدة) ، وجب ان تمتاز في المسائل الكنسية أسوةً بمدينة رومية القديمة ». وجاء أيضاً في القانون ال ١٧ من قوانين هذا المجمع انه : « اذا شاد القيصر مدينة جديدة فلتكن منزلتها الكنسية ملائمةً لمنزلتها المدنية » ، على ان ذلك القرار لم يكن من مبتكرات مجمع خلقيدون ، فقد سبقه اليه مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤٢م إذ قرر في قانونه ال ٩ « ان يكون النظام الكنسي تابعاً للنظام المدني» [٣]

(١) سيرد الكلام على هذا القانون في فصل « المجامع » .
(٢) » » » »
(٣) راجع مجموعة المجامع م ٢ ص ٥٦٦ .

وكذلك قرر مجمع تورينو (Turin بايطاليا) [١] المنعقد سنة ٤٠١م أن يكون التقدم للاسقف الذي يبرهن على تقدم مدينة أسقفيته من الوجهة المدنية » [٢] .

وعلى ذلك يكون تقدم كنيسة رومية الديني قد بني على تقدمها المدني ، لما هو معلوم من انها كانت عاصمة العالم الوثني يومئذٍ . وهذا هو تايمون الكاثوليكي يقول في تاريخه الكنسي (م١٦ص ٧٠٧) «ان مجمع خلقيدون لم يعلّل تقدم الكنيسة الرومانية الا بتقدم مدينة رومية مدنياً» . وقال سليدن Sleidan [٣] (في تاريخه م٩ص٢٦٢) « ان ملك فرنسا (فرنسوا الاول) لم يكن ليرى في سلطة البابوات حقاً إلهياً بل بشرياً محضاً » . وقال فوشيه Fauchet [٤] في كتاب حرية الكنيسة الجاليكانية (الفرنسية) (م ١ ص ٧١) : « لم يكن من سبب في تقدم أساقفة رومية سوى عظم مدينتهم » . وأخيراً قال

(١) انعقد هذا المجمع للفصل في النزاع الذي حدث بين أسقفيتي أرلس Arles وفينا Vienne بشأن التقدم الكنسي . وأرلس وفينا هما مدينتان في مقاطعة ايزير Isère جنوبي فرنسا .

(٢) راجع مجموعة المجامع م ٢ ص ١١٥٦ .

(٣) هو Johann Philippson سياسي الماني (١٥٠٦-١٥٥٦م)، وقد ناب عن ولاية ستراسبورج في مجمع ترانت (التريدنتيني) .

(٤) هو قاضٍ فرنسي تابع للكردينال تورنوم(١٥٣٠-١٦٠١م).

إرهاردوس بيليوس «Erhard Bille» أستاذ اللاهوت الأدبي في كلية الجزويت بكان (Caen بفرنسا) في كتابه «أرزاق الكهنة» المطبوع سنة ١٦٤٤ مانصه : « ان تقدم البابوات الرومانيين إن هو إلا منة منحت لهم من المجامع والقياصرة (لا من الله) وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر » . وفضلاً عن كل ما تقدم فان الدرجة الاسقفية واحدة[١] لا يؤثر فيها ارتقاء الايبرشية أو انحطاطها، وهذا هو ايرونيموس يقول فى رسالته الـ ٨٥ الى ايفاجريوم [٢]: ان الاسقف ثابت في وظيفته سواء أقام في رومية أو في رجيو [٣]، في القسطنطينية أو في جبيبو [٤] في الاسكندرية أو في تانيس .

أما عن دعوى الكاثوليك بأن بابواتهم هم وحدهم خلفاء بطرس الرسول في الاسقفية الرومانية « لأنهم هم وحدهم الذين نادوا بهذه الخلافة منذ صدر المسيحية» ! فلا نظن اننا فى حاجة الى تفنيدها لاسيما

---

(١) راجع كتاب وحدة الكنيسة للقديس قبريانوس ف٥.

(٢) هو راهب من البنطس (٣٤٥ — ٣٩٩ م) سامه القديس غريغوريوس النزينزي رئيساً لشمامسة القسطنطينية سنة ٣٨٠ م . كان من مبدأ أوريجانوس فعاداه ايرونيموس . ذهب الى أورشليم . أقام بمصر بين الرهبان مدة طويلة .

(٣) مدينة صغيرة شمالي ايطاليا وهي وطن الاريوست الشاعر الايطالي الشهير (١٤٧٤-١٥٣٣م) .

(٤) وتسمى أوجبيبو وهي مدينة حقيرة في سفح جبال الآبنين بايطاليا.

وان مجرد الدعوى ليس بالدليل القاطع ولا بالبرهان الفاصل .

هذا ولو سلّمنا جدلاً بأن بطرس الرسول كان أول أسقف روماني وبأنه هو الذي سام لينوس ، فهل للكاثوليك أن يفيدونا عمن كان رأس الكنيسة المنظور المعصوم وقتئذ ؟؟ أكان بطرس أم لينوس؟ أسلّم بطرس مميزاته الالهية الموهومة الى لينوس ، أم لم يسلّمه إياها ، أم سلّمه البعض وحفظ لنفسه البعض الآخر ؟ أما اذا كان بطرس قد سلم لينوس هذه المميزات ـ بعد ان جرّد نفسه منها طبعاً ـ فلا معنى اذن لقول الكاثوليك بخلافة باباتهم لبطرس ، ويكون بطرس ـ وهو أول أساقفة رومية المكاني على رأيهم — مجرداً من السلطة والرياسة والعصمة ! . وأما اذا كان قد حفظ لنفسه هذه المميزات، فلا بد من التسليم بأن لينوس ـ وهو على زعمهم الاسقف الروماني المكاني الثاني ـ قد أصبح مجرّداً منها ،وبات في مصاف جميع الأساقفة الذين لا يعلمون عنها شيئاً !! وأما اذا كان قد سلّمه بعض تلك المميزات وحفظ لنفسه البعض الآخر ، فيكون قد وُجـد رأسان منظوران لكنيستهم فى وقت واحد ، ضاعت بينهما العصمة المزعومة !!!

لقد شعر معظم كاثوليك هذا العصر ان هناك وجهاً للاعتراض عليهم اذا قالوا ان لينوس أقيم أسقفاً على رومية في حياة بطرس الرسول، فزيّنت لهم المغالطة أن يضربوا صفحاً عن التاريخ الكنسي ويدّعوا ان لينوس جلس على كرسي رومية بعد استشهاد بطرس الرسول (١) .على

(١) راجع جـدول بابوات روميـة في كتاب تاريخ الهرطقات

ان هذا الادّعاء قلّما يفيدهم شيئاً ما دامت بطون التواريخ تحفظ الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه . قالت القوانين الرسولية (ك ٧ ف ٤٦) «ان لينوس سيم من بولس كما ان اكليمنضس سيم من بطرس» .

وقال ترتوليانوس (في كتابه ضد الهراطقة ف ٣٢) : « ان اكليمنضس (الأسقف الروماني الثالث) سيم من بطرس» . ولقد يتضح من هذه الاقوال ان لينوس واكليمنضس كانا أسقفين على رومية في حياة القديس بطرس . ومما يثبت ذلك أيضاً ما جاء في كتاب « تراجم الأحبار الرومانيين » من أن لينوس وأناكليتس الاسقفين الاولين على رومية قد استشهدا بالتعاقب في اضطهاد القيصر نيرون قبل الرسولين بطرس وبولس . وكذلك ما قاله روفينوس الاكويلي [١] من ان لينوس وأناكليتس كانا أسقفين على رومية في حياة بطرس الرسول [٢]

وليس هذا كل ما ابتكرته مخيلة الكاثوليك بل هناك من تغالى واسترسل كالبابوين يوحنا الثاني (٥٣٢ — ٥٣٥ م) ولاون الثاني

لألفونسيوس ماريا دي ليكوري ص ٧٩٧ .

(١) هو كاتب كنسي ايطالي من اكليروس الكرسي الغربي (٣٤٥ـ ٤١٠ م) . زار مصر مرتين وكتب عن رهبانها ثم أقام بأورشليم واشتهر بمعاداته لايرونيموس .

(٢) راجع «مجموعة شهادات الآباء الرسوليين» طبعة الكاثوليك لسنة ١٧٢٤ م (ك ١ ف ٤٩٢) .

(٦٨٢ ـ ٦٨٤ م) اللذين ادعيا ان لينوس وأنا كليتس لم يكونا أسقفين على رومية بل مساعدين لبطرس وبولس في التبشير بها [١] . على أننا لو راجعنا كل جداول البابوات الرومانيين التي وضعها الكاثوليك [٢] لتجسم أمامنا فساد دعوى هذين البابوين اللذين ناقضا ايريناوس [٣] وايجيزيبوس [٤] القائلين صراحةً : « ان لينوس هو أسقف رومية الاول واكليمنضس هو الثالث » .

أما النتيجة التي لامفرّ منها فهي ان بطرس لم يكن أسقفاً مكانياً على مدينة رومية ، كما انه لم يكن أسقفاً مكانياً على كل المدن التي بشرها، لأنه رسول ، والرسل — كما قال القس ترتوليانوس القرطجني [٥] والبابا اكليمنضس الروماني [٦] ـ لم يكونوا أساقفة على الكنائس التي

(١) راجع كتاب « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » لكيرلس مقار ص ١٢١ نقلاً عن الكردينال بارونيوس .

(٢) راجع جداول البابوات الرومانيين ، في كتاب « تاريخ الهرطقات » لألفونسيوس ماريا دي ليكوري ص ٧٩٧ ، وفي التاريخ الكنسي للوموند اليسوعي ج ٢ ص ٣٢٨ ، وفي « تاريخ الكنيسة الانطاكية المارونية » (للاب ميخايل الشيباني) المصدق عليه من الكردينال ماري ديلفال م ٢ ص ٥٤٥ .

(٣) راجع كتابه ضد الهرطقات « ك ٣ ف ٣ » .

(٤) راجع مجموعة شهادات الآباء اليونان ف ٢٠ ص ٣٧٧

(٥) راجع كتابه ضد الهراطقة ف ٣٢ .

(٦) راجع رسالته الى أهل كورنثوس ف ٤٢ و ٤٤ .

أسسوها ، بدليل أنهم كانوا يقيمون عليها أساقفتها الاولين . هذا فضلاً عن أن لا صفة مطلقاً لبطرس في تأسيس كنيسة رومية، التي يجب ان ينتسب بابواتها شرعاً الى بولس رسول الامم لا الى بطرس رسول الختان.

* * *

الى هنا انتهت مباحثنا في حقيقة تاريخ الرسولين بولس وبطرس وفي كيفية تأسيس كنيسة رومية والخلافة الرومانية، وكلها مباحث جليلة اضطررنا الى خوض عبابها، لنزيل عنها حُجب الاشكال والتعمية التي أسدلها الكاثوليك عليها ، ولنجعل المؤمنين في حذر من الحبائل التي ينصبها لهم المولعون بالسلطة والمشغوفون بالرياسة والمغرمون بالعصمة

والآن وقد تلألأت شمس الحق من وراء غياهب الباطل فجدير بنا أن نعود الى تاريخ الذين ثبتوا على عهد المسيح وبرّوا بالمسيحية وأبنائها ونعني بهم البابوات الاسكندريين خلفاء القديس مرقس الرسول .

* * *

انيانوس « الاسقف الـ ٢ »[1] (٦٢-٨٤ م) :- هو حنانيا الاسكاف با كورة المؤمنين من القبط ، التقى به مرقس الرسول إثر دخوله الاسكندرية فقدّم له حذاءه ليصلحه ، ولما شرع حنانيا في العمل نفذ المخراز في يده فصاح قائلاً : « ايس ثيؤس » الذي تعريبه: «واحد هو الله » ففرح الرسول عند سماعه وثنياً يذكر اسم الرب، وأخذطيناً

(١) قد اعتبرنا أنيانوس الثاني في العدد، ولكنه الاول في الاسقفية المكانية (راجع ص ٣٣١).

من الارض فطلى به الجرح باسم الثالوث الاقدس ، فالتأم [١]. ثم قال لحنانيا : « إن كنتم تعرفون الله فلمَ تقدّسون الاصنام ؟ » . قال : « إننا ياسيدي لانعرفه حقيقةً بل اسماً » فانتهز الرسول هذه الفرصة وأخذ يشرح له الحقائق المسيحية ويبشّره بيسوع الناصري، فسُرّ الرجل ودعا الرسول الى منزله حيث اجتمع كثير من القبط لسماع كلمة الخلاص وحيث قام مرقس بتعميدهم [٢] إثر مجاهرتهم بالايمان بالرب يسوع (سنكسار ٣٠ برمودة) .

---

(١) راجع « نظم الجوهر » لافتيخيوس الملكي ص ٣٢٩.

(٢) أهدى صاحب السعادة يعقوب أرتين باشا الارمني الكاثوليكي (الذي كان وكيلا لنظارة المعارف) الى دار الآثار العربية ، بشارع باب الخلق بمصر، صورةً فوتوغرافيـة صغيرة تمثل مرقس الرسول يعمّد أنيانوس . أما الأصل المأخوذ عنه هذه الصورة فهو صنع يد المصوّر الايطالي مانسويتي (أحـد مصوري القرن الخامس عشر) وهو محفوظ بمتحف بريرا بميلانو بايطاليا . وقد ابتكرته مخيّلة ذلك المصور الذي رسم القبط المحيطين بالرسول وبأنيانوس مرتدين بالأزياء التي كان الترك يرتدون بها في القرن الخامس عشر ، فضـلاً عن انه صوّر مرقس يعمد أنيانوس بالسكب مما لاينطبق على طريقة التعميد المتبعة في الكنيسة القبطية وفي جميع الكنائس المسيحية منذ نشأتها، ولعل لاتينية المصوّر هي التي اقتضت ذلك ، وعليه فلاقيمة تاريخية ولادينية لهذا الرسم كما يظنّ كل من سمع عنه دون أن يراه . واننا بهذه

ولما كان انيانوس رجلاً باراً تقياً حوّل بيته الى كنيسة[١] يجتمع فيها المؤمنون للصلاة أيام الآحاد والأعياد ، فشابه في ذلك ، معلمه مرقس الذي كان بيته باورشليم أول كنيسة مسيحية. ولما اراد مرقس ان يبرح القطر المصري سنة ٦٢ م سام انيانوس أسقفاً على الكنيسة الأسكندرية وسلّمه رعاية ذلك القطيع الجديد. وقدجدّ انيانوس في اعلاء منار المدرسة اللاهوتية التي انشأها معلمه لعلمه انه اذا اهتدى تلاميذها بنور الدين المسيحى كانوا نوراً لمصر بل للعالم أجمع. ولماتحققت امانيّه، رسم قسوساً وشمامسة كثيرين وهكذا نمت المسيحية بسرعة فائقة . ولاغرو فقد قال أوسابيوس : « كان انيانوس محبوباً من الله

المناسبة نرجو أبناء كنيستنا ألاّ يُعنوا كثيراً بالصور الدينية المتداولة بين أيدي الافرنج ، وألاّ يتهافتوا على نقلها الى الكتب القبطية، الا بعد التحقق من عدم مخالفتها للعقيدة الارثوذكسية،لئلا يقعوا في الخطأ الذي وقع فيه أمثال كاتب وطابع قداس القديس باسيليوس بالاسكندرية سنة ١٦٢٦ ش ، حيث نقل في صفحة ١٣١ من ذلك القداس ـ عن غير عمد طبعاً ـ صورة اعتماد المسيح بالسكب وصورة الاقنوم الاول من الثالوث الاقدس متجسداً ، ولايخفى مافي ذلك من الكفر المبين (راجع ص ٨٠ وص١٢٣من كتابنا هذا).

(١) هذه الكنيسة هي التي اقيمت في مكانها المرقسية الحالية في الجهة الشرقية المعروفة الآن بجهة المسلة.

ومقبولاً عنده » (كـ ٢ ف ١٤) . وبعد أن ساس الكنيسة ٢٢ سنة رقد بسلام في ٢٠ هاتور سنة ٨٤ م

ميليوس الاسقف الـ ٣ (٨٤-٩٦ م) -: اجتمع الاكليروس والشعب القبطي بالاسكندرية لانتخاب خلف لانيانوس، فوجدوا ان صفات ميليوس تؤهله لهذا المنصب الجليل فتمت سيامته في شهر كيهك ، ولما ابتدأ هذا الاب التقي بنشر كلمة الله المقدسة ، دخل القبط في دين المسيح افواجاً ، وأزهرت المسيحية في الخمس المدن الغربية وأفريقية، وظلت الكنيسة في أيامه بسلام حتى رقد بالرب في أول توت سنة ٩٦م.

كرذونوس الاسقف الـ ٤ (٩٦ — ١٠٦ م) —: كان من الاسكندرية وممن عمدهم مرقس الرسول، وقد أقيم قساً فاشتهر بعفافه وعلمه ، ولما رقي الكرسي الرسولي الاسكندري، رعى ابناءه وساسهم بالمواعظ الرسولية والزواجر الأبوية ، حتى قُبض عليه واستشهد في الاضطهاد الذي اثاره القيصر تراجان، وكان استشهاده في ٢١ بؤونه. سنة ١٠٦ م . وقد خلا الكرسي بعده ثلاث سنوات

الحوادث المدنية في القرن الأول

القيصر طيباريوس (١٥—٣٧) :— ملك بعد موت اغسطس قيصر وله آثار في جزيرة فيلي وفي معبد دندره ، واليه تنسب مدينة طبرية بالشام، وبأمره قبض بيلاطس البنطي على زمام ولاية اليهودية،

وفي عهده صلب المسيح وقام من بين الاموات وصعد الى السماوات .

القيصر غايوس كاليجولا (٣٧ — ٤١ م) :— شبّت في عهده فتنة في الاسكندرية بين اليهود واليونان بسبب تفوّق الأولين [1] في التجارة والعلوم،رغم ما كانوا عليه من الحقارة والضعف،وكادت الدائرة تدور عليهم لولا موت ذلك القيصر .

القيصر كلوديوس الاول (٤١ـ٥٤م) :ـنفى اليهود والمسيحيين من رومية،وفي أيامه كان القبط لايزالون يضربون العملة في بلادهم. ولمجموعة تلك العملة شأن عظيم في عالم الآثار . وقد كان للقبط ايضاً في عهدهذا القيصرمصانع لتركيب الادوية والعقاقيروالصباغة،ومعامل لنسج الحرير وصُنع الورق والزجاج . وكان الرومان في ذلك العصر ينقلون من مصر مقداراً وافراً من الحنطة في كل عام .

القيصر نيرون (٥٤ — ٦٨م .) :—كان وحشاً ضارياً ، وقد ادّى بهتوحشه الى ان قتل امهوزوجته واستاذيه، وضرب عنق بولس الرسول،وصلب القديس بطرس منكّساً.وأحرق جزءاً عظيماً من مدينة رومية ونسب ذلك الى المسيحيين فاضطهدهم « الاضطهاد الاول » ثم مات منتحراً في ١٢ يونيه سنة ٦٨ م .

---

(١) كان فيلون العالم العبري هو المتولي زعامة اليهود يومئذ،أما زعيم اليونان فكان بيون أحد أشرافهم ، وكان اليونان الى ذلك الوقت يعتبرون انفسهم في الاسكندريه بمنزلة الفاتحين باعتبار ما كانوا عليه في دولة البطالسة.

خراب اورشليم :- مامات المخلص له المجد حتى توالت الرؤى الهائلة والاصوات المزعجة في هيكل أورشليم بعدان انشق حجابه شطرين من فوق الى اسفل . وفي اليوم الخمسين لقيامة الرب تمت نبوة ارميا (مراثي ٢:٧) حيث خرج من جوف ذلك الهيكل صوت عظيم يقول: « اخرجوا من هنا لأن الله الذي جعل سكناه في هذا المكان اجيالاً طوالاً ،قد رذله ومقته!». ولما كان العدل الالهي قد قضى بان يجازى اليهود جزاءً وفاقاً، ارسل لهم بدل«يسوع رسول الخلاص» يسوع آخر كان لهم نذير هلاكٍ وفناء

قال يوسيفوس الشاهد اليهودي العياني : « بينما كانت اورشليم رافلةً في حُلة السلم يوم «سوكوت»(يوم عيد المظالّ) [1] اذا برجل اسمه يسوع بن أنانوس أخذ يطوف المدينة ويصرخ من جهاتها الاربع قائلاً : « الويل لاورشليم! الويل للهيكل!» ، ولم يكفّ عن هذا الصراخ ليلاً ولا نهاراً رغم ما أنزله به الولاة من شديد العقاب ، بل كان كلما زيد ضرباً ازداد صراخاً ، دون ان تتأثر حنجرته أو تدمع عيناه حتى عدّ مجنوناً ، وفي اليوم الذي حوصرت فيه المدينة صرخ بكل قواه قائلاً : « الويل للهيكل ! الويل لاورشليم ! الويل للشعب !

---

(١) يحتفل اليهود بهذا العيد تذكاراً للمظال التي كانت تُظلّهم في برية سينا عند ما تسلم موسى العشر الوصايا مكتوبةً على لوحين من حجر.

الويل لي ! » وفي الحال أصيب بحجر مرشوق بآلة فخرّ صريعاً » . (يوسيفوس في « تاريخ اليهود » ك ١٧ ر ٦ و٧) .

ولما ضاقت أنفاس اليهود من استعباد الرومان لهم ، انتهزوا فرصة غياب ملكهم هيرودس أغريباس الثاني [١] برومية - لتأدية فريضة العبودية للقيصر نيرون - ، فانتقضوا على الجيش الروماني المحتل . وعلى ذلك جرّد نيرون ضدهم حملة كبيرة بقيادة فسبسيانوس فحاصرت أورشليم ، وعند ما علم هذا القائد بانتحار نيرون ، عهد بالحصار الى ابنه تيطس ، وقفل هو راجعاً الى رومية حيث نودي به قيصراً على المملكة الرومانية وقد ظل تيطس محاصراً اليهود ستة أشهر أكلت فيها الأم ابنها فتمت نبوة أرميا حيث قال : « النساء الشديدات الحنوّ طبخن بأيديهن أولادهن وثمرة بطونهن فكانوا لهن طعاماً » . (مراثي ٤ : ٩و١٠)

ثم اشتبك تيطس مع اليهود في القتال تحت أسوار المدينة ، فهزمهم الى صحن الهيكل حيث دخل جنوده ونصبوا أصنامهم بعد ان لطّخوا المكان المقدس بدماء الكهنة وقد تمت بذلك النبوات القائلة : « في جناح الهيكل يقوم رجس الخراب ، وسترى أورشليم بعينها الأمميين يطأون مقدسها ويقتلون فيه الكاهن والنبي » (دانيال ٩ : ٢٧ ومراثي ١ : ١٠ و٢ : ٢٠) وعلى أثر ذلك هبّ اليهود الى محاربة الرومان مستميتين وكان من نتائج تلك الثورة أن ألقى أحد الرومانيين جذوة نار في

(١) مات هذا الملك سنة ٦٨م فانطوى بموته بساط ملك اسرائيل.

الهيكل فاحترق رغم أوامر تيطس القاضية بعدم مسّه ، وانما كان ذلك لتتم نبوة أرميا القائل : « لقد صبّ الرب على مذبحه شرّة غضبه وأضرم النار في يعقوب فانهالت حجارة المقدس في رأس كل شارع » (مراثي ٢:٣و٤:١).

وما رأى اليهود هيكلهم وقد تقوّضت أركانه ، إلا تمكن منهم الجزع على دينهم، فجعلوا أنفسهم وقوداً للنار التي أهلكت منهم ألوفاً كثيرة ، بعد ان اندلع لسانها الى المدينة فقوّضت قصورها الشاهقة ودمّرت بيوتها العامرة فأصبحت تلك البقاع حصيداً كأن لم تغنَ بالامس ! وكان ذلك في ٢٥ أيلول سنة ٧٠م لتتم الآية القائلة: لا ينقضي هذا الجيل (الجيل الاول) حتى يكون قد حلّ بأورشليم الخراب والدمار (مت ٢٤:٣٤)

أما من بقي من اليهود فقد تشتت في الارض اتماماً لقول الكتاب: « سيرذلهم الرب وسيتشتتون بين الأمم» (هوشع ٩: ١٧) وهكذا عدم اليهود وطناً كانوا يعتزّون به، وهيكلاً كانوا يقرّبون عليه قرابينهم فتمت النبوة القائلة : « انقطعت القرابين والسكيب عن بيت الرب » (يوئيل ١ :٩) غير أن الله سيدركهم بمراحمه في آخر الازمان ليتم قوله تعالى: « سيتوب بنو اسرائيل ويرجعون الى الرب إلههم فيتقبل توبتهم ويزهرون كالكرم» (هوشع ١٤: ٢و٥ـ ٨ واشعيا ٤٥: ٤ و٢٥ وباروخ ٥: ٩)

هذا كان نصيب اليهود في تلك الحرب الشعواء، أما المسيحيون فكانوا قد تركوا مدينة أورشليم ولجأوا الى مدينة بلّا « Pella » بجبال سورية عملاً بوصية معلمهم حيث قال: « متى رأيتم رجس الخراب في المكان

المقدس فعلى الذين في اليهودية ان يهربوا الى الجبال» (مت ٢٤: ١٥و١٦).

القيصر فسبسيانوس (٦٩ ـ ٧٩م) :ـ زار الاسكندرية وأظهر لاهلها الحب والاخلاص[1] فقابله الاسكندريون بكل حفاوة، غير ان عطفه عليهم كان قصير الأجل فمالبث ان ضاعف الخراج والضرائب مما كان سبباً في سخطهم عليه.

القيصر تيطس (٧٩ـ ٨١ م.) ـ: هو ابن فسبسيانوس. اقتفى أثر أبيه فشدد التنكير على اليهود باورشليم حتى هاجرها كثيرون الى القطر المصري فراراً من الموت والجوع، ولكنهم مالبثوا ان ثاروا على الحكومة الرومانية بمصر. فأمر تيطس بهدم «هيكل أونياس»[2] وبتجريد اليهود من جميع الامتيازات الوطنية، وبذلك لم تقم لهم قائمة بعدُ في البلاد المصرية. ولما زار هذا القيصر الاسكندرية قصد مدينة منف حيث تصدّر الاحتفال بتكريس العجل أبيس، وقد وُجدت له آثار في الواحات الداخلة كما وجد اسمه في أوراق بردية اكتشفت في هوارة الفيوم وفي البهنسا. وفي آخر ايامه تمتع المسيحيون بشيء من الراحة.

القيصر دومتيان (٨١ — ٩٦ م) ـ: كان طاغياً باغياً كنيرون، فسفك دماء الأبرياء من أقربائه ونفى زوجته (دومتيلا) لاعتناقها النصرانية. واضطهد المسيحيين الاضطهاد المشهور في التاريخ «بالاضطهاد

---

(١) كان بين الذين لاقوا القيصر فسبسيانوس «مضطهد اليهود»، يوسيفوس فلافيوس بن كريون المؤرخ «اليهودي» الشهير...

(٢) راجع ص ٥١ من هذ الكتاب

الثاني». وأمر باحضار يوحنا الرسول[١] من أفسس وبطرحه في خلقين مملوء بالزيت المغلي ولما لم يصب بأذى، نفاه القيصر الى جزيرة بَطمُس[٢] حيث حرر الرسول سفر الرؤيا -وهو آخر اسفار العهد الجديد- وبعث به الى الكنائس الرسولية السبع التي في آسيا. ثم أعيد من منفاه الى افسس حيث توفي بها سنة ١٠٠م وقد كانت وفاته حتف أنفه دون سائر الرسل.

القيصر نرفا (٩٦-٩٨م) -: ارتقى عرش رومية وهو طاعن في السن فأشرك معه (تراجان) حاكم جرمانيا الذي خلفه بعد موته.

القيصر تراجان (٩٨-١١٧م) :- كان يمقت المسيحيين فأمر بصلب القديس سمعان اسقف أورشليم وبالقاء اغناطيوس اسقف انطاكية

(١) هو يوحنا اللاهوتي «حبيب المسيح» (يو١٣: ٢٣) وصاحب الانجيل الرابع وكاتب سفر الرؤيا وأحد الأعمدة الثلاثة (غل٢: ٩) وهو الذي التمس منه بطرس ان يستفهم من المسيح عمن كان مزمعاً أن يسلمه لليهود (يو١٣: ٢٤) وهو الذي لازم المسيح في صلبه دون سائر الرسل. ولما كان قد حافظ على «البتولة» استحق أن يأتمنه الرب على أمه «البتول» بعد رقاد خطيبها يوسف «البتول» (يو١٩: ٢٦و٢٧)

(٢) هي احدى جزائر اسبرادس بقرب ساحل آسيا الصغرى على بعد ١٨٠ ميلاً من الجنوب الغربي لأزمير واسمها الآن جزيرة (باتينو) وبها دير أنشئ في القرن الحادي عشر باسم القديس يوحنا صاحب سفر الرؤيا ويبلغ عدد سكانها أربعة آلاف نسمة.

الى الاسُد وبقتل كرذونوس اسقف الاسكندرية فاستشهد ثلاثتهم وراحوا ضحيةهذا الاضطهاد المشهور في التاريخ «بالاضطهاد الثالث». وقد كان هذا القيصر عاملاً على محو كنيسة المسيح من الوجود ظناً منه ان ذلك في طوقه . غير انه ما لبث ان غيّر سلوكه وأخذ في اصلاح مصر من الوجهة المدنية فوسّع الخليج البطليموسي [1] الذي يصل النيل بالبحر الأحمر فأصبح يمر بمدينتي عين شمس وبابيلون، ثم بنى قلعة بابيلون العظيمة المعروفة الآن «بقصر الشمع» والمجاورة للكنيسة المعلقة [2] بمصر القديمة. وفي أيامه انخفض النيل ولحقت بأهالي مصر مجاعة فتداركه فأمدهم ببعض الغلال. ثم وقعت مذابح دموية بين اليهود واليونان في الاسكندرية فنفى تراجان من بقي من اليهود الى الصحارى وبنى هيكلاً لايزيس في كلٍّ من مدينتي قفط واخميم.

---

(١) طُمس هذا الخليج حتى أعاده عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب وقد بقي جارياً حتى ردمه جعفر بن المنصور مستثنياً منه الجزء الذي كان يمر بمصر القديمة (الفسطاط) ويخترق القاهرة حتى المرج . وفي سنة ١٨٩٧م ردمت الحكومة هذا الجزء وهو المعروف الآن بشارع الخليج وجعلته طريقاً للمركبات الكهربائية (الترام)

(٢) هي كنيسة السيدة العذراء وانما اشتهرت بالمعلّقة لانها معلّقة على كنيسة أخرى .

القرن الثاني

الحوادث الدينية

بريموس الاسقف اﻟ٥ (١٠٩-١٢١م) :- ولد بالاسكندرية، وهو ممن عمدهم مرقس الرسول. كان بتولاً تقياً مشهوراً بالحكمة ومخافة الله. انتخبه شعب الاسكندرية واكليروسها خلفاً للاسقف كرذونوس بعد ان ظل الكرسي المرقسي خالياً مدة ثلاث سنوات من جرّاء اضطهاد القيصر تراجان. ولما رقي هذا الحبر السدّة المرقسية أخذ في اعلاء شأن الوعظ بتشجيع الوعاظ والمرشدين وتعيين الاكفاء منهم في جميع كنائس كرازته. وبهذا وأمثاله جذب اليه قلوب الرعية، وكانت وفاته في ٣ مسرى سنة ١٢١ م.

يسطس الاسقف اﻟ٦ (١٢١-١٣١ م) :- ولد بالاسكندرية وسيم كاهناً بها. استلم ادارة المدرسة اللاهوتية من يد مؤسسها كاروز الديار المصرية فظلّ يعلّم بتلك المدرسة حتى تعيّن اسقفاً ومن ثم سلّم أمر تعليم المؤمنين وتهذيبهم الى أومانيوس (١) وأخذ هو يباشر وظيفة الاسقفية فأرشد من الوثنيين عدداً كبيراً، ورقد بالرب في ١٢ بؤونه سنة ١٣١م.

---

(١) راجع يوم ٩ بابه في السنكسار الخطي المحفوظ بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة بمصر، لأن ذكر ذلك لم يرد بالسنكسار المطبوع حديثاً باسم « الصادق الأمين »

اومانيوس الاسقف ال٧ (١٣١-١٤٤م):- كان بتولاً طاهراً من مسيحيي الاسكندرية. تعيّن مديراً للمدرسة اللاهوتية ثم أسقفاً على الكرازة المرقسية، فسام قسوساً عديدين وأوفدهم الى معظم جهات القطر وكذلك الى النوبة والخمس المدن الغربية منذرين بكلمة الله ومبشرين بملكوته. وفي أيام هذا الأسقف البار اشتدّ اضطهاد القيصر أدريان فاستشهد كثيرون من القبط، أشهرهم القديسة صوفية (من منف). وهذه القديسة هي التي نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها الطاهر الى القسطنطينية وشاد لها الكنيسة الشهيرة باسم «اجيا صوفية»[١] ولما شعر اومانيوس بدنوّ ساعته سلّم أمر تدبير البيعة وتعليم المؤمنين الى القديس مركيانوس، وكانت وفاته في ٩ بابه سنة ١٤٤م.

مركيانوس الاسقف ال٨ (١٤٤-١٥٤) :-ولد بالاسكندرية، وكان عالماً متواضعاً فتعيّن مديراً للمدرسة اللاهوتية، ولما سيم اسقفاً اقتفى أثر اسلافه في هداية النفوس الى طريق الحياة الأبدية رغم ما لاقته الكنيسة في أيامه من اضطهاد القيصر انطونيوس. وقد توفي في ٦ طوبه سنة ١٥٤ م .

كلاوديانوس الاسقف ال٩ (١٥٤-١٦٧م):-ولد بالاسكندرية

(١) راجع سنكسار ٥ توت . وقد تحولت كنيسة «اجياصوفية» الى جامع بعد دخول الترك الى القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م. أما لفظة « اجيا » فيونانية تعريبها « قديسة » وتذكيرها « اجيوس ».

وكان باراً حكيماً ، ولما قبض على زمام الرياسة أخذ يفلح في كرم الرب ويزرع الفضيلة في قلوب ابنائه وقدتوفي في ٩ ابيب سنة ١٦٧م.

أغريبينوس الاسقف الـ ١٠ (١٦٧-١٧٨م) :- كان قساً من الاسكندرية، انتخبه الشعب اسقفاً لكثرة فضائله وشدة تقواه، فظل يعظ ويُرشد حتى رفع بحكمته وجُرأته منار الدين، أيام كان قتلُ المسيحي أمراً مقضياً به من القيصر مرقس اوريليوس. ثم رقد بالرب في ٥ امشير سنة ١٧٨م.

يوليانوس الاسقف الـ ١١ (١٧٨-١٩٠م) :- ولد بالاسكندرية وتلقى علومه في المدرسة اللاهوتية ففاق أقرانه في العلم والتقوى. وقد اختاره الشعب الاسكندري اسقفاً لغزارة مادته وواسع اطلاعه، فوضع ميامر لأسلافه الاساقفة تخليداً لذكراهم .

ولما قربت ساعة يوليانوس ظهر له ملاك الرب قائلاً : « إن من يأتيك بعنقود عنب هو الذي يكون خليفتك على الكرسي الاسكندري » وحدث ان فلاحاً أمّياً ، من أصل قبطي مسيحي ، اسمه ديمتريوس، بينما كان يقلّم شجر بستانه في الشتاء، اذ عثر على عنقود عنب في غير أوانه، فعوّل على إهدائه للاسقف. ولما دخل يوليانوس في النزع أقبل اليه كبار الشعب يسألونه عمن يرى فيه الكفاءة لرعايتهم من بعده ، فقال لهم : « هو الذي يقدُم الينا ومعه عنقود عنب[1] » فتهامسوا

(١) راجع سنكسار ٨ برمهات ، وتاريخ البطاركة لابن المقفع ، وكتاب « مصر المسيحية » لفولر الانجليزي ص ١٠

قائلين: «إن الاسقف لا يدري ما يقول، وهل يوجد عنب في الشتاء؟» ولما أعادوا عليه السؤال، أجاب بما أجاب به أولاً. وفيما هو يتكلم إذ أقبل ديمتريوس الكرّام ومعه العنب، فدُهش الحاضرون وسُرّ الأسقف بالهدية كأنها من ملاك كريم. وللحال أمر الشعب بانتخاب من سُرّ الروح القدس بانتخابه، فأطاعوه مسرورين، وكانت وفاة يوليانوس في ٨ برمهات سنة ١٩٠ م.

ديمتريوس الاسقف الـ١٢ (١٩٠-٢٣٢م): - كان كرّاماً أميّاً ومتزوجاً، غير أنه لم يعرف زوجته قط. ولما رقي الكرسي المرقسي اشتغل بالدرس والمطالعة فكان يجلس تحت قدمي معلمه إكراماً للعلم والمعلم، وقد فتح الله عليه فأصبح من أعظم علماء عصره[١] ثم أعطاه الله أيضاً موهبةً يعرف بها المذنبين ويقف على دخائلهم فكان يُوبخهم ويرُشدهم، غير ان بعض الناس اتخذوا مسألة ارتباطه بزوجة، علة للتذمر عليه قائلين: «إنه لم يجلس قبله على الكرسي الاسكندري الا بتول» ولما انقسم الشعب بسبب ذلك، ظهر ملاك الرب لديمتريوس وقال له: «أظهر السر الذي بينك وبين زوجتك»، فلما كان الغداة (عيد المنصرة) قدّم الاسقف الذبيحة واستدعى زوجته ووضع في مئزرها (بلّينها) جمراً متقداً ثم بخوراً رفعه هو وجميع الكهنة، وأخيراً أمرها أن تبخر الشعب

(١) راجع سنكسار ١٢ بابه، وتاريخ البطاركة لابن المقفع، وكتاب «مصر المسيحية» لفولر الانجليزي ص ١٠

ففعلت . وعند ذلك أخذ الدهش والرعب من الحاضرين لان المئزر لم تعمل فيه النار، فبادر ديمتريوس المجتمعين بقوله: «لا تدهشوا يا ابنائي لان من يغلب نار الشهوة لا تقوى عليه هذه النار الطبيعية ، أنا اليوم في الثالثة والستين من عمري وزوجتي هذه هي ابنة عمي[1] مات أبوها وتركها طفلة فنشأنا معاً في بيت واحد وأزوجني والدي بها . غير اننا تعاهدنا على الأخوّة فبقينا حتى هذه الساعة ، وقد مرّ على ألفتنا ٤٨ سنة ما عرفتها فيها ولا عرفتني» فاقتنع الشعب ومجّد الله. ولقد عاشت الزوجة بعد ذلك مع العذارى اللواتي كنّ ينذرن العفة ويكرّسن أنفسهنّ لله[2] أما ديمتريوس فانه بعد ان صفح عن المتذمرين عليه من شعبه ، جعل جلّ همه التبشير بالمسيح، وقد أوفد الى بلاد الهند العلاّمة بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية وأحلّ الفيلسوف اكليمنضس محله في ادارة تلك المدرسة . فذهب بنتينوس الى هناك وبشّر بكلمة الخلاص، وعند عودته وجد في بلاد اليمن نسخة انجيل القديس متى بخط يده باللغة العبرية فأحضرها معه الى الاسكندرية كنزاً ثميناً وأثراً مقدساً .

وفي سنة ٢٠٢م عيّن ديمتريوس اوريجانوس مديراً للمدرسة اللاهوتية خلفاً لاكليمنضس الذي كان قد تخلّى عنها نظراً للاضطهاد الذي أثاره

(١) يؤخذ من تزوج ديمتريوس بابنة عمه، انه قبطي لا يوناني، لان اليونان يحرّمون التزوج بابنة العم.

(٢) راجع سنكسار ١٢ برمهات

القيصر سورس. وفي هذا الاضطهاد سطا ليتوس والي مصر الروماني على الاسقفية فنهب الأمتعة وأواني الكنيسة وقبض على الاسقف نفسه ونفاه الى أوسيم [١] حيث بقي حتى وضع الاضطهاد أوزاره.

وفي سنة ٢٣١م عقد صاحب الترجمة مجمعاً ضد أوريجانوس حرمه فيه ونفاه خارج الاسكندرية [٢] ثم عين بدله ياروكلاس أحد تلاميذ تلك المدرسة اللاهوتية.

وجرى في أيام هذا الاسقف أن اشتد النزاع بين الكنائس بشأن تحديد يوم الفصح. فحسماً لهذا النزاع وضع ديمتريوس حساب الابقطيات [٣] لضبط يوم الفصح وأيام الاصوام.

هذا ولديمتريوس مآثر أخرى، منها أنه أول من سام الاساقفة [٤]

(١) اشتهرت أوسيم قروناً عديدة بكثرة كنائسها وعظم مركزها الديني غير ان العرب أخنوا عليها كما أخنوا على غيرها من المدن القبطية فانطفأ نورها، وأصبحت أوسيم في أوائل القرن التاسع عشر بلدة صغيرة على مسيرة ساعتين للراكب من كوبري امبابة. تلك هي أوسيم الآن التي كان بها ثلثمائة وستون كنيسة والتي كانت مقراً لعلماء اللاهوت وميداناً للمباحث الدينية.

(٢) انظر ترجمة أوريجانوس.

(٣) راجع سنكسار ١٢ بابه، وابن المقفع. وسيجيء الكلام على هذا الحساب في فصولنا القادمة.

(٤) قال ذلك أبو صالح الارمني. وقال أفتيخيوس في «نظم الجوهر»

على جهات القطر المصري. وقد عمّر هذا البار طويلاً فكان يُحمل الى الكنيسة، وما كفّ عن الوعظ والارشاد حتى آخر نسمة من حياته، ثم توفي في ١٢ بابه سنة ٢٣٢ م وله من العمر ١٠٥ سنة.

قضية تعييد الفصح: — في أواسط القرن الثاني قام نزاع شديد بين الكنائس بشأن اليوم الذي يجب أن يحتفل فيه بعيد الفصح المجيد. ذلك ان مسيحيي بلاد آسيا الصغرى وبين النهرين وكيليكيا وسوريا كانوا يحتفلون بتذكار الصلب في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري، وبتذكار القيامة في اليوم السادس عشر منه، دون أن يراعوا اسم اليوم الذي يقع فيه العيد، محافَظةً منهم على العادات اليهودية التي كانوا متمسكين بها شديد التمسك [١] هذا فضلاً عن انهم كانوا يكفّون عن الصوم والحزن معاً عند انقضاء اليوم الرابع عشر الذي هو يوم تذكار الصلب، ويقولون إنهم اتخذوا هذه العادة عن الرسولين يوحنا وفيلبس [٢]. أما مسيحيو مصر واليونان ورومية وبلاد العرب والبنطس وفلسطين، فانهم جعلوا لاسم اليوم كل الاهمية فكان تذكار الصلب عندهم في يوم الجمعة الواقع بعد الرابع عشر من شهر نيسان العبري، وعيد القيامة في يوم الاحد الذي يليه، وكانوا لا يكفّون عن الصوم إلاّ بعد القيامة، مستندين في ذلك على تسليم

ص ٣٣٣ : « إن ديمتريوس سام ثلاثة أساقفة ».

(١) أوسابيوس ك ٥ ف ٢٤ (٢) أوسابيوس ك ٥ ف ٢٣ و ٢٥.

الرسولين بولس وبطرس [١] .وقد تسبب عن ذلك الاختلاف نزاع في الكنيسة بين بوليكربوس أسقف أزمير الذي كان من أهل الرأي الاول وبين أنيسيت أسقف رومية (١٥١ـ١٦١م) الذي كان من أهل الرأي الثاني. ويروي ايريناوس أسقف ليون بفرنسا ان أنيسيت انتهز فرصة وجود بوليكربوس برومية، وباحثه طويلاً في موضوع الفصح غير انه لما لم يستطع أن يُقنعه اتفقا أخيراً على أن يحفظ كلٌّ منهما تسليمه [٢] وعلى ذلك انفصلا بعد ان تبادلا القبلة الرسولية ، وبعد ان أدّى بوليكربوس في كنيسة رومية سرّ الذبيحة المقدس [٣] .

وفي سنة ١٩٣ م جلس فيكتور على الكرسي الروماني فأعاد النزاع في هذا الموضوع مِمَّا كان سبباً في انعقاد عدة مجامع مكانية بين سنتي ١٩٦و١٩٧ م في قيصرية وأورشليم وغلاطية و كورنثوس ، وقد قضت تلك المجامع كلها بالاقتداء بالكنيسة الاسكندرية التي كانت تحتفل بالفصح في يوم الاحد ولا تكفّ عن الصوم إلا في ذلك اليوم [٤] وقد أرسلت هذه المجامع قراراتها الى جميع الكنائس فقبلتها، ما عدا كنائس آسيا التي اجتمع أساقفتها برياسة بوليكراتس أسقف أفسس وقرروا وجوب التمسك بالتقليد الذي تسلموه من رسولهم العظيم يوحنا الانجيلي . فما كان من فيكتور أسقف رومية إلا أن قاوم هذه الكنائس

(١) أوسابيوس ك٥ ف٢٣و٢٥ (٣) بأوسابيوس ك ٥ ف ١٤
(٢) بأوسابيوس ك٥ ف٢٤ (٤) أوسابيوس ك٥ف٢٥ .

الآسيوية وأرسل لبوليكراتس سنة ١٩٧ م رسالة مجمعية تهديدية قابلها هذا الاخير برسالة أشد منها جاء فيها : « ان الذي يقضي سبعين سنة في مطالعة الكتب المقدسة والذي رأى بعينه رسل الرب المشتتين في البلدان للتبشير ، لايبالي بالتهديد ولا بالوعيد وهو يعلم انه يجب أن يطاع الله أكثر من الناس »[1].

وما استلم فيكتور هذه الرسالة حتى أخذ منه الحنق كل مأخذ فوقع الحرم على بوليكراتس ونادى بهرطقة كنائس آسيا وبضلالها ثم كتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية[2] غير ان الاساقفة الذين لم يكونوا حتى هذا التاريخ قد رأوا مثل هذا التهور في كنيسة الله كنيسة الصلح والسلام ، حملوا حملة شعواء على فيكتور بان أرسلوا له رسائل مرة يوبخونه فيها على صنيعه القبيح[3]. ومن أشهر هذه الرسائل رسالة ايريناوس التي خاطبه فيها بقوله : « ان الاختلاف في يوم تعييد الفصح أمر قديم في الكنيسة وليس بحديث كما تظن ، بل هو قائم في عهد أسلافنا الكرام الذين لم يقطعوا لذلك أسباب المودة والاخاء . واعلم ان الاساقفة الذين تولوا قبلك زمام الكنيسة الرومانية كانوا يشتركون في الصلاة مع الكنائس الاخرى التي كانت تخالفهم في يوم العيد ، دون أن يحصل نزاع مطلقاً ، ودون أن يفصموا مثلك

(١) بأوسابيوس ك ٥ ف ٢٢ وايرونيموس في « المؤلفين الكنسيين » ف ٤٥
(٢) أوسابيوس ك ٥ ف ٢٢ (٣) بأوسابيوس ك ٥ ف ٢٣ .

رباط الالفة والمودة»[١]. وقد كتب ايريناوس بما دار بينه وبين فيكتور الى جميع الاساقفة الذين لم يقطعوا اعلاقاتهم مع شركة الكنائس الآسيوية.

أما ما كان من أمر فيكتور فانه لما وصلته تلك الرسائل الشديدة اللهجة، رضخ لحكم جميع الاساقفة وأذعن لصوت الكنيسة العام، اتقاء وقوع مالاتحمد عقباه. فعدل عن رأيه الاول ضد الكنائس الآسيوية وعاد الى شركتها مع مخالفتها لكنيسته في موضوع الفصح[٢] وعلى ذلك ظلت كل كنيسة محافظةً على تقليدها حتى انعقاد المجمع المسكوني الاول الذي فصل في الموضوع بصفة نهائية، بأن أناط بالاساقفة الاسكندريين تحديد يوم عيد الفصح، فظلوا يعيّنونه لجميع الكنائس المسيحية قروناً طويلة. هذا ولو كانت تلك الكنائس اعتقدت في القرون الاولى بما تعتقد به الكنيسة الرومانية الآن من رياسة بابواتها وعصمتهم، لما انتظرت حكم المجمع المسكوني الاول لتخضع له وتعمل بأوامره، بل لخضعت للبابا الروماني «المعصوم! صاحب السلطان المطلق!»

الحوادث المدنية في القرن الثاني

القيصر أدريانوس (١١٧ — ١٣٨م):ـ أخلف القيصر تراجان سنة ١١٧م ثم طاف الولايات الرومانية، ولما زار مصر للمرة الاولى سنة ١٢٢م، كان بصحبته صديقه الشاب أنطونيوس الذي غرق في

(١) بأوسابيوس ك ٥ ف ٢٤. (٢) سقراط ك ٥ ف ٢٢.

النيل أثناء سياحةٍ في الوجه القبلي ، وقد حزن عليه القيصر فشاد له بقرب المكان الذي غرق فيه، مدينةً باسمه تدعى «أنطونيوبوليس»[١].

وفي سنة ١٣١م زار ذلك القيصر مصر للمرة الثانية وقد رافقته في هذه الدفعة زوجته «سابين» وبعض أميرات رومية. ومما شاهدوه بمصر في سياحتهم، تمثالُ ممنون الشهير بصوته (ص ١٩٠) وقد ظلّ ادريانوس بمصر أربع سنوات ، ويقول بعض المؤرخين انه حرر خطاباً الى سرفيانوس القنصل جاء فيه: «أن مصر التي اطنبت لي في مدحها قد وجدتُ أهلها على درجة عظيمة من الخفة والطيش وقلّة الحزم ، يصدقون كل ما يقال لهم ، ويطيرون مع كل ريح تهبّ. لم أجد للمسيحيين شيخاً ولا لليهود رئيساً الاّ كان رياضياً وعرّافاً ، حتى البطريرك نفسه فانه أثناء تجوله بمصر قال عنه بعضهم إنه يعبد الاله سيرابيس (كذا) وقال آخرون إنه يعبد المسيح . أما المصري من حيث طباعُه ، فميّال الى المشاغبات والفتن ، إلاّ أنه لا يحقد. أما ذلك الشعب من حيث مجموعُه فهو شعب وافر الثروة ، آخذ باسباب النجاح، وقلما ترى فيه عاطلاً إذ لكلٍ من أفراده عمل يرتزق منه . فبعضهم يصبّ الزجاج، وبعضهم يصنع الورق، وبعضهم ينسج الكتّان حتى الأعرج بل الاكتع بل الضرير فانك تراه يشغل وقته فيما يلائم حاله من الاعمال الصناعية هرباً من الكسل

(١) عُرفت بعد ذلك « بالبرشا » ثم تهدمت فاستعملت انقاضها في بناء مدينة الروضة بالمنيا وفابريقة السكر التي كانت بها .

والبطالة . أما إلههم فهو «لاشيء» وهو الذي يعبده المسيحيون واليهود معاً» الى آخر ماجاء بالخطاب مما يدلّ على جهل أدريان بالديانة المسيحية.

وقد كان هذا القيصر سريع التقلب، فتارة كان حليماً وطوراً قاسياً، ولما اضطهد المسيحيين الاضطهاد المشهور في التاريخ «بالاضطهاد الرابع» تداخل سيرينوس حاكم آسيا في الامر وبعث اليه برسالة جاء فيها: «لم يكن من الانسانية ولا من العدل أن تذبح قوماً من المسيحيين الابرياء اكراماً للوثنيين أهل الفتن والدسائس» . وقد قام جماعة من العلماء يدافعون عن الديانة المسيحية فانثنى القيصر عن عزمه وانصرف الى ترميم مدينة أورشليم ، ومن ثم هرع اليهود الى سُكنى تلك المدينة . وما استتبّ لهم الامر حتى قام منهم رجل يسمى باركوشبا ادّعى انه المسيح ،فتبعه اليهود رافعين لواء العصيان على الرومان، فاضطُر هؤلاء الى تبديد شملهم سنة ١٣٥م .

القيصر انطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١م):- اضطهد المسيحيين في أول حكمه، غير انهم حصلوا في آخر أيامه على راحة تامّة . ومن أعمال هذا القيصر في مصر انه أنشأ للمواصلات العسكرية ستّ طرقٍ تُعرف في التاريخ «بخطط انطونيوس»، وكذلك انشأ ميداناً بالاسكندرية لسباق الخيل وهيكلاً في الواحات .

القيصر مرقس أوريليوس (١٦١—١٨٠م):- اتخذ معظم جيشه من المسيحيين وما لبث أن انقلب عليهم فأصبح قتلُ المسيحي في حكمه

امراً محتماً ، وكان ذلك إبّان الاضطهاد المشهور في التاريخ «بالاضطهاد الخامس» . وفي سنة ١٧٢ م . جاهرت الجنود القبطية تحت قيادة ايزيدوروس بعصيان الوالي الروماني لظلمه واستبداده، فاستنجد هذا الوالي بالجيش الروماني الذي كان معسكراً بالشام بقيادة كاسيوس وهكذا استظهر الرومان على القبط وأخضعوهم

القيصر كومودوس (١٨٠—١٩٤م) :ـ ازداد في عهده تذمّر الاهالي من ظلم الرومان وجورهم، فكسدت التجارة، وأهملت الزراعة وقلّت الايدي العاملة في تطهير الترع والعناية بالشؤون المصرية بعد أن سيق الاهلون الى الجندية، فكان من نتائج ذلك ان خيّم الفقر على ربوع مصر ونقصت العملة عن قيمتها الاصلية .

القيصر سويرس (١٩٤—٢١١م) :— كان وثنياً طاغياً . حرّم التدين بالمسيحية في أمر أصدره سنة ٢٠٢ م . ولما زار مصر ورأى بعينه انتشار دين الحق في ربوعها ، أوجس خيفة على السلطة الرومانية فأوصى ليتوس الوالي الروماني بمحو آثار ذلك الدين ، ولقد نفّذ هذا الوالي وصيّة القيصر فاضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً عرف «بالاضطهاد السادس» . وقد استشهد من القبط كثيرون بينهم الفتاة بوطامينا التي تربّت في حضن الكنيسة ، ففضّلت أن تحرق هي وأمها مارسيلا على ان تنكر دين المسيح. ولما كان الحكام قد استعملوا منتهى التوحش والقسوة في التنكيل بالمسيحيين ، قام ضابط روماني اسمه باسيليدس

فأعلن استياءه فسجنوه وكان من نتائج ذلك انه اعتنق المسيحية بواسطة وفد أرسله له الاسقف ديمتريوس. ولما جاهر بمعتقده ومُنح الاسرار المقدسة، قطع رأسه في نفس اليوم الذي قُطع فيه رأس ليونيداس أبي العلامة أوريجانوس . وقد ظل ليتوس الوالي يضطهد المسيحيين ويطرحهم في أعماق السجون حيث كان يفتقدهم تلاميذ أوريجانوس ليخففوا عنهم الويلات بالوعظ والارشاد . ولما علم ليتوس بذلك قبض على هؤلاء التلاميذ فاستشهد بلوطارخوس وسويرس وهيرا كليدس ونجا الباقون . أما الاسقف ديمتريوس فقد نُفي الى أوسيم كما مرّ في ترجمته . وقد دام هذا الاضطهاد سبع سنين في مصر دون غيرها من البلدان ، لان القيصر سويرس كان يخشى بأس القبط لوَفرة ثروتهم وكثرة علومهم ومعارفهم . ولما كان لاينقص القبط في ذلك الوقت ـ للتخلص من نير الرومان ـ غير الاتحاد والوئام، وكان الدين المسيحي هو العامل على لمّ شعثهم ونظم عقدهم ، حاول القيصر أن يمحو آثار ذلك الدين من مصر غير مكترث بمسيحيي باقي الاقطار لِما كان عليه أهلها من التصاغر والاستكانة .

أشهر رجال مصر في القرن الثاني

الونبوده (١) بنكراتيس : — شاعر اسكندري اكتشف نوعاً من زهر البردي وقدّمه للقيصر أدريانوس فأعجب به .

(٢) أثيناغوراس : – هو من الاسكندرية . توظف بمتحف تلك المدينة واعتبر من أساطين الديانة الوثنية واتفق أن بحث في أمر الدين المسيحي ليظهر فساده، فكانت النتيجة عكسية فاعتنقه وأصبح من عمده سنة ١٧٦م.

(٣) كلوديوس بطليموس : – هو الجغرافي الاسكندري الشهير. ولد في مدينة الفرما نحو سنة ١٤٠ م. وتخرّج من مدرسة الاسكندرية الوثنية ، فألّف كتابه الشهير بالمجسطي ، وجدولاً للأرصاد الفلكية لمدة ٨٠٠ سنة ، وكتاباً في الألحان الموسيقية . وذهب الى ان الارض ثابتة في الفضاء تخالفه في ذلك كوبرنيك الفلكي البولوني (١٤٧٣–١٥٤٣)

(٤) أشيستوس : – ألّف كتاب « محادثات الفلاسفة » .

(٥) كيرون : – كتب تاريخ ملوك القبط وكهنتهم .

(٦) الفيلسوف كلسوس (سِلْس) الأبيكوري : – اعتنق فلسفة أبيكور [1] التي انتشرت عند ميلاد المخلص. وقد ألّف هذا الفيلسوف رسالةً شهيرة ضد الدين المسيحيّ ففنّدها العلامة أوريجانوس بمؤلّف نفيس وضعه في هذا الشأن .

(٧) أمونيوس السقاص : – هو فيلسوف اسكندري . ولد في أواسط القرن الثاني ومات سنة ٢٤١ م . وكلمة « السقاص » مشتقة

(١) هذه الفلسفة كانت تعلّم بأن العالم قد قام بطريق الصدفة، وأن الله لا علاقة له به، وأن النفس ليست بخالدة ، وأن غايتها القصوى هي الملذات الارضية.

من كلمة « ساكي » CAKI اليونانيـة التي تعريبها (كيس) . وقد لُقب آمونيوس بالسقاص إشارةً الى العتالة صناعته القديمة . تعلّم آمونيوس الفلسفة الافلاطونية وتعمّق فيها ، وفي أواخر القرن الثاني أسس المدرسة الفلسفية الوثنية ثم تنصّر ، ويقال إنه عاد الى الوثنية . ولم يبق لنا من مؤلفاته المسيحية غير كتاب « اتفاق البشائر الاربعة »

المدرسة الوثنية الفلسفية : ـ لما أزهرت المدرسة المسيحية اللاهوتية بالاسكندرية وتحلّى جيد القرن الثاني بنوابغ رجالها ، دبّت الغَيرة في قلوب الوثنيين ، فأنشأ شيخهم آمونيوس السقاص المدرسة الفلسفية الوثنية التي فتحت لها خزائن مكتبة الاسكندرية المملوءة من مصنفات أجدادنا الاعلام ، وكان من نتائج ذلك أن علا شأن تلك المدرسة لاسيما في حكم القيصر يوليانوس الجاحد (٣٦١ ـ ٣٦٣م) ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩ . أما رؤساؤها فهم آمونيوس ، فبلوتينوس فبورفيروس فجامبليك فبروكلوس فداماسوس.

المسجون (١) الاساقفة الابرار وقد مرّت تراجمهم.

(٢) بنتينوس : ـ هو فيلسوف قبطي مسيحي ، ولد بالاسكندرية في أوائل القرن الثاني وتوفي سنة ٢٠٢ م . تولّى ادارة المدرسة اللاهوتية حوالي سنة ١٨١ م . ثم تركها سنة ١٩٠ م . حيث أوفده الاسقف ديمتريوس الى بلاد الهند لنشر كلمة الخلاص فيها ، ثم عاد الى الاسكندرية ومعه نسخة من انجيل القديس متى بخط البشير نفسه

باللغة العبرية كما يشهد بذلك أوسابيوس (ك ٥ ف ١٠). وهو أول من رتّب الابجدية القبطية، ونقل أسفار الكتاب المقدس الى هذه اللغة (راجع ص ٣٩) وقد مدحه اكليمنضس - تلميذه وخلفه في ادارة المدرسة - بقوله: «ان بنتينوس لهو أعظم الاساتذة وأكملهم» (راجع كتابه المتفرقات رقم ١)

(٣) اكليمنضس الاسكندري :- هو تيطس فلافيوس الفيلسوف الشهير. ولد سنة ١٥٠ م من والدين وثنيين، أرضعاه لبان الفلسفة الافلاطونية، غير أنه لما لم يجد فيها الحقيقة التي كان يصبو اليها، طاف في طلبها بلاد اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر حيث التقى بالعلامة بنتينوس فتتلمذ له، وبارشاده اعتنق الديانة المسيحية. وحوالي سنة ١٩١ م سامه الاسقف ديمتريوس قساً وسلمه ادارة المدرسة اللاهوتية، فظلّ يعلم بها حتى سنة ٢٠٢ م حيث ثار اضطهاد القيصر سويرس فتركها وذهب الى الكبادوك ويقال انه أخلف أسقفاً هناك كان قد فرّ من هذا الاضطهاد، ثم عاد اكليمنضس الى الاسكندرية بعد ان ساد السلام، وظل بها حتى مات بين سنتي ٢١٧ و ٢٢٠ م. ولهذا الفيلسوف مؤلفات عديدة في علم المنطق وفي النفس وفي عيد الفصح وفي النميمة والصبر كما يشهد بذلك أوسابيوس (ك ٦ ف ١٣). ومن أهم مؤلفاته كتاب «المربي» وكتاب «من هو الغني الذي يخلص» وكتاب «نصائح للأمميين» وكتاب «المتفرقات»

ولم تزل هذه المؤلفات الثمينة محفوظة حتى اليوم. واكليمنضس هو القائل : « إن الدين المسيحي وارث الماضي وترجمان المستقبل» .

(٤) **أوريجانوس** [١] (١٨٥-٢٥٤م) :- هو فيلسوف قبطي [٢] ولد بالاسكندرية من أبوين مسيحيين . فتلقى مبادئ علومه عن أبيه

---

(١) ويسمى أدامنتينوس الذي تعريبه « ألماس » . (أوسابيوس ك ٦ ف ١٤) وانما سمي أوريجانوس بهذا الاسم اشارة الى نقاء أفكاره وعدم كلاله من العمل .

(٢) جاء في ص ٢٥ من كتاب «برهان الكنيسة الشرقية» الذي طبعه تلاميذ مدرسة اليونان بمدينة رومية سنة ١٧٠٢ م ما يأتي: « انما دُعي الآباء الشرقيون يونانيين لانهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية، ونحن متثبّتون من ان اغناطيوس وباسيليوس وأوريجانوس وغريغوريوس أسقف نيصص والنزينزي وصانع العجائب والذهبي الفم ، لم يكونوا من جنس يوناني بل بعضهم سرياني وبعضهم بنطي وبعضهم قبطي . ولذلك نرى القديس ايرونيموس لا يدعوهم يونانيين بل كتبة اللغة اليونانية » . هذا ولما لم يكن أوريجانوس سريانياً ولا بنطياً فلابدّ أن يكون قبطياً. ولقد أيد السيد بولس مسعد الماروني قبطية أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة الاسكندرية في مواضع كثيرة من كتابه « الدر المنظوم » المطبوع سنة ١٨٦٣ م . وجاء في كتاب تاريخ الهرطقات لألفونسيوس ليكوري ص ٤١ : « ان أوريجانوس كان مصريّ الجنس » .

ليونيداس ثم استقرى دقائق الفلسفة ونبغ فيها بعد ان تلقنها عن الفيلسوفين الاسكندريين الشهيرين تيطس اكليمنضس وآمونيوس السقاص . ولما أثار القيصر سويرس الاضطهاد ضد المسيحيين ،قبض ليتوس حاكم مصر الروماني على أبي أوريجانوس وزجّه في السجن ثم أمر بقطع رأسه ومصادرة أمواله ، وكان صاحب الترجمة وقتئذ في السابعة عشرة من عمره ، وكان كامل العقل كثير التقوى، فأرسل الى أبيه رسالة يطمئنه فيها على أسرته ويرجوه ألا يكون جزوعاً عليها ويحذّره من النكوص لهذا السبب أو لغيره من الاسباب، ويحثّه على الاستشهاد وملاقاة الموت ببأس صادق وقلب جريء [1] .

ولما هدأ سعير الاضطهاد ، رأى أوريجانوس نفسه مضطراً الى العناية بأمر أسرته بعد موت عائلها ومصادرة أملاكها ، فأخذ ينشر علومه في نظير قليل من المال ، وما اشتهر أمره وعُرف فضله حتى ألقى اليه ديمتريوس أسقف الاسكندرية الـ١٢ ، مقاليد المدرسة اللاهوتية . فاستلم أوريجانوس ادارتها [2] وأخذ يدأب في اعلاء شأنها فأدخل اليها الرياضة والطبيعة والفلك والموسيقى [3] ، ولم يكتفِ بذلك بل بثّ في نفوس طلبته الاستخفاف بالموت في سبيل نشر التعاليم الالهية

(١) اوسابيوس ك ٦ ف ٢ .

(٢) استلم اوريجانوس ادارة المدرسة سنة ٢٠٢ م بعد اكليمنضس

(٣) اوسابيوس ك ٦ ف ١٨ وخطبتي صانع العجائب رقم ٧ و ٨ .

وكانت نتيجة هذا التيقظ والسعي ان خرّج ذلك المعهد العظيم أبطالاً بواسل كان يودعهم اوريجانوس ويحضّهم للمرة الاخيرة على الصبر والصلاة فيستقبلون مناقع العذاب كأنهم الأطواد الرواسي [١].

وقد تسبب عن هذه المظاهر المسيحية العالية ، أن حقد الوثنيون على صاحب الترجمة فقبضوا عليه وحلقوا رأسه على طريقة كهنتهم ثم أدخلوه معبد سيرابيس وأعطوه سعف النخل ليوزعه على عبدة الاوثان الذين كانوا يسخرون منه ويهزءون به . فما كان من اوريجانوس إلا ان صرخ بصوت كالرعد القاصف قائلاً : « هلموا اليّ لتأخذوا هذه الاغصان لا بصفتها أغصان هيكل وثني بل باسم الرب يسوع مخلص العالم » [٢]

ولما كانت أعمال فلاسفة ذلك العصر تناقض اقوالهم ، هجرهم تلاميذهم ليتبعوا اوريجانوس الذي كانت أقواله تنطبق تمام الانطباق على أعماله [٣]. فكان يصوم معظم أيامه ولا يأكل إلا ليدرأ عنه ألم الجوع وينام على الارض بغير غطاء ولا وسادة ويسير حافياً ، ويقطع نهاره في الوعظ والارشاد وليله في الدرس والعبادة [٤] واذ تسلّط عليه الخوف من فقدان عفته خصى نفسه فراراً من التجربة .

وفي سنة ٢١٥ م . أثار القيصر غايوس كاراكلاّ اضطهاداً بسبب أوريجانوس فاضطرّ هذا الفيلسوف الى هجر وطنه قاصداً قيصرية

(١) اوسابيوس ك٦ ف٣ و٤ و٥
(٢) ايفانيوس هرطقة ٦٤ : ١
(٣) صانع العجائب خطبة رقم ٩ ـ ١١
(٤) اوسابيوس ك٦ ف٣

فلسطين حيث احتفل به المسيحيون ودعوه للوعظ والارشاد ، وقد لقبه كل من الكسندروس اسقف اورشليم وتيوسيستوس اسقف قيصرية فلسطين «بأمير شراح الكتب المقدسة » (١) ولما استبطأ فرميليانوس (اسقف قيصرية الكبادوك) حضور ذلك الفيلسوف الى اسقفيته ، أسرع الى فلسطين ليستقي العلوم المقدسة ممن كان يفتخر بأن يدعوه استاذه (٢)

وقد ذهب أوريجانوس الى بلاد العرب لدحض بدعة «موت النفس مع الجسد» (٣) التي انتشرت هناك، ثم عاد الى الاسكندرية بناءً على أمر ديمتريوس حيث وضع معظم تآليفه، وقد ساعده على نشرها امبروسيوس المثري الاسكندري الشهير الذي مات شهيداً بعد ان اعتنق المسيحية على يد صاحب الترجمة (٤) . وفي سنة ٢٢٦م استدعته ماميا (أم القيصر اسكندر سويرس) الى انطاكية فتوجه اليها ووعظ الشعب الذي سُرَّ به سروراً كبيراً (٥) وفي سنة ٢٢٨م أذن له الاسقف ديمتريوس أن يتوجه الى أخائية ببلاد اليونان ليقاوم الهراطقة الذين أقلقوا راحة الكنائس هناك (٦) وعند رجوعه مرّ بفلسطين حيث سيم كاهناً من يد اسقفها

(١) اوسابيوس ك٦ ف٢٧

(٢) اوسابيوس ك٦ ف٢٧ وايرونيموس في «مشاهير الرجال» ف٥٤

(٣) اوسابيوس ك٦ ف ٣٧

(٤) دا. مع. فر. تحت كلمة Origène

(٥) اوسابيوس ك٦ ف ٢١

(٦) اوسابيوس ك٦ ف٢٣ و٣٢ .

تيوسيستوس بالاشتراك مع ألكسندروس اسقف اورشليم اللذين استصوبا ان لا يظل «استاذ الاساقفة» مجرداً من الدرجة الكهنوتية[١]. غير ان ديمتريوس اعتبر هذه السيامة تعدياً على حقوقه، فعقد مجمعاً بالاسكندرية سنة ٢٣١م حرم فيه اوريجانوس لأنه خصى نفسه ولأنه سيم من اسقفين غير تابعين للكرازة المرقسية[٢]. ولما علم اوريجانوس بذلك هجر بلاده المصرية ـ بعد ان خدمها ٢٨ سنة ـ قاصداً فلسطين حيث اسس مدرسة لاهوتية امّها الكثيرون من طلاّب العلم[٣]. وهكذا استضاءت بمشكاة هذا الامام ـ وهو في منفاه ـ طائفة كبيرة وتنصّر على يديه خلق كثير بينهم القديس غريغوريوس صانع العجائب وأخوه اثينودور[٤].

وفي سنة ٢٣٢ م مات ديمتريوس فخلفه ياروكلاس ثم ديونيسيوس تلميذا اوريجانوس[٥]، وكان هذا الأخير أشد الناس تعلقاً باستاذه فكتب اليه رسالة يعزّيه فيها ويصبّره على ما نزل به، وينهي اليه ان اسمه سيظل محبوباً محترماً الى الابد، ويدعوه للعودة الى مصر وطنه ليستأنف جهاده فيها[٦]. غير ان اوريجانوس فضّل الاقامة بفلسطين ليتم ما كان قد

(١) اوسابيوس ك٦ ف٢٣ وايرونيموس في «مشاهير الرجال» ف٥٢
(٢) ايرونيموس في «مشاهير الرجال» ف ٦٢
(٣) اوسابيوس ك٦ ف ٢٦
(٤) اوسابيوس ك٦ ف٢٦ و٢٧ و٣٠ «ومشاهير الرجال» ف٥٤ و٦٥
(٥) أوسابيوس ك ٦ ف ٢٦
(٦) اوسابيوس ك ٦ ف٢٧ و٣٢

بدأ به هناك ، ومن ثم طاف معظم بلاد ذاك الاقليم وفينيقية وبلاد اليونان مبشراً بكلمة الله[١] ثم قصد بلاد العرب وجادل اسقفها بيرلّس وحاجّه في مجمع انعقد يبسطرة[٢] سنة ٢٤٤ م ذلك ان بيرلّس كان يعتقد بعدم وجود الاقنوم الثاني قبل ان يولد من السيدة العذراء، وبأن نفس السيد المسيح التي اتحدت بجسده ، تفوق كل النفوس البشرية لانها جزء من الطبيعة الالهية. فدفع اوريجانوس قوله ، وزيّف اعتقاده ثم ردّه الى الحق فوفى بيرلس لذلك العلاّمة وأصبح بعد ذلك من أكبر أصدقائه وأشدّ المدافعين عنه[٣] .

وفي سنة ٢٤٩ م مات القيصر فيلبس وخلفهُ ديسيوس الطاغية، الذي كان يمقت المسيحيين مقتاً شديداً، فهاج هائجه عليهم وأثار الاضطهاد ضدهم قاصداً بذلك شخص اوريجانوس ، إذ اعتبرهُ أساس المسيحية الذي إن تهدّم سقط البناء بتمامه ، وهكذا قبض الوثنيون في فلسطين على اوريجانوس وهو شيخ طاعن في السن فألقوا به بين جدران السجن بعد ان ثقّلوا عنقهُ بالحديد وأذاقوهُ العذاب الواناً[٤] وكان قصد معذّبيه

(١) أوسابيوس ك ٦ ف ٣٣ و ٣٧

(٢) بسطرة أو بسترة مدينة حوران بفلسطين جنوبي دمشق خربت سنة ١١٨٠

(٣) أوسابيوس ك ٦ ف ٣٣ وايرونيموس في «مشاهير الرجال» عن بيرلس ف ٦٦ وسقراط ك ٣ ف ٧

(٤) أوسابيوس ك ٦ ف ٣٩ وفريبيل في كتابه « أوريجانوس » م ٢ ص ٤١٣ و ٤١٤

ان يخلعوا قلبهُ ليكفر بدين المسيح ، غير ان هذا الشيخ الجريء — كما يقول فريبيل [(١)] ـ استمر ثابتاً كالصخر لأن الذي يحثّ أباهُ على الاستشهاد وهو صبي والذي يقضّي خمساً وستين سنة يرقب نفوس المستشهدين تصعد الى خالقها، لا ينتظر منه ان تتزلزل أقدامهُ أو تخور عزيمتهُ ازاء العذاب مهما كان أليماً [(٢)]. ومما يجدر بالذكر في هذا المقام ان ديونيسيوس البابا الاسكندري قد رأى من الواجب عليه ان يؤدي لاوريجانوس ابيه الروحي ما أدّاه هـذا لليونيداس أبيه الجسدي، فأهداه وهو في سجنه مؤلفاً نفيساً على الاستشهاد [(٣)].

ولما مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١م أطلق اوريجانوس من سجنه فاستأنف التبشير بالانجيل وكتب رسائل عـديدة الى أصدقائه وألقى مواعظ كثيرة وظل يفيض الحكمة التي فجّر الله ينابيعها على لسانهِ حتى رقد بالرب سنة ٢٥٤م في مدينة صور بفلسطين وعمره إذ ذاك ٦٩ سنة [(٤)]. وماعلم ديونيسيوس بذلك الخطب حتى كتب الى تيوسيتوس

---

(١) هو شارل اميل فريبيل « Freppel » كاتب وسياسي فرنسي (١٨٢٧ـ١٨٩١) سيم كاهناسنة ١٨٤٩ ثم اسقفاً على انجير « Angers » بفرنسا سنة ١٨٧٠م. حضر المجمع الفاتيكاني (١٨٧٠م) وعضد فيه القائلين بعصمة « البابا الروماني » وبرياسته على جميع الكنائس المسيحية !!!

(٢) فريبيل م ٢ ص ٤١٤ و٤١٥

(٣) أوسابيوس ك ٦ ف ٤٦

(٤) أوسابيوس ك ٧ ف ١ وفريبيل م ٢ ص ٤١٥

اسقف قيصرية فلسطين، رسالة اثبت فيها ماللمعلم من المآثر على الكنيسة بنوع عام وعليه بنوع خاص "[١]. وقد اهتم مسيحيو صور بجسد اوريجانوس اهتماماً عظيماً، فدفنوه ازاء المذبح وغطوا القبر بباب من الرخام وكتبوا عليه: « هنا يرقد اوريجانوس العظيم » . وقد شاهد الكاتب غليوم الصوري[٢] هذا القبر والباب الرخامي في أواخر القرن الثاني عشر[٣] .

مؤلفات اوريجانوس:ـ ان مؤلفاته الجزيلة المباحث عديدة جداً تربو على الستة الآف مصنفاً كما يقول القديس ايفانيوس[٤]. ويقول ايرونيموس: «ان القارئ مهما كان مولعاً بالمطالعة لا يستطيع أن يتصفح جميع الأسفار التي دبجها يراع صاحب الترجمة لكثرتها»[٥] ففي مدة اقامته بالاسكندرية للمرة الاولى الّف كتاباً «في القيامة» وألحقه بكتاب «المتفرقات» ثم بكتاب «المبادئ»[٦] وهو الكتاب الذي أخطأ الكثيرون

(١) فوتيوس بطريرك القسطنطينية (٨١٥ ـ ٨٩١ م) في مؤلفه « المكتبة » ف ٢٣٢

(٢) هو رئيس أساقفة صور ولد حوالي سنة ١١٣٠م ومات سنة ١١٨٣م وله كتاب في تاريخ الحروب الصليبية الاولى .

(٣) فينسنزي م ٢ ص ٤٢١ و ٤٢٢ .

(٤) ايفانيوس «الهرطقة الـ ٦٤ رقم ٦٣ » .

(٥) رسالة ايرونيموس الـ٨٤ رقم ٨ وهي التي بعث بها وهو في بيت لحم الى باكيوم برومية .

(٦) اوسابيوس ك ٦ ف ١٨ و ٢٤ .

في اتهامه بالهرطقة كما سنبين ذلك . ولما نفي اوريجانوس الى فلسطين كما مرّ ، وضع الشطر الأعظم من مؤلفاته الثمينة وفي مقدمتها الكتاب المقدس في خمسين مجلداً على ثلاثة أوضاع : يشتمل الوضع الأول على أربعة جداول ، كتب في أولها الترجمة السبعينية ، وفي ثانيها ترجمة أكويلا (١) ، وفي ثالثها ترجمة سياخوس (٢) ، وفي رابعها ترجمة تاؤدوسيون(٣) . ويشتمل الوضع الثاني على ستة جداول هي عبارة عن الاربعة الاولى مضافاً اليها النص العبري بحروف عبرية ثم نفس النص بحروف يونانية . ويشتمل الوضع الثالث على ثمانية جداول هي عبارة عن الستة السابقة مضافاً اليها الترجمتان اللتان عثر عليهما اوريجانوس في مدينتي أريحا (Jericho) ونيكوبوليس(٤) (وهما بفلسطين). ومن مؤلفاته أيضاً كتاب في الصلاة وآخر في الاستشهاد، وفي سنة ٢٤٩م وضع أشهر كتبه ضد الفيلسوف كلسوس إثباتاً لصحة الديانة المسيحية وفساد المبادئ الفلسفية الوثنية . هذا عدا تفاسيره للاسفار المقدسة وعظاته التي لم يسمح لأحد بنقلها إلاّ في سنيه الأخيرة ، فبلغ ما

---

(١) هو من البنطس ومن معاصري القيصر ادريانوس وقد اعتنق الديانة المسيحية في القرن الثاني .

(٢) هو مسيحي من فلسطين عاش في أيام القيصر مرقس اوريليوس

(٣) هو من افسس وقد تنصر وترجم التوراة حوالي سنة ١٨٠م.

(٤) راجع دا . مع . فر . تحت كلمة Origène . وكتاب تاريخ الهرطقات لالفونسيوس ماريا دي ليكوري ص ٤٢ .

نقله الناقلون الف عطفة وتيفاً .

الاوريجانية وتباين الآراء فيها :— كتب الكثيرون من الكتّاب في موضوع اوريجانوس، فلم يتعرّض واحد منهم للطعن في أخلاقه، بل أجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه، معتمدين في ذلك على اوسابيوس الذي قال: « كانت حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته »[١] أما فيما يختص بالآراء الفلسفية المسيحية التي أثبتها اوريجانوس في مؤلفاته، فقد اختلف اللاهوتيون بشأنها، فعدّها بعضهم ارثوذكسية لا غبار عليها، وقال البعض الآخر إن اوريجانوس هام في أودية الفلسفة الافلاطونية الوثنية، ولشدة ولعه بها استبهمت عليه معالم القصد فضلّ الطريق ووضع الاساس الذي بنى عليه الهراطقة هرطقاتهم.

واننا لو تتبعنا بنزاهة أثر الحقيقة، لعلمنا ان اوريجانوس لا يصح أن يكون ناقلاً في مؤلفاته المسيحية بعض الآراء الوثنية، في وقت كان يحذّر فيه تلميذه غريغوريوس صانع العجائب من الرجوع فيما يختص بالدين الى الفلسفة البشرية[٢] فضلاً عن ان هذا العلاّمة يقرر في كتابه « المبادئ » وجوب نبذ أكثر ما يقوله اساتذة فلاسفة اليونان لانهم ينشرون آراء كثيرة فاسدة[٣].

(١) اوسابيوس « تاريخ كنسي » ك ٦ ف ٣ .

(٢) راجع غريغوريوس صانع العجائب في دفاعه عن اوريجانوس. وقد ولد غريغوريوس هذا سنة ٢١٥ ومات سنة ٢٧٠ م وسيم اسقفاً على قيصرية الجديدة بالبنطس.

(٣) مقدمة كتاب « المبادئ » رقم ٢

ولا يتوهمنّ القارئ مما نورده من تلك الادلة القاطعة اننا نتأهب لنكران رسوخ قدم الفيلسوف الاسكندري في الفلسفة الافلاطونية ، أو للقول بانه لم يُدخل في تعاليمه المسيحية بعض مبادئ تلك الفلسفة الا اننا على يقين من ان ما قرره اوريجانوس من المبادئ الفلسفية الافلاطونية لم يكن غريباً عن روح الديانة المسيحية أو مناقضاً لها . ومن أدلّتنا على ذلك ، الرسالة التي بعث بها الى تلميذه صانع العجائب اذ جاء فيها : « كما ان العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وبفضتهم تابوتَ العهد والكاروبَين وأواني المذبح ، كذلك يجب علينا نحن المسيحيين ان نصنع بفلسفة اليونان ، فلننقل الى هيكل الحكمة الالهية هذه الزينات التي دُسيء اربابُها استعمالها ، فلنأخذ عن اللغة اليونانية – التي طالما استُعملت لمدح الضلال والرذيلة – عذوبتَها وطلاوتَها ، لنزيّن « حقيقتنا الناصعة » بالزينة التي طالما ألبسوها « بُطلهم وبهتانهم » . فلنجعل إله الشر قوةً للخير ، ولكن حذارِ من الترّهات التي تكسوها هذه الزينات ، حذارِ من أن ننقل شيئاً منها الى دين الحق لئلا نضلّ ونكون مثل يروبعام الذي تزوج بابنة ملك مصر وعاد مع عروسه الى إسرائيل فأبدل عبادة الاله الحقيقي بعبادة اصنام المصريين » (١)

ويتضح من هذه الرسالة ومن غيرها (٢) فساد دعوى الذين يلصقون

---

(١) رسالة اوريجانوس الى صانع العجائب رقم ٢ .

(٢) راجع مقدمة كتاب « المبادئ » لاوريجانوس ، رقم ٢ .

الآراء الوثنية بمؤلفات بطل الارثوذكسية وأمير الفلسفة المسيحية[1]

واننا قضاءً لحق هذا البحر الزاخر واعترافاً بفضله على المسيحية، سنكشف قناع الشك عن محيّا اليقين باثبات ردٍ موجز على كل تهمة من التهم الموجهة اليه حتى لا يقال اننا ممن يكتمون النعمة ولا ينشرون الجميل

ادّعى خصوم اوريجانوس أنه يعتقد بما يأتي :—

(١) إن الانفس خُلقت قبل أجسادها وحُبست فيها لمعاص ارتكبتها[2]

(٢) إن نفس المسيح خلقت واتحدت باللاهوت وذلك قبل زمن التجسد

(٣) إن الشياطين والهالكين يخلصون .

(٤) إن الاجساد الحقيقية لا تقوم في يوم النشور ويستعاض عنها بأجساد أخرى.

(٥) إن الارواح تتقمّص .

(٦) إن عوالم كثيرة خُلقت قبل هذا العالم وستُخلق كذلك عوالم أخرى بعده .

والحقيقة ان هذه التعاليم الفاسدة لا أثر لها في مؤلفات اوريجانوس ولم تظهر إلا في الترجمات اللاتينية التي وضعها من بعده روفينوس

(١) راجع كتاب باسيليوس الكبير في تقريظه صانع العجائب.

(٢) يقصد خصوم اوريجانوس أن يجعلوه يعتقد بأن النفوس البشرية خلقت مع الملائكة في مكان واحد وزمان واحد ثم ارتكبت بعض المعاصي فانحدرت بسبب ذلك الى الارض واتحدت باجساد كثيفة عقاباً لها .

الأكويلي القائل في مقدمة كتابه: «إني لم أتصدّ الى إصلاح عبارات اوريجانوس إلا بقصد تهذيبها» ! غير أن هذا الاصلاح لم يَقُم دليلاً على ذكاء المترجم اللاتيني الذي أدخل على تلك المؤلفات السامية كلاماً سخيفاً فاسداً، وذلك ما دعا انسطاسيوس البابا الروماني (٣٩٨-٤٠٢) الى توقيع الحرم على ترجمة روفينوس دون الاصل اليوناني (١) .

وإننا إن لم نسلّم بأن تنسب هذه الآراء السقيمة الى اوريجانوس فليس ذلك استناداً على ما تقدم، بل نظراً لِما ورد في مؤلفات هذا العلاّمة مما ينقضها تمام النقض .

التهمة الاولى:- هي المختصة بخلق النفوس قبل أجسادها . وقد خالف أوريجانوس هذا الرأي الفاسد بقوله: «ان النفس البشرية خلقت في اليوم السادس عند ما نفخ الله في آدم وكان ذلك بعد خلق الملائكة» (٢) وقال أوريجانوس أيضاً في هذا الصدد : « ان النفس البشرية المخلوقة على صورة الله هي ذلك الانسان الاول الذي قال عنه سفر التكوين إنه خُلق في اليوم السادس وان الرب الاله قد غرس له جنةً في عدن شرقاً (تك ٢ : ٨) (٣) أما انحدار النفوس الذي تكلم عنه خصوم

(١) راجع رسالته الى يوحنا اسقف اورشليم
(٢) راجع «المبادىء» ك٢ ف٨ : ١ وك٣ ف٥ : ١ وف٦ : ١ وتفسير سفر التكوين ك١ ف١١ و١٢ ومؤلفه ضد كلسوس ك٤ ف٥٥ وك٦ ف٢٣
(٣) راجع ميمره على أرميا النبي (١ : ١٠) .

اوريجانوس فلم يكن غير انحدار الملائكة الذين سقطوا ، كما يتضح ذلك من الكتاب الثالث «للمبادئ» (ف٥) وكذلك من ميمره على حزقيال النبي (١٣:١) .

التهمة الثانية : ـ هي المختصة بخلق نفس المسيح قبل تجسده. ويظهر بطلانها مما أورده اوريجانوس في «المبادئ» وفي مؤلفه ضد كلسوس وتفسيره انجيل يوحنا والمزامير حيث ورد : «ان الكلمة أخذ جسداً بنفس ناطقة وذلك عند التجسد لا قبله ولا بعده»[1] . وجاء في الكتاب الثاني من المبادئ (٣:٤) : « ان نفس المسيح منذ خلقها وجدت متحدة بالكلمة اتحاداً لا انفصال بعده ولا افتراق » .

التهمة الثالثة :ـ هي المختصة بخلاص الشياطين والهالكين . ولا شك في ان هذه التهمة ـ ككل تهمة غيرها ـ إنما أساسها سوء إدراك ما يرمي اليه « فيلسوف المسيحية » من المعاني ، لأن اعتقاد اوريجانوس في هذا الصدد لا يخرج عن قوله بأبدية النعيم وأبدية الجحيم. وقد زاد على ذلك ، ان الملائكة قسمان : قسم أطاع فخلص خلاصاً أبدياً ، وقسم سقط فهلك هلاكاً أبدياً ، وأما الجنس البشري فرغماً عن سقوطه في خطيئة آدم الأصلية، يمكنه أن يخرج من الهوة التي وقع فيها ويتحد بالله وبملائكته الابرار ، غير أن الذين يسترسلون في ضلالهم يصبحون

(١) «المبادئ» ك ٤ ف٣١ ، ومؤلفه ضد كلسوس ك ٣ ف ٤١ ، وتفسير انجيل يوحنا م ١ ف ٣٠ ، وتفسير المزمور ٣:٤٢

عبيداً للشيطان فيهبطون في الهاوية الأبدية [١].

التهمة الرابعة: ـ هي المختصة بعدم قيامة الاجساد نفسها. وقد اعترف اوريجانوس بما يناقضها اذ قال بقيامة عين تلك الاجساد التي توسدت الأرض وحُلّلت الى تراب، معلناً ان بولس يلبس جسد بولس وبطرس يلبس جسد بطرس وكل انسان يلبَس جسده الخاص به، لانه لا يصح ان تخطئ النفس في جسد وتعاقَب في جسد آخر، ولا ريب في ان الله العادل يتوّج الأجساد نفسها التي سُفكت دماء أصحابها في سبيل المسيح [٢].

إدّعى ايرونيموس في كتابه ضد يوحنا اسقف اورشليم رقم ٢٩، أن اوريجانوس اعتقد بتغيير شكل الاجساد بعد قيامتها، وبأنها تأخذ أشكالاً كُرَوية كالشمس والنجوم وسائر الكواكب: غير أن هذه

---

(١) كتاب «المبادئ» ك١ ف٦: ٢و٣ ومؤلّفه ضد كلسوس ك٥ ف ٣٠ـ٣٣ ومجموعة المجامع للابّيه « Labbé » ص ٣٤٩و٣٥٠. ولابّيه هو فيلبس لابّيه (١٦٠٧—١٦٦٧) من جمعية الجزويت، واليه تنسب « مجموعة المجامع ».

(٢) راجع تفسير اوريجانوس للمزمور الاول، وكتابه «المبادئ» ك ٢ف٢: ٢ وك٣ ف٦: ٧، ومؤلفه ضد كلسوس ك٥ف٢٣، وتفسيره انجيل متى م١٧ف٣٥ الخ الخ. ولقد قال ايرونيموس عدوّ اوريجانوس المبين: «من يستطيع ان يدّعي ان اوريجانوس أنكر قيامة الاجساد؟» (راجع كتابه ضد يوحنا اسقف أورشليم).

الدعوى لا أثر لها إلا في مخيّلة مدّعيها ، لأن أوريجانوس لم يشبّه الاجساد البشرية بالكواكب إلا في البهاء[١] معتمداً في ذلك على قول بولس الرسول : « ومن الاجسام ما هو سماويّ ومنها ما هو أرضيّ ولكنّ مجد السماويات نوع ومجد الأرضيات نوع آخر . فبهاء الشمس نوع وبهاء القمر نوع آخر وبهاء النجوم نوع آخر . ولبعض الكواكب فضل في البهاء على بعض » (١كو١٥: ٤٠و٤١)

وفوق ذلك فان أوريجانوس قال بصريح العبارة ان بولس الرسول شبّه أجساد الأشرار بعد القيامة بالبهائم وأجساد الابرار بالكواكب (١كو١٥ :٣٩و٤٠) ، إلا انه يجب ألاّ نقول بأن الاشرار في آخر الأيام يلبسون أجساد البهائم أو إن الابرار في يوم البعث يتحوّلون الى كواكب[٢]

التهمة الخامسة : ـ هي المختصة بتقمّص الأرواح . وقد ذاعت في حياة اوريجانوس وبلغت مسامعه، فقال في ميمره السادس عشر على أرميا النبي (١٦: ١) وفي رسالته التي بعث بها الى تلاميذه الاسكندريين: « ان هذا الرأي لا يمكن أن يخطر لمجنون في منامه » . هذا فضلاً عن ان اوريجانوس قد فنّد القول بتقمّص الارواح في مؤلفه ضد الفيلسوف كلسوس (ك ١ ف ١٣ وك ٤ ف ٥٦ و ٦١)

---

(١) راجع كتاب « المبادئ » ك٢ ف١٠: ٢ وك٣ ف٦: ٤

(٢) راجع كتابه الثاني على القيامة. وهذا التصريح مذكور أيضاً في مؤلف بمفيليوس على اوريجانوس .

التهمة السادسة : ـ هي المختصة بخلق عوالم كثيرة : غير ان اوريجانوس لم يقل إلا بثلاثة عوالم ، عالم الملائكة ، وعالم الجنس البشري ، والعالم الذي يتكوّن بعد البعث من اتحاد العالمَين المتقدمين (١) فاعترضه الفلاسفة الوثنيون ـ الذين كانوا يعتقدون بأكثر من هذه العوالم الثلاثة ـ بقولهم : « اذا كان الله لم يخلق غير هذه العوالم التي لكل منها بداءة ، فما الذي كان يعمله قبل ذلك ، أكان بلا عمل ؟ كلاّ بل كان يعمل في عوالم أخرى سلفت وتقدمت ، بحيث كان يسبق الواحدُ الآخر الى ما لا نهاية له » (٢) هذا هو اعتراض الوثنيين وقد دحضه الفيلسوف الاسكندري بقوله : « ان كل ما وُجد ، لم يبدأ الله بايجاده ، بل هو أزليّ موجود قبل كل الدهور » (٣) غير ان خصوم صاحب الترجمة قد استنتجوا من هـذه العبارة التي خلعت عليها الفلسفة زخرفها ، ان اوريجانوس كان يعتقد بأزلية الخليقة ، على ان هذا الاستنتاج لا يدل على توقّد ذهنهم ودقيق فهمهم لأقوال ذلك العلاّمة الذي استنزف أيامه في معاناة العلم ، اذ لو تصفحوا كتابه « المبادئ » ، لعلموا انه كان يشير بهذا القول الى ما وراء الطبيعة وليس الى عالمنا الطبيعي الذي له بداءة . ومن الادلة على ذلك قوله : « ان العوالم الثلاثة المحدودة

(١) « المبادئ » ك ٢ ف ٣ : ٦ وك ٣ ف ٥ : ٣
(٢) « المبادئ » ك ٣ ف ٥ : ٣
(٣) مجموعة الجامع للابيّه م ٦ ص ٣٤٩ — ٣٥٠

في الزمن ، هي صورة عن أصل ، وان هذا الأصل أزليّ غير محدود في الزمن لوجوده في الله الازليّ غير المحدود في الزمن ، كالبناء الذي هو صورة عن أصل محفوظ في مخيّلة المهندس (١) . ويمكن القول بأن مثَلَ الله إزاء خليقته قبل إبداعها ، مثَلُ الشاعر أمام قصيدته قبل إثباتها في القرطاس (٢) وعلى ذلك كان العالم أزلياً أبدياً عند الله الأزلي الأبدي.

قال اوريجانوس في كتابه «المبادئ» : «إنه لا يصح القول بأن الله بدأ بعمل من الأعمال أو شرع بمزاولة أمر من الامور» (٣) فأربكت هذه الأقوال - على بساطتها - ايرونيموس فيلسوف الغرب فاستنتج منها ان اوريجانوس كان يقول بتتابع العوالم ، وهي تهمة لا تخلو من اعتساف بعد ان حدّد صاحب الترجمة العوالم على ما مرّ بنا.

يزعم نفر من الكُتّاب المتأخرين أن ما قاله بعض الآباء المتقدمين ضد صاحب الترجمة كافٍ لاعتباره مجرماً إزاء المسيحية جانياً عليها ، غير أنه لو صحّ هذا الزعم ، لسقطت عن اوريجانوس كل التهم الموجّهة اليه ، لأن هناك آباء كثيرين قد كتبوا لصالحه. والرأي عندنا ان يطّلع القارئ على أقوال الطرفين ليتيسر له ان يرجع في الحكم الى ضميره ،

(١) « المبادئ » ك ١ ف ٢ : ١٠

(٢) « المبادئ » ك ١ ف ٢

(٣) « المبادئ » ك ١ ف ٢ ورسالة بولس أورُوزُس الى معلمه اغسطينوس في «مجموعة مؤلفات أغسطينوس» طبعة سنة ١٨٧٠ م . لفيفس «Vivès» الاسبانيولي (١٤٩٢ — ١٥٤٠م) م ٢٦ ص ٥٥٣

لا سيما اذا وصل الى الحقيقة ومسّها بكلتا يديه . واليك أقوال من رموا صاحب الترجمة بالهاجرات، متبوعةً بأقوال الذين أطنبوا فى فضائله وأطالوا فى الثناء عليه .

خصوم اوريجانوس:ـ(١) الاسقف ديمتريوس . حرم اوريجانوس فى المجمع الاسكندري الذي انعقد سنة ٢٣١ م . غير ان اوسابيوس وايرونيموس يقرّران معاً «ان هذا الحرم لم يتوقع على هرطقة أو بدعة» [١] فضلاً عن ان جميع الاساقفة المعاصرين لم يعتدّوا بذلك الحرم وظلّوا فى شركة اوريجانوس حتى آخر نسمة من حياته . ولو فرضنا استمرار ذلك الحرم فى عهد ديمتريوس فلا يمكن أن يكون قد ظلّ مستمراً فى عهد خليفته ديونيسيوس . ولقد جاء فى كتاب تاريخ الهرطقات ص٤٣ «انه لاصحة لما دوّنه بعض الكتّاب من ان الحكم الذي أصدره ديمتريوس ضد اوريجانوس قد بقي معمولاً به فى أيام خليفتيه ياروكلاس وديونيسيوس».

(٢) متوديوس اسقف اولمبيا [٢] . وضع ضد اوريجانوس ثلاثة مؤلفات : أولها فى موضوع «عرّافة عين دور» [٣] وثانيها فى موضوع

(١) اوسابيوس ك ٦ ف ٢٣ وايرونيموس فى مشاهير الرجال ف ٥٢

(٢) هي ميناء فى اقليم ليكيا بآسيا الصغرى. وقد نقل متوديوس فيما بعد الى اسقفية صور بفينيقية ومات سنة ٣١٢م فى بلاد اليونان .

(٣) عين دور هي مدينة بفلسطين. وهذه العرّافة هي التي على يدها ظهر صموئيل النبي لشاول ملك اسرائيل (١ مل ٢٨) .

«الخليقة»، وثالثها في موضوع «القيامة»[١] غير ان سقراط أثبت في تاريخه الكنسي ان متوديوس في آخر أيامه قد أدرك خطأه في إضماره العداء لاوريجانوس، فوضع كتاباً نفيساً ذكر فيه اسم خصمه بكل احترام ووقار واعجاب[٢].

(٣) إيفانيوس اسقف قبرص[٣]. أفرد في مؤلفه: «الهرطقات» فصلاً مطولاً ضد اوريجانوس، اعتبره فيه صاحب الهرطقات التي فنّدناها. ولم يكن ايفانيوس أول من اكتشف هذه البدع، ولكنه أول من دوّنها، فنقلها عنه معظم الذين نادوا بضلال اوريجانوس، وفي جملة هؤلاء، أكثر الكُتّاب العصريين الذين لم يأتوا في مؤلفاتهم على تاريخ هذا النابغة إلا عَرَضاً. وقد وردت ترجمة هذا الفيلسوف في حاشية بالسنكسار «الصادق الأمين» نقلاً عن تاريخ سوريا[٤] - ملوّثة بالهرطقات التي دوّنها ايفانيوس في كتابه اعتماداً على اشاعات لم يُعرف مروّجوها! ولقد قال اوريجانوس في ميمره الخامس والعشرين على القديس لوقا: «انه من دواعي سرور اعدائي، أن ينسبوا اليّ آراء لم اتصوّرها ولم

(١) فوتيوس في مؤلفه «المكتبة» ف ٢٣٤ و٢٣٥ و ٢٣٦

(٢) سقراط ك ٤ ف ١٣

(٣) ولد بين سنتي ٣١٠ و ٣٢٠ في فلسطين وتوفي سنة ٤٠٣م. تعلم في مصر وعاشر رهبانها طويلاً وسيم اسقفاً على قبرص سنة ٣٦٧م.

(٤) وضع هذا التاريخ السيد يوسف الدبس الماروني وطبعه في المطبعة العمومية ببيروت سنة ١٨٩٣ م.

تدُرِ بحَ-لَدي». هذا ولو علمنا ان ايفانيوس كان - على ما عُرف به من التقوى - بسيطاً سريع التصديق يؤثر فيه أول قول يسمعه [١]، لحكمنا بأنه كتب ما كتب ضد اوريجانوس بعامل سلامة النية وطهارة الضمير

(٤) توفيلس بابا الاسكندرية ال٢٢: - كان من أشد أنصار اوريجانوس ومن أعظم المعجبين به (٢) وكان مشاركاً الاخوة الطوال (٣) في مخاصمة أيفانيوس اسقف قبرص لاعتباره اوريجانوس هرطوقياً، غير أن توفيلس لما وقع الخلاف بينه وبين هؤلاء الأخوة، غيّر معتقده في اوريجانوس. فحرمه وحرمهم معاً (٤). ولقد توجه هؤلاء الاخوة بعد ذلك الى القسطنطينية؛ حيث شكوا أمرهم الى اسقفها يوحنا الذهبي الفم الذي بعد ان فحص دعواهم وثبتت له صحة عقيدتهم، قَبِلهم في شركته. ونظراً لما كان بين الذهبي الفم وبين توفيلس من العداوة القديمة؛ انتهز هذا الأخير تلك الفرصة، فعقد مجمعاً في خلقيدون سنة ٤٠٣م، حرمه

---

(١) راجع أخبار القديسين للسيد مكسيموس مظلوم م٣ص٦٥. ودا. مع. فر. تحت كلمة «Epiphane» .

(٢) سقراط ك ٦ ف ١٠ وسوزومين ك٨ ف ١٤ ودا. مع. فر. تحت كلمة « Théophile »

(٣) وهم الرهبان ديوسقورس (غير ديوسقورس بابا الاسكندرية ال٢٥) وامونيوس واوسابيوس وانتيموس، واول هؤلاء الاخوة قد سامه البابا توفيلس أسقفاً على هرموبوليس. وإنما سُمّوا طوالاً لطول قامتهم.

(٤) سقراط ك ٦ ف ١٠

فيه بعد ان اتهمه «بالأوريجانية». والأوريجانية التي اتُّهم بها الذهبي الفم وحُرم بسببها، هي هرطقة وهمية قد يتذرع بها ذوو الاغراض لتنفيذ أغراضهم، بدليل انه لما نفي الذهبي الفم عاد توفيلس فتمسك بما كان قد سمّاه « بالآراء الأوريجانية» فصالح أوسابيوس وانثيموس (وهما من الاخوة الطوال) وأخذ يسعى في تحسين سمعة الاخوين الآخرين ديوسقورس وآمونيوس اللذين تُوُفيا قبل ذلك بزمن يسير.

(٥) ايرونيموس:ـ أصبح بسبب منازعاته مع روفينوس الاكويلي[١]، من أكبر خصوم اوريجانوس. ونحن نكتفي هنا بايراد ما قاله هذا الفيلسوف الغربي عن صاحب الترجمة قبل أن يحمل عليه حقداً أو يبطن له غلاً، قال: «لم يكن اوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح له أمراء الكتّاب[٢]، أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف(٣)، بل كان بلاجدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل (٤) ولا مشاحة في أن آراءهُ تعبّر عن الارثوذكسية التي لم يشُبها ضلال،

---

(١) نقل روفينوس الى اللاتينية مؤلفات اكليمنضس الاسكندري وكذلك دفاع بمفيليوس عن اوريجانوس وأيضاً كتاب « المبادئ». غير انه لم يراعِ أمانة النقل (دا. مع. فر. تحت كلمة Rufin).

(٢) راجع مقدمة تفسير ميخا النبي لايرونيموس

(٣) رسالة ايرونيموس لداماسوس البابا الروماني (٣٦٦ـ٣٨٤م) عن ميامر اوريجانوس على سفر « نشيد الاناشيد ».

(٤) راجع مقدمة ايرونيموس على الأسماء العبرية.

أما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم إلاّ كلاب كابِة » [١]

وقد أضاف انتيباتير أسقف بُسطرة الى عداد خصوم اوريجانوس، القديس بطرس بابا الاسكندرية الـ١٧ وخاتمة الشهداء ، غير ان ذلك القول هو محض كذب على التاريخ وافتراء صِرف على القديس الشهيد الذي لَقّب بيروس (مدير المدرسة اللاهوتية في عهد البابوين الاسكندريين ديونيسيوس ومكسيموس) «بأوريجانوس الجديد» [٢]، إحياءً لذكرى «اوريجانوس العظيم» . هذا فضلاً عن ان بمفيليوس قد أتحى باللائمة على خصوم اوريجانوس جميعاً، مغفلاً اسم بطرس اغفالاً [٣].

ولو فرضنا ان بمفيليوس لم يغفل اسم بطرس الاّ سهواً، فليس من المعقول أن يغفله أيضاً سقراط الذي عدّد في تاريخه الكنسي اسماء خصوم اوريجانوس دون أن يأتي على اسم بطرس، بل دون أن يشير اليه ولو من طرف خفيٍ [٤].

اصدقاء اوريجانوس : ـ (١) ـ ديونيسيوس البابا الاسكندري الـ١٤ ، وثيوسيستوس اسقف فلسطين، والكسندروس اسقف اورشليم، وغريغوريوس صانع العجائب، وأخوه اثينودور ، وقد تقدم ذكرهم .

(١) راجع رسالته الـ٣٣ لبولام .
(٢) اوسابيوس كـ ٧ ف ٣٢ وفوتيوس ف ١١٩ .
(٣) كتاب الدفاع عن اوريجانوس. (٤) سقراط كـ٦ ف١٣.

(٢) غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير. اقتبسا العلم عن مؤلفات اوريجانوس وبعد ان تقصيا في التدقيق، لخصا عن هذه المؤلفات الثمينة رسائل عرفت باسم «فيلوكالي (١)» وخُصصت لتعليم الناشئة المسيحية(٢)

(٣) غريغوريوس اسقف نيصُص(٣) (بالكبادوك). كان يدعو أوريجانوس، أمير الفلسفة المسيحية (٤) وقد انطبعت كتابات ذلك الفيلسوف على لوح حافظة غريغوريوس من كثرة انصبابه على مطالعة أسفاره بحيث يخال لمن يقرأ مصنفاته أنه يقرأ كتب زعيمه الذي أخذ العلم عنه

(٤) بمفيليوس (٥). كان مولعاً بمؤلفات الفيلسوف الإسكندري، فحفظها في مكتبته ونسخ بخط يده صُوَراً عديدة منها. وقد وضع، وهو في السجن، دفاعاً نفيساً عن اوريجانوس قال فيه: « ان لخصوم هذا

---

(١) فيلوكالي: يونانية مركبة تعريبها «محب الجمال»، وقد أطلقها تيطس اسقف بسطره على اوريجانوس لما رآه فيه من تغزّله بكل سامٍ» (اوسابيوس ك٦ ف٢٦ و٢٧ و٣٠) وايرونيموس في « مشاهير الرجال » ف٥٤ و٧٥

(٢) سقراط ك ٤ ف ٢٦

(٣) ولد حوالي سنة ٣٣٥ م. ومات في نهاية القرن الرابع وهو أخو القديس باسيليوس الكبير.

(٤) راجع مديح باسيليوس لصانع العجايب

(٥) ولد في منتصف القرن الثالث في بيروت، وتلمذ لبيروس مدير المدرسة اللاهوتية الاسكندرية، وأخذ عن رهبان القبط قوانين الحياة النسكية واستشهد سنة ٣٠٩ م. بقيصرية فلسطين.

الفيلسوف عقولاً قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة، وعاجزة عن إدراك سمو المعاني التي يرمي اليها من كان معلماً للكنيسة بعد رسل الرب » (١).

(٥) ديديم (ديديموس) الاسكندري الضرير. هذا النبي البصير - كما يدعوه كل من ايرونيموس وسقراط وسوزومين (٢) - شرح كتاب «المبادئ» (لأوريجانوس) وقرّظه بقوله : « ان هذا المؤلف لهو ارثوذكسي المبنى والمعنى، أما الذين يرون فيه هرطقة ، فقاصرون عن إدراك مكنون أسراره » (٣).

(٦) أثناسيوس الرسولي بابا الاسكندرية الـ ٢٠. رفع شأن كتاب « المبادئ » ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالاً. ولقد أشار اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرّق بين آراء أوريجانوس وبين الآراء المناقضة التي أوردها ذلك العلاّمة للرد عليها (٤).

(٧) يوحنا الذهبي الفم . لم يعرف له معلماً غير صاحب الترجمة (٥)

(١) فوتيوس ف ١١٨ وايرونيموس فى «مشاهير الرجال» ف ٧٥

(٢) ايرونيموس في « مشاهير الرجال » ف ١٠٩ وسقراط كـ ٣ ف ٢٣ وسوزومين كـ ٣ ف ١٥ .

(٣) سقراط كـ ٣ ف ٢٣ .

(٤) قرارات مجمع نيقية رقم ٢٧ .

(٥) عظات الذهبي الفم على العهد القديم

وقد كان دفاعه عن أوريجانوس سبباً فيما انتابه من عذاب النفي الذي أدّى به الى الموت [١] .

(٨) تيوتيم أسقف سيتي [٢] . لما أتى أيفانيوس الى القسطنطينية ليجبر أسقفها الذهبي الفم على طرد الاخوة الطوال أنصار أوريجانوس، اعترضه تيوتيم — الذي كان في القسطنطينية اذ ذاك — بقوله : « اعلم يا ايفانيوس انه لا يمكننا أن نسيء الى الذي مات تقياً ، وليس في استطاعتنا أن نحرم أسفاراً اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلاً عن اننا لم نجد فيها أثراً للهرطقة » [٣] .

(٩) ايسيذورس الفرمي [٤] والاخوة الطوال . مرّ بنا ماقاساه أولئك الابطال في سبيل الدفاع عن أوريجانوس، وقد قال ايرونيموس انهم أقسموا أكثر من مرة على أن أوريجانوس بريء من كل هرطقة وانه لم يحُد عن تعاليم البيعة الارثوذكسية قيد أنملة ، وان مؤلفاته

---

(١) راجع ص٣٩٢ و٣٩٣ . ومما يجدر بالذكر ان يوحنا الذهبي الفم - رغم اتهامه بالاوريجانية ورغم محاماته الشديدة عن اوريجانوس - فان كل الكنائس المسيحية تعتبره قديساً ومعلماً ، ومازالت كنيستنا القبطية تقرأ مواعظه الذهبية حتى اليوم

(٢) هي مقاطعة في أوربا على شاطئ البحر الأسود .

(٣) أوسابيوس ك ٦ ف ١٢ .

(٤) ولد بالاسكندرية سنة ٣٧٠م. وكان من أقرباء توفيلس وكيرلس البابوين الاسكندرين . اشتهر بنسكه واتضاعه . ولما عزم الشعب على

كلها بعيدة عن كل ما يوجهه اليها خصومه[١].

هذا ولو حولنا أنظارنا شطر الغرب، لما وجدنا دكاترة الكنيسة اللاتينية وأعاظم لاهوتييها إلا مجرد ناقلين عن أوريجانوس. فان فيكتورين أسقف بيتاليوم بسوريا (المتوفى سنة ٣٠٢م) وأوسابيوس أسقف فرسيل بايطاليا (٣١٥ — ٣٧٠ م)، لم يريا فلسفة حقيقية في غير مؤلفات هذا العلامة القبطي. وكذلك هيلاريوس أسقف بواتييه (بفرنسا) فانه ترجم الى اللاتينية تفاسيره لانجيل القديس متى وللمزامير ولسفر أيوب. ولم يكن امبروسيوس[٢] معلم أغسطينوس[٣]

سيامته أسقفاً، فر الى جبل الفرما هرباً من خطورة منصب الاسقفية. وقد ألف كتباً كثيرة وشرح جميع الأسفار المقدسه. اما الرسائل التي بعث بها الى البطاركة والأساقفة، فتبلغ ثماني عشرة الف رسالة وكانت وفاته سنة ٤٤٠ م (سنكسار ١٠ أمشير).

(١) ايرونيموس في رسالته الى باماكوم ٩٧ : ٢

(٢) هو فيلسوف غربي (٣٤٠ـ ٣٩٧ م) تعين أسقفاً على ميلانو بايطاليا سنة ٣٧٤ م

(٣) هو اوريليوس أغسطينوس (٣٥٤ـ٤٣٠ م) ولد في نوميديا (هي الآن بلاد الجزائر) من أب وثني وأم مسيحية وتعلم في قرطاجنة فنبغ، غير انه مالبث ان انغمس في المفاسد، ثم ذهب الى رومية فيلانو حيث التقى بامبروسيوس فتتلمذ له بعد أن تنصر. ثم عاد الى مدينة هبون « Hippone » وهي التي اسمها الآن « بونا » في بلاد الجزائر حيث

في شرحه للتوراة إلاّ ناقلاً عن أوريجانوس [١] . وبالجملة فان هؤلاء الغربيين وغيرهم ممن لحقوهم لم يكونوا إلا مردّدين للفلسفة القبطية [٢]

ولو علمنا ان ايرونيموس عدوّ أوريجانوس المبين هو الذي خلّف لنا معظم هذه الشهادات الثمينة ، لحكمنا بأن الحسد والحقد هما اللذان حاولا الغدر بأستاذ حكيم من أوفى الناس ذمة وأبرّهم عهداً بالمسيحية وبنيها.

ربّنا اغفر للأولين الذين أنكروا جميله ، وأنر بصائر المتأخرين الذين وقعوا في الحبائل المنصوبة لهم. ربّنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا ولا تجعل في قلوبنا غلاً انك رءوف رحيم .

القرن الثالث

﴿ بابوات الاسكندرية ﴾

باروكلاس البابا الـ ١٣ (٢٣٢-٢٤٧م):- ولد في الاسكندرية من أبوين وثنيين لم يلبثا ان اعتنقا المسيحية واعتمدا مع ابنهما صاحب الترجمة . فأدخلاه المدرسة اللاهوتية فنبغ فسامه الاسقف ديمتريوس شماساً فقساً ثم مديراً لتلك المدرسة التي سلّمت مقاليدها اليه بعد ان

سيم قساً على كنيستها فأسقفاً فى سنة ٣٩٠م .

(١) ايرونيموس في كتابه الاول ضد روفينوس ف ٢ و رسالتيه رقم ٦١ و ١١٢

(٢) ايرونيموس في مقدمة ترجمته كتاب ديديم الضرير في «الروح القدس»

تخلى عنها أوريجانوس (١) . وقد اشتهر ياروكلاس في وعظه بقوة الحجة ومتانة الاسلوب ، واذ كان تقياً فاضلاً انتخبه الاكليروس والشعب خلفاً لديمتريوس ، ولكنه اضطر ان يهجر الاسكندرية بسبب الاضطهاد الذي أثاره القيصر مكسيمينوس ضد المسيحيين ، ولم يعد اليها إلا بعد ان سادت السكينة حيث سام عشرين أسقفاً على معظم مدن القطر المصري (٢) وقد ظل يعظ شعبه ويرشده حتى رقد بالرب في ٨ كيهك سنة ٢٤٧م .

هذا وقد أثبتنا في ص ٥٩ من كتابنا ان ياروكلاس هو أول من أطلق عليه لقب « بابا » ، وان هذا اللقب قد امتد فيما بعد الى أساقفة أفريقية فأساقفة الغرب . غير ان البرزي (القبطي الكاثوليكي) قد ادعى في (ص٨) من كتابه « الرد الوثيق » الصادر « بسراي أسقفيته ! بمدينة طهطا !! ... » والمطبوع سنة ١٦١٦ ش : « ان العادة جرت في أوائل النصرانية أن يسمى « أحبار رومية » فقط بابوات ، وانه لما أخذت هذه التسمية تتناول البطريرك والمطران والاسقف أيضاً ، ساء ذلك الكنيسة ! فاجتمعت وقررت ان هذا اللقب ينبغي ان يخصص بأسقف رومية دون سواه ! لانه خليفة القديس بطرس هامة الرسل ورئيسهم » !! ادعى البرزي ذلك ولكنه لما لم يجد في تاريخ الكنيسة مايؤيد دعواه ، التجأ الى المقريزي الذي قال : « ان القسوس وسائر نصارى مصر كانوا يجعلون لفظة «البابا» تختص ببطريرك الاسكندرية

(١) أوسابيوس ك ٦ ف ٢٦.

(٢) أفتيخيوس في « نظم الجوهر » ص ٣٣٣ و٣٣٤ .

ومعناها «أب الآباء» ، ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندرية الى كرسي رومية من أجل انه كرسي بطرس رأس الحواريين ! فصار بطريرك رومية يقال له البابا واستمرّ الى زماننا الذي نحن فيه » .

ولما كانت أقوال المقريزي «المؤرخ المسلم» قد باتت دليلاً فاصلاً في عين البرزي « الاسقف الكاثوليكي » فنحن نذكّره بأن هذا المؤرخ هو حجّة عليه لا له ، إذ قد صدّر أقواله بالعبارة الآتية : « كان بطريرك الاسكندرية (لا رومية) يقال له البابا، من عهد حنانيا أول بطاركة الاسكندرية»[1] ومن ذلك بل من نفس العبارة المقريزية المبتورة التي أتى بها البرزي إثباتاً لحصر لقب بابا في شخص سيده الاسقف الروماني ، يتضح أن ذاك اللقب قد امتدّ من الاسكندرية الى رومية، وانه لم يكن في أوائل النصرانية خاصاً بالاساقفة الرومانيين كما يدّعي حضرته. ولا ريب في أن ادّعاء المقريزي بانتقال اللقب من الاسكندرية الى رومية لا يفيد إلاّ أن الأخيرة اقتدت بالأولى في تلقيب اساقفتها بالبابوات . وعلى كل حال فاننا في أمثال هذه المباحث الدينية لا نعوّل كثيراً على المقريزي الذي فضلاً عن كونه من المتأخرين فانه ليس من المؤرخين الذين يعتدّ بأقوالهم من الوجهة الكنسية .

(١) راجع كتاب «مجاني الأدب» للجزويت ج ١ ص ٣٠٢ و٣٠٣ وليلاحظ ان هذا الكتاب هو المصدر الذي استقى منه البرزي شهادته المبتورة .

بقي علينا الآن أن نبحث في قول البرزي : « ان الكنيسة قد استاءت فاجتمعت وقرّرت تخصيص لقب «بابا» بأسقف رومية » . ولا شك في أنه لم يكن ليدوّن في كتابه أمثال هذه التخرّصات لو كان متمكّناً من التاريخ الكنسي ، وإلاّ لأقام الدليل على دعواه ، ولما قال ان الكنيسة اجتمعت دون أن يعرّف الزمان والمكان اللذين تمّ فيهما ذلك الاجتماع . . !

وقد ادّعى القس جرجس الكاثوليكي (كيرلس مقار) في صفحة ٣٤ من كتابه «تاريخ الكنيسة الاسكندرية» : أن الكنيسة منذ القرن الخامس (لا منذ أوائل النصرانية كما ادّعى البرزي) قد جعلت لقب «بابا» خاصاً بأسقف رومية.... أما نحن ففضلاً عمّا أوردناه في صفحة ٥٩ من كتابنا هذا ممّا ينقض تلك الدعوى ، نزيد هنا ما يثبت أن التاريخ الكنسي (لا الكنيسة) لم يجعل ذلك اللقب أو ما شاكله من ألقاب التفخيم خاصاً بأسقف معين ، بل عرّفه لقباً مصطلحاً عليه بين جميع الاساقفة على السواء ، من قبل القرن الخامس ومن بعدُ : ففي القرن الرابع كتب أغسطينوس اسقف هبّون ، الى أوريليوس رئيس أساقفة افريقية ، رسالةً لقّبه فيها « بالبابا القديس والسيد الجليل »[1] وكذلك أطلق ايرونيموس هذا اللقب على اغسطينوس[2] . وفي أواخر القرن الخامس

(١) راجع ك ٨٨ ف ١١٩ من مجموعة شهادات الآباء اللاتين لمين « Migne » وهو لاهوتي فرنسي (١٨٠٠ـ ١٨٧٥ م)

(٢) راجع مين ك ٣ ف ١

كتب افيتوس « Avitus » اسقف فينّا (٤٩٠ — ٥٢٥) رسالةً الى كلٍّ من اسقفي أورشليم والقسطنطينية لقبهما فيها « بالبابوين المعظمين » وبجميع الألقاب التي يحصرها الكاثوليك المتأخرون في أسقفهم الروماني (١). وفي القرن السادس كتب فرتوناتوس اسقف بواتيه (بفرنسا) الى كلٍّ من فليكس اسقف نانت « Nantes » وافرونيوس اسقف تور « Tours » (وكلاهما بفرنسا أيضاً) ، رسالةً لقّبهما فيها « بالبابوين الطاهرين » (٢). وفي القرن السابع ورد اسم قوروش (٣) وهونوريوس (٤) مسبوقاً بلقب « بابا » ، وذلك ضمن أعمال المجمع المنعقد بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ م ، والمعروف عند اللاتين واليونان بالمسكوني السادس (٥). وما وافت سنة ١٠٧٣ حتى عقد غريغوريوس السابع اسقف رومية مجمعاً مكانياً حرم فيه كل اسقف يطلق على نفسه أو على غيره ذلك اللقب الذي أصبح بحكم الاستبداد الفاتيكاني من ممتلكات الكرسي الروماني ! !

وهكذا قوي غريغوريوس على أن يحصر في شخصه لقب اخوته أساقفة الغرب ومَن تبعه من أساقفة الشرق ، إلاّ انه ـ كغيره من

(١) راجع مين ك ٥٩ ف ٢٣٩ وك ٣ ف ٤

(٢) راجع مين ك ٨٨ ف ١١٥

(٣) هو دخيل على الكرسي الرسولي الاسكندري (انظر القرن السابع)

(٤) هو اسقف رومية (٦٢٥ — ٦٣٨ م) (انظر القرن السابع)

(٥) راجع مجموعة المجامع لمنسي ك ١١ ف ٢١٤ ، ومنسي هذا ، هو كاتب غربي (١٦٩٢ ـ ١٧٦٩ م) كان رئيساً لأساقفة مدينة لوك بايطاليا .

أساقفة رومية - لا يستطيع بحال من الاحوال أن ينزع هذا اللقب، عن صاحبه الاصيل اسقف الاسكندرية الذي اشتهر بالبابوية منذ صدر المسيحية

ديونيسيوس البابا الـ١٤ (٢٤٧-٢٦٥م):- ولد بالاسكندرية في أواخر القرن الثاني ، وكان طبيباً شهيراً من الصابئة (وهم قوم يعبدون الكواكب والنجوم) . ابتاع ذات يوم من عجوز مسيحية رسالةً للقديس بولس، فلما طالعها ثلج صدره من سموّ معانيها، وأخذ يتردّد على بيت الله لمطالعة غيرها من الرسائل. وإذ قرأ جميع الاسفار الطاهرة ، مسّته النعمة الالهية فاعتمد ، ثم التحق بالمدرسة اللاهوتية فنبغ في العلوم الدينية وأصبح من كبار المناضلين عن الارثوذكسية ، فسيم شماساً فقساً ثم مديراً للمدرسة التي تخرّج منها ، فساسها بالعلم والتقوى الى ان قبض على عصا رعاية الكنيسة الاسكندرية .

ولما اضطهد القيصر ديسيوس المسيحيين ، كان ديونيسيوس قائماً بينهم يواسيهم ويعزيهم ، وقد ظلّ يخفّف عن شعبه بلوى الاضطهاد حتى ألقى الوثنيون القبض عليه ونفوه في مدينة طابوزيريس [1] حيث كتب رسالةً الى فابيوس اسقف انطاكية يعلمه فيها بما قاساه القبط المسيحيون من مَضض الاضطهاد ، وكان قصده من هذه الرسالة أن يستنهض همّة ذلك الاسقف ليسهر على رعيته حتى لا يروعها شبح الموت فتجحد الفادي الكريم .

(١) هي مدينة صغيرة في مربوط غربيّ الاسكندرية .

ولما مات ديسيوس سنة ٢٥١م وهدأت سورة الاضطهاد ، عاد ديونيسيوس من منفاه فكتب الى القيصر غايوس يذكره بما جناه أبوه على المسيحيين ، فأثر ذلك في نفس القيصر تأثيراً حسناً ، غير ان كهنة الوثنيين قد أقنعوه بأن وباء الدفتريا ، الذي كان فاشياً في انحاء المملكة ، انما هو نتيجة سخط الآلهة بسبب انتشار الدين المسيحي . وقد نشأ عن ذلك أن اضطهد هذا الطاغية المسيحيين اضطهاداً كان أشد فتكاً بهم من ذلك الوباء[١] . وفي سنة ٢٥٣ م مات غايوس وتولى بعده فالريانوس ، فسالم المسيحيين في سنيه الاولى[٢] مسالمة تمكن معها ديونيسيوس من ان يطوف انحاء القطر سنة ٢٥٤م متفقداً رعيته التي مزقها سيف الاضطهاد . وقد سام أثناء سياحته شمامسة وقسوساً ودشن كنائس كثيرة وألقى في النفوس سلاماً وتعزية شأن الراعي الصالح . ولما وصل هذا الحبر الى الفيوم سنة ٢٥٥م وقف على بدعة نيبوس اسقف أرسينوا،[٣] فقضى عليها في مجمع عقده هناك(٤) ظل ملتئماً ثلاثة أيام . ثم أصدر

(١) اوسابيوس ك ٧ ف ١٠

(٢) اوسابيوس ك ٧ ف ١١

(٣) هي الآن كيمان فارس المتخربة ، بحري مدينة الفيوم الحالية . أما هذه البدعة فموضوعها ان المسيح سيملك بالجسد على الأرض فى آخر الأزمان ألف سنة ، يتمتع المؤمنون فى خلالها بالمآكل والمشارب

(٤) اوسابيوس ك ٧ ف ٦ و ٢٤

بسبب هذه البدعة رسالةً دعاها « المواعيد الالهية »[١] دحض فيها كل هذه الآراء، وأفاض البحث فى سفر الرؤيا مظهراً خطأ الذين يفهمون هذا السفر على ظاهره .

وحدث في سنة ٢٥١ م أن مات فابيانوس أسقف رومية وأقيم كورنيليوس خلفاً له (٢٥١ — ٢٥٢ م) ، فلدغت عقارب الحسد نوفاسيانوس[٢] أحد كهنة الكنيسة الرومانية، الذي أسكر أسقفين

(١) جاء في هذه الرسالة : « يسرّني أن أعلن ما شاهدته في الاخوة الفيوميين من الثبات والاخلاص والمحبة والذكاء، فقد تبادلنا الآراء في بدعة نيبوس بروح الاعتدال ، دون ان يتشبّث أحدنا برأيه بعد اقتناعه بفساده ، وكنا لا ننتقل من موضوع الى آخر إلا بعد أن نبتّ بصدد الاول حكماً نهائياً ، واذا حدث لأحدنا أن غيّر فكره ، فكان لا يخجل من التصريح بذلك . ولقد جاهر القس كوراسيون بفساد آرائه الأولى دون أن يناله لوم أو تثريب ، لأن الاخوة كانوا يعلمون ان غايتنا القصوى هي الوصول الى الحقائق لا المماحكة فى الجدال . هذا ولم يحسب الفيوميون دحضي لبدعة نيبوس عملاً عدائياً ، إذ كانوا على يقين من انه يجب ان نُقَوِّض أركان كلّ قول لم يبنَ على أساس متين ، وان يسفّه كل رأي لم يؤسس على المبادئ الصحيحة والتعاليم الحقّة ، ولو كان هذا القول أو ذلك الرأي صادرين من أعزّ الناس لدينا وأكبرهم مقاماً عندنا ... »

(٢) ولد في فريجية بآسيا الصغرى في أوائل القرن الثالث . سافر

غريبين، حتى اذا ما أخذت الخمر مأخذها منهما ، ساماه أسقفاً على كرسي رومية [١] . وما بلغ هذا الدخيل أمنيته حتى أخذ ينشر بدعة جديدة ، تقضي برفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في إثم كبير ، وبوجوب اعادة العماد الذي يتمّ على يد الهراطقة ، وكذلك عماد الأرثوذكسيين الذين يتساهلون في قبول الهراطقة التائبين [٢] ولما علم نوفاسيانوس أنّ كورنيليوس احتجّ عليه الى الأساقفة [٣] ، كتب الى ديونيسيوس بابا الاسكندرية يقول له: «ان الشعب أرغمني على قبول الأسقفية » . فأجابه الحبر الاسكندري برسالة جاء فيها : « اذا كنت قد قبلت الاسقفية مُرغماً كما تدّعي ، فليس من الصعب عليك ان تتركها وتسلّمها الى صاحبها الشرعيّ حسماً للشقاق الذي أحدثته في بيعة الله [٤] » . ولم يكتفِ ديونيسيوس بذلك بل كتب الى جميع

الى رومية حيث سيم قساً من يد أسقفها فابيانوس . ويقول سقراط في تاريخه الكنسي (ك٤ ف٢٨) . « انه مات شهيداً في اضطهاد القيصر فالريانوس» بعد ان ألّف كتباً عديدة أشهرها في الفصح والختان والكهنوت والصلاة والثالوث الأقدس (راجع ايرونيموس في « مشاهير الرجال » ف ٧٠) .

(١) أوسابيوس ك ٦ ف ٢٤.

(٢) أوسابيوس ك٦ ف٤٣ وقبريانوس رسالة ٤٩ وأبيفانيوس هرطقة ٤٩

(٣) أوسابيوس ك ٦ ف ٤٣ .

(٤) اوسابيوس ك ٦ ف ٤٥ .

الأساقفة - الذين منهم ثالاميذوروس أسقف اللازقية وميروسيانوس أسقف أرمينيا - ليقطعوا الشركة مع نوفاسيانوس الدخيل على الكرسي الروماني (١)، ثم كتب أيضاً الى اكليروس كنيسة رومية وشعبها رسالةً يحثهم فيها على التمسك بكورنيليوس أسقفهم الشرعي، لكيلا يفصموا رباط الوحدة الكنسية، ولكي يعيدوا السلام الى كنيستهم الرومانية (٢) وقد نشأ عن جهاد ديونيسيوس الاسكندري أن اعتزل نوفاسيانوس الكرسي الروماني، فتربع عليه كورنيليوس الذي عقد في رومية مجمعاً سنة ٢٥١ م حرم فيه خصمه والبدعة التي جاهر بها (٣).

ولما كان هناك خلاف بشأن العماد الذي يتم على يد الهراطقة، دعت الحالة الى المذاكرة في أمر التائبين ممن عمدهم نوفاسيانوس، فاستبد اسطفانوس - أسقف رومية يومئذ - في آرائه وأحدث بسوء تصرفه شقاقاً عظيماً في الكنائس (٤)، وبينما كان ديونيسيوس عاملاً على لم الشعث، ثار اضطهاد القيصر فاليريانوس سنة ٢٥٧ م، فأهملت قضية العماد وحدث في مصر ان واليها أميليانوس ابن القيصر غايوس، ألقى القبض على البابا الاسكندري ونفاه في ناحية خفرو (بلبيبة). وكان هذا البابا قُبَيل نفيه قد استلم رسالةً من جرمانوس احد أساقفة الصعيد يلومه فيها لابطاله الاجتماعات العلنية في الكنيسة إبان الاضطهاد،

(١) أوسابيوس ك ٦ ف ٤٦ (٣) سنكسار ١٢ كيهك.
(٢) أوسابيوس ك ٦ ف ٤٦ (٤) انظر قضية عماد الهراطقة.

فردّ عليه البابا بعد رجوعه من منفاه برسالة دفع فيها تلك الفرية، ووصف كيفية القبض عليه، وإحضاره مع تابعيه أمام الوالي، واعترافهم جميعاً بايمانهم. ثم قال: ولما حللنا بخفرو (شمالي القطر المصري) التفّ حولنا كثير من الاخوة الأُخرى الذين انضمّوا الينا من الأقاليم، وقد مهّد الله سبيلاً لكلمته في هذه الجهة وفي كل جهة حللنا بها، واني لا أنكر ان أعداءنا الوثنيين قد اضطهدونا في بادئ الامر، ولكنهم نبذوا بعد ذلك أصنامهم وأقبلوا الى الله بقلوبهم، فكان منفانا بشرى لخلاصهم. ومما يسرّ الفؤاد أن هذا المنفى قد جمعنا باخوة مسيحيين لم نكن لنراهم من قبل، فألّفنا جمعيةً كانت تنعقد في أقصى مكان بالقطر، ولم تزل توالي انعقادها لسماع كلمة الله».

وكان من عادة بابوات الاسكندرية ان يصدروا في كل سنة رسالةً عامّة الى جميع الكنائس، مملوءةً من النصائح والمواعظ، فكانت رسائل ديونيسيوس آيةً في الحكمة والبلاغة، وقد دحض في معظمها البدع والهرطقات التي ظهرت في عصره، ومن أشهر هذه البدع بدعة سابليوس أحد أساقفة بطولمائيس (بالخمس المدن الغربية)، ذلك ان هذا الأسقف المبتدع كان قد تربّى في مدينة رومية حيث التقى بنوفاتوس [1]

(١) كان من أزمير وسافر الى قرطاجنة حيث سيم كاهناً فنشر بدعته فيها. وقد وصفه قبريانوس في رسالته ال ٥٢ بأنه كان طامعاً لئيماً ومشاغباً كبيراً. ثم ذهب الى رومية حيث اتحد بنوفاسيانوس

وكاليكستوس [١] الهرطوقيين ، فأخذ عنهما هذه البدعة التي عُرف أتباعها : « بمؤلمي الآب » ، والتي موضوعها التجديفُ على الثالوث الاقدس ، والقول بأن الله أقنوم واحد : أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفته الآب ، وصار انساناً فى العهد الجديد بصفته الابن ، وحلّ على الرسل فى علّية صهيون بصفته الروح القدس [٢] . ولما تمكّنت سموم

القس الروماني وساعده على اقامته أسقفاً على رومية. وقدقضى القانون الثامن من قوانين مجمع نيقية المقدس ألا تقبل الكنيسة تبّاع نوفاتوس إلا بعد أن يجحدوا معتقداتهم الفاسدة (انظر فصل المجامع) .

(١) كان عبداً لرجل من أغنياء رومية اسمه كاربوفوروس ، ائتمنه على ادارة مصرف له (بنك) فسرقه فحُكم عليه ، غير انه أبق وارتكب جريمةً أخرى قُبض عليه بسببها ونفي الى جزيرة سرديفيا بالبحر الابيض المتوسط ، حيث أعتق منها بواسطة مارسيا سرّية القيصر كومودوس ، فعاد الى رومية وأقيم أسقفاً على كرسيها (٢١٨-٢٢٣م) بعد وفاة زفيرينوس كما يشهد بذلك القديس هيبوليتس في مؤلفه « الفلسفيات » وفى تاريخ الهراطقة ٩ : ١٢ ودا . مع . فر تحت كلمة «Callixte» . أما هيبوليتس هذا فانه كان أسقفاً مقيماً برومية فى عهد كاليكستوس ، وقد اعتبره الشعب الروماني أسقفاً على رومية لاشتهاره بالفضيلة والتقوى ، ولانغماس كاليكستوس الاسقف الشرعي فى حماة الشرّ والرذيلة . (دا . مع . فر تحت كلمة «Hippolyte») .

(٢) هيبوليتس ضد نوفاتوس م ٢ ص ٥ وابيفانيوس هرطقة ٥٧

هذه البدعة من نفس سابلّيوس، ساعد كاليكستوس على نشرها، وقد عاونهما في ذلك زفيرينوس أسقف رومية (٢٠٢ - ٢١٨ م) الذي كان غبيّاً جهولاً [١]. فانتشرت تلك الأراجيف وعمّت جميع أنحاء الغرب. ولما أقيم كاليكستوس على كرسي رومية (٢١٨ - ٢٢٣ م) خلفاً لزفيرينوس، زاد الطين بلّة بأن سام أساقفةً وقسوساً وشمامسةً من الذين تزوّجوا زيجةً ثانيـة وثالثة، ثم أجاز اعادة العماد لمغفرة الخطايا، وادّعى بأن الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الآثام!! ولما لم يقبل سابلّيوس هذه البدع الاخيرة حرمه كاليكستوس وقطعه من شركته!! [٢] وعلى أثر ذلك جاء سابلّيوس الى مصر ونشر فيها هرطقة «مؤلّي الآب» التي اكتسبها من رومية، بعد ان أدخل عليها بعض التعديل [٣] وقد أضلّ ببدعته كثيراً من المؤمنين لاسيما بعد ان انضم اليه بعض الاساقفة. غير ان ديونيسيوس داهم هؤلاء الزائغين بغيرته المشهورة

(١) هيبوليتس في تاريخ الهرطقات ٩: ١٢

(٢) راجع رسائل القديس باسيليوس رقم ٢١٠ و ٢١٤ و ٢٣٥ وأثناسيوس الرسولي ضد الاريوسيين ٤: ١١ — ١٣، وتيودوريتس في الهرطقة ٢: ٩، وأبيفانيوس في الهرطقة ٦٢: ١

(٣) قال سابلّيوس في تعديله تلك الهرطقة: «ان جزءاً من الطبيعة الالهية انفرز من الله الآب وكوّن الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع المسيح، وإن جزءاً آخر انفصل عنه فكوّن الروح القدس».

وقاوم ضلالهم في منشور أرسله الى الاسقفين امونيوس وافرانور . ولما لم يتمكن ديونيسيوس من ارجاع سابليوس عن غيه، حرمه في مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١م بعد ان فنّد في رسالة، كل هذه التعاليم الفاسدة. ورأى أنصار سابليوس انهم في حاجة الى عضد يشد أزرهم، فكتبوا الى ديونيسيوس اسقف رومية (٢٥٩–٢٦٩ م) يستميلونه اليهم، وقد انطلت الحيلة في بادئ الامر على ذلك الاسقف الغربي حتى عقد مجمعاً في رومية سنة ٢٦٢م حكم فيه بحرم كل من ديونيسيوس وسابليوس!. وما تم ذلك حتى شمل الأسف بابا الاسكندرية لوقوع سميه في الفخاخ المنصوبة له، فارسل اليه رسالة يوضح له فيها العبارات التي أشكل عليه فهمها، فكانت تلك الرسالة حداً للنزاع الذي أطلق عليه المؤرخون اسم « نزاع الديونيسيوسين » [١] ولقد وقف الاسقف الروماني بعد ذلك

(١) يدعي الكاثوليك ان ديونيسيوس الاسكندري قد اعتبر سميه الروماني رئيساً عليه، فكتب له يحتج عن نفسه مما اتهمه به السابليون. غير ان الحقيقة تخالف هذه الدعوى، لان الحبر الاسكندري انما كتب لزميله خوفاً عليه من السقوط في الهوة التي احتفرها له الهراطقة .ولو تروى القوم قليلاً ، لما اتخذوا قضية الديونيسيوسين دليلاً على رياسة « اسقف رومية»، لان تلك القضية لاتدل الا على قصر عقل اسقفهم ، الذي لما لم يستطع ان يدرك تعاليم ديونيسيوس في الثالوث الأقدس، اعتبرها ضالة فحرمها، مع العلم بان هذه التعاليم هي التي تتبعها الكنيسة

بجانب البابا الاسكندري، في دحض بدعة بولس الساموساطي [١]، تلك البدعة التي كانت آخذة في الانتشار بجهات انطاكية والتي موضوعها «ان اقنومي الابن والروح القدس هما شيء واحد، وان كلمة الله أتى الى الأرض وحلّ في انسان يدعى يسوع المسيح، وأن ابن الله لم ينحدر من السماء بل أخذ مبدأ وجوده من مريم على الارض». ولهذا السبب انعقد مجمع في انطاكية سنة ٢٦٤م استُدعي اليه القديس ديونيسيوس الاسكندري، غير أنه لما حالت شيخوخته دون تلبية هذه الدعوة [٢] بعث برسالتين احداهما الى المجمع والاخرى الى الساموساطي حلّ فيهما الاسئلة العشرة

شرقاً وغرباً حتى اليوم. هذا وقد قالت دائرة المعارف الفرنسية: «ان رسالة ديونيسيوس الاسكندري لاتفيد ان هناك رئيساً ومرءوساً وانما هي رسالة النظير لنظيره» (راجع كلمة "Denys")

(١) ولد في ساموساط (وهي مدينة صغيرة في بلاد « ما بين النهرين» على نهر الفرات شماليّ مدينة «اورفا») وأُخلف ديمتريانوس في الاسقفية الانطاكية سنة ٢٦٠ م، ولما أثرى بعد الفقر المدقع طغى وبغى وتكبر وتجبّر بحيث لم يكن يسير في الطرقات الا ومائة من الخدم يتقدمونه ومائة يتبعونه . وقد انعقدت بسبب بدعته ثلاثة مجامع مكانية بانطاكية، فحُرم وخُلع في المجمع الاخير سنة ٢٦٩م. وقد قرّر مجمع نيقية (المسكوني الاول) في قانونه التاسع عشر ، وجوب إعادة عماد البولسيين (انظر فصل المجامع)

(٢) اوسابيوس ك ٧ ف ٣٠

التي كان يوجهها بولس الى كل من يناقشه وعليه حكم المجمع على الساموساطي بتجريده من درجة الكهنوت وبتعيين دومنوس اسقفاً بدلاً منه

اما ديونيسيوس ـ الذي يلقبه اوسابيوس «بالاسقف الاسكندري العظيم» ويسميه اثناسيوس الرسولي «بعلم الكنيسة الارثوذكسية»[١] ـ فانه لم يرَ نهاية هذا المجمع، لانه انتقل الى دار الخلد في ١٣ برمهات سنة ٢٦٥م تاركاً لنا المؤلفات العديدة التي أتى على ذكرها ايرونيموس في كتابه: «المؤلفات الكنسية». وقد كانت كتب ديونيسيوس منبعاً اغترف منه اوسابيوس اغلب موادّ الجزئين السادس والسابع من تاريخه الكنسي. ولم يزل معظم تلك المؤلفات محفوظاً في مكتبة «جالان» اليونانية واللاتينية بمدينة البندقية

قضية عماد الهراطقة: — لما شاعت بدعة نوفاسيانوس فى مدينة رومية، اعتنقها كثيرون من الرومانيين، غير انهم ما لبثوا أن أدركوا خطأهم وعزموا على العودة الى حضن الكنيسة الارثوذكسية. فتوقف كهنة كنيسة رومية عن قبولهم ريثما يتفقون على رأي في شأن عمادهم. فكتبوا الى القديس قبريانوس اسقف قرطجنة يسألونه رأيه، فأجابهم برسالة جاء فيها: «إن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة عمادهم، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الارثوذكسية فعمادهم صحيح لا يعاد». ولما كان قبريانوس يعلم ان كثيرين من المسيحيين

---

(١) راجع دا. مع. فر تحت كلمة «Denys»

التابعين لكنائس متعددة، قد جحدوا الدين إثر الاضطهادات التي أثارها الملوك الوثنيون، قال الكهنة الرومانيين في الرسالة عينها: «أما مسألة الجاحدين التائبين، فلا تتعلق بكنيسة رومية منفردةً، ولذلك يجب أن تحكم فيها الكنائس مجتمعةً» (١). ولقد استصوب الكهنة الرومانيون هذا الرأي كما يثبت ذلك من رسالتهم الثانية الى قبريانوس التي جاء فيها: «ان القضايا العامّة لا يجب أن تنفرد كنيسة بالفصل فيها لانَّ في ذلك خطأً عظيماً واهانةً كبرى لمجموع الكنائس المسيحية، فضلاً عن ان الكنيسة التي تتعرّض لاصدار حكم في قضية عامة يصبح حكمها ملغىً ولا يعوّل عليه» (٢)

غير ان اسطفانوس اسقف رومية (٢٥٤-٢٥٧م) لم يرُق في عينيه كل ما تقدّم، فضرب عنه صفحاً وقرّر بمفرده ألاّ يعاد العماد سواء كان متمّماً على يد الكنيسة الارثوذكسية أو على يد أية كنيسةٍ أخرى، لاعتقاده بأن المعمّدين من أيدي الهراطقة، انما ينالون تقديس المسيح كغيرهم (٣) وقد كتب بذلك الى فرمليانوس اسقف قيصرية الكبادوك غير ان هذا الأخير ضرب بكتابته عرض الحائط، فعقد اسقف رومية مجمعاً مكانياً سنة ٢٥٤ م حرمه فيه هو وجميع أساقفة غلاطية وكيليكية . (٤)

(١) راجع قبريانوس في رسالته رقم ١٩
(٢) رسالة الرومانيين الى قبريانوس وقد ذكرت في رسالة هذا الأخير ٣١
(٣) راجع رسالة اسطفانوس الى فرمليانوس اسقف قيصرية الكبادوك
(٤) اوسابيوس ك ٧ ف ٥

ولما كان قبريانوس ينحو نحوَ هؤلاء في المعتقد، تهدّده اسطفانوس بحرمه هو أيضاً ان لم يقلع عن هذا الاعتقاد . وكتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية [٣] فلم يعبأ قبريانوس بهذا التهديد وقابله بمجمع عقده في قرطجنة سنة ٢٥٦ م مؤلفاً من ٧١ أسقفاً ، قرر ألاّ تكون المعمودية صحيحة إلاّ في كنيسة الله الأرثوذكسية. وقد بعث قبريانوس بقرار هذا المجمع الى اسطفانوس مشفوعاً برسالة جاء فيها : « ان كل رئيس روحي حرّ في سياسة كنيسته، لأنه سيقدّم حساباً عن أعماله للرب» [٤] . غير ان اسطفانوس رفض هذا القرار في مجمع عقده في إبرشيته، ثم كتب الى الاساقفة الافريقيين يحثهم على الاقتداء به في رفض قرار قبريانوس ، ملقّباً إياه «بالرسول الغاشّ والنبي الكاذب» [٥] وما علم قبريانوس بذلك حتى كتب الى اخوته أساقفة أفريقيا يحذّرهم من الوقوع في ضلال اسطفانوس ، ولقد جاء في رسالته الى كينتوس: «ان بطرس الرسول (الذى يدعى اسطفانوس انه خليفته) لم يقل قط بتقدمه على سائر الرسل ، ولم يطلب ممن أتوا بعده في الرسالة أن يقدموا له فروض الخضوع والطاعة ، ولم يدّع أنهم دونه في الرتبة » (٣) وجاء ايضاً

(١) راجع كتاب العماد لاغسطينوس ضد الدوناتيست ك٥ ف٢٥: ٣٦
(٢) راجع رسالة قبريانوس رقم ٧٢ الى كينتوس .
(٣) راجع الرسالة رقم ٧٥ لقبريانوس.
(٤) راجع رسالة قبريانوس رقم ٧٢ الى كينتوس.

في رسالته الى بوبيوس، ما يأتي: « ان هذا الاسقف الضالّ (اسطفانوس) قد دلّ برسالته على جهله وغباوته » (١) ولم يكتف قبريانوس بهذه الرسائل، بل عقد مجمعاً ثانياً في قرطاجنة، أبدى فيه كلٌّ من الاساقفة رأيه الخاصّ، فقال الاسقف الثالث والعشرون في ترتيب جلوس الأساقفة في المجمع: «ان اسطفانوس قد أخطأ في قراره وضلّ في عقيدته». وقال الاسقف الأربعون: «انه جحد ايمان الكنيسة، ويجب ألاّ يكون جحوده سبباً في اضطراب مجموع الأساقفة». وقال الاسقف الحادي والستون: «انه يهوذا الاسخريوطي الذي باع عروس المسيح لأعدائها» (٢) وقد أرسل قرار هذا المجمع الى اسقف رومية على يد وفد قوبل هناك أسوأ مقابلة. وكان فرمليانوس في ذلك الوقت قد أرسل الى رومية وفداً آخر كان نصيبه نصيب الوفد الذي تقدمه، فهاج ذلك سخط فرمليانوس الذي كتب رسالة الى قبريانوس جاء فيها: « لقد أبى اسطفانوس أن يقبل نوّابك، وأمر الرومانيين ألاّ يقبلوهم، فدلّ بذلك على توحّشه وهمجيته، على اننا مدينون لهذا المتوحش، لان قسوته وغطرسته كانتا سبباً في أن عرفنا حكمتك وايمانك، غير أنه لا فضل له في ذلك كما انه لا فضل ليهوذا الاسخريوطي في خيانته سيده، تلك الخيانة

(١) رسالة قبريانوس رقم ٧٣ الى بوبيوس
(٢) راجع أعمال مجمع قرطاجنة الذي عقده قبريانوس

التي نتج عنها خلاص الجنس البشري . ولكن دعنا من هذا الحديث الذي يذكرنا بوقاحة اسطفانوس وجسارته بل بشغفه بالانفصال عن وحدة المحبة والتغرب عن الاخوة والتمرد على الحق الخ الخ »[١] ولم يكتف فرمليانوس بذلك بل خاطب اسطفانوس رأساً برسالة جاء فيها: «لقد جسمت خطيئتك بنفسك التي زينت لك الانفصال عن الكنيسة الواحدة. لا تنخدع يا اسطفانوس فانك قطعت نفسك بنفسك ، لأن الذي يجحد شركة الوحدة الكنسية ، يصبح وحده منشقاً عنها ، وهكذا نراك منفصلاً عن الكنائس المسيحية ، في الوقت الذي تظن فيه انك تفصل تلك الكنائس عنك »[٢] .

ولما استفحل الجدال بين الاساقفة وطال بينهم الأخذ والرد ، تداخل ديونيسيوس بابا الاسكندرية في الأمر ، فكتب الى اسطفانوس رسالة يلفت نظره فيها الى اجماع الكنائس الشرقية على رأي واحد[٣]. غير أن اسطفانوس مات سنة ٢٥٧م وخلفه سكستوس الثاني (٢٥٧ـ٢٥٩) فكتب له البابا الاسكندري رسالة يعلمه فيها بعداء اسطفانوس لاخوته الاساقفة بسبب موضوع عماد الهراطقة ، ويحذره من اتباع خطة سلفه في هذا الصدد[٤] ثم كتب له رسالة أخرى ظاهرها الاستشارة وباطنها

(١) رسالة فرمليانوس لقبريانوس وقد ذكرت في رسالة قبريانوس رقم ٧٥
(٢) » » لاسطفانوس » » » »
(٣) اوسابيوس ك ٧ ف ٥ (٤) اوسابيوس ك ٧ ف ٥

إلفات نظره الى وجوب التدقيق لمعرفة صحة عماد الهراطقة من عدم صحته، فان كان صحيحاً فلا يعاد، وإلاّ تحتّمت إعادته[١]. ولقد بعث برسالة ثالثة في هذا المعنى، الى فليمون أحد كهنة الكنيسة الرومانية، قال فيها: « ان فساد العماد الذي يتمّ على يد الهراطقة، أصبح أمراً ثابتاً بعد أن قرّرته عدة مجامع انعقدت في إيكونيوم وغيرها، فهل يليق قلب هذه القرارات وتحريض الاخوة على المنازعات والمشاغبات ؟! أمّا أنا فلا يمكنني أن آتي ذلك لانه مكتوب: «لا تزحزح الحدود القديمة التي وضعها آباؤك » [٢]

وحدث في هذا الوقت أن ثار اضطهاد القيصر فالريانوس، فانصرف كلّ من الاساقفة الى النظر في شؤون رعيّته، وشُغل بذلك عن قضية العماد التي أصدر فيها المجمع النيقاوي (المسكوني الاول) الحكم النهائي. ولقد قال في هذا الصدد بنديكتوس الثاني عشر اسقف رومية (١٣٣٤-١٣٤٢): « ان اسطفانوس قد علّم بوجوب اعادة العماد الذي يتمّ على يد الهراطقة، وعلّم قبريانوس بعكس ذلك، أما المجمع النيقاوي فقد خالف هذين التعليمين حيث قرّر ان المعمّدين من أيدي الهراطقة عماداً صحيحاً، لا يعاد عمادهم، بعكس الذين اعتمدوا منهم عماداً فاسداً. [٣]

(١) اوسابيوس ك ٧ ف ٥
(٢) اوسابيوس ك ٧ ف ٧
(٣) راجع بوسويه في مقدمة دفاعه عن اقرار الاكليروس الفرنسي رقم ٤٨

وقال اغسطينوس ـ أكبر دكاترة الكنيسة اللاتينية ـ : « ان الحكم النهائيَّ في قضية عماد الهراطقة كان للمجمع المسكوني الذي له وحده هذا الحق ، أما رأي اسطفانوس فانه ـ فضلاً عن فساده ـ لم تكن له قوة على اقناع قبريانوس ، وهكذا كان حكم الكنيسة مجتمعةً ، حجةً لا تردّ لاثبات الحقيقة فيما يختص بالعقيدة الارثوذكسية»[1]

مكسيموس البابا الـ١٥ (٢٦٥-٢٨٢م) : ـ ولد بالاسكندرية من أبوين مسيحيين . سيم شماساً فقساً ، ولما ارتقى العرش المرقسي ، أقام العلاّمة بيروس[2] مديراً للمدرسة اللاهوتية . وفي سنة ٢٦٨ م حكم مجمع انطاكية بحرم بولس الساموساطي وأرسل حكمه الى صاحب الترجمة الذي كتب منشوراً بعث به الى جميع اساقفته ، يحذّرهم فيه من تعاليم الساموساطي وينهاهم عن الاختلاط بتبّاع ماني الملحد[3]

(١) راجع كتاب العماد لاغسطينوس(ك٢ ف٤:٥وك٣ف٢:٢)

(٢) كان كاهناً تقياً ورعاً . اشتهر بفقره الاختياري ، وعرف بزلاقة اللسان وفصاحة المنطق ، حتى سمي « اوريجانوس الجديد » ، وقد تتلمذ له كثيرون أشهرهم القديس بمفيليوس ، وحوالي سنة ٢٨٢ م استشهد بيروس وخلفه تأوغنُست في ادارة المدرسة اللاهوتيـة . (اوسابيوس ك ٧ ف ٣٢)

(٣) ولد ماني حوالي سنة ٢١٤ م في بلاد فارس ، وتعلّم بين المجوس فنبغ وكان فلكياً وطبيباً، وقد تنصر ولكنه ضلّ وعلّم ان في الله جوهرين

وقد ظل مكسيموس يرعى شعبه بالطهر والعدل حتى رقد بسلام في ١٤ برموده سنة ٢٨٢ م .

ثاؤنا البابا الـ١٦ (٢٨٢ـ٣٠٠): ـ كان من قسوس الاسكندرية المشهورين بالعلم والوداعة. انتخبه الاكليروس والشعب خلفاً لمكسيموس، فاغتنم فرصة سكون القلاقل وجمع من الاغنياء مبلغاً وافراً أنفقه في بناء كنيسة كبرى على اسم العذراء فكانت أعظم كنيسة شادها القبط اذ ذاك. ومما يؤثر عن البابا ثاؤنا، أنه لما رقي القيصر ديوكلتيانوس عرش رومية وأدخل في معيّته كثيراً من القبط المسيحيين، كتب لهم هذا الحبر رسائل حثّهم فيها على أن يقوموا بواجبهم، وأن يمتازوا عن غيرهم ـ بصفتهم مسيحيين ـ في خدمة الديوان الملكي ولو وثنياً، وقد أوصى أمين المكتبة بأن يُحسن تنظيمها ويجُدّ في نسخ ما بها من الكتب الهامّة، وألاّ يفتأ يذكر أمام القيصر عِظَم قدر الترجمة السبعينية (راجع صفحة ١١٩ من كتابنا هذا) وأن يمزج كلامه مع القيصر

قديمين: أحدهما للخير ويسكن عالم النور، والآخر للشر ويسكن الارض المظلمة. وكان ماني يعتقد بأن الزيجة من الشيطان، وكان يجحد البعث ويقول بتقمص الارواح وينكر حقيقة جسد المسيح وينسب عجائب المخلص الى الخيال، فناظره اسقف ارثوذكسي ضرير من كاسيبار يدعى أرشيلاوس فاستظهر عليه أمام فارنس ملك الفرس الذي أمر بسلخ جلد ماني وبصلبه حوالي سنة ٢٧٧ م .

بخشكر

بشواهد من سيرة المسيح . ولقد ختم ثاؤنا إحدى الرسائل التي بعث بها الى أولئك الأبناء الأوفياء بقوله: « ان الله ينها كم عن الارتشاء وعن الكذب على القيصر وعن التفوه بألفاظ البذاءة وعن ارتكاب كل شر وإثم . لتكن أعمالكم مقرونة بالبشاشة واللطف . لا تحيدوا عن سبيل العدل والحق . أتموا واجبكم، واضعين نُصب أعينكم خوف الله والاخلاص للقيصر . تدرّعوا بالصبر وتمنطقوا بالفضيلة، ولتمتلئ قلوبكم من الايمان والرجاء والمحبة » .

وفي أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد القيصر ديوكليتيانوس، فجعلت الكنيسة القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية ، مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ الشهداء (راجع كتابنا ص ٥٣) . وقد رقد البابا ثاؤنا في ٢ طوبه سنة ١٧ للشهداء الاطهار .

الحوادث المدنية في القرن الثالث

القيصر غايوس كاراكلاّ (٢١١-٢١٧ م) : - هو ابن القيصر سويرس . كان شريراً عاتياً فقتل أخاه وأثخن والدته جراحاً وفتك بأكابر رومية . تشبّه بالاسكندر الأكبر في زيّه وفتوحاته ولكنه لم يُفلح ، فاحتقره الشعب لذلك . ولما زار الاسكندرية سنة ٢١٦ م ، ندّد به أهلها وسخروا منه ، فأضمر لهم الشرّ وعزم على أن يضربهم ضربة شديدة ، فأخذ يتظاهر بميله لهم،ثم أعلن رغبته في أن يؤلف

من شبانهم فرقة لحراسته ، فاغترّ الاسكندريون وأجابوا طلبه فرحين، وما اصطفّ القوم خارج المدينة استعداداً للفرز، حتى أشار كارا كلاّ الى جنده اشارةً متفقاً عليها ، فهجموا على الاسكندريين وحكّموا السيوف في رقابهم، ثم حاصروا المدينة ثمانية أيام ذاق فيها من بقي من الأهالي صنوف الذل والهوان . وفي سنة ٢١٧ قفل كارا كلاّ راجعاً الى رومية حيث مات قتيلاً وخلفه هليوغابال (٢١٨-٢٢٢ م).

القيصر ~~سبتيموس~~ سويرس (٢٢٢-٢٣٥ م) : - كان من أعاظم قياصرة الرومان، وكانت أمه (ماميا) مسيحية، فأشارت عليه بنهي الناس عن عبادة الأوثان ودعوتهم الى دين المسيح ، فعمل باشارتها. وفي عصره أزهرت العلوم والمعارف مما شجع بلوتينوس الأسيوطي (تلميذ آمونيوس السقاص) على أن يضع قواعد الفلسفة الافلاطونية. وقدمات هذا القيصر مقتولاً من يد مكسيمينوس اكبر قواده الذي تولى الملك بعده

القيصر مكسيمينوس (٢٣٥-٢٣٨م) : - أثار على المسيحيين « الاضطهاد السابع »، وقد اضطرمت نار ذلك الاضطهاد في أنحاء المملكة الرومانية عموماً وفي مصر خصوصاً ، وما لبث مكسيمينوس أن مات وخلفه القيصر غورديان (٢٣٨-٢٤٤ م) .

القيصر فيلبس (٢٤٤ — ٢٤٩ م) : - أصله عربيّ وكان من قواد الجيش الروماني ، فلما تولى الملك أحسن معاملة المسيحيين ، غير ان الجند تألبوا عليه وأنزلوه عن عرشه صاغراً .

القيصر ديسيوس (دا كيوس ٢٤٩ ـ ٢٥١ م) : ـ اضطهد المسيحيين « الاضطهاد الثامن » ، وما أطلقت يده في الشر حتى اضطُرَّ سبعة فتية من أشراف أهل أفسس الى أن يختفوا في كهف شرقيّ المدينة ، وما شعر هذا الطاغية بذلك حتى أمر بسدّ الكهف عليهم حيث ظلوا قرنين كاملين . غير ان الله ـ بعد مضي تلك المدة ـ أراد أن تتجلى عجائبه في قديسيه ، فأظهر أجسادهم للناس عاريةً عن الفساد ، وكان ذلك سنة ٤٤٧ م في مُلك تاودوسيوس الصغير (راجع السنكسار ٢٠ مسرى) .

القيصر غايوس (٢٥١ ـ ٢٥٣ م) : ـ كان محباً للمسيحيين في بدء حكمه، ولكنه مالبث ان نسب اليهم التسبُّب في وباء كان قد تفشى في المملكة ، فانقلب عليهم شرّ منقلَب .

القيصر فالريان (والريانوس ٢٥٣ ـ ٢٦٠ م) : ـــ لم يدّخر وسعاً في تتبّع المسيحيين واستئصال شأفتهم ، فأثار بذلك « الاضطهاد التاسع » حيث أصدر أمره سنة ٢٥٧م بنفي الأساقفة، وبالحيلولة دون الاجتماعات المسيحية ، ثم أصدر أمراً آخر سنة ٢٥٨ م قاضياً باعدام الأساقفة والقسوس والشمامسة وبمصادرة أموالهم وأملاكهم . وفي هذا الاضطهاد استشهد القديس قبريانوس أسقف قرطاجنة . ولما سار فالريان الى مدينة حمص لمحاربة سابور بن أزدشير ملك الفرس ، دارت عليه الدائرة فأسره سابور وأذاقه حتى مات .

القيصر غالينوس (٢٦٠ ـ ٢٦٨ م) : ـ هو ابن فالريان. حذا حذو أبيه فأضرم نار الاضطهاد ثلاث سنين أهدرت فيها دماء المسيحيين حتى أصبح قتلهم مأثرة تتناقلها ألسنة المديح ، فلم ينج منهم إلاّ من لجأ الى الجبال والمقابر والكهوف، وكانت الحكومة الرومانية بمصر تطرب لاستمرار الشقاق وتأكيد العداوة بين العناصر التي تتألف منها الأمة، لتتوطد بذلك دعائم دولتها التي كان شعارها في كل بلد تحتله « فرّق تسُد ». وفي عهد هذا القيصر ارتفع شأن مملكة تدمُر[1] بسوريا فعقدت زنوبيا ملكة تلك البلاد عزمها على توسيع نطاق ملكها ، ومن ثم هجمت على عسكر الرومان بقرب بابل أشور فهزمتهم وردتهم الى الاسكندرية ، ثم استولت على مصر في عهد القيصر كلوديوس الثاني (٢٦٨ ـ ٢٧٠ م)، غير انه لما تولى القيصر أوريليانوس (٢٧٠ـ ٢٧٥ م) ، حاصر زنوبيا في مصر وأخذها أسيرة الى رومية حيث ماتت.

القيصر ديوكلتيانوس (ديقلديانوس ٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) : ـ أقام المسيحيون في أول حكمه تحت سماء الأمن والراحة ، وفي سنة ٢٨٥م أشرك معه في الملك القائد مكسيميانوس ، غير أنهما اتفقا سنة ٢٩٤م

(١) مدينة قديمة ويظن ان مؤسسها سليمان بن داود ، وهي على بعد ١٠٠ ميل من الشمال الشرقي لدمشق. ولما تغلب عليها الاسكندر، أطلق عليها اسم بلميرا Palmyre أي مدينة النخل لكثرته بها. وقد دمّرها القيصر أوريليانوس سنة ٢٧٣ م .

على أن يشركا معهما قسطنس كلورس وغالير ، ثم اقتسم الاربعة المملكة ادارياً : فاختص ديوكلتيانوس بالشرق ومصر وليبيا وأقام في نيقوميديا بآسيا الصغرى ، واختص غالير بالبلقان والاَّيريكون، وأخذ مكسيميانوس ايطاليا وأفريقيا واسبانيا ، وأخذ قسطنس كلورس فرنسا وانجلترا . وفي سنة ٢٩٢م مال أخيلوس القائد الروماني بالاسكندرية الى الاستقلال ، فسمى نفسه امبراطوراً فاضطرّ القيصر ديوكلتيانوس أن يحضر بنفسه لمقاومته، فوصل الاسكندرية سنة ٢٩٥م، وحاصرها ثمانية شهور حابساً عنها المؤونة وماء النيل، ثم فتحها عُنوةً وأحرقها بالنار وسبي أهلها كما سبي أقاليم مصر حتى مدينة قفط. وفي ٢٤ فبراير سنة ٣٠٣ م أصدر أمراً عاماً باضطهاد المسيحيين في جميع أنحاء المملكة ولا سيما في القطر المصري ، فهُدمت كنائسهم، ودمّرت مقابرهم ، وأحرقت كتبهم ونهبت أموالهم، وقد عرف ذلك الاضطهاد فى التاريخ « بالاضطهاد العاشر » (راجع ص ٥٣). وحدث بعدئذ أن أحرقت سراي ديوكلتيانوس فى نيقوميديا ، فأوجس خيفة من المسيحيين وتمادى فى الحاق الأذى بهم. غير أنه سئم الملك بعد ارتكابه تلك الفظائع وتنازل عن عرشه الى مكسيمينوس دازا فى أول مايو سنة ٣٠٥ م . ومات سنة ٣١٣ م.

الشهداء الأطهار : — ان الذين استشهدوا من القبط فى الاضطهاد العاشر ألوف كثيرة، نلخّص تراجم أشهرهم نقلاً عن السنكسار.

(١) الأنبا باسورة أسقف ميصيل (وهي فوة الحالية بمديرية الغربية): — استشهد بقطع رأسه فى ٩ توت.

(٢) توفيلس الفيومي وزوجته: — نالا اكليل الشهادة فى ١٩ بابه

(٣) مارمينا صانع العجائب (العجايبي): — هو من نقيوس، وعلى يده ظهرت المعجزات الكثيرة وكان استشهاده فى ١٥ هاتور. وقد بنيت على اسم هذا القديس كنيسة غربيّ الاسكندرية قامت بجوارها مدينة مريوط الحالية. أما الكنائس المشيّدة على اسمه فى القطر فكثيرة أشهرها ثلاث: الاولى بفم الخليج بمصر القديمة، والثانية فى إبيار بقرب مدينة طنطا، والثالثة فى منهري بمديرية المنيا. ولهذه الاخيرة قصة غريبة: ذلك ان القديس مينا قد ظهر فى رؤى الليل الى رجل من أهالي منهري يدعى المقدّس نكلا، وأمره بأن يبني له كنيسة فى نقطة عيّنها له، ولما كان الصباح أسرع المقدّس وزوجته الى النقطة المعيّنة فظهرت لهما آثار كنيسة قديمة باسم هذا القديس كانت قد اندثرت منذ زمن بعيد. ولما رأى الشعب هذه الآثار، مجّد الله وساعد المقدس على بناء الكنيسة، وهي تبعد الآن عن محطة أبي قرقاص بخمس دقائق.

(٤) الأنبا فامون (فام) الجندي: — هو من أوسيم من أسرة شريفة، وقد عرض عليه الوالي أريانوس أن يخرّ للأصنام فأبى، فقطع رأسه فى قاو بجوار طما بمديرية بني سويف وكان ذلك فى ٢٧ طوبه.

(٥) الأنبا شنودي (شنوده) البهنساوي (نسبة الى البهنسا

بمركز بني مزار بالمنيا) — : جاهر بالمسيح أمام الوالي مكسيموس، فنكّل به شر تنكيل فمات شهيداً فى ١٤ برمهات .

(٦) الأنبا إيساآك (اسحق) الدفراوي (نسبة الى دفرا بقرب طنطا) : — ظهر على يده كثير من الآيات والكرامات ، وقد فاز بالشهادة فى ٦ بشنس . وله دير عامر - بجوار ناحية اللاهون بمديرية الفيوم — يعرف « بدير الحمّام » . أما رفاته الطاهرة فمحفوظة بالكنيسة المعلقة بمصر القديمة .

(٧) الأنبا كولوتوس (قلته) الانصناوي (نسبة الى أنصناوهي التي أقيمت على اطلالها قرية الشيخ عبادة بقرب ملوي) : - كان من أكابر أطبّاء عصره، وقد أدركه الرفق بالفقراء فشاد بمسقط رأسه مستشفىً لمعالجة المرضى مجّاناً ، وفي ٢٥ بشنس استشهد مستودعاً فقراء شعبه بين أيدي الرب يسوع .

(٨) الأنبا سخيرون (أبسخيرون) القليني (نسبة الى قلين بمركز كفر الشيخ غربية): - كان من جند أريانوس والي أنصنا، ولمّا أمروه بأن يخر للأصنام، لعنها واستشهد في ٧ بؤونه

(٩) القديسة دميانة : - هي ابنة ووحيدة مرقس والي البرلّس والزعفران بمديرية الغربية. نذرت عفتها للمسيح ولها من العمر نو منذ ١٥ سنة، فاعتزلت الخلق مع أربعين عذراء من بنات أكابر القبط، وأقمن في قصر الزعفران (بلقاس) حيث فاجأهن مئة جندي من جنود القيصر

ديوكلتيانوس، وقطعوا رءوسهن بعد أن تفننوا في تعذيبهن والتنكيل بهن . وقد أخذ القديس يوليوس الاقفهصي أجسادهن الطاهرة فدفنها باحترام، ثم أثبت سيرتهن في سجل الشهداء (راجع السنكسار ١٢ بشنس).
وقد أجمع قدماء المؤرخين على تلقيب القديسة دميانة «ربة الجمال والكمال»، ومما يُؤثَر عنها أنها قبل استشهادها حذرت أباها من أن يغتر بمواعيد القيصر ديوكلتيانوس الوثني قائلة له: «خير لك يا أبي أن تموت مسيحياً فتحيا مع المسيح، من أن تحيا وثنياً فتموت مع الشيطان»، وقد كان ذلك التحذير سبباً في عدم تزعزع ايمانه وفي سبقه إياها الى الاستشهاد.
ولصاحبة الترجمة دير عظيم ببلقاس، يؤمه المؤمنون في يوم ١٢ بشنس من كل سنة، ويحجون اليه زرافات ووحداناً حاملين النذور والهدايا.
ولهذا الدير أطيان موقوفة عليه تبلغ مساحتها ٣٥٠ فداناً، أما الكنائس والهياكل التي بنيت بالقطر على اسم هذه القديسة فكثيرة جداً، منها الكنيسة المشيدة ببولاق مصر والهيكل المقام بالكنيسة المعلقة بمصر القديمة
(١٠) القديس تاؤدورس الشطبي الشهير بالأمير تادرس:ـ هو ابن يوحنا الشطبي (نسبة الي شطب بمديرية أسيوط). انتظم في سلك الجندية وارتقى بها الى أن أصبح «إسفهسلاراً»[1] ثم سافر الى أخائية ببلاد اليونان حيث استشهد في ٢٠ ابيب سنة ٣٢٠ (أى بعد الاضطهاد العاشر). وقد نقلت رفاته الى شطب في ٥ هاتور، ثم الى دير له بحارة الروم

(١) هي لفظة فارسية مركبة تعريبها: «وزير حربي»

بالقاهرة . ولهذا القديس دير آخر بناحية دميا بمديرية الفيوم ، وعدة كنائس فى كثير من انحاء القطر .

أما «الشهداء الاجانب» الذين وصلت رفاتهم الى مصر فأشهرهم :

(١) تاؤدورس المشرقي :- هو من مدينة صور بفلسطين . استشهد فى ١٢ طوبه سنة ٣٠٦ وقد بنيت على اسمه جملة كنائس منها الكنيسة المشيدة بمصر القديمة .

(٢) القديس مركوريوس ذو السيفين (أبوسيفين) :- ولد برومية من أبوين مسيحيين فى عهد القيصر ديسيوس ، وانتظم فى سلك الجندية فلقب بمركوريوس أي رئيس الجند ، ولما كان ملاك الرب قدقلده سيفاً آخر غير سيف المملكة ، دعي بذي السيفين . وبعد أن أبلى الابلاء الحسن فى سبيل رفع شأن المسيحية ، استشهد بقيصرية فلسطين فى ٢٥ هاتور سنة ٢٥٠ م . وفى أيام البابا يوأنس (ال ٦٤) نقلت رفاته الطاهرة الى مصر القديمة وكان ذلك فى ٩ بؤونه

(٣) القديس جاؤرجيوس (مار جرجس ٢٨٠ - ٣٠٣ م) :- هو من الكبادوك . وقد انتظم في الجندية فى عهد القيصر ديوكلتيانوس وارتقى الى رتبة قائد ، ثم استشهد فى ٢٣ برموده ، ونقل جسده الطاهر الى مصر القديمة فى ١٦ أبيب . وهذا الشهيد هو موضوع احترام المسيحيين جميعاً ولا سيما مسيحيو مصر وروسيا وانجلترا ، وقد عتادت هذه الأخيرة ان تنقش صورته على عملتها الذهبية بهيئة فارس

يطعن برمحه تنيناً، وانما أريد بهذا النقش الاشارة الى انتصار مارجرجس على الشيطان. وقد شيدت بالقطر على اسم ذلك الشهيد العظيم ٧٣ كنيسة

هذه خلاصة تراجم بعض مشاهير القبط الذين استشهدوا في الاضطهاد العاشر، وهي جديرة بأن تنقش على صدر كل قبطي يجري في عروقه ذلك الدم الذي سفكه أولئك الأجداد الأبطال، حباً في الفادي الكريم ومحافظةً على الايمان الارثوذكسي القويم.

أللهم ألقِ على أمتنا نظرة عطف وحنان بشفاعة شهدائك الأبرار، لتستعيد عزتها وسؤددها الغابرين، انك سميع الدعاء.

القرن الرابع

بابوات الاسكندرية

بطرس الاول البابا ١٧ (٣٠٠-٣١١م):- ولد بالاسكندرية من أبوين مسيحيين هما تيؤدوسيوس وصوفية، وكان أبوه رئيس كهنة فربّاه تربية صحيحة وأدخله المدرسة اللاهوتية التي كان يديرها يومئذ القس ارشلاوس [١]، وبعد أن أتم صاحب الترجمة علومه سامه البابا ثاؤنا شماساً فقساً، ثم سلمه ادارة المدرسة اللاهوتية [٢] فعلا شأنه وذاع صيته ولما رقي بطرس عرش البابوية المرقسية، كان اضطهاد القيصر

(١) اوسابيوس ك ٨ ف ٣٠ (٢) اوسابيوس ك ٨ ف ١٣

ديوكلتيانوس بالغاً اشُدَّه ، فذاقت الكنيسة القبطية من جرّائه صنوف العذاب على ما مرّ بنا في تراجم الشهداء التي أثبتناها بآخر القرن الثالث[1] أما القديس بطرس فانه في وسط تلك الكوارث النازلة والنيران المتّقدة، كان يطوف بلاد كرازته مثبّتاً بنيه في الايمان الارثوذكسي ، حاثاً إياهم على الصوم والصلاة ليستقبلوا الموت ببأس شديد وجأش رابط. وما وصل هذا الحبر الى مدينة ليكوبوليس[2] حتى أخذ الحزن من قلبه كل مأخذ ، لأن شدة الاضطهاد كانت قد خلعت قلب ملاتيوس أسقف هذه المدينة العظيمة وزعزعت ايمانه ، بحيث سالم الوثنيين وداجاهم ثم سجد لأصنامهم[3] ،ولم يكن هذا الاسقف لينتهي عن غيّه رغم نصائح رئيسه الحبر الأسكندري، فشقّ عصا الطاعة له وأبى إلا التمرد عليه ، ولم يكتف بذلك بل بلغت به الجسارة أن اقدم على سيامة بعض القسوس والشمامسة قبل أن يتطهّر من جريرة سجوده للأصنام. فعقد القديس

(١) ممن حفظ لنا التاريخ اسماءهم مقرونةً بالمجد والفخار ـ عدا أولئك الشهداء ـ ميلياس اسقف تميس (هي تميّ الأمديد) وفيلوروم قاضي قضاة الاسكندرية، اللذين قاسيا جميع أنواع العذاب التي ابتكرها أكبر زعماء الوثنية ، دون أن يتأفّفا أو يبدو على وجهيهما أقل علامة تدل على الفزع والرعب (أوسابيوس ك ٨ ف ٩)

(٢) هي مدينة أسيوط الحالية وكانت أول أسقفية في القطر المصري، بعد الاسكندرية مقر الخلافة المرقسية (دا. مع. فر تحت كلمة Mélèce)

(٣) راجع بارونيوس في «جدوله للازمنة» عن سنة ٣١٠ م

بطرس مجمعاً في الاسكندرية سنة ٣٠٦ م حكم فيه بقطع ملاتيوس الذي هاج هائجه لهذا الحكم فانفصل عن الكنيسة مع من تحزبوا له، وقد ظلوا على هذه الحال حتى انعقاد المجمع النيقاوي الذي فصل في أمرهم بصفة نهائية[١]

وكان بين الذين تبعوا ملاتيوس في ضلاله، رجل يدعى اريوس، ولد في احدى مدن ليبية حوالي سنة ٢٥٦ م ووفد على الاسكندرية في حبرية البابا ثاؤنا، ثم اندمج في سلك تلاميذ المدرسة اللاهوتية فتبحر في العلوم الدينية والمدنية ونبغ في الفلسفة المسيحية[٢]. ولما كان هذا الرجل مصاباً بداء الكبر والصلف وكان من غرائزه العناد وحب المقاومة[٣]

(١) كان انشقاق ملاتيوس سبباً في ان سن المجمع النيقاوي (المسكوني الاول) القوانين الـ٢ و الـ٣ و الـ٦ من قوانينه الشرعية البالغ عددها عشرون قانوناً (انظر فصل المجامع). وقد رضخ ملاتيوس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الكسندروس خليفة البابا بطرس. إلا انه مات سنة ٣٣٠ بعد ان انضم الى الاريوسيين في حبرية البابا اثناسيوس الرسولي، وقد خلفه في رياسة حزبه يوحنا اركاف الذي اشتهر بعدائه للبابا اثناسيوس. اما حزب ملاتيوس فقد بقي بعد موت اركاف قائماً في مصر حتى القرن الخامس، وكان يقوده بعض الرهبان الذين أدخلوا على مبادئه شيئاً من قوانين اليهود والسامريين (تاؤدوريتس ك ١ ف ٩)

(٢) بارونيوس في « جدوله للازمنة » عن سنة ٣١٩

(٣) راجع ك ١٠ من التاريخ الكنسي للقس كلود فلوري الفرنسي الكاثوليكي، وهو من كبار المؤرخين الكنسيين (١٦٤٠ - ١٧٢٣)

انضم الى حزب ملاتيوس، ولكنه ما لبث ان انفصل عنه إثر ارفضاض المجمع الاسكندري المنعقد سنة ٣٠٦م، ليقدّم الخضوع والطاعة الى البابا بطرس الذي قبله وسامه شماساً. ومن ثم أخذ اريوس يبذر في الشعب بذور بدعة خبيثة، موضوعها: « فصل جوهر ابن الله عن جوهر أبيه »، مما اضطر صاحب الترجمة الى أن يصبّ عليه جام الحرم واللعنة.

ولما قبض الوثنيون على القديس بطرس سنة ٣١١م بأمر القيصر مكسيمينوس دازا، اضطرب المسيحيون اضطراباً شديداً وتجمهروا أمام السجن قاصدين انقاذ أبيهم من مخالب الموت. وخشي اريوس أن يموت البابا ويظلّ هو مقطوعاً من شركة الكنيسة التي طالما حدّثته النفس بالقبض على صولجان رعايتها، فتلبّس الذئب بلباس الحمل إذ تظاهر بالندم والانسحاق، وقد جازت حيلته على كهنة الاسكندرية الذين وعدوه بأن يشفعوا له الى القديس قبل استشهاده ليعفو عنه، غير انهم ما وقفوا بباب السجن، حتى رفع الحبر الاسكندري يديه نحو السماء وقال بصوت عظيم: « ليكن اريوسُ محروماً من مجد ابن الله، فلا يراه في هذا الدهر ولا في الآتي» ثم رجع الى ابتهالاته وتأملاته تاركاً هذا الجمع يضرب أخماساً في اسداس، وسرعان ما انتشر هذا الحكم بين مسيحيي الاسكندرية الذين اعتبروه حكماً الهياً، وعلى ذلك طاش سهم اريوس وضلّ رائد أمله.

أما البابا بطرس فانه بعد أن أتمّ صلاته، دعا الجمع الى الانصراف

وأبقى لديه تلميذيه أرشلاوس وألكسندروس، وأعلمهما انهما سيخلفانه على الكرسي المرقسي، ثم قصّ عليهما رؤياه بشأن اريوس فقال: « إن رب المجد قد ظهر لي بشكل غلام في الثانية عشرة من عمره، متسربلاً بثوبٍ ناصع البياض ممزّقٍ من طوقه الى صدره، ولما استنبأتُه عن الذي مزّق ثوبه، أجاب: « هو اريوس ببدعته الخبيثة » ثم أمرني بأن لا يُقبَل هذا الضالّ مني ولا منكما »، وأردف القديس ذلك بقوله: « انكما لن ترياني بعد الآن، لاني عما قريب أموت شهيداً بنعمة الله، وليس لديّ ما أوصيكما به غير الحذر من مكر اريوس وملاتيوس، فأبعدا هذين الذئبين عن رعية الله التي افتداها بدمه الكريم، والتي سيأتمنكما عليها الروح القدس». ولم يأت القديس على آخر كلامه حتى تغرغرت أعين تلميذيه بحيث لم يعودا قادرين على البقاء بحضرته.

ولما علم القديس ان ابناءه محدّقون بالسجن ليفتدوه بأرواحهم، خشي أن ينالهم الأذى بسببه، فاستدعى السجان وأعلمه بأنه يريد أن يزور قبر القديس مرقس دون أن يشعر به أحد، فلبّى طلبه بأن أخرجه من ثقب في إحدى جدران السجن. وما وقع نظر بطرس على قبر مرقس حتى انطرح فوقه ونادى أباه قائلاً: « أيها الشهيد الكريم، صاحب انجيل ابن الله، الراقد في هذا المكان المقدس، أتراني أهلاً لأن استريح بجانبك » ؟ ثم رفع عينيه نحو السماء وقال بصوت تخنقه العَبرات: « أيشاء الله أن يجعل دمي حداً لعبادة الأصنام واضطهاد

المسيحيين»؟ فسُمع صوت من العلاء يقول: «آمين»[١] ومن ثم قدّم هذا القديس عنقه الى الجلاّد فكان « خاتمة الشهداء »

وما بلغ أبناءه خبر استشهاده حتى هرعوا اليه باكين منتحبين، وبعد أن ألبسوه حلة رياسة الكهنوت، صلّوا عليه ودفنوه باكرام في ٢٩ هاتور سنة ٢٨ للشهداء الاطهار[٢].

وللقديس بطرس مؤلفات عديدة لم يصلنا منها غير شذرات عن عيد الفصح، وأخرى عن تجسد الكلمة والتوبة. وله أيضاً أربعة عشر قانوناً كان قدسنّها ابان الاضطهاد ، بشأن المسيحيين الذين جحدوا الايمان.

---

(١) راجع بارونيوس في «جدوله للازمنة» عن سنة ٣١٠ عدد ٤ و٥، نقلاً عن أعمال استشهاد القديس بطرس المدونة بالقبطية واليونانية.

(٢) كبر مقتاً عند بوتشر أن تأتي على ترجمة هذا الحبر الارثوذكسي القديس، دون أن تلوثها بفرية بروتستانتية، فادّعت في كتابها «تاريخ الأمة القبطية» م١ ص١٦٩: «أن بطرس البابا كان متزوجاً وذا بنات»، وقد وافقها على هذه الدعوى فوآر الانجليزي في كتابه «مصر المسيحية» ص ١٩ معتمداً على المقريزي .

غير اننا لم نجد لهذه الدعاوى أثراً في جميع التواريخ الكنسية ، فضلاً عن أن السنكسار القبطي — الذى وضعه القديس يوليوس الاقفهصي معاصر البابا بطرس — لم يذكر حرفاً عن هذا الزواج ولا عن أولئك البنات ، بينما نراه قد أثبت تزوّج الاسقف ديمتريوس بصريح العبارة ، كما أثبت الآية التى أظهرها الله بهذا الصدد تسكيناً لخواطر

ارشلاوس البابا ١٨ (٣١٢م) : - ولد بالاسكندرية وفاق معاصريه قداسةً وفلسفةً وعلماً[١] فرقّاه البابا ثاؤنا الى الدرجة الكهنوتية وسلّمه ادارة المدرسة اللاهوتية. ولما جلس على السدّة المرقسية، توسل اليه أريوس ليعيده الى شركة الكنيسة، بعد أن بالغ في التظاهر بندمه على ما فرط منه، فقبله صاحب الترجمة وسامه قَساً ثم أقامه واعطاه على إحدى كنائس الاسكندرية[٢] وقد خالف ارشلاوس بذلك وصية الرب على لسان « خاتمة شهدائه »، فلم تدم رياسته غير ستة أشهر حيث مات في ١٩ بؤونه سنة ٢٩ ش.

ألكسندروس البابا ١٩ (٣١٣-٣٢٦م): - ولد بالاسكندرية وسيم قساً بها، ثم انتخبه القبط للخلافة المرقسية. فحقق أمانيّهم رغم شيخوخته، إذ كان يعلم أن «صوت الشعب من صوت الرب». وكان ألكسندروس عالماً تقياً، وقد اشتهر بمحاربة أريوس الذي ظلّ - بعد

الشعب، الذي لم يكن ليرى على عرش مرقس إلاّ من كان بتولاً.

هذا ولو علمنا ان بوتشر وفولر هما من خدمة المذاهب البروتستانتية التى تعتبر البتولة رابعَ المستحيلات، لعرفنا السرّ في تهرّب الأولى من اقامة الدليل على دعواها، وفي التجاء الثاني الى المقريزي المؤرخ المسلم الذي لم يظهر في عالم الوجود، إلاّ قُبَيل ظهور البروتستانتية.

(١) اوسابيوس ك ٧ ف ٣٢

(٢) ابيفانيوس في الهرطقة ٦٩: ٢ وثاؤدوريتُس ك ١ ف ١

رقاد البابا أرشلاوس ينفث سموم بدعته بين الاسكندريين .

ولما كان اريوس قد توصل بفصاحته الكاذبة الى أن يجتذب اليه اسقفين ونفراً من القسوس البسطاء والشعب الساذج [١] ، بادر الكسندروس - بما أوتي من حكمة وحنكة - الى اتخاذ الوسائل الفعالة لايقاف تيار البدعة الاريوسية ، فكتب عدة رسائل أثبت فيها العقيدة الارثوذكسية خالصة من كل شائبة ، وحث الساقطين في فخاخ أريوس على العودة الى الحظيرة المقدسة حظيرة الخلاص. ولما لم تكن هذه الرسائل لتثني أولئك المغرورين عن غيهم ، عقد الكسندروس مجمعاً مكانياً مؤلفاً من مائة اسقف قبطي وذلك في سنة ٣٢١ م ، وقد حكم هذا المجمع بحط اريوس من درجة الكهنوت وبحرمه مع من تشيع له ، فأسرع أريوس وبعث برسالة الى صديقه أوسابيوس اسقف نيقوميديا يوقفه فيها على الحكم الصادر ضده ويقول له : «هم يضطهدوننا لاننا نعلم أن الله الابن قد وُجد من العدم وأن له ابتداء ، بعكس الله الآب الذى لا ابتداء له إذ قد وُجد بنفسه» [٢] وقد كتب الكسندروس الى صديقه وسميه اسقف البيزنطية (القسطنطينية) رسالة أتى فيها على تفاصيل بدعة أريوس ، ثم أردف ذلك باتيانه على نص العقيدة الارثوذكسية فقال : « نؤمن مع الكنيسة الرسولية بالآب الواحد

(١) تاؤدوريتس ك ١ ف ٤

(٢) تاؤدوريتس ك ١ ف ٤ و ٥

الذي لم يُولد ولم يتغير والذي لا بدّ من وجوده ، ونعترف بابن واحد هو يسوع المسيح، ابن الله ، الوحيد الجنس ، الذي وُلد من الله الآب الحي — لا من العدم — بنوع لا يدرك ولا يعبّر عنه»[١] وفي سنة ٣٢٠ طرد الكسندروسُ أريوسَ من الاسكندرية ، فذهب هذا الشقي الى فلسطين حيث نشر بدعته بطريق التلحين لما كان يعلمه من تأثير الصوت في النفس، فأثبت قطعاً — مشوبةً بسموم هرطقته — في كتاب معروف باسم « تاليا»، ووقّعها على الآلات الموسيقية وعلّمها للشعب الذي كان يتغنّى بها صباحَ مساء ، وقد توصل اريوس بدهائه الى التأثير على كثيرين من الاساقفة، كأوسابيوس اسقف قيصرية فلسطين وأوسيوس اسقف بسيديا وبولينوس اسقف صور وغريغوريوس اسقف بيروت. ولما علم الكسندروس بذلك كتب الى جميع هؤلاء الاساقفة يوقفهم على حقيقة تعاليم اريوس الكفرية، فرجع بعضهم الى الاعتصام بالحق وعقد الباقون مجمعين أولهما في بيثينية سنة ٣٢٢ م وثانيهما فى فلسطين سنة ٣٢٣م، حيث قرروا سقوط الحكم الصادر من الكسندروس ضد اريوس ووجوب التوسط في الصلح بينهما[٢]، وبناء على قرار هذين المجمعين عاد اريوس الى الاسكندرية حيث شاكس الأرثوذكسيين

(١) راجع رسالة الكسندروس الى اسقف البيزنطية في ثاؤدوريتس ك ١ ف ٤ و ٥

(٢) راجع فلوري في تاريخه الكنسي ك ١٠ ف ٣٧ .

ونازعهم بالاتحاد مع انصاره، وقد وصلت بهم الحال الى التجادل حتى على قارعة الطريق مما جعل الوثنيين يهزءون بالمسيحيين [١]، فاضطر الكسندروس إزاء هذه الفوضى، الى اشهار حرم الأريوسيين والى طرد زعيمهم من الاسكندرية للمرة الثانية [٢]

ولما رأى قسطنطين الملك - وهو بنيقوميديا - أن هذه المنازعات ستسوء مغبتها، كتب رسالة سنة ٣٢٤ م الى كل من الكسندروس وأريوس يحثهما فيها على الاخلاد الى الصلح والسلام لما كان يتوهمه من تفاهة الموضوع الواقع عليه النزاع [٣] وبعث اليهما بهاتين الرسالتين مع أوسيوس « Osius » أسقف قرطبة [٤] الذي - بعد أن حضر الى الثغر الاسكندري ووقف على خطورة الموضوع - اشترك مع الكسندروس

(١) راجع دا . مع . فر . م ٣ ص ٨٩٠ .

(٢) راجع سقراط ك ١ ف ٦ .

(٣) راجع أوسابيوس في حياة قسطنطين ك ٢ ف ٦٣ — ٦٥ .

(٤) قرطبة هي « Cordoue » بأسبانيا - : يقول الكردينال بارونيوس: « إن ارسال أوسيوس أسقف قرطبة الى الاسكندرية كان بأمر سلفسترس بابا رومية». غيران المؤرخين الكنسيين الكاثوليك - الذين سبقوا بارونيوس والذين لحقوه - قد أجمعوا على أن مرسل أوسيوس الى الاسكندرية هو القيصر قسطنطين لا البابا سلفسترس (راجع تاريخ الهرطقات لألفونسيوس ماريادي ليكوري صفحة ٥٧).

في حرم أريوس وبدعته في مجمع مكانيّ عقداه سنة ٣٢٤ م [١] . ولما عاد أوسيوس الى نيقوميديا وأخبر الملك بحقيقة الحال، أمر قسطنطين بأن يُعقد في نيقية مجمع عام للفصل في تلك القضية ، فانعقد المجمع سنة ٣٢٥ (وهو المسكوني الأول) وحكم بقطع أريوس من الكهنوت وبخلع من تبعه من الأساقفة عن كراسيهم، وعلى ذلك نُفي أوسابيوس النيقوميدي وتيؤغنيس النيقاوي، وكذلك نُفي أريوس الى إلاليريكون بعد ان صدر أمر الملك باحراق مؤلفاته عموماً وكتاب «تاليا» خصوصاً، وباعدام كل من يخالف هذا القرار [٢] .

وهكذا أخمدت نار الأريوسية بفضل جهاد الكسندروس ، غير ان هذا الحبر الأرثوذكسي الغيور لم يلبث أن رقد بالرب بعد انحلال المجمع النيقاوي بخمسة أشهر وذلك في يوم ٢٤ برموده سنة ٤٣ ش.

أثناسيوس الرسولي البابا ال ٢٠ (٣٢٦ - ٣٧٣ م):-

ولد بالاسكندرية حوالي سنة ٢٩٦ م. واندمج في سلك المدرسة اللاهوتية فبرهن على كفاءة عالية ومقدرة فائقة ، ثم تتلمذ للقديس أنطونيوس أبي الرهبان [٣] فاقتبس عنه كثيراً من فضائل النساك

(١) راجع فلوري ك ١٠ ف ٤٣ .

(٢) مجموعة المجامع للاّبيه جزء ٢، وتاؤدوريتس ك ١ ف ١٠

(٣) راجع دا . مع . فر تحت كلمة « Athanase ». وهذا التتلمذ يبرهن على قبطية أثناسيوس ، لان القديس أنطونيوس لم يكن ملماً

والزهادة. وفي سنة ٣١٨م أصدر ضد الوثنيين رسالةً دلّت على غزارة مادته وقوة حجّته ، فكان ذلك سبباً في أن أعجب به البابا الكسندروس فسامه شماساً فرئيساً للشمامسة سنة ٣١٩ م ، ثم اتخذه مساعداً له يحيل عليه المشاكل والمعضلات ليحلّها ويكشف عن غوامضها . وفي سنة ٣٢٥ م استصحبه البابا الاسكندري الى مجمع نيقية (المسكوني الاول) فأظهر فيه من الحنكة والدراية ما أبكم شيوخ الأريوسيين وأوغر صدورهم عليه . وقد قال سقراط في هذا الصدد: «ان فصاحة أثناسيوس في المجمع النيقاوي ، قد جرّت عليه كل البلايا التي صادفها في حياته»[١]

وفي أواخر سنة ٣٢٦ م أوصى البابا الكسندروس بانتخاب أثناسيوس خلفاً له . وما وصل هذا الخبر الى مسامع صاحب الترجمة حتى لجأ الى الجبال لاعتقاده بعدم أهليّته لهذا المنصب الخطير[٢]، غير

بغير لغته القبطية كما يشهد بذلك بطلر في « تاريخ القديسين » م ١ ص ٢٥٥ ، وهزبون في « سلسلة المؤلفين » ص ٣٨٣ . هذا وقد بعث أثناسيوس برسالة وهو في رومية الى رهبان مصر بلغته ولغتهم القبطية التي لم يعرفوا غيرها ، فضلاً عن ان السيد بولس مسعد الماروني يقول في « درّه المنظوم » ص ٣٠ ـ مستشهداً ببطرس لبرون م٤ ف٢ ص ١٧٥ ـ: « ان اثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية ، أحصي بين أبناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطياً »

(١) سقراط ك ٢ ف ٨ .

(٢) راجع م٢ ص١٧٤ من «تاريخ أثناسيوس الكبير» للقس الالماني الكاثوليكي يوحنا آدم ملر « Mœhler » (١٧٩٦-١٨٣٨م) .

ان الشعب طفق يبحث عنه حتى وجده وأتى به الى الاسكندرية ، حيث وضع الاساقفة عليه أيديهم بين مظاهر الفرح والسرور وأصوات التهليل والتكبير [١].

ولما استلم هذا الحبر عصا الرعاية ، أخذ ينشر كلمة الانجيل داخل القطر وخارجه ، ففي سنة ٣٣٠ م أقام فرومنتينوس أسقفاً على الديار الحبشية ، فكان أول أسقف سيم ليرعى الأحباش الذين أظهروا سروراً عظيما برئيسهم الديني ودعوه « أبا السلام » [٢]. وما زالت الكنيسة الحبشية حتى اليوم خاضعة لأمها الكنيسة القبطية، لما تعلمه من جفاف الفرع إذا انقطع عن الأصل . ومن أشهر الحوادث التي وقعت في عهد صاحب الترجمة ، عودة المنازعات بشأن القضية الأريوسية . وتفصيل ذلك ان قسطنسة أخت القيصر قسطنطين الكبير، أوصت أخاها — وهي على فراش الموت — بقس أريوسي كانت له عندها مودة قديمة ، فأخذ هذا القس يقنع القيصر ببراءة أريوس وموافقة معتقده لمعتقد المجمع النيقاوي . فلم يفطن قسطنطين للكمين وجازت عليه المكيدة ، فأرسل يستدعي أريوس من منفاه، فحضر سنة ٣٢٨ م هو وشماسه أوزويوس [٣]، وقدما للقيصر كتاباً أوضحا فيه

---

(١) سوزومين ك ٢ ف ١٧

(٢) روفينوس ك ١ ف ٩ وسقراط ك ١ ف ١٩ وسوزومين ك ٢ ف ٢٤

(٣) كان شماساً بكنيسة الاسكندرية، وقد حرمه البابا الكسندروس كما حرم آريوس (ملر م ٢ ص ١٧٦) .

عقيدتهما بألفاظ ملتبسة المعنى لا تقيد الأريوسيين بعقيدة خاصة. فاقتنع قسطنطين ببراءتهما وأصدر أمره بالعفو عن كل الأساقفة الذين كانوا قد نُفوا بسبب الأريوسية، فعاد هؤلاء الذئاب الى كراسيّهم وعادت معهم المنازعات والمشاغبات. وما وصل أوسابيوس أسقف نيقوميديا وتيوغنيس أسقف نيقية الى مقرّيهما (١)، حتى عقدا سنة ٣٢٩ م مجمعاً في أنطاكية حكم على بعض الأساقفة الأرثوذكسيين بعزلهم من أسقفياتهم بحجة أنهم «سابليون»، وكذلك حكم بتثبيت معتقد أريوس وبوجوب الاشتراك معه في الخدمة الكهنوتية (٢) ثم كتب أوسابيوس النيقوميدي الى اثناسيوس بابا الاسكندرية، رسالةً يدعوه فيها الى قبول أريوس في شركته، فأبى الحبر الاسكندري ذلك متمسكاً بقرارات مجمع نيقية التى كانت تحظّر قبول مثل ذلك الانسان. ولما يئس الأريوسيون من استمالة اثناسيوس اليهم، وشوا به الى القيصر قسطنطين مدّعين عليه انه مدّ بالمال فيلومينوس - عدو الحكومة الرومانية - ليساعده على التمرد والعصيان (٣). وقد صدّق قسطنطين هذا الافتراء فكتب الى اثناسيوس رسالةَ تهديدٍ دعاه فيها للمثول بين

---

(١) سوزومين ك٢ ف١٦ و١٧ وك٣ ف١٣ وسقراط ك١ ف٢٣-٢٦.

(٢) تاؤدوريتس ك١ ف٢١ وسقراط ك١ ف٢٤ وسوزومين ١ ك ف١٩

(٣) اثناسيوس «احتجاج ٢ ضد الاريوسيين، وتاؤدوريتس ك ١ ف ٢٥، وسقراط ك ١ ف ٢٧

يديه ليدافع عن نفسه، فلبى اثناسيوس الدعوة وأثبت للقيصر بطلان التهمة الموجهة اليه (١) الا ان الأريوسيين لفقوا ضد صاحب الترجمة تهماً جديدة عقدوا بسببها مجمعاً في صور سنة ٣٣٤م، استدعوا اليه اثناسيوس الذي أجاب الدعوة، باسطاً جناح العفو على اساءة القوم له. وقد بلغت القِحة بأولئك « القضاة الخصوم ! » أن تركوا اثناسيوس البارّ واقفاً في وسطهم دون ان يعيّنوا له كرسياً في الجلسة، فهاج ذلك سخط بوتامون القبطي أسقف هيراقليوبوليس، فالتفت الى أوسابيوس النيقوميدي ووبخه توبيخاً مراً بألفاظ قارصة (٢) كانت سبباً في ارفضاض الجلسة الاولى من هذا المجمع غير الشرعي ، على غير جدوى. وما وافى ميعاد انعقاد الجلسة الثانية حتى أقبل الأريوسيون يتميّزون غيظاً، متهمين اثناسيوس بتهم عديدة تغضّ من البصر ، فقد أتوا بامرأة باغية ادّعت في مجمعهم بأن القديس اغتصبها وسلبها بكارتها ، فقام تيموثاوس قس الكنيسة الاسكندرية متظاهراً أمام المرأة بأنه هو اثناسيوس ، ولما أنكر الحادثة المعزوّة اليه، قالت هذه الفاجرة بجسارة غريبة: « نعم انت يا اثناسيوس أغويتني وأفقدتني عفتي التي نذرتها للرب » (٣) .

ولم يكن هذا الانخذال ليرجع الاريوسيين عن غيّهم إذ ما لبثوا أن

(١) سقراطك ١ف ٢٧ و ٢٨ واثناسيوس احتجاج ٢ ضد الاريوسيين
(٢) ايفانيوس في الهرطقة الـ ٦٩
(٣) اثناسيوس احتجاج ٢ ضد الاريوسيين

ادّعوا على القديس أنه قتل ارسانيوس اسقف هبسيل (شُطب) وأنه استخدم ذراع ذلك الاسقف في السحر والشعوذة ، فأوعز اثناسيوس الى احد اتباعه الذي أحضر ارسانيوس امام المجمع صحيح اليدين [١] وما رأى الاريوسيون وجه ذلك الاسقف حتى جاش مِرجل غضبهم، فادّعوا ان اثناسيوس بقوة سحره أظهر شبَح ارسانيوس. ولما رأى اثناسيوس ما رأى من تحامل المجمع عليه، اضطرّ الى الهرب، فقصد القسطنطينية ليشكو أمره الى القيصر . وعند ما شعر الاريوسيون بأن فريستهم قد أفلتت من بين ايديهم، أوفدوا الى البلاط قوماً من حزبهم ليمهّدوا سبيل الضلال ويسدّوا كل باب يمكن ان يطرقه ذلك الحبر البريء [٢] . ثم والى مجمعهم اعماله فنظر في تهمة ثالثة وجّهت الى اثناسيوس، ومضمونها هدم مذبح القس اسخيراس بعد تحطيم أوانيه المقدسة . ولما كانت هذه التهمة ـ كسابقتيها ـ لا دليل على صحتها ، أرسل ذلك المجمع خمسةَ اساقفة لتحقيقها بمصر [٣] ، فما وصلوا الى الديار المصرية حتى حرّروا

(١) تاؤدوريتس ك ١ ف ٣٠

(٢) اثناسيوس احتجاج ٢ ضد الاريوسيين

(٣) هم تيؤدوروس وتيؤغنيس وماري الشرقيون ، وأورزاس وفالانس الغربيان. اما الاثنان الاولان فماتا في الطريق، وقام الثلاثة الباقون بهذه المهمة الدنيئة . وعلى ذلك كان الغرب سبباً في أول مصايب القديس اثناسيوس ، وسنرى فيما يلي ان الغرب ايضاً كان السبب في

محضراً سداه البُطل ولحمته البهتان [١] وبناء على ذلك المحضر الملفّق، أصدر المجمع حكماً غيابياً [٢] ضد اثناسيوس بتجريده من درجة رياسة الكهنوت وبعزله عن الكرسي المرقسي [٣] وعلى أثر ذلك الحكم انتقل الاساقفة المجتمعون في صور، الى اورشليم لتدشين الكنيسة التى اقامها القيصر قسطنطين هناك ،فانتهزوا هذه الفرصة وعقدوا سنة ٣٣٥م مجمعاً بتلك المدينة المقدسة، ايّدوا فيه الحكم على اثناسيوس

ولما كان الاريوسيون قد بلّغوا قسطنطين ان اثناسيوس حاول ان يمنع المؤونة التي ترد الى عاصمة مملكته سنوياً من البلاد المصرية، أخذ الغضب من هـذا القيصر كل مأخذ ، حتى أصدر أمراً بنفي بابا الاسكندرية الى مدينة تريف (الواقعة فى الجنوب الغربي من فرنسا)، دون أن يحقق التهمة الموجهة اليه [٤]، وهكذا وصل ذلك القديس الى منفاه في ٥ فبراير سنة ٣٣٥ م حيث قوبل بجفاوة من مكسيم اسقف تلك المدينة وقسطنطين الصغير واليها. وظل كذلك مدة سنتين واربعة

معظم المصايب التي صادفها هذا الحبر في حياته (راجع اثناسيوس في تاريخ الاريوسيين ف ٢٩ و ٣٩ و ٤٠، وايفانيوس في الهرطقة الـ٦٨).

(١) تاؤدوريتس ك ٤ ف ١٦ وايفانيوس هرطقة ٦٨ : ٩

(٢) تاؤدوريتس ك ٤ ف ١٦

(٣) فلوري في تاريخه الكنسي ك ١١ ف ٤٨

(٤) ملر في « تاريخ اثناسيوس » م ٢ ص ٢٠٣

اشهر [١] رجع اريوس في خلالها الى الاسكندرية ، حيث اغلق الشعب ابواب الكنائس في وجهه. ولما رأى الوالي ما كان من أمر هذا الشقي اجبره على العودة الى القسطنطينية خشية حدوث ثورة عامة. وفي سنة ٣٣٦ م عقد الاريوسيون مجمعاً في تلك المدينة حكم بوجوب اعتبار اريوس ارثوذكسياً، وبعزل الاساقفة الذين يخالفون هذا الحكم [٢]. ولما رأى الكسندروس أسقف القسطنطينية انه مضطر الى الاشتراك مع اريوس في الصلاة [٣] ، اجتمع بالقديس يعقوب اسقف نصيبين [٤] في كنيسة القديسة إيريني، واخذا يصليان ويتضرعان الى الله ان يخرج بيعته من تلك التجربة الشديدة رافعة لواء الغلبة والظفر [٥] فسمع الله صوتهما ، وما جاء اليوم التالي حتى كان أريوس في عداد الاموات بحيث لم يفده تصفيق رفاقه له في شوارع القسطنطينية تصفيق الفائز المنتصر [٦] .

(١) تاؤدوريتس ك ١ ف ٢٣ و٢٦ و٢٩، وسقراط ك ١ ف ٣٥

(٢) ايفانيوس هرطقة ٩٧ : ١٠

(٣) ايفانيوس هرطقة ٦٩ : ١٠

(٤) هي مدينة من ولاية حلب بسوريا، وفيها انتصر الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا، على الجيش العثماني بقيادة حافظ باشا. وكان ذلك في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ م

نصيبين مدينة في ديار ربيعة وليست البلدة التي في ولاية حلب

(٥) سقراط ك ١ ف ٣٧

(٦) قال سقراط (ك ١ ف ٦٨): « انما امات الله أريوس في مرحاض عمومي حيث اندلقت امعاؤه وقد اعتبر الشعب هذه الميتة انتقاماً من العدل الالهي».

وفي سنة ٣٢٧م شعر القيصر قسطنطين بانحطاط قواه فقصد نيقوميديا طلباً للراحة ، حيث تجسّم أمام عينيه سوء صنيعه باثناسيوس ، فندم على ما فرط منه ضده وعزم على اعادته من منفاه(١) . ولما حال دنوّ أجله دون ذلك ، سطّر رغبته في كتاب وصيته الذي قسّم فيه مملكته بين ابنائه الثلاثة قسطنس وقسطنت وقسطنطين الصغير(٢)، وهكذا مات قسطنطين الكبير في أواخر سنة ٣٣٧ مطمئن البال هادئ الضمير وما جلس قسطنطين الصغير على تخت فرنسا حتى بادر الى تنفيذ وصية أبيه ، مستدعياً الاساقفة الارثوذكسيين من منفاهم ، وفي مقدمتهم أثناسيوس الذي عاد الى الاسكندرية سنة ٣٣٨م ، مشمولاً بانعامات القيصر مغموراً باحساناته(٣) . ولا حاجة الى القول بأن هذا النبأ وقع وقعاً سيئاً في

(١) تاؤدوريتس ك ١ ف ٣٢

(٢) ملك قسطنس الشرق بأكمله، وتولى قسطنت على ايطاليا وافريقية والالليريكون، وتربع قسطنطين على عرش فرنسا واسبانيا وبريطانيا.

(٣) اثناسيوس في احتجاجه الثاني ضد الأريوسيين ف٨٧، وفي تاريخه عن الأريوسيين ف ٧ - : ومن الغريب أن يدّعي اللاتين ان يوليوس اسقف رومية هو الذي أرجع اثناسيوس الى كرسيه بنفوذه وسلطته ، مفترين بذلك على اثناسيوس نفسه بل على التاريخ ، الذي يقرر ان يوليوس اسقف رومية لم يتداخل في موضوع اثناسيوس ولا في القضية الأريوسية ، الا بعد المجمع الانطاكي الذي انعقد سنة ٣٣٩،

نفوس الأريوسيين، الذين عقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٣٤٠، حكموا فيه بعزل اثناسيوس بابا الاسكندرية، وأقاموا مكانه رجلاً من حزبهم يدعى بستوس كان قد حرمه البابا الكسندروس الاسكندري. ثم بعثوا بقرارات هذا المجمع الى يوليوس اسقف رومية ليكتسبوه لجانبهم (١)، وكان يوليوس غير ملمٍ بحوادث الشرق ولا علم لديه بحقيقة أمر الاريوسيين، فأشار عليه أساقفته بألاّ يتداخل في الأمر قبل أن يستوثق من صحة الأخبار الواردة اليه، وعلى ذلك كتب الى اثناسيوس رسالةً تتضمن التهم الموجهة ضده. فعقد صاحب الترجمة مجمعاً في الاسكندرية سنة ٣٤٠م احتجّ فيه على أعمال الأريوسيين المخالفة للقوانين الكنسية (٢). ثم حرّر رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة، مظهراً فيها براءته من كل التهم المعزوّة اليه، طاعناً في قانونية المجامع الأريوسية بقوله: « ان مثل هذه المجامع ليس لها ان تقاضي اسقف كنيسة الاسكندرية، الذي لا يقاضيه إلا مجمع مسكوني يمثّل الكنيسة بأسرها» (٣) ولما وقف الأريوسيون على تلك الرسالة خشوا تأثيرها في القلوب،

حيث أوفد اليه الأريوسيون وفداً ليقنعه بصحة الآراء الاريوسية، وبوجوب عزل اثناسيوس عن كرسيه، كما سيجيء ذلك في المتن

(١) رسالة يوليوس الى الأريوسيين المجتمعين في مجمع انطاكية.
(٢) اثناسيوس احتجاج ٢ ضد الأريوسيين
(٣) راجع هذه الرسالة في احتجاج اثناسيوس ضد الأريوسيين.

فعقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٣٤١م، أيدوا فيه الحكم الاول، وعرضوا اسقفية الاسكندرية على اوسابيوس الحمصي ، الذي رفضها لعلمه بما للاسقف الاسكندري من المحبة في افئدة رعيته [١] غير ان هذا الفشل لم يثن عزم الأريوسيين الذين ولوا وجوههم شطر غريغوريوس الكبادوكي. وكان غريغوريوس هذا عاتياً عنيداً ، اتفق مع الوالي فيلوغريوس على دخول الاسكندرية والاستيلاء على كنائسها بقوة الجند الذين كانوا تحت إمرته. وقد راعت جسارة الأريوسيين الشعبَ الاسكندري ، غير أنه أصرّ على المقاومة ، فانضمّ الجند الى الأريوسيين والوثنيين وهجموا على الكنائس في يوم جمعة الصلبوت ، حيث هتكوا حُرمة العذارى الطاهرات، وقتلوا الاطفال والشيوخ وذبحوا المصلين ذبح الاغنام، وهكذا طاحت الارواح البريئة في تلك المجزرة الأريوسية [٢] .

وليس من الغريب أن ينجو اثناسيوس البارّ من هذا الاضطهاد، لأن نعمة الله قد انقذته من يد الظالمين، فكتب رسالةً دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة قال فيها : « اني استغيث بكم وبالأرض والسماء مما حلّ بكنيستي . اني استغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسراءيلي الذي عند ما ماتت زوجته - بعد ان اغتصبها منه اعداؤه- قسّم جثتها الى اثني عشر قسماً ، بعث بكل قسمٍ منها الى سبط من اسباط

(١) سقراط ك ٢ ف ٩

(٢) سقراط ك ٢ ف ٨ ، وسوزومين ك ٣ ف ٥

يهوذا الاثني عشر ، ليتحدوا جميعاً ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التي تمثل الاسباط كلها » [١]

أما الأريوسيون فأوفدوا القس مكاريوس والشماسين مرتيروس وحزقيوس، الى يوليوس اسقف رومية ليعلنوه بحكمهم على اثناسيوس، وليلحّوا عليه بقطع كل علاقة معه . غير ان هذا الوفد قد صادف فشلاً تامّاً وتعنيفاً أليماً ، ممّا اضطرّ القس مكاريوس أن يهرب ليلاً ، دون الشماسين الذين طلبا من يوليوس أن يعقد مجمعاً مكانياً للنظر في القضية التي أتيا بشأنها . فكتب هذا الى الحبر الاسكندري يوقفه على طلب الأريوسيين ويلتمس منه تعيين المكان الذي يستنسب التئام المجمع فيه ، فلم ير اثناسيوس مكاناً أنسب من رومية، وذلك لما كان يعتقده من خلوص أرثوذكسية اسقفها يوليوس، فقصدها يرافقه الراهبان التقيّان أمّونيوس وايسيذوروس وبعض الأساقفة ، حيث قوبلوا بكل حفاوة واجلال [٢] ثم أوفد يوليوس الى الأريوسيين القسين ألبيديوس وبوليكسين، ليخبراهم بوصول اثناسيوس ويدعواهم الى حضور المجمع الذي جدّوا السعي في طلب عقده ، فخشيَ الخونة افتضاح أمرهم إن هم ناظروا أثناسيوس في مجمع لا نفوذ للأغراض فيه ، وأخذوا في اتّباع طريق المطْل والتسويف ، ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل جحروا

(١) تاريخ الأريوسيين لأثناسيوس ص ١١٦—١١٨

(٢) سقراط ك ٢ ف ١٥، وسوزومين ك ٣ ف ٨

على مندوبي يوليوس شهرين كاملين عقدوا في بحرهما مجمعاً بأنطاكية حيث حكموا برفض صورة الايمان التي سنّها المجمع النيقاوي ، ثم وضعوا بدل تلك الصورة أربع صور كانت أساساً للشيعة النصف الاريوسية[١] : تلك الشيعة التي تتفق مع الاريوسيين في القول « بعدم مساواة الابن لأبيه في الجوهر » ، وتخالفهم في القول « بأزلية وجود الابن في حضن الآب » .

وبعد أن وضع الأريوسيون هذه الصور الأربع ، أرسلوها الى يوليوس على يد مندوبَيه ، وأرفقوا بها رسالةً يعنّفونه فيها لقبوله أثناسيوس في شركته ، ويحتجّون عليه بقولهم : « إن الدعوة التي وردت الينا لحضور مجمع رومية، لم تكن دعوة مجمعية بل فردية ، ولذا فانّا لم نعتدّ بها »[٢] . فكتب اليهم يوليوس يعرّفهم بأنه لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية ، بل بصفته ممثلاً لمجموع اكليروس إيبرشيته ثم قال : « ان القوانين الكنسية لا تخوّل حق الحكم على اسقف كرسيّ رسوليّ مثل أثناسيوس ، إلا لمجمع اساقفة الكنيسة الاسكندرية أو لمجمع مسكوني ، وإنه في الحالة الثانية يجب اخطار جميع الاساقفة اصحاب الكنائس الرسولية »[٣] . وهكذا ظلّ اثناسيوس في رومية

(١) سقراط ك ٢ ف ١٠ ، وسوزومين ك ٣ ف ٥

(٢) اثناسيوس في احتجاجه الثاني

(٣) اثناسيوس في احتجاجه الثاني ، وسوزومين ك ٣ ف ١٠

ثلاث سنوات وضع في خلالها ترجمة القديس انطونيوس أبي الرهبان، ونشر الحياة النسكية فى جميع أنحاء الايبرشية الرومانية، حتى اعتنقها الكثيرون من سراة الرومان[١]. غير ان النزاع ـ الذي كان قائماً فى الكنيسة والذي لم تكن سورته قد أخمدت بعد ـ أقلق بال قسطنت قيصر الغرب. فدعا الأساقفة للاجتماع فى مدينة ميلانو سنة ٣٤٥م ليفصلوا فى الأمر، فاجتمعوا وقرروا وجوب عقد مجمع عامّ. وقد انعقد ذلك المجمع فى سرديكا[٢] سنة ٣٤٧م، مؤلفاً من مائة اسقف من الغربيين الأرثوذكسيين، ومن سبعين اسقفاً من الشرقيين الأريوسيين، يرأس الجميع أوسيوس اسقف قرطبة(٣). ولما طلب الغربيون أن يحضر أثناسيوس بشخصه فى المجمع ليحتج عن نفسه، أنكر الشرقيون عليهم ذلك الطلب وانسحبوا جميعاً، فكانت النتيجة أن فشل مجمع سرديكا قبل أن يبدأ فى عمله. ثم اجتمع الشرقيون وحدهم فى مدينة فيلبي حيث حكموا بحرم البابا اثناسيوس وكثيرين من الاساقفة المجتمعين فى سرديكا، وقد أردفوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا فيها: ان الغربيين يحاولون أن

(١) سقراط ك ٤ ف ٢٣

(٢) يدعي الكاثوليك المتأخرون ان مجمع سرديكا هو مجمع مسكوني، وسندحض هذه الدعوى فى فصل المجامع حيث نثبت أن ذلك المجمع لم يكن إلاّ مكانياً غربياً، أما سرديكا فهي مدينة بالالليريكون.

(٣) اثناسيوس فى احتجاجه الثاني، وفى تاريخ الأريوسيين ص ٣٥٢

يدخلوا على الكنيسة قانوناً جديداً ليحاكموا الاساقفة الشرقيين بمقتضاه [١]

هذا ما كان من أمر الشرق ، أما الغرب فقد ظلّ اساقفته مجتمعين في سرديكا حيث قرروا أولاً :- براءة اثناسيوس ومن معه من الاساقفة ثانياً :— تثبيت قانون ايمان مجمع نيقية . ثالثاً : — حرم الاساقفة الاريوسيين وفي مقدمتهم أورزاس وفالانس [٢]

وبعد أن ارفضّ مجمع سرديكا ، انتدب أعضاؤه افراتيوس أسقف كولونيا (بايطاليا) وفنسانت أسقف كابو (بايطاليا أيضاً) ، ليوقفا القيصر قسطنس على ماتقرّر . فما كان من الأريوسيين إلا أن بالغوا في إهانة هذين المندوبين وسعوا في اساءة سمعتهما، بأن دسّوا امرأةً زانيةً في مخدع افراتيوس ليتّهموه بالزنى ، غير أن مكيدتهم قد انفضحت باقرار المرأة نفسها .

ولما رأى القيصر ماانتابه من دسائس الأريوسيين ، ألغى جميع الأوامر التي كان قد أصدرها ضد الأساقفة الأرثوذكسيين ، ومن ثمّ عزم اثناسيوس على ان يبرح سرديكا ليعود الى وطنه، لأن غريغوريوس الكبّادوكي ـ مغتصب السدّة المرقسية ـ كان قد قُتل في ثورة شنّها عليه الاسكندريون . أما قسطنس فانه أراد أن يواجه البابا

(١) هيلاريوس (شذرة ٣ ص ١٣١٤) ، واثناسيوس في تاريخ الاريوسيين ف ١٨ — ٢٠ .

(٢) هيلاريوس (شذرة ٢ ص ١٢٨٧)، وتاؤدوريتس ك ٢ ف ٨.

الاسكندري ، فاستدعاه اليه برسالة أودعها منتهى الرقة ، وقد ابى اثناسيوس الدعوة الملكية فقصد رومية حيث ودع أسقفها يوليوس، الذي كتب الى القبط يبشرهم بقرب عودة أسقفهم اليهم ويقول لهم: «اني أحمد الله الذي حباني نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم »(١).

وقد طلب القيصر من أثناسيوس - عند ما مثل بين يديه - أن يسلم الاريوسيين إحدى كنائسه. فأجاب الطلب الملكي مشترطاً أن يتنازل الأريوسيون الأنطاكيون عن كنيسة من كنائسهم الى الارثوذكسيين (٢). ولما علم الانطاكيون بهذا الاتفاق أبوا إلا الاصرار على خلع اثناسيوس . فأعرض القيصر عنهم وأطلق سراح صاحب الترجمة، الذي عاد الى بلاده فأعاد اليها السكينة والغبطة (٣).

وما استرد اثناسيوس عرشه حتى أخذ في سحق البدعة الاريوسية وتثبيت العقيدة الارثوذكسية، برسائل هي آية في البلاغة . غير ان الشيطان عدو الخير، قد وسوس في صدر رجل جرماني يدعى مانيانس، فطمع في الاستيلاء على القسم الغربي من المملكة، ومن ثم شق عصا الطاعة للقيصر قسطنت وقتله في فتنة أثارها سنة ٣٥٠ م . ولم تقف به مطامعه عند هذا الحد، اذ مالبث أن فكر في الاستيلاء على القسم

(١) سقراط ك ٢ ف ٢٣، وسوزومين ك ٣ ف ١٠
(٢) سقراط ك ٢ ف ٢٣، وسوزومين ك ٣ ف ٢٢
(٣) غريغوريوس أسقف نزينزا في العظة ٢١

الشرقي، فأرسل الى مصر رجالاً يبثّون فيها روح التمرد على القيصر قسطنس. غير ان اثناسيوس شعر بهم، فدعا أبناءه الى الكنيسة وأوصاهم بأن يفوا للقيصر، واضعين نصب أعينهم الآية الرسولية القائلة: « ان من يقاوم سلطان الملك فانما هو يقاوم سلطان الله» . وهكذا حبطت في مصر مساعي مانيانس، الذي لم يرَ بدّاً من مقاتلة قسطنس قتالاً دارت فيه الدائرة على هذا المعتدي، حيث قتل سنة ٣٥٣ م .

وما استتبّ الأمن في المملكة حتى استأنف الاريوسيون النزاع، فوشوا باثناسيوس الى القيصر الذي صدّق وشاياتهم، وأخذ في اضطهاد الكنيسة عموماً والحبر الاسكندري خصوصاً[١] وعلى ذلك انعقد مجمع في مدينة أرلس بفرنسا سنة ٣٥٣م، تقرر فيه حرم اثناسيوس البارّ بعد خلعه عن أسقفيته، وقد وقّع على هذا القرار جميع الاساقفة الذين تشكل منهم ذلك المجمع،[٢] وفي مقدمتهم نائبا أسقف رومية (وهما فنسانت أسقف كابو ومارسيل أسقف كمبانيا[٣] بايطاليا)، اللذان أحدثا بتوقيعهما على هذا القرار ضجة كبيرة في الغرب، هدّأها ليباريوس ـ أسقف رومية يومئذ ـ برسالة بعث بها الى أوسيوس أسقف قرطبة

(١) سوزومين ك ٤ ف ١

(٢) يُستثنى من هؤلاء الاساقفة بولين أسقف تريف، الذي أبى أن يحكم على اثناسيوس، فنفي الى فريجية بآسيا الصغرى حيث مات.

(٣) هيلاريوس (شذرة ٥ ص ١٣٣٠)، وسلبوس سورس ك ٢ ف ٥٥.

قال فيها: « اني لو خُيّرت بين الموت وبين اختصام اثناسيوس لفضلت الاول على الثاني [١] » . ثم انه أرسل وفداً الى القيصر ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر، يعيد النظر في قرارات مجمع أرلس. فتم له ذلك وانعقد المجمع سنة ٣٥٥م في مدينة ميلانو (بايطاليا) وكان مؤلفاً من ٣٠٠ أسقف جلّهم أريوسيون، حكموا بحرم القديس اثناسيوس عدا نفر يسير منهم [٢] .

ولما كان ليباريوس قد أخذ على عاتقه إعلان براءة الحبر الاسكندري استدعاه القيصر اليه وأمره بالانقياد الى قرار مجمع ميلانو، فرفض ذلك رفضاً كانت نتيجته أن نفي الى مدينة بيرا بتراقيا [٣] وأقيم مكانه شماس أريوسي يدعى فيلكس الثاني [٤]. ثم ان القيصر كلّف سريانوس والي مصر باخطار اثناسيوس بحكم النفي الصادر ضده، وبتحويل الغلال – التي كانت تعطى لفقراء الارثوذكسيين – الى كنائس الاريوسيين . فأبى اثناسيوس أن يترك الاسكندرية حتى يتلقى أوامر الملك رأساً ، فغضب

---

(١) هيلاريوس (شذرة ٦ ص١٣٣٤) ، وبارونيوس في جدوله للازمنة عن سنة ٣٥٣ ف٢٠ .

(٢) أثناسيوس في تاريخ الأريوسيين ف٣٣ و ٣٤ و ٧٦

(٣) تاؤدوريتس ك ٤ ف ١٦ .

(٤) قال البرزي في ص ٧١ و٧٢ من كتابه (الحق الجليل) : «إن فيليكس لم يكن « بابا » أبداً لانه أقيم أسقفاً على كرسي رومية في حياة حبرها الحقيقي، وقُدّم من الاريوسيين لا من الرومانيين أعني بطريقة

الوالي لذلك وحاصر كنيسة العذراء (التي بناها البابا ثاؤنا) بخمسة آلاف جندي في وقت صلاة الغروب، متعمداً قتل صاحب الترجمة . غير ان الله شاء أن ينجو هذا الحبر مع الذين قُدّرت لهم النجاة [١] ، ففرّ الى الصحراء حيث حرّر احتجاجاً بليغاً وصف فيه صنوف البلايا التي أنزلها أعوان الملك بالأرثوذكسيين.

ولما كان الاريوسيون قد اتهموه بالنذالة لفراره من وجه الاضطهاد، حرّر احتجاجاً آخر بهذا الصدد قال فيه: « هم يعضّون إصبع الندم

غير قانونية ، ولان الشعب الروماني لم يقبله أبداً ولم يشأ أحد منهم الدخول الى الكنيسة ما دام فيليكس فيها ». قال البرزي ذلك، ولا ندري ما قوله في جداول البابوات التي وضعها معظم الكاثوليك المصريين، تلك الجداول التي ورد فيها اسم فيليكس الثاني بصفته البابا الروماني الـ ٣٨ أو الـ ٣٩ !! وما قوله في ألفونسيوس ليكوري الذي أدرج اسم فيلكس الثاني في سلك بابوات رومية الشرعيين القديسين؟! (راجع ص ٧٩٧ من تاريخه للهرطقات). هل يجسر حضرته على تخطئة قديسه ألفونسيوس، أم هو يفضّل أن يكذّب البابا الروماني بنديكتوس الـ ١٤ الذي قال في كتابه « تطويب القديسين » م ٤ ر ٢٧ ف ١٤ : « لا يمكننا ان نرتاب في قداسة فيلكس الثاني وفي استشهاده »؟؟ اننا نترك للبرزي الحرية بين اعتباره فيلكس دخيلاً ضالاً ، وبين نقضه لاقوال فطاحل بابواته « المعصومين !! » وأكابر قديسيه « الملهمين !! ... »

(١) اثناسيوس فى احتجاجه الثاني ف ٢٦ .

لانهم لم يتمكنوا من قتلي ، والآن هم يلومونني على هربي، غيرعالمين انه لو كان في الهرب جناية لكان في الاضطهاد جنايات. اني هربت لئلا أقتل، وهم يقتفون أثري لئلا أنجو من القتل. فليكفوا عن اضطهادي لأكف عن الهرب. وكيف لا يعلمون ان في فراري منهم حجة عليهم؟ ان المرء لا تفزعه الرقة واللين، بل القسوة والشدة بل غلظة القلب والتوحش»

ولما انتشر هذا الاحتجاج في الاقطار استشاط الاريوسيون غضباً، فأقاموا جاورجيوس الكبادوكي أسقفاً على الاسكندرية، واستكتبوا الملك قسطنس رسالة الى ملكي الديار الحبشية أزاناس وسازاناس، يخبرهما فيها بفساد سيامة فرومنتينوس أسقف الحبشة، لصدورها من اثناسيوس الهرطوقي!! وبوجوب حضوره الى الاسكندرية لاعادة سيامته من يد جاورجيوس الاسقف الاسكندري الارثوذكسي !! فلم يعبأ الملكان الحبشيان بهذا الافتراء لثقتهما بأرثوذكسية اثناسيوس ولاعتقادهما بصحة سيامة فرومنتينوس [1] . ولما جلس اللص جاورجيوس على الكرسي المرقسي، حاول اغواء أساقفة مصر على امضاء قرار أريوسي، واذ فشل فى مساعيه الشيطانية، كبل سبعة عشر أسقفاً منهم بالقيود والاغلال ، وزجهم فى ظلمات السجون. وكان هذا المغتصب جاهلاً غبياً دنيء الاصل سافل التربية ، فانتهز فرصة اغتصابه للكرسي المرقسي ، وتداخل فى شؤون الاسرات، وسهر على نهب الاوقاف والتركات. وقد

(١) اثناسيوس فى احتجاجه الثاني ف ٣١ وغريغوريوس النزينزى رقم ٩.

سوّلت له نفسه الخبيثة ان أشعل النار في المقابر ليحرق الارثوذكسيين الذين كانوا مجتمعين هناك ليترحموا على موتاهم، فأهلك منهم خلقاً كثيراً [١].

وبعد ان نفي صاحب الترجمة وتم للاريوسيين ما ارادوا، عقدوا مجمعاً في مدينة سرميوم [٢] سنة ٣٥٧ م، ترأس عليه الاسقفان الغربيان اورزاس وفالانس. وحضره القيصر قسطنس بنفسه. وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة انكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر، بدعوى ان الآب اعظم من الابن في الرتبة والمجد [٣]. وقد نجح الابالس في ارغام اوسيوس اسقف قرطبة على امضاء تلك الصورة، بعد أن أثخنوه ضرباً بالعصيّ حتى انتثرت لحمانه [٤]

ولما علم ليباريوس أسقف رومية وهو في منفاه، بما أتاه اوسيوس من التوقيع على صورة العقيدة الأريوسية التي وضعها مجمع سرميوم، بادرهو ايضاً الى التوقيع عليها بأمل انقاذه من نفيه وردّه الى كرسيه [٥]

---

(١) اثناسيوس في تاريخ الاريوسيين ف٥٣-٦٣ وتاؤدوريتس ك٢ ف١٤

(٢) سرميوم « Sirmium »: هي مدينة قديمة كانت قائمة على الشاطىء الأيسر لنهر ساف « Save » غربي فرنسا. عقدت بها اربعة مجامع (٣٤٩-٣٥٩ م) كان ثانيها أريوسياً، وقد وضع صورة ايمان وقّع عليها كثيرون من الاساقفة الكاثوليك (راجع قاموس جيرين م ٦ ص٤١٧)

(٣) ايفانيوس في الهرطقة اا ٧٢ وهيلاريوس في «المجامع» ص١١٥٧

(٤) هيلاريوس في « المجامع » ف١١، وايفانيوس في الهرطقة اا ٧٣

(٥) يشهد كلّ من اثناسيوس في تاريخه للأريوسيين ف٤٥ واغسطينوس

ثم كتب الى الأريوسيين ثلاث رسائل [١] ، رجاهم فيها أن يتوسطوا له لدى القيصر كي يعيده الى اسقفيته، وأعلن لهم لعنه لاثناسيوس وقطعه كلّ علاقة معه .

أما الاريوسيون فلم يظلّوا شيعة واحدة بل تشعبوا الى مذاهب، شتّى [٢] تبادلت اللعنات ، وانعقد للتوفيق بينها عدة مجامع في انقرا وانطاكية وسرميوم . وقد وضعت هذه المجامع قوانين ايمان يصادم بعضها بعضاً، مما كان سبباً في تمزيق شمل المؤمنين الارثوذكسيين

وفي سنة ٣٥٩ عقد القيصر مجمعين أولهما في مدينة ريميني بالالبريكون وخصّه بالغربيين، والثاني في مدينة سلوقية بايسوريا وخصّه بالشرقيين،

في كتابه ضد برمينيانوس ف ٥ : ان اوسيوس اسقف قرطبة قد ندم على امضائه عقيدة الأريوسيين . ولقد افردنا فصلاً ـ لاثبات سقوط ليباريوس في الهرطقة الاريوسية وعدم توبته اثر رجوعه الى كرسيه ـ يراه القارىء في نهاية ترجمة البابا اثناسيوس

(١) بعث ليباريوس بأولى هذه الرسائل الى الاريوسيين الشرقيين، وبالثانية الى اورزاس وفالانس وجرمانوس رءوس الاريوسيين الغربيين، وبالثالثة الى فنسانت اسقف كابو. (راجع هذه الرسائل الثلاث في هيلاريوس : شذرة ٦ ص ١٣٣٦)

(٢) من هذه المذاهب الأنوميون اتباع انوميوس، والاكاسيون اتباع أكاسيوس ، والباسيليون اتباع باسيليوس اسقف انقرا (بغلاطية) واسطفانوس اسقف سبسطية (بالكبادوك).

اناق

فايد كلا هذين المجمعين الضلال الاريوسي كل التأييد . ومما يجدر بالذكر أن مجمع ريميني كان مؤلفاً من اربعمائة اسقف غربي، امضوا الهرطقة الاريوسية - عدا ثمانية عشر منهم - وحكموا بوجوب خلع اثناسيوس [١] وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها اريوسية محرومة. قال ايرونيموس «ان مجمع ريميني (الغربي) قد تسبب في تحريف قانون الايمان النيقاوي، وجر الهرطقة الاريوسية على العالم باسره » [٢]

ولقد شجع الظفر الاريوسيين فعقدوا مجمعاً آخر في انطاكية سنة ٣٦١ أمضوا فيه صورة ايمان جديدة، « تعلم ان الابن غريب عن ابيه، يختلف عنه في الجوهر والمشيئة». وقد تثبتت هذه العقيدة الكفرية فى مجمع انعقد بالقسطنطينية فى نفس تلك السنة، ثم انتشرت فى انحاء العالم وهكذا وضع الاريوسيون سبعة عشر قانوناً للايمان، ابعدتهم عن الحقيقة الارثوذكسية المسطرة فى قانون الايمان النيقاوي. وصفوة القول ان الخلاف دب دبيبه بين الأريوسيين فأخرجهم عن طورهم وجعلهم يتدفقون فى ضلالهم، وقد ظلوا على هذه الحال الى ان مات قسطنس فى أواخر سنة ٣٦١م، حيث اخذت الكنيسة تعمل على اعادة سالف عزها واسترجاع قديم مجدها.

---

(١) اثناسيوس فى « المجامع » ص ٨٧٩، وفلوري م ٢ ك ١٤ ف ١١ ، وتاؤدوريتس ك ٢ ف ١٩ وسقراط ك ٢ ف ٣٩

(٢) خطاب ايرونيموس الى لوسيفوروس

ولما تولى القيصر يوليانوس الجاحد، أمر بارجاع الاساقفة من منفاهم، وكان غرضه من ذلك أن يحارب بعضهم بعضاً فتنحل عُرى الوحدة المسيحية. غير أن الله سخّر أثناسيوس لاحباط تلك النوايا الخبيثة[١] فما عاد ذلك الحبر الى سدّته - بعد ان تطهّرت من جاورجيوس الذى احرقه الوثنيون لاعتدائه عليهم — الا بادر الى تنظيم المختل فى كنيسة الله الارثوذكسية، فعقد مجمعاً سنة ٣٦٢م قرّر فيه ما يجب اتّباعه مع الاساقفة الاريوسيين الذين يعودون الى حضن الكنيسة المقدسة، وقد أبلغ أثناسيوس قراره فى هذا الشأن الى كنيسة انطاكية التي عملت بآرائه الحكيمة (٢)

ولما فشل القيصر في مشروعه، أمر بنفي اثناسيوس، وهدّد الديسيوس والي مصر بغرامة كبيرة ان هو لم يقم بتنفيذ هذا الامر، وعلى ذلك نفي اثناسيوس في هرموبوليس (الاشمونين). غير ان مدة نفيه لم تطل، لان الله جندل يوليانوس سنة ٣٦٣ م. وقد تولى بعده يوبيانوس فنشر حرية الاديان[٣]، وقرّر الغاء الامر الصادر من سلفه ضد اثناسيوس. ثم بعث اليه برسالة يمتدحه فيها على ثباته وشهامته، وأخرى طلب اليه فيها أن يوقفه على حقيقة الدين المسيحي والعقيدة النيقاوية، التي قاسى

(١) سقراط ك٣ ف١١ وروفينوس ك١ ف٣٣ وتاؤدوريتس ك٣ ف٥
(٢) اثناسيوس في مؤلفه « المجامع ».
(٣) سقراط ك٣ ف ٢٥.

الاهوال في سبيل المحافظة عليها . فأجابه اثناسيوس الى طلبه وشرح له العقيدة الارثوذكسية شرحاً لا يدع للنقد منفذاً ولا للهرطقة سبيلاً[١] .
وقد استدعى هذا القيصرُ اثناسيوس الى انطاكية وقابله مقابلةً حسنةً ، كانت نتيجتها رجوع عدد وافر من الاساقفة الاريوسيين الى حضن الكنيسة الارثوذكسية. وحدث أنّ بعض الكهنة ـ برياسة لوسيوس ـ حدثتهم النفس الأمّارة بالسوء ، أن يشوا بصاحب الترجمة الى القيصر ، فسخط عليهم إذ علم انهم من حزب جاورجيوس الكبّادوكي ، غير أن المنيّة قد عاجلته فمات سنة ٣٦٤ م بعد ان حكم سبعة اشهر .

وبعد وفاة يوبيانوس انقسمت المملكة الى شطرين ، شطرٍ غربي حكمه فالنتينيانوس ، وشطرٍ شرقي حكمه فالنس . ولما كان هذا الأخير أريوسياً ، اضطهد الأرثوذكسيين اضطهاداً شديداً. وفي سنة ٣٦٧ م أصدر قراراً يقضي بنفي جميع الاساقفة الذين كان قد نفاهم قسطنس وأعادهم يوليانوس. فاضطرّ اثناسيوس الى هجر الاسكندرية حيث ظلّ مختفياً بين المقابر أربعة أشهرٍ ، رأت الكنيسة المرقسية في خلالها أهوالاً يجفّ المداد دون وصفها . ومن فظائع هذا القيصر أنه أشعل النار في سفينة كانت تُقلّ ثمانين أسقفاً من المخلصين للعرش المرقسي، وخنق السجون بالقبط الذين لم يتّبعوا ضلال الأريوسيين،

(١) تاؤدوريتس ك ٤ ف ٢ و ٣

بعد ان نهب كلّ ما امتلكوه من حطام الدنيا [١]. ولما شعر باشتداد حنق الرعية عليه ، خشي سوء العقبى فاستدعى اثناسيوس الى كرسيه سنة ٣٦٨ م وله من العمر يومئذٍ ٧٢ سنة ،ولم تكن شيخوخة ذلك البطل الارثوذكسي العظيم لتقعد به عن أن يقوم بواجبه الرسولي خير قيامٍ :فقد دحض هرطقة أبوليناريوس [٢] في كتابين نفيسين ،ولم يكفّ عن مناضلة أصحاب البدع والهرطقات بلسانه وقلمه ، حتى قضى عليهم قضاءً مُبرماً . ولما رأى ما رأى من تهاون داماسوس اسقف رومية فى توقيع العقوبات الكنسية على أورانس (اسقف ميلانو ونصير الشيعة النصف الاريوسية) ، كتب اليه يحثّه على عقد مجمع مكانيّ لحرم هذا الأسقف الضالّ .فما كان من داماسوس إلا أن تقبّل رسالة اثناسيوس بسرور، وفي سنة ٣٧٠ م بادر الى حرم اورانس وبدعته [٣]. وهكذا طُهّر الغرب من بدع اريوس وذيولها، بفضل مساعي اثناسيوس. أما في الشرق ، فان صاحب الترجمة أخذ يكاتب باسيليوس اسقف قيصرية

(١) سقراط كـ ٤ ف ١٣ وسوزومين كـ ٦ ف ١٢

(٢) هو اسقف اللاذقية. ذهب الى ان لاهوت المسيح حلّ محلّ نفسه ، وقد حُرم هذا التعليم الفاسد في المجمع القسطنطيني(المسكوني الثاني). وكانت وفاة هذا المبتدع سنة ٣٩٠ م (سقراط كـ ٤ف ٣٦)

(٣) راجع ص٨٦من تاريخ اثناسيوس لمونفوكون«Montfaucon» الراهب الكاثوليكي البنديكتي (١٦٥٥ — ١٧٤١)

الكبادوك ، وغريغوريوس اسقف نزينزا ، وغريغوريوس اسقف نيصص وغيرهم من الاساقفة الارثوذكسيين، ويحثهم على قلع زُؤان الهرطقة الأريوسية وغرس بذور العقيدة الارثوذكسية . وبعد ان قضى حياته في جهاد وكفاح ، رقد بالرب في ٧ بشنس سنة ٩٠ ش .

ولصاحب الترجمة مؤلفات عديدة جداً أخصّها رسائله الدورية ، واحتجاجاته ضد الأريوسيين وضد القيصر قسطنس، ودفاعه عن نفسه بشأن هربه من وجه الأريوسيين . وله أيضاً كتاب في تاريخ الأريوسيين، وآخر في المجامع ، وله اربعة رسائل الى الاسقف سرابيون القبطي ، وكتاب في تجسد الكلمة وآخر في تفسير المزامير . وله عدا ما تقدم ـ وعدا مؤلفه في ترجمة القديس انطونيوس ابي الرهبان ومؤلفيه ضد أبوليناريوس ـ ألوف من الرسائل التي بعث بها الى جميع الاساقفة المسيحيين

هذا ولما كان صاحب الترجمة هو الطود الارثوذكسيّ ، الذي تكسّرت عليه أمواج الضلال الاريوسيّ ، بل الحصن المنيع الذي صدّ هجمات جاحدي لاهوت ابن الله ، منحته الكنيسة بحقٍّ لقب « رسوليّ » ، مكافأةً له على جهاده الذي شابه جهاد الرسل ، وايمانه الذي لم يتزعزع فكان الصخرة التي قال عنها رب المجد : « ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨)

سقوط ليباريوس في الهرطقة الاريوسية : ـ سيم ليباريوس اسقفاً على كنيسة رومية في ٢٢ مايو سنة ٣٥٢ م ، فدافع في أول أيام

اسقفيته عن القديس اثناسيوس ، دفاعاً كان سبباً في أن نفاه القيصر قسطنس سنة ٣٥٦ م الى مدينة بيرا بتراقية ، ثم أقام مكانه فيلكس (الثاني) الأريوسي أحد شمامسة الكنيسة الرومانية.

ولما كان ليباريوس ضعيف العزيمة ذهبت نفسه شعاعاً وهو في منفاه، فوقع على صورة العقيدة التي حررها الأريوسيون في مجمع سرميوم المنعقد سنة ٣٥٧م على ما مرّ بنا. ومن ثم أمر القيصر بطرد فيلكس الثاني وإعادة ليباريوس الذي دخل الى رومية موبوءاً بالهرطقة الاريوسية. وقد ظلّ سوسها ينخر في عظامه حتى مات في ٢٣ سبتمبر سنة ٣٦٦م

هذه حقيقة تاريخية ، كنا نمرّ عليها كما مررنا على غيرها من الحقائق ، غير ان تبجح المتمسكين بذيول « البابا الروماني » الذين يهبونه قوة سماوية تعصمه من كل خطأ ، قد اضطرّنا الى الوقوف عندها موقف الناقد البصير والباحث النزيه، راجعين في ذلك الى أقوال الكتّاب الذين تعوّل عليهم الكنيسة اللاتينية كل التعويل .

قال القديس اثناسيوس في كتابه «تاريخ الأريوسيين» ف ٤١ و٤٦ : « ان ليباريوس سقط في الهرطقة الاريوسية بعد ان قضى في النفي سنتين » . وقال في احتجاجه الثاني ضد الاريوسيين ف ٨٩ : « انه لم يستطع ان يحتمل آلام النفي فكبا». وذكر ايرونيموس في كتابه « مشاهير الرجال» ف ٩٧ وفي «جدوله للأزمنة» عن سنة ٣٥٤ : « ان ليباريوس سئم المنفى وضجر من الوحدة، فأمضى الكفو

الأريوسي، ودخل رومية بعد ذلك الجحود ظافراً منتصراً » . وقال هيلاريوس اسقف بواتييه في الرسالة التي بعث بها الى القيصر قسطنس: « لقد كنتَ بافراجك عن ليباريوس أشد كفراً وأكثر الحاداً مما كنت عليه عند أمرك بنفيه». وقال أيضاً ذلك الاسقف الارثوذكسي الغربيّ في رسالته الى ليباريوس ف ١١: «الويل لك أيها المجرم الخبيث، الويل للمقطوع من شركة الكنيسة الجامعة، الويل لك يا مثلث اللعنة»

وفوقَ ذلك فقد ظهر في القرن الخامس ثلاثة كتب لاتينية تسجّل على ليباريوس سقوطه في هرطقة اريوس، ولم تزل هذه الكتب موجودةً حتى اليوم ، وهي : « تراجم الباباوات الرومانيين» و« اعمال استشهاد القديس فيلكس الثاني » و « اعمال استشهاد القديس اوساييوس (اسقف فرسيل) الذي قتله ليباريوس !». ولقد قال القس أوكسيليوس (أحد رجال القرن العاشر) في كتابه « الدفاع عن البابا فُرموز ضد البابا سرجيوس الثالث (وكلاهما رومانيّ) : « من ذا الذي يجهل ان ليباريوس قد انغمس في الهرطقة الأريوسية، وأنه أصبح ركناً من أركان هذه الهرطقة الفظيعة؟ ومن لا يدري ان سلوك ذلك الاسقف الضالّ ، بات سبباً في المصايب التي حلّت برومية بعد عودته اليها؟». وقد أشار الكردينال بارونيوس الى تلك المصايب بأن قال : « لما استردّ ليباريوس كرسيه، أجبر الشعب على اتباعه في ضلاله، واضطرّه الى قبول الاسرار الالهية من يده ،غير ان الرومانيين قد رفضوا هذه الشركة

الأثيمة، وانفصلوا عن اسقفهم الجاني الذي أثار عليهم حرباً عواناً سفكت فيها دماء الأبرياء حتى في صحن الكنائس وأمام الهياكل! »[1]. وبعد أن أتى ذلك الكردينال الكبير — في جدوله للازمنة عن سنة ٣٥٧ ف ٤١ — على هذه الحوادث التاريخية المحزنة، قال بصريح العبارة: « لا يمكن ان يوجد تاريخ أصدق من هذا !!! »

ولو لم يدع البرزي القبطي الكاثوليكي في ص ٧١ من كتابه « الحق الجليل » : « ان القديس !! ليباريوس ما رجع الى كرسيه اراتيكياً منكسراً، بل أرثوذكسياً مظفراً !! »، لوقفنا عند هذا الحد ولما أطلقنا العنان للقلم للتوسّع في اعلان الحقيقة التاريخية التي لا يقوى على طمس معالمها ألوف من أمثال حضرته.

ادّعى البرزي ما ادّعى وحاول اثبات دعواه بأن نسب الطيش والرُّعونة الى الحبر اثناسيوس صخرة الأرثوذكسية حيث قال: «ان هذا القديس قد كتب ما كتب ضد ليباريوس، بناء على الاشاعات التي وصلت الى مسامعه! دون ان يتثبت من صحتها !! »، ومن الغريب أن يخطّئ البرزي اثناسيوسَ القبطي، دون المؤرخين اللاتين الذين قرروا في مؤلفاتهم نفس الحادثة التي قررها ذلك الحبر العظيم.

على اننا لو سلمنا جدلاً بادعاء البرزي، فلا ندري كيف ساغ

(١) راجع بوسويه في كتابه « الدفاع عن اقرار الاكليروس الفرنسي » ك ٩ ف ٣٣

لأثناسيوس أن يدوّن في تاريخه ورسائله مثل ذلك الحادث الخطير، مستنداً على مجرد الاشاعات ، بينما هو يعلم انه إنما يطعن على ليباريوس أسقف «المدينة الابدية!» بل رأس الكنيسة المنظور! بل إمام المسيحية المعصوم ؟! كيف ساغ له ذلك إن لم يكن واثقاً من أن أسقف رومية - كغيره من الأساقفة - قد يكون شر الخلق كفراً وأخبثهم هرطقة ؟!

واذا غضضنا النظر عن تعريض البرزي بالقديس اثناسيوس ، فهل يجوز لنا أن نغضّ النظر أيضاً عن تكذيب حضرته لبابا ه بيوس التاسع ، الذي - مع تقريره العصمة الفاتيكانيّة ! - صدّق على قاموس بوليه[1] « Bouillet » القائل في ص١٠٤١ : « ان النفي قد زعزع ايمان ليباريوس فوقّع على صورة عقيدة الأريوسيين ؟ ؟ » .

لا يتوهمنّ البرزي انه - بدفاعه عن « قداسة » ليباريوس - قد سفّه رأي الأرثوذكسيين الذين لا ينحون نحو حضرته في الاعتقاد بهذه القداسة المكذوبة، لأنه انما يسفّه رأي أئمة الكنيسة الرومانية القائلين بضلال هذا الأسقف الروماني، الذي ختم الله على قلبه ليجعله حجةً على المبشرين « بالعصمة الفاتيكانية » ..! واليك شيئاً من أقوالهم :

قال الاسقف الفرنسي بوستيل « Postel » في ص ١١٠ من كتابه « تاريخ الكنيسة »[2] : « ان ليباريوس قد جبن لدرجة أدّت

(١) هو فيلسوف فرنسي (١٧٩٨ — ١٨٦٤ م) .

(٢) طبع سنة ١٨٤٢ في مطبعة الآباء الاغسطينيين في «ليل» بفرنسا.

به الى أن يوقع الحرم على القديس اثناسيوس الاسكندري...» .وجاء في ص ١٤٧ من كتاب « الدلالة اللامعة » ، الذي عُنيَ بطبعه مجمع انتشار الايمان برومية(البروباغنده)ـ وكذلك في ج١ص١٩٢و١٩٣ من « تاريخ الكنيسة »[١] للومُند الجزويت ـ مايؤيد سقوط ليباريوس في هرطقة اريوس وحرمه لأثناسيوس . وقال السيد غريغوريوس جرجس شاهين [٢] في ص ١٣٥ من كتابه « نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القديم » مايأتي : « يعلّم التاريخ اليقيني أن ليباريوس الحبر الروماني(المعصوم!) كان قد صدّق على صورة ايمان الأريوسيين الناكري لاهوت المسيح ! ! » .

أما ألفونسيوس ماريا دي ليكوري معلم كنيسة رومية ، فقال في ص ٨٣ من كتابه « تاريخ الهرطقات » : « إن البابا ليباريوس الذي كان منفياً في بيرا منذ ثلاث سنوات ، قد فشلت روحه من الاهانات والانفراد ، ولا سيما من حزنه لدى مشاهدته شماسه فيلكس الثاني ، البابا الكاذب جالساً على الكرسي الروماني ، فأمضى إحدى الصور الأريوسية حارماً القديس اثناسيوس ومشاركاً الاساقفة الاريوسيين» ومن غريب أمر ليكوري انه اذا كتب عن ليباريوس، حاول تبرئته

(١) طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨١ م

(٢) هو رئيس أساقفة حمص وحماة وتدمر وتوابعهن للسريان الكاثوليك بدمشق . وقد طبع ذلك الكتاب سنة ١٩١١ م

وجرّ الذنب على فيلكس الثاني ! ثم اذا كتب عن هذا الأخير أسقط عنه التهمة معرّضاً بليباريوس ! واليك ما قاله في ص ٨٦ من كتابه « تاريخ الهرطقات » ـ نقلاً عن الكردينال بارونيوس في جدوله للأزمنة عن سنة ٣٥٧ ف ٥٧ ـ : « كان وقتئذ كثير من الرومانيين أخصاماً لليباريوس بسبب سقوطه، وكانوا قد تبعوا البابا فيلكس الثاني الذي وان كان أولاً من المنشقين ، وأقيم بنوع غير شرعي من ثلاثة أساقفة أريوسيين، إلا انه لما سمع بخطأ ليباريوس، اتحد مع الكاثوليكيين وحرم الملك ، ومن ذلك الوقت ابتدأ أن يُعتبر بابا شرعياً كما ابتدأ أن يحسب ليباريوس معزولاً عن البابوية » .

والأغرب من ذلك أن نرى ليكوري عينه — في نفس كتاب « تاريخ الهرطقات » ص ٧٩٧ ـ ناظماً اسم كلٍّ من ليباريوس وفيلكس الثاني في سلك أسماء باباوات رومية الشرعيين، ومصدّراً إياه بلقب قديس!

أما استناد الاقباط المتليتنين على السنكسار القبطي لاثبات قداسة باباهم ليباريوس ، فهو محض مكابرة، إذ هم يعلمون أن سنكسار كنيستهم الرومانية « المعصومة ! » ، لا يعرف ليباريوس قديساً [1] حتى أن

(١) راجع تاريخ الكنيسة للقس اللاتيني روهرباكر «Rohrbacher» (١٧٨٩ — ١٨٥٦). مع العلم بأن الكردينال بارونيوس — عند إعادة طبع كتاب « أعمال استشهاد الآباء الرومانيين » ـ قد حذف منه اسم ليباريوس الذي كان وارداً به في اليوم ال٢٣ من سبتمبر وال١٧ من مايو.

الرهبان الدومنيكان — في كتابهم « سيرة القديسين » المطبوع بالموصل سنة ١٨٧٠ — قد أغفلوا اسم هذا البابا اغفالاً ، وترفعوا عن أن يجمعوا بين القديس وغيره .....

ولما كنا نحن الارثوذكسيين لا ندعي العصمة ولا نكابر في الحق ، فانا لانخشى من التصريح بأن سنكسارنا قد أخطأ في اعتباره « الأريوسي » قديساً ، ونتمنى أن نرى اليوم السعيد الذى يتم فيه إصلاح ذلك الخطأ ، كما نتمنى أن تدنو الساعة المباركة التي يقضي فيها الكاثوليك على بدعة العصمة ، إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل .

بطرس الثاني البابا ال٢١ (٣٧٣-٣٨٠ م) :- هو من فطاحل علماء الاسكندرية ومن أتقياء اكليروسها . تلمذ للقديس اثناسيوس فحاز مكانة كبرى لدى هذا الحبر ، الذي أرسله الى الاقطار السورية سنة ٣٧١ م ليعاون القديس باسيليوس الكبير (أسقف الكبادوك) على نشر السكينة والسلام في تلك الاقطار ، ولا سيما في أنطاكية التي طالما مثل فيها الأريوسيون مظالمهم ومساوئهم (١) . ولما رقد اثناسيوس اتفق الاكليروس والشعب على أن يخلفه صاحب الترجمة ، فرفعوه الى العرش المرقسي الذى ما علاه ، حتى تتبع خطة سلفه ومعلمه في قطع

(١) راجع رسائل القديس باسيليوس الكبير رقم ٦٦و٦٩و٨٠ طبعة البنديكتان .

دابر الهراطقة واستئصال شأفتهم . وكان ذلك سبباً في ان هاج هائج الأريوسيين الذين بعثوا برسالة الى القيصر فالنس يؤكدون له فيها عدم صلاحية بطرس لذلك المنصب الخطير . وقد أثرت تلك الرسالة في نفس القيصر ، فكتب الى بلاديوس والي مصر بنفي بطرس والاستعاضة عنه بلوسيوس زعيم الحزب الأريوسي. ثم أمر أوزويوس - بطريرك أنطاكية الدخيل - بأن يرافق لوسيوس الى مصر في جيش جرّار يقوده الكونت ماجينوس أمين خزينة المملكة، وذلك لقمع كل ثورة يقوم بها الشعب الاسكندري (١) .

ولما استلم الوالي بلاديوس رسالة القيصر، أخذ في تنفيذ مضمونها بفظاعة لم تحفظ بطون التواريخ أشدّ منها هولاً : فقد هجمت على الكنائس شرذمة من الوثنيين ، ففتكت بالمصلين ، وهتكت أعراض المصليات داخل الهياكل ..! وقد بلغ الفحش بأحد هؤلاء الوحوش أن تعرّى عن ثيابه في وسط النساء ، وأخذ يجدف على اسم الله القدوس بألفاظ البذاءة التي ترتعد لها الفرائص وتصطكّ منها الآذان... (٢) .

أما القديس بطرس فانه اذ رأى أن لا فائدة لرعيته من استسلامه للهلاك ، فرّ من وجه مضطهديه واختفى في قصر خرب قريب من شاطىء البحر ، حيث كتب احتجاجاً بليغاً عما حلّ برعيته، لم يزل

(١) راجع تاريخ اثناسيوس الكبير للمرم ٣ ص ٢٧٥ .

(٢) راجع تاريخ اثناسيوس الكبير للمرم ٣ ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

باقياً حتى اليوم، ينطق بثبات كنيستنا القبطية إزاء أعظم الكوارث وأشد الملمات. وما لبث هذا الحبر ان توجه الى رومية[١] حيث أحسن داماسوس[٢] (اسقف تلك المدينة) وفادته وأكرم مثواه. ولما كان صاحب الترجمة يعلم ان الكنائس الشرقية تتهم الكنيسة الرومانية بالهرطقة لعدم إصدارها الاحكام القانونية ضد بدع ابوليناريوس ومارسيل[٣]

(١) انظر « سفر البابا بطرس الثاني الى رومية »

(٢) ولد حوالي سنة ٣٠٤ وسيم أسقفاً على رومية في أول اكتوبر سنة ٣٦٦ م . كان صديقاً كبيراً لليباريوس حتى تبعه في منفاه ، غير انه عندما تربع فيلكس الثاني على الكرسي الروماني ، انفصل عن صديقه وانضم الى حزب فيلكس الذي اقامه اسقفاً عليه . اما حزب ليباريوس فسام اورسيسينوس: وقد وقع بين الحزبين نزاع شديد، أدى ببعض كهنة رومية ان اتهموا داماسوس لدى القيصر فالنتينيانوس بأنه في يوم ٢٦ اكتوبر سنة ٣٦٦، جرد حملة على الكنيسة التي بناها ليباريوس. فحكمت السيوف في رقاب ستين رجلا من المصلين. واردف الرومانيون ذلك بان عقدوا مجمعاً سنة ٣٦٧ م أثبتوا فيه الزنى على داماسوس الذي قوي عليهم وطردهم من المدينة مع اسقفهم اورسيسينوس (راجع دا . مع . فر . تحت كلمة Damase) .

(٣) هو اسقف أنقرة بغلاطية . كتب ضد اريوس ولكنه تطرف في تعليمه فجدد بدعة سابليوس . وقد حُرم هو وتعليمه في المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) سنة ٣٨١ م .

ومقدونيوس -[١] أشار على أسقفها داماسوس بان يعقد مجمعاً مكانياً لاعلان براءتها من تلك الوصمة. فانعقد ذلك المجمع سنة ٣٧٨م وقضى على تلك البدع ، ثم بعث بقراراته الى القديس ملاتيوس أسقف انطاكية فصادق عليها هو ومائة وستة واربعون اسقفاً شرقياً كانوا ملتئمين في مجمع بتلك المدينة [٢] .

وفي أوائل سنة ٣٧٤م حضر لوسيوس واعوانهُ الى الاسكندرية فرحّب بلاديوس بهم وأكرمهم ، على عكس الشعب القبطي الذي بالغ في احتقارهم وأبى أن يعرف لوسيوس أسقفاً عليه مفضلاً اقامة الصلاة في المنازل على اقامتها في الكنائس. فاستدعى القائدُ ماجينوس رؤساء الكهنة وأخذ يحثهم على الخضوع للأسقف الجديد، سالكاً معهم طريق الوعد تارةً والوعيد أخرى . ولما خابت آماله فيهم أنزلهم في سفينةٍ مخلعةوتركهم تحت رحمة الماء والهواء، فهلك بعضهم ونجا البعض

(١) كان اريوسي المذهب ، وقد أقامه الأريوسيون أسقفاً على القسطنطينية سنه ٣٤٣م، بعد ان طردوا عنها بولس اسقفها الشرعي. وفي سنه ٣٦٠م عُزل مقدونيوس ومات في منفاه . أما بدعته فتقضي « بانكار ألوهية الروح القدس » وقد حُرمت في كثير من المجامع المكانية ، وأخيراً قضي عليها بصفة نهائية في المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) (سقراط ك ٢ ف ٩ و ١٢ و ٣٠) .

(٢) راجع ج١ ص ١٧٦من مجموعة المجامع لهولستين Holstein.

الآخر حيث قذفته الأمواج الى سواحل فينيقية وهليوبوليس.[١]
ثم عوّل بلاديوس على زيارة القبط في مساكنهم عله يتمكن من اقناعهم بوجوب الخضوع للوسيوس. واذ صادف منهم كل رفض وإباء ساقهم الى مناقع العذاب وموارد الردى[٢]. أما لوسيوس فلم يكتف بماحاق بقبط الأسكندرية، بل أحضر الخائن احدعشر أسقفاً[٣] من اساقفة القطر وعرض عليهم الأمر القيصري القاضي بوجوب انكار لاهوت المسيح، وخيّرهم بين التوقيع عليه والنفي، ففضّلوا النفي والموت على خيانة الايمان الارثوذكسي، فنفوا الى قرية بفلسطين كان معظم سكانها من اليهود

---

(١) مدينة بسوريا، بينها وبين دمشق ثمانون كيلومتراً.

(٢) ملر في «أثناسيوس الكبير» ج ٣ ص ٢٧٧

(٣) كان بين هؤلاء الاساقفة، ميلاس أسقف رينوكولور (العريش) الذي تتلمذ للقديس انطونيوس، والذي لم يفارقه الا ليُمنح تاج الاسقفية. ومن بديع ما حفظه التاريخ عن هذا الاسقف انه في الوقت الذي جاءه نواب الوالي يطلبونه للنفي، كان مشتغلاً بتنظيف قناديل الكنيسة، فقابلهم ويداه ملوّثتان بالزيت وثيابه يعلوها التراب، فظنوه خادماً وسألوه عن الاسقف، فذهب بهم الى الدار الاسقفية حيث أعدّ لهم وليمة فاخرة، ولما كرّروا عليه السؤال قال لهم: «انا هو الاسقف الذي تطلبونه» فأعجبوا باتضاعه وعرضوا عليه الفرار فأبى إلاّ الذهاب مع اخوته الاساقفة الذين كانوا يهزءون بالعذاب المعدّ لهم (ملر ج ٣ ف ٢٧٨)

المتعصبين ضد المسيحيين (١).

وبعد أن مثّل لوسيوس الأريوسي بالكهنة والشعب – كما مثل بهم غريغوريوس وجاورجيوس من قبل – عوّل على التمثيل بالرهبان سكان الصحارى، فأرسل اليهم في صوامعهم من كدّر عليهم السماء الصافية وأفسد الهواء النقيّ. غير ان الله قيّض لهؤلاء القديسين امرأة رومانية صالحة تُدعى ميلانيا (وهي ابنة القنصل مرسيلين)(٢) فأوت عدداً وافراً منهم، ثم قصدت الحاكم بلاديوسَ بنفسها وأخذت تدافع عن الكواكب الساطعة في البرية، دفاعاً كان له في نفسه أحسن تأثير، فلبّى طلبها ووعدها بألاّ يمسّهم بأذى(٣) غير ان «الذئب الأريوسيّ»، مغتصب العرش المرقسيّ، كان قد سبق فنفى القديس مكاريوس الكبير مع بعض الرهبان الى جزيرة فيلي الوثنية. وكانت ابنة كاهن هذه الجزيرة مصابة بروح نجس فما شعر بهم حتى صاح قائلاً: «لِمَ أتيتم يا عبيد الله الى هذا المكان الذي استوطنّاه من زمن بعيد؟ أطمعتم في الاستيلاء على هذه الجزيرة بعد ان استوليتم على القطر بأكمله؟ ها نحن نتركها لكم، إذ لا قوّة لنا على مقاومتكم»(٤). ولما صلى النسّاك على الفتاة

(١) ملر في «اثناسيوس الكبير» ج ٣ ص ٢٧٨

(٢) ان الذي أتى بهذه السيدة الى صحارى مصر هو روفينوس الاكويلي، وذلك ليريها الفضيلة مجسمةً في رهبان القبط

(٣) سوزومين ك ٦ ف ٢٠

(٤) ليكوري في تاريخ المرطقات ص ٩٨

فارقها ذلك الروح الشرير فبرئت ، وللحال اعتمد معظم أهالي تلك الجزيرة الوثنية، فتحولت الى جنة تجري من تحتها أنهار الفضائل المسيحية.

وحدث في تلك الايام أن انتصرت موفيا ملكة العرب على الرومانيين بقرب شاطئ البحر الاحمر ، فحررت في شروط الصلح أن يسام الراهب موسى القبطي أسقفاً على بلادها ، وكان ذلك الراهب مشهوراً بالتقوى وبما أجراه الله على يديه من الآيات والمعجزات، فقبل القيصر فالنس ذلك الشرط وأرسل موسى الى الاسكندرية ليُسام أسقفاً . ولما شرع لوسيوس الاريوسي في إقامة صلاة السيامة، هتف موسى قائلاً : « أنا لا أقبل أن توضع على رأسي يد تلطخت بدماء المسيحيين، وأرفض أن يسيمني أسقف دخيل ينكر لاهوت ابن الله » . فخجل لوسيوس من هذه الاهانة العلنية ، ولكنه ـ إذ خشي بأس القيصر فالنس ـ كظم غيظه وأرسل موسى الى الاساقفة المنفيين ، حيث وضعوا عليه أيديهم فنال الدرجة الاسقفية (١) . وعلى أثر هذه الحادثة هاج الشعب الاسكندري هياجاً شديداً، وأخذ يحارب ذلك « اللص الاريوسي » قائلاً له : « انما أنت يا لوسيوس تقاوم الله بمقاومتك قديسيه ». وما انفك عن محاربته واحتقاره حتى أنزله صاغراً عن العرش المرقسي المقدّس .

وفي شهر مايو سنة ٣٧٨م أصدر القيصر فالانس أمراً بارجاع كل الاساقفة المنفيين، فعاد القديس بطرس الى الاسكندرية واستولى على

(٢) تاريخ « اثناسيوس الكبير » المرج ٣ ص ٢٨٠

جميع كنائسها الارثوذكسية. ولما رأى ذلك الحبران كنيسة القسطنطينية كانت ممزقة من الهراطقة، وافق على اقامة غريغوريوس النزينزي مديراً لشؤونها. غير ان مكسيموس الكلبي - الذي كان مشهوراً بفظاظته وغلظته.. طمع في تلك الاسقفية وأخذ يشي بغريغوريوس الى البابا بطرس الذي صدق هذه الوشايات، فكلّف بعض الاساقفة المصريين بعزل غريغوريوس واقامة مكسيموس بدلاً منه. وعند ما شرع الاساقفة في ذلك، ثار أهل القسطنطينية على مكسيموس وطردوه من المدينة صاغراً، فقصد القيصر تاؤدوسيوس متظلماً. وإذ لقي منه صداً سافر الى الاسكندرية وأخذ يوغر صدر البابا بطرس على القديس غريغوريوس. ولكن الحبر الاسكندري كان قد عرف الحقيقة، فطلب من الوالي أن ينفي مكسيموس، فلبّى طلبه. وقد أغفل التاريخ ذكر الكلبي بعد ذلك النفي، أما البابا بطرس فبعد أن ثبّت الرعية في الايمان، رقد بالرب في ٢٠ امشير سنة ٩٧ش.

سفر البابا بطرس الثاني الى رومية: - يدّعي الكاثوليك المتأخرون ان في سفر هذا البابا الاسكندري الى رومية، دليلاً قاطعاً على الرياسة الرومانية والسلطة الفاتيكانية(١). غير ان الحقيقة التاريخية - فضلاً عن اسقاطها هذه الدعوى من اساسها - فانها تحوّلها على رءوس

(١) راجع «الدلالة اللامعة» ص١١٤

أصحابها ، لان البابا بطرس لم يقصد كنيسة رومية بصفتها أمّاً لجميع الكنائس كما يزعم القوم ، بل بصفتها الكنيسة الوحيدة التي كانت الهرطقات حاطةً رحالها بها ، دون ان تصادف أقل مقاومة ! فذهب اليها الحبر الاسكندري ليحث اسقفها داماسوس على أن يقتدي باخوته اساقفة الكنائس الشرقية في محاربة أهل البدع ، لا ان يقاوم اخوته بتعضيده أولئك الاشقياء. وتفصيل هذا الاجمال ان الله كان قد قيّض ملاتيوس الارثوذكسي للكرسي الانطاكي، فأغضب ذلك ايسيفوروس اسقف كاجلياري (بجزيرة سردينيا بالبحر المتوسط) وداماسوس اسقف رومية ، فأوعز الثاني الى الاول بأن يخلع الاسقف الشرعي (ملاتيوس) عن كرسيه ، ويقيم بولينوس بدلاً منه.

ومازاع هذا النبأ المحزن - الدالّ على استخفاف داماسوس بالقوانين الكنسية - حتى قام القديس باسيليوس الكبير يستغيث بطود الارثوذكسية اثناسيوس الرسولي قائلاً له: «ان نشر ألوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية، منوط بك وحدك ، لأن ما أصاب هذه الكنيسة، يفتقر الى شفقتك الانجيلية وحكمتك الرسولية. ان كنيسة انطاكية أيها القديس، لم تمزقها أيدي الهراطقة، بل أيدي أولئك الذين يدّعون انهم ارثوذكسيون وهم شرّ من الأريوسيين » (راجع رسالته الـ ٦٦) [١]

(١) لو غضضنا النظر عما في هذه الرسالة من الثناء والاطراء على القديس اثناسيوس — مما لو وُجّه بعضه الى اسقف روماني ، لقام

ولم يكتفِ باسيليوس بتلك الرسالة بل أردفها برسالتين أشد منها لهجةً قال فيهما : « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين ، الذين يغرسون بذور الشقاق اينما حلّوا! » (راجع رسالتيه ال٦٩ وال٨٠)

ولما عاد اوسابيوس اسقف ساموساط من مدينة رومية — حيث كان موفداً لاصلاح ذات البين — كتب اليه باسيليوس الكبير يقول: « لقد علمتُ بما جرى بينك وبين الرومانيين، وكنت أودّ لو لم يكن عندي به علم، لان ذلك « الانسان! » (داماسوس اسقف رومية) « متكبر متغطرس » ومن طبيعة اولئك المتغطرسين أن ينتفخوا كلما لاطفتهم . على اننا لا ننتظر غير رفق الله بنا، فان أدركنا بمراحمه فحسبنا ذلك، وإلاّ فأي تعضيد يمكن أن ننتظره من الغربيين الغلاظ الاكباد الذين لا يعرفون الحقائق ولا يحتملون أن يتعلموها ؟ ! ايّ تعضيد يمكن ان ننتظره من أولئك الذين - فضلاً عن تشبع أدمغتهم بالآراء الفاسدة - يحاربون من يذكر لهم الحقيقة فيغرسون الهرطقة بأيديهم؟! » (راجع رسالته ال ٢٣٦)

هذه كانت آراء الشرقيين في أساقفة رومية « المعصومين!! » فلو عرفناها

الكاثوليك وقعدوا واوطرّقوا امنه قيوداً حديدية يقيّدون بها سائر الكنائس المسيحية - . . لو غضضنا النظر عن ذلك ، لرأينا القديس باسيليوس يعترف للرومانيين بانهم اساتذة الأريوسيين! واذا كان هذا القديس الكبير يرى ان داماسوس اسقف رومية شر من أريوسي، فلمَ يمتعض الكاثوليك المتأخرون لدى سماعهم ان باباهم ليباريوس كان مجرد اريوسي؟!

وعرفنا ان بطرس الاسكندري كان قد أوفد -وهو قس- من قبل اثناسيوس الرسولي، لمعاونة باسيليوس اسقف الكبادوك على ايجاد الصلح والسلام في الكنائس الشرقية.. لو عرفنا هذا وذاك، لتجلى أمام عيوننا السبب الذي دعا البابا بطرس ان يقصد رومية دون غيرها من الكنائس الغربية، وان يقضي بها خمس سنوات (٣٧٤ ـ ٣٧٨) حُرمت أثناءها بدع كلّ من ابوليناريوس ومارسيل ومقدونيوس، في مجمع عقده الاسقف الروماني سنة ٣٧٨م [١] بايعاز من ذلك البابا الاسكندري.

والنتيجة التي نخرج عليها، هي ان الفضل في تطهير الكنيسة الرومانية من أوبئة التعاليم الهرطوقية، عائد لا محالة على الكنيسة الاسكندرية، مركز الارثوذكسية وخزانة التعاليم الرسولية.

---

(١) أصدر هذا المجمع قراراً يقضي بوجوب مشاركة بولينوس لملاتيوس في ادارة الاسقفية الانطاكية، وباستقلال الاول بتلك الاسقفية بعد موت الثاني. أما القديس باسيليوس فانه عندما علم بأمر هذا القرار، كتب رسالته الـ ٢٤٠ فقال فيها: « اني لا أعبأ بهذا القرار ولو قيل بنزوله من السماء، لانه مخالف لقانون الايمان المستقيم. ولا يمكن أن أقبل في شركتي الرسول الذي يأتيني به »

وفي سنة ٣٨١ مات ملاتيوس، فانتخب الشعب الانطاكي فلابيانوس اسقفاً عليه، وثبته المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني)، دون ان يعير قرار داماسوس بشأن بولينوس أقل التفات..!»

تيموثاوس الاول البابا ال ٢٢ (٣٨٠-٣٨٥م) :- هو أخو البابا بطرس الثاني . ولد بالاسكندرية وتعلم في مدرستها اللاهوتية ثم تتلمذ للقديس اثناسيوس الرسولي، وقد ناضل معه في دحض البدعة الأريوسية والقضاء عليها . ولما انعقد مجمع صور (٣٣٤ م) ، وأتى الأريوسيون بالمرأة الزانية التى ادّعت أن الحبر الاسكندري اغتصبها عفتها، قام صاحب الترجمة واثبت براءة معلمه، بعد ان سجّل التلفيق على المرأة ومحرّضيها. وفي حبرية البابا تيموثاوس ظهرت بدعة مقدونيوس،فانعقد بسببها المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) سنة ٣٨١م[1] وحضره البابا الاسكندري مع بعض اساقفته،وقد قضى ذلك المجمع على بدعة مقدونيوس وعلى جميع البدع التى تفرّعت من الهرطقة الأريوسية .

ولما أخذ المجمع ينظر في الشؤون الادارية وجعل كرامة الاسكندرية في المرتبة الثالثة بعد رومية والقسطنطينية - التى دُعيت رومية الجديدة- انسحب منه صاحب الترجمة هو وجميع اساقفته ورجعوا الى مصر، حيث قضى تيموثاوس باقي أيام حياته في ترميم الكنائس وتشييدها ، حتى رقد بالرب في ٢٦ ابيب سنة ١٠٢ ش .

توفيلس البابا ال ٢٣ (٣٨٥ - ٤١٢م): - ولد بالاسكندرية وكان عالماً تقياً . تتلمذ للقديس اثناسيوس الرسولي الذي اتخذه لحذقه كاتماً لأسراره. ولما رقد البابا تيموثاوس، انتخب القبط صاحب الترجمة

(١) انظر فصل المجامع في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

للخلافة المرقسية. وما قبض توفيلس على زمام الرياسة، حتى قام بتشييد كنيسة على اسمي يوحنا المعمدان وأليشع النبي ، تنفيذاً لما كان قد أشار به القديس اثناسيوس قبل موته .

ولما شرع الحبر الاسكندري في وضع أساس هذه الكنيسة ، اكتشف كنزاً يرتقي الى عهد الاسكندر الأكبر المقدوني. فأخبر به القيصر تاؤدوسيوس الذي قدم بنفسه الى الاسكندرية وعاين الكنز، ثم اقتسمه بينه وبين توفيلس. فأنشأ هذا الأخير بحصته أديرة كثيرة ، أهمها « الدير المحرّق» ، ثم شاد كنائس جمة ـ على اسم السيدة العذراء والملاك رافائيل ـ في جهات مختلفة بالاسكندرية . ولكنه لما رأى عدد المؤمنين يزداد من يوم الى آخر ، استصدر أمراً من القيصر بتحويل البرابي الى كنائس ، فبدأ بمعبد ديونيسوس فهدمه وبنى بأنقاضه على أطلاله كنيسة باسم القيصر تاؤدوسيوس . وبينما كان البنّاءون قائمين بالبناء ، عثروا على تماثيل قبيحة الشكل عرضها البابا توفيلس على الشعب تقبيحاً للوثنية . فثارت لذلك ثورة الوثنيين الذين انقضّوا على اخوتهم المسيحيين ـ بقيادة الفيلسوف أولمبيوس ـ وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ولّوا الادبار متخذين السيرابيوم ملجأ لهم أميناً وحصناً منيعاً [١] .

ولما علم الوثنيون ان القيصر قد أصدر أمره بهدم السيرابيوم الذي كانوا يعدّونه صرح مجدهم، تفرّقوا أيدي سبا. وفيما كان المسيحيون

(١) سوزومين ك ٧ ف ١٥ .

مجدّين في هدم هذا المعبد، اذ اكتشفوا صنماً منقوشاً عليه كتابة هيروغليفية مصلّبة الشكل تعريبها: « الحياة الآتية »، فأشهروه للملأ فكان ذلك سبباً في ان اعتمد كثيرون من الوثنيين. أما السرابيوم فقد تحول الى كنيستين، احداهما شيدت في مكان معبد ايزيس وسميت باسم القيصر هونوريوس ، والاخرى أقيمت على اطلال معبد سيرابيس وعُرفت باسم القيصر أركاديوس [1] .

وفي سنة ٤٠٣ م توجه صاحب الترجمة الى القسطنطينية ، فعقد بالقرب منها مجمعين ، وقّع فيهما الحرم على أسقفها يوحنا الذهبي الفم [2] ثم عاد بعد ذلك الى وطنه حيث تجلّى له سوء صنيعه ، فندم على ما فرط منه ضد القديس يوحنا، ومات باراً تقياً [3] في ١٨ بابه سنة ١٢٩ ش، بعد ان خلف لنا تآليف جليلة على المحبة والرحمة والنصح والتناول والقيامة والعقاب والثواب .

قضية يوحنا الذهبي الفم :ـ لقد ذكرنا في ص ٣٩٢ و ٣٩٧ من هذا الكتاب ان البابا توفيلس كان قد اتفق مع أيفانيوس أسقف قبرص على مقاومة القديس يوحنا الذهبي الفم، لايوائه الاخوة الطوال والراهب

(١) روفينوس ك ٢ ف ٢٢ـ٣٠ وتاؤدوريتس ك ٥ ف ٢٢ .

(٢) انظر قضية يوحنا الذهبي الفم .

(٣) جاء في كتاب «الدلالة اللامعة» ص ١١٧ أن توفيلس قد مات باراً، وانه معدود من كبار معلمي الكنيسة الجامعة.

ايسيذوروس(١) المتهمين بالأوريجانية . ونزيد هنا على ما تقدم أن توفيلس - بايعاز من الملكة أودُكسيا زوجة القيصر أركاديوس - قد عقد بين سنتي ٤٠٣ و٤٠٤ م مجمعين بالقرب من خلقيدون ، كانت نتيجتهما أن نفي الذهبي الفم الى نيقية فقيصرية الكبادوك فكومانا (بأرمينية) حيث رقد بالرب سنة ٤٠٧ م .

وكان هذا القديس قُبيل وفاته قد استغاث باخوته الاساقفة عما لاقاه من الظلم وما حاق بكنيسته من الاضرار ، فقال في رسالة بعث بها اليهم : « إني أكتب اليكم جميعاً ، لكي تبذلوا جهد المستطاع لايقاف تيار الظلم وكبح جماح الظالمين . . . والآن ، وقد وقفتم على الحقيقة ، ألتمس منكم - أيها السادة الجزيل قدسهم والعظيم وقارهم - أن تظهروا شجاعتكم في دفع الجور ، وأن تثابروا على العمل بجدّ حتى لا يعمّ الاضطرابُ المسكونة بأسرها . أظهروا للعالم ان الحكم الذي صدر ضدي هو ملغىً من ذاته ، لمخالفته للقوانين المقدسة ، وان الخصوم الذين أصدروا ضدي ذلك الحكم ، جديرون بكل عقوبة كنسية . أما

(١) جاء خطأ في ص ٣٩٧ - ضمن أصدقاء أوريجانوس - اسم وترجمة ايسيذورس الفرمي والحقيقة ان ايسيذورس الذي عاداه توفيلس بسبب أوريجانوس ، هو راهب آخر بهذا الاسم : ولد بالاسكندرية حوالي سنة ٣١٨ م وترهب بدير وادي النطرون وسامه البابا اثناسيوس قساً واشتهر بادارة مستشفى بالاسكندرية ومات بالقسطنطينية حوالي سنة ٤٠٣ م .

اذا أبى أولئك الخصوم إلا المكابرة والعناد، فأرى أن ينعقد مجمع مسكوني ينظر في أمري وأمرهم، حتى يظهر البريء من الجاني وينال كل منا جزاء ما جنت يداه [١] » .

هذا نصّ ماجاء بتلك الرسالة معرّباً عن الاصل اليوناني . غير ان الكاثوليك لما لم يجدوا في ذلك النص ما يساعدهم على الدعوى بسلطة باباواتهم المطلقة ، مدّوا اليه يد التزوير بعد أن اعتبروا الرسالة موجهةً الى اينوشنسيوس [٢] وحده! ، فقالوا بلسان الذهبي الفم : « استعن بنفوذك على نقض الحكم الذي صدر ضدي ، وألغِ قرار أولئك الخصوم، بعد أن توقّع على رؤوسهم العقوبات الكنسية الصارمة ، وبذلك تكون قد أرجعت البريء الى كرسيّه وأعدت الحق الى نصابه [٣] » .

على ان الكاثوليك بهذا التزوير، لا يكذّبون الا أصدق مؤرخيهم

---

(١) سوزومين ك٨ف٢٦ وبلادبوس في حياة « ~~قسطنطين الكبير~~ » الذهبي الفم و كتاب « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » لكيرلس مقار ص٣٠٢

(٢) هو أسقف رومية (٤٠٢ — ٤١٧ م) وهو أول من سعى في اخضاع أساقفة الغرب الى سلطانه المختلق .

(٣) بعد ان أورد كيرلس مقار هذا النصّ المزوّر في ص ٣٠٢ من كتابه « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » ، قال : « لا يمكن أن تبلغ الجسارة في التزوير حداً أبعد من هذا » « On ne peut pousser plus loin l'audace de la falsification ! »

وأكبر كتابهم ، فقد أتى كل من تليمون وفلوري وسيلييه (١) على رسالة الذهبي الفم كما أتينا عليها نحن . وقرّروا فوق ذلك ان تلك الرسالة كانت بمثابة منشور عام ، بُعث بصورة منه الى اينوشنسيوس أسقف رومية أسوةً باخوته الاساقفة فلابيانوس أسقف أنطاكية وفنيريوس «Vénérius» أسقف ميلانو وكروماس Chromace أسقف أكويلا .

ولم يكتف الكاثوليك بتزوير رسالة الذهبي الفم، بل لفّقوا رسالةً نسبوها الى اينوشنسيوس أسقف رومية، وادعوا أن هذا الاسقف قد بعث بها الى القيصر أركاديوس والى زوجته أودُكسيا، وهذا نصّها: « أنا الحقير (!!) بما اني مؤتمن على كرسي بطرس (!!) الرسول المعظم، أفرزك وأفرزها (الملك والملكة) من تناول الاسرار الالهية. وكذلك أرصا كيوس (أرزاس Arsace) الذي أدخلتماه دخيلاً على كرسي البطركية بدلاً من يوحنا ، فقد أفرزناه من الكهنوت وافرزنا معه جميع من شاركه من الاساقفة، ونضيف توفيلس الى الافراز (كذا) من الكهنوت ! ولعنةً واغتراباً تاماً نغرّبه من الملة المسيحية » (٢) .

اما هذه الرسالة فلم نعثر لها على أثر في جميع التواريخ التي وضعها المؤرخون

---

(١) تليمون ك٢ ف ٢٢٩ ، وفلوري ك٥ ف ٢٤٥ ، وسوزومين ك ٨ ف ٢٦ وسلييه « Ceillier » في كتابه «المؤلفين الكنسيين» ك ٩ ص ٢٢٨ . وهو راهب بنديكتي فرنسي (١٦٨٨-١٧٦١م).

(٢) راجع ص ١١٥ من كتاب « الدلالة اللامعة »

المعاصرون للذهبي الفم، ولم ترد الا في مؤلفات المتأخرين من الكاثوليك الذين استقوها من الكردينال بارونيوس. مع العلم بأن هذا الكردينال لم يكن ليظهر في عالم الوجود، إلا بعد رقاد القديس يوحنا بنيّف وأحد عشر قرناً! هذا فضلاً عن ان المصدر الذي استقى منه بارونيوس تفاصيل هذه الرسالة، «لا يمكن ان يكون خارجاً عن مخيّلته التي صوّرت له الوهمَ حقائق فكتب ما كتب بلا شاهد ولا دليل»(١).

ولو كان لتلك الرسالة شبه أثر من الصحة، فلمَ نرى اينوشنسيوس يتوسل الى القيصر اركاديوس - المحروم منه على زعم الكاثوليك - أن يأمر بعقد مجمع مسكوني للنظر في قضية الذهبي الفم؟!(٢). واذا كان لهذا الاسقف الروماني السلطة المطلقة التي يخلعها عليه كاثوليك اليوم: فلمَ نراه يقول في رسالته الى اكليروس وشعب القسطنطينية: «ان المجمع المسكوني وحده هو الذي يستطيع أن يسكّن امثال هذه الزوابع»؟! ولمَ نراه يحثّهم على انتهاج أقرب الطرق الموصلة الى عقد ذلك المجمع المسكوني؟!(٣)

إنه يشقّ علينا ان نرى بين المسيحيين قوماً يعمَدون الى التزوير والمغالطات لاثبات دعوى بسلطة ينقضها الحق ويبرأ منها الدين.

---

(١) راجع دا. مع. فر. تحت كلمة « Innocent »

(٢) رسالة الذهبي الفم ١٢٣ وسوزومين ك ٨ ف ٢٦

(٣) سوزومين ك ٨ ف ٢٦

الحوادث المدنية في القرن الرابع

القيصر مكسيمينوس دازا (٣٠٦-٣١٣م):- ذكرنا في حوادث القرن الثالث المدنية، ان القيصر ديوكلتيانوس اشرك في الحكم معه مكسيميانوس، وانه في سنة ٢٩٤ م ترك أريكة الغرب لقسطنس كلور وغالير، وأن كلاً من ديوكلتيانوس ومكسيميانوس لم يلبث أن تنازل عن الملك لمكسيمينوس دازا:

كان مكسيمينوس وثنياً عاتياً شديد الغيرة على دينه، فشاد للاصنام معابد كثيرة. ثم جدد أوامر ديوكلتيانوس القاضية باضطهاد المسيحيين، تلك الأوامر التي كان قد الغاها غالير قيصر الغرب في ١١ ابريل سنة ٣١١ م. ولما شبّت نيران الحرب بين صاحب الترجمة وبين ليسينيوس مزاحمه على الملك، انهزم الاول فأمر باعلان حمايته للمسيحيين ليجتذبهم اليه، غير انه مات فجأة في طرسوس وخلفه ليسينيوس (٣٠٧-٣٢٤م).

القيصر قسطنطين الكبير (٣٠٦-٣٣٧م):- هو ابن قسطنس كلور. وقد تولى بعده تخت فرنسا. غير أن مكسنس الروماني لم يوافق على هذه التولية وأخذ في مقاومته، فزحف عليه قسطنطين سنة ٣١٢ م في جيش جرّار. وفيما هو في الطريق تلألأ أمامه في السماء رسم صليب متّشح بأشعة نورانية ومكتوب عليه: « بهذا تنتصر ». فاستبسل هو وجنوده، ورفعوا ذلك الرسم المقدس على أعلامهم ولسان حالهم

يقول : «بك نناطح أعداءنا وباسمك نُذلّ الذين يقومون علينا» (مز ٤٣ : ٦). ثم هجموا على عدوّهم، وبقوة تلك الأعلام السماوية هزموه شرّ هزيمة، فولّى من أمامهم مدبراً فاقداً صوابه، فسقط في نهر التيبر (بايطاليا) فهلك (أوسابيوس ك ١ ف ٣ و ك ٤ ف ٢٩). وقد كان ذلك الانتصار السماوي سبباً في أن أصدر قسطنطين سنة ٣١٣ م أمره الشهير في التاريخ «بأمر ميلانو»، وهو الأمر القيصري القاضي بإباحة التدين بالمسيحية. وفي سنة ٣٢٣ م حمل على ليسينيوس قيصر الشرق، فانتصر عليه وقتله في معركة كبيرة. وهكذا آلت اليه المملكة بأسرها، وانقطعت سلسلة الغارات التى شنّها على الكنيسة القياصرة الرومانيون، نيّفاً وثلاثة قرون.

وقد بدأ قسطنطين أعماله بمقاومة اريوس وبدعته، فجمع الاساقفة في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م حيث انعقد المجمع المسكوني الاول، وقضى على ذلك الشقيّ وتلك البدعة. وإثر حلّ هذا المجمع ارسل أمّه القديسة هيلانة الى أورشليم، لتبحث عن الصليب الذى مات عليه المخلص. وقد شاء الله أن يظهر صليب الخلاص على يد هذه الملكة الارثوذكسية بمعجزة باهرة، شهد بها السنكسار ومعه جميع المؤرخين المعاصرين، فسبّحت أمّ قسطنطين الربّ، وبنت على اسم صليبه كنيسة كبرى بأورشليم. ولظهور الصليب المقدس، عيد عظيم تحتفل به الكنيسة القبطية في يوم ١٧ توت من كل عام.

وبين سنة ٣٢٦ و ٣٣٠ م وسّع قسطنطين مدينة «البيزنطية» (القائمة بين قارتي أوربا وآسيا)، وشاد لها الأسوار المنيعة وسماها « القسطنطينية» نسبة الى اسمه وجعلها عاصمة العالم المسيحي، بعد ان شاد بها كثيراً من الكنائس التى أهمها كنيسة أجيا صوفية وكنيسة الشهداء الأطهار . وفي سنة ٣٣٧ م مات هذا القيصر الأرثوذكسي البارّ بعد ان قسّم مملكته بين أبنائه الثلاثة: فخصّ بقسطنطين الصغير عرش فرنسا وأسبانيا وبريطانيا (٣٣٧—٣٤٠م) ، وخصّ بقسطنت تخت ايطاليا وأفريقية والالّيريكون(٣٣٧—٣٥٠م) ، وجعل أريكة الشرق لقسطنس (٣٣٧—٣٦١م) (١)

القيصر يوليانوس الجاحد (٣٦١—٣٦٣م) : — هو ابن أخي القيصر قسطنطين الكبير . ظلّ مسيحياً حتى العشرين من عمره ، ولكنه لما جلس على سرير الملك طغى وبغى ، فجحد دين المسيح وطرد جميع المسيحيين من دوانه واستبدلهم بالوثنيين . وقد أدّى به كفره وطغيانه الى ان حاول إعادة بناء هيكل أورشليم، تكذيباً لنبوة السيد حيث قال : « لن يبقى به حجر على حجر...» . فأمر اليهود بوضع أسس ذلك الهيكل .فتسابقوا الى تنفيذ أمره. وما شرعوا في العمل حتى زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت من جوفها ناراً حامية التهمت خلقاً كثيراً . وفي سنة ٣٦٣م شنّ سابور ملك الفرس الغارة على المملكة

(١) وردت ترجمة هؤلاء القياصرة الثلاثة في ترجمة اثناسيوس البابا ال ٢٠

الرومانية، فتأهب يوليانوس لصدّه. وفيما هو يعدّ عُدّته، إذ دخل عليه القديس باسيليوس الكبير في جماعة من الاساقفة، فابتدرهم ذلك الجاحد بقوله: «أين تركتم ابن النجّار؟» (يريد المسيح تهكماً) فأجابه باسيليوس بشهامة رسولية: «إنّا تركناه يصنع لك تابوتاً، لأنك قد فقدت كل علم ومعرفة». وما عتّمت هذه النبوّة المريعة أن تمّت في ذلك الجاحد، لأن سهماً أصاب كبده في ميدان الوغى، فألقاه على الأرض يتخبّط في دمه. قال تاؤدوريتس في تاريخه الكنسي (ك٣ ف ٢٠): «لما طُعن ذلك القيصر الكافر، تلقى في كفّيه الدم المتدفّق من جنبه، ونثره نحو السماء قائلاً: «لقد قهرتني يا ابن مريم!!» وهكذا مات ذلك الجاحد وهو ينكر لاهوت ابن الله. وقد خلفه يوبيانوس الصالح الذي مات بعد سبعة أشهرٍ مضَينَ على ارتقائه عرش المملكة.

القيصر فالنس (٣٦٤ — ٣٧٨ م): — كان فظاً غليظ القلب وقد تشيع للاريوسيين ونهج منهج يوليانوس في الايقاع بالارثوذكسيين، فسلط الله عليه أمةً جرمانيةً تدعى أمة الغوط «Goths»، فقتلته في موقعة بقرب أدريانوبل (على نهر ماريتزا بتركيّة أوربّا).

القيصر تاؤدوسيوس الكبير (٣٧٨—٣٩٥م): — كان عالي الهمة سمح الاخلاق. ساس المملكة بالعدل، فأعطى الوظائف لمستحقيها دون أن يراعي جنسيةً أو ديناً. وفي سنة ٣٨١ م أمر بعقد المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني)، وحكم بهدم البرابي وتحويلها الى كنائس، وقرّر

ان تكون الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية في سائر الاقطار الرومانية، ونهى عن الاختلافات الدينية والانقسامات المذهبية، وأهلك الاريوسيين وغيرهم من أهل البدع ، وظل كذلك حتى مات سنة ٣٩٥ م. وقد اقتسم ولداه هونوريوس وأركاديوس المملكة بعده ، فتولى الأول مملكة الغرب - وجعل رومية القديمة قاعدة لها - وملك الثاني الشرق، وجعل عاصمته القسطنطينية حتى مات سنة ٤٠٨ م

وهكذا انقسمت الدولة الرومانية الواسعة الاطراف ، الى مملكة غربية - تجزأت سنة ٤٧٦ م الى عدة ممالك منها فرنسا وانجلترا واسبانيا - ومملكة شرقية - تولاها قياصرة الروم الى سنة ١٤٥٣ - حيث دالت دولتهم بافتتاح الاتراك للقسطنطينية .

الرهبنة في مصر وأشهر رجالها

الرهبنة هي هجر العالم للانعكاف على ممارسة الفضيلة والتقوى . هي تهذيب النفس وترقيتها باذلال الجسد وإخضاعه . هي الانقطاع الى تسبيح الله في العزلة والانفراد. وبالجملة هي التجرد عن الارضيات للتأمل في السماويات .

تلك هي الرهبنة التي بزغ نجمها في مصر بعد أن طلع فيها نجم الدين المسيحي ، الذى قال صاحبه له المجد : « من أراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، لأن من أراد ان يخلّص نفسه يهلكها، ومن أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الانجيل يخلّصها، وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ » (مر ٨ : ٣٤ — ٣٦) .

وعلى ذلك تكون الرهبنة نتيجة من نتائج ذلك الدين السماوي ، ظهرت إثر ظهوره ، واعتنقها جدودنا القبط بعد ان رفرفت أعلام المسيحية فوق ربوع مصر الوثنية ، على يد مرقس الرسول « أرومة النسك وأبي النساك » . قال أوسابيوس : « لما كان مرقس الرسول متحلياً بالطهر والعفاف، دبّت روح هذه الفضيلة في قلوب الكثيرين من المصريين، فاعتزلوا الخلق ولجأوا الى الكهوف والغيران ، عاكفين على تسبيح الخالق والتغنّي بذكره الاقدس . فتحوّلت القفار القاحلة الى رياض يانعة تُنبت التقوى وتُثمر الكمال »[١] .وقال المطران يوسف الدبس: « كان لمرقس تلاميذ تساموا في القداسة والحياة النسكية، وقد كان منهم، في الاسقيط (وادي النطرون) وطيبة والصعيد، جيوش كثيرة »[٢]

وعلى ذكرى النسّاك ، وصف فيلون العبري قوماً كانوا بضواحي الاسكندرية وعُرفوا « بالمتأملين في الالهيات » (Les thérapeutes) فقال : « إنهم كانوا يعبدون الله في طهرٍ وعَفاف ، حتى النساء ، فأنهنّ كنّ يحافظنَ على بكارتهنّ برضاهنّ واختيارهنّ ، حباً في الحكمة . وكان أولئك الزّهَدة يتركون كل ما يمتلكون من متاع الدنيا ويتنازلون عنه لذوي قرباهم ، ويأوون الى الجبال حيث

(٢) اوسابيوس ك ٢ ف ١٥ — ١٦

(١) راجع تفسير الاناجيل للدبس صفحة ٣٧٤

يقيمون الصلوات بعيداً عن عيون الدنس والفساد . ولم يكن لهم سمير في عزلتهم سوى كتاب المزامير وكتب الأنبياء وغيرها من الكتب التي تغذي العقول بالفضيلة وتصعد بها الى ذُرى الكمال . وكانوا يقضّون النهار كله يتأملون في الحكمة الالهية، ويسبحون رب البرية بالاناشيد والتماجيد. وكانوا يصومون أيام الجمعة. وكانت لهم أيام طويلة لا يأكلون فيها إلاّ مرة واحدة بعد الغروب ، فضلاً عن انقطاعهم عن أكل اللحم وشرب الخمر . وقد بلغ الزهد بالكثيرين منهم حداً انقطعوا معه عن كل طعام وشراب ، ثلاثةَ أيام متوالية » [١]

وقال سوزومين : « ان الوصف الذى خلّفه لنا فيلون المؤرخ العبري عن سكنى « المتأملين في الالهيات » وعن اغذيتهم وبالجملة عن جميع أطوار حياتهم ، ينطبق على رهبان مصر تمام الانطباق» [٢]

وزاد كاسيانوس [٣] على هذه الشهادة قوله : «ان التقليد القديم، يشهد بأن رهبان وادي النطرون، متناسلون من «المتأملين في الالهيات»

والنتيجة ، ان الرهبنة ظهرت في مصر منذ صدر المسيحية . غير انها عُرفت في عهد بوْلا وأنطونيوس بالتوحد، فكان الراهب يعتزل في مغارة حيث يقضّي حياته فريداً . ومنذ عهد مكاريوس وامّونيوس

(١) فيلون بأوسابيوس ك ٢ ف ١٧
(٢) سوزومين ك ١ ف ١٢
(٣) راجع «مقابلاته » ٢:٢،وهو كاتب كنسي(٣٥٠-٤٣٢م).

أخذ الرهبان يشتركون ويتعاونون على نوعٍ مّا. ثم في عهد باخوميوس وشنودي (شنوده) ، اجتمعوا جماعاتٍ منظمة تخضع لقوانين معينة وتسير على نظام مخصوص .

البارّ أنبا بولا (٢٢٨-٣٤٢م): -هو سيّد النساك وأبو الرهبان. ولد في مدينة طيبة من أبوين مثريين، خلّفا له مالاً طائلاً كاد يكون سبباً في اضرام جذوة النزاع والشحناء بينه وبين أحد أقربائه . غير ان صاحب الترجمة تنازل عن حصّته لذلك القريب ، بعد أن ودّع العالم الوداع الأخير ، قاصداً جبل القُلزُم (١) حيث وجَد- بقرب شاطئ خليج السويس-مغارةً أمامها نخلة وعين ماء جارية؛ فقضى حياته هناك يأكل من ثمر هذه النخلة ويشرب من ماء تلك العين .

وفي آخر أيامه أوحى الله الى الأنبا انطونيوس أن يقوم بزيارته. فما وصل المغارة حتى قابله الأنبا بولا وناداهُ باسمه كما لو كان يعرفه من زمن بعيد ، ثم أخذ يقصّ عليه سيرته. وفيما هما يتحادثان اذا بغراب وضع أمامهما رغيفاً من الخبز ؛ فقال الأنبا بولا :«تبارك اسم الرب الذي بعث الينا كفافنا . ان لي ستين سنةً والغراب يأتيني بنصف رغيف في كل يوم، ولقد أتاني اليوم برغيف كامل اكراماً لك يا أنطونيوس» (٢)

(١) هو شمالي البرية الشرقية (الصحراء العربية) التي بين النيل والبحر الاحمر

(٢) راجع دا . مع . فر . تحت كلمة (Antoine)، وسيرة القديسين للدومينيكان ج ١ ص ٣٢

فشكرا العناية الالهية وقضيا ليلتهما في العبادة والصلاة. ولما كان الصباح قال الأنبا بولا لضيفه الكريم: «ان أيامي قد فنيت، وقد دنت الساعة التي تفارق فيها روحي هذا الجسد البالي، بعد أن جاهدتُ الجهاد الحسن، وأكملت السعي المشكور، وحافظت على الدين الارثوذكسي القويم. ولما كان الله قد وعدني بزيارتك لي لتعيد التراب الى التراب، فأطلب اليك أن تأتيني بالثوب الذي أعطاكه أبونا اثناسيوس [1] (الرسولي) لتكفنني به، فتشملني بركته». فأجابه الأنبا انطونيوس الى طلبه، ورجع الى ديره لاستحضار ذلك الثوب. وما عاد به حتى وجد الأنبا بولا ساجداً لا حراك به، فظنه يصلي. غير انه ما لبث ان تحقق من موت صديقه القديس، فبكاه بكاءً مراً، وكفنه حسب وصيته الأخيرة بعد ان نزع عنه ثوبه المجدول من سعف النخل [2]. ولما أراد أن يدفنه، سخر الله أسدين حفرا بمخالبهما لحداً، وضع فيه الأنبا انطونيوس هذا الجسد الكريم [3]. وكان ذلك في ٢ أمشير سنة ٥٩ ش.

---

(١) قال القديس أنطونيوس في «ترجمة الأنبا بولا»: «ان هذا الثوب كان قد أهداه القيصر قسطنطين الكبير الى البابا اثناسيوس، وهو أهداه اليَّ»

(٢) ايرونيموس في «ترجمة الانبا بولا»

(٣) راجع دا. مع. فر. تحت كلمة «Antoine»، وسيرة القديسين للدومينيكان ج ١ ص ٣٢

أما سيرة هذا البار فقد وضعها أولاً الأنبا انطونيوس باللغة القبطية، ونقلها عنه ايرونيموس الى اللاتينية . وقد عرّبها بعض القبط ، ثم طبعها المسيو أميلينو بالفرنسية في باريس سنة ١٨٩٤ م .

وللانبا بولا دير كبير مشيّد على اسمه [١] في مكان المغارة التي كان يقطنها ، والتي تحوّلت الى كنيسة تضم جسده الكريم . وعلى اسمه أوقاف كثيرة: فمن عقار في القاهرة ، الى عزبة في بوش ، الى أطيان في مديرية بني سويف، تبلغ مساحتها نيفاً وسبعمائة فدان

للعظيم أنبا انطونيوس (٢٥١-٣٥٦م):- ولد بناحية قمن العروس [٢] من أبوين مسيحيين، ربياه تربية صالحة وعوّداه على الفضيلة والتقوى فنشأ ورعاً تقياً . ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، فقد والديه اللذين خلّفا- له ولاخته دون سواهما- ثروة طائلة. غير انه في ذات يوم سمع الواعظ في الكنيسة يفسر الآية القائلة: «اذا أردت أن تكون كاملاً ،فامض

(١) لم يزل هذا الدير عامراً، وفيه الآن خمسون راهباً رغم طول الزمان وهجمات البدو وظلم الحكام. وللوصول اليه يركب القاصد الجمال من بوش (ببني سويف) مقضياً على ظهرها أربعة أيام بلياليها . وبين الدير وشاطئ خليج السويس أربع ساعات. وعلى ذلك الشاطئ فنار الزعفران.

(٢) هي بلدة بمركز الواسطى بمديرية بني سويف . وبها رزقة على اسم القديس انطونيوس، يبلغ مساحتها الآن ٥٣ فداناً، وقيل ان هذه المساحة كانت قبلاً ٣٠٠ فدان

وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين ، فيكون لك كنز في السماء » (مت١٩: ٢١) فعمل صاحب الترجمة بهذه الوصية الانجيلية ، وباع كل أطيانه ووزّع ثمنها على الفقراء والمعوَزين، غير مستبقٍ أكثر من اللازم للقيام بأوَد أخته . ثم اعتزل العالم ، فانفرد في قبر لا يبعد عن ناحية الميمون[١] ، حيث قضى حوالي عشرين سنة، كان لا يأكل فيها إلا أكلة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة. وكان قوته الخبز مع قليل من الملح ، يتناوله بعد غروب الشمس.

وحوالي سنة ٢٨٦م توغّل صاحب الترجمة في البرية الشرقية، فوجد مغارةً قديمة لا تبعد عن مغارة أنبا بولا ، فظلّ بها لا مؤنس له غير الكتب المقدسة التي تغذّي النفوس وتنهض بها الى أوج الكمال .

ولما كانت الارواح النجسة تحاول اسقاطه في هاوية الدعارة وتُنزل به من العذابات الجهنمية أمرّها ، كان يصدّ هجماتها بترس الايمان وسيف كلام الله قائلاً مع داود النبي : « إن اصطفّ عليّ عسكر فلا يفزع قلبي ، وان قام عليّ قتال فأنا بربي واثق » . (مز٢٦: ٣)

ولقد ذاع صيت الأنبا أنطونيوس في الآفاق وشاع ذكره في العالمين، فقصده الناس من كل صوب ليقتبسوا من فضائله ويتّعظوا بمواعظه ، فكان يشفي المرضى ويخرج الشياطين باسم يسوع الناصريّ ، الذي أجرى على يديه كثيراً من الآيات والمعجزات. وروي

(١) هي بلدة على ضفة النيل بمديرية بني سويف وبها دير للقديس انطونيوس.

القديس اثناسيوس في « ترجمة أنطونيوس » ان فطاحل الفلاسفة اليونانيين كانوا يقصدون ذلك الناسك ليجادلوه في الدين المسيحي، فكان يفحمهم بأدلته السديدة . وكثيراً ما كان يأتيه الولاة والقضاة ليستشيروه ، فكان يمدهم بآرائه الحكيمة وأفكاره الصائبة. وحدث أن ضابطاً أراد أن يستبقي الأنبا أنطونيوس في حضرته بعيداً عن المغارة ، فاعتذر له بقوله: « كما ان السمكة لا تحيا خارج الماء ، كذلك الراهب اذا طال خروجه عن مغارته لا يلبث أن يفقد عواطفه النسكية[1] »

ولما ذاعت بين القبط سيرة هذا القديس الذي شابه الملائكة في البرارة والطهر ، ترك كثيرون منهم متاع الدنيا والتفوا حوله، فسنّ لهم قوانين للحياة النسكية، ساروا بمقتضاها سنين طويلة . ومن أشهر الذين تتلمذوا له واقتدوا بسيرته الطاهرة ، الأنبا مكاريوس الكبير الذي أقام ببرية شيهيت (الاسقيط) بوادي النطرون. والانبا أمّونيوس الذي نزل أيضاً بوادي النطرون . والأنبا بلامون[2] الذي قطن الصحراء بقرب سوهاج . والأنبا ايلاريون الذي قضى أيامه في مغارة بجبل «مايوما» بقرب مدينة غزة بفلسطين.

وفي سنة ٣١١ م اشتدّ اضطهاد القيصر مكسيمينوس دازا على

---

(١) راجع « ترجمة أنطونيوس » لاثناسيوس في ملرج ٢ ص ٣٤٠.

(٢) للأنبا بلامون دير بناحية القصر والصياد بمركز نجع حمادي بمديرية قنا لم يزل عامراً حتى اليوم .

المسيحيين ، فاستصحب الأنبا أنطونيوس بعضَ رهبانه، وتوجّه معهم الى الاسكندرية لمواساة المؤمنين وحضّهم على قبول الاستشهاد، ولم يعودوا الى اديرتهم إلاّ بعد ان وضع الاضطهاد أوزاره .

ولما سمع القيصر قسطنطين بخبر أولئك الزهدة القديسين، أرسل الى رئيسهم الأنبا أنطونيوس رسالةً يطلب منه فيها أن يبارك عليه وعلى أولاده ومملكته. وما استلم الرهبان هذه الرسالة حتى أخذ منهم الدهش كل مأخذ، لانهم استكبروا ان يكاتبهم مثل هذا القيصر العظيم. فأنّبهم الانبا أنطونيوس على ذلك أشد التأنيب ، قائلاً لهم : « لا يجب أن تنذهلوا من كتابة القيصر لنا ، فان هو إلا بشر مثلنا ، وانما يجب أن تنذهلوا من تنازل الله الذي أرسل الينا شريعته، وكلمنا بواسطة ابنه الوحيد[1] ». وكان الانبا أنطونيوس قد عوّل على عدم الاكتراث بهذه الرسالة ، غير ان بعض الرهبان ألحّوا عليه بالاجابة ، فلبّى طلبهم . وكتب للقيصر وأولاده رسالةً رسم لهم فيها الطريق التي يجب أن يسلكوها لينالوا الخلاص لنفوسهم والخير لمملكتهم ، قائلاً لهم : « يجب ألاّ يبرح ذا كرتكم ان الرب وحده هو الملك الحقيقي الذي لافناء لملكه » . ثم رجاهم أن يقضوا بين الرعية بالعدل ، وان يحسنوا الى الفقراء والمعوَزين، الى غير ذلك من المواعظ البليغة ، والحكم العالية

(١) راجع « ترجمة أنطونيوس » لاثناسيوس في مِلرج ٢ص٣٣٨.

المستمدة من الكتاب المقدس [١] . ولما انتشرت بدعة أريوس المنافق في مدينة الاسكندرية بعد ارفضاض المجمع النيقاوي، استدعى البابا اثناسيوس صاحب الترجمة الى الاسكندرية لمعاونته على دحض تلك البدعة الخبيثة، فقام بهذه المأمورية ـ بالاشتراك مع الحبر الاسكندري وديديم الضرير [٢] مدير المدرسة اللاهوتية ـ خير قيام .

وقد توجه هذا القديس الى أديرة الفيوم فتفقد رهبانها وأوصاهم أن يثابروا على الصلوات والابتهالات، ليسحقوا شوكة ابليس التي

(١) راجع دا . مع . فو تحت كلمة « Antoine » و « ترجمة أنطونيوس » لاثناسيوس في ملا ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٢) ولد بالاسكندرية سنة ٣٠٨ م. وفقد بصره في الرابعة من عمره. ولكنه أحرز بذكائه المفرط علوماً كثيرة انتخبه لأجلها القديس اثناسيوس سنة ٣٤٠ م لادارة المدرسة اللاهوتية . وكان ديديم صديقاً حميماً للقديس أنطونيوس الذي قال له ذات يوم: « انك، وان كنت قد فقدت النظر الذي يملكه حتى الذباب، لكنّ الله خصّك بالقداسة وهي موهبة لم يخصّ بها غير رسله وقديسيه . فخير أن يرى الانسان الامور بعيون قلبه من أن يراها بعيون جسده». وقال المؤرخ تاؤدوريتس (ك٣ف٢٤): «انه لما مات القيصر يوليانوس الجاحد، سمع ديديم صوتاً من العلاء يقول له : قم وقل لاثناسيوس ان القيصر قد مات اليوم » . وفي سنة ٣٦٥ م مات ديديم بعد ان خلّف لنا عدة مؤلفات نفيسة أخصها في الثالوث الاقدس والروح القدس وفي تفسير كتب أوريجانوس.

تشتد وطأتها بنوع خاص على الرهبان. وهكذا ظل الانبا أنطونيوس ينشر التعاليم المسيحية ويسن القوانين النسكية حتى رقد بالرب في ٢٢ طوبه سنة ٧١ ش ، بعد ان وهب عصاه لتلميذه مكاريوس ، وأحد ثوبيه لصديقه اثناسيوس الرسولي، والآخر لسرابيون اسقف دندره. وقد دُفن جسده الطاهر أمام باب الهيكل القبلي بالكنيسة التي بناها في حياته باسم السيدة العذراء[١]، والتي لم تزل حتى اليوم تضم ذلك الجسد الكريم، داخل دير عظيم شيد في أيام الانبا انطونيوس بجوار مغارته بجبل العربة. وهذا الدير باقٍ الى الآن[٢] ، وهو في مساحة تزيد على ٢٠ فداناً ، وبه حديقة تبلغ مساحتها ١٠ أفدنة ترويها عين جارية تفيض من صخرة مرتفعة . وبه أيضاً ست كنائس ، بنى أحدثها البابا كيرلس الرابع أبو الاصلاح .

وعلى اسم القديس أنطونيوس أوقاف كثيرة : فمن عقار في القاهرة، الى عزبة في بوش ، الى اطيان بمديرية بني سويف ، تبلغ مساحتها نيفاً والف فدان .

الانبا أمونيوس (٢٩٤ - ٣٥٦ م) : - ولد بجوار مريوط من أسرة مسيحية ، ذات ثروة واسعة وجاه عظيم . مات والداه وتركاه تحت وصاية عمه الذي زوجه على غير ارادته بفتاة غنية، كانت تميل مثله الى

(١) سميت تلك الكنيسة فيما بعد باسم القديس أنطونيوس.

(٢) يبلغ الآن عدد رهبان هذا الدير ١٠٨ ، وبينه وبين دير الأنبا بولا مسيرة يوم.

العزلة والانفراد. فاتفقا فيما بينهما أن يحافظا على بتولتهما وينذراها للرب . وقد ظلاّ عاملين بهذا الاتفاق ، حتى ماتت الزوجة بعد سبع عشرة سنة مضين من تاريخ عقد زواجها. فهجر أمونيوس مسقطرأسه وتتلمذ للقديس أنطونيوس الذي أوفده الى وادي النطرون ، لتأسيس أديرة هناك . فقام صاحب الترجمة بهذه المهمة خير قيام ، وما لبث أن انضم تحت لوائه كثيرون من القبط، فساسهم بالفضيلة والتقوى حتى رقد بالرب في ٢٠ بشنس سنة ٧٣ ش .

القديس مكاريوس المصرى[١] (أبومقار الكبير) (٣٠١- ٣٩١ م) ولد بالصعيد[٢] من ابوين مسيحيين بدا فيه روح الزهد والنسك، فتوجه سنة ٣٣١م الى صحراء ليبية وأقام هناك ببرية الاسقيط بوادي النطرون. ثم تتلمذ للقديس انطونيوس الذي ألبسه إسكيم الرهبنة. ولما عاد مكاريوس الى الاسقيط، أسس ديراً على اسم العذراء عرف أولاً باسم دير مكسيموس ودوماديوس[٣]، ثم عُرف باسم دير البراموس

(١) هو احد الثلاثة المكاريوسات الواردين في الخولاجي القبطي. واما الاثنان الآخران فاحدهما مكاريوس الاسكندري- وسترد ترجمته إثر ترجمة سميّه المصري- والآخر هومكاريوس أسقف إدكو ، وسترد ترجمته في القرن الخامس بالجزء الثاني ، لما له من العلاقة بالقديس ديوسقورس البابا الاسكندري الـ ٢٥

(٢) وقيل انه ولد في بلدة شنشور بالمنوفية

(٣) هما ولدا فالنتينيانوس الاول قيصر الغرب (٣٦٤-٣٧٥م)،

(أي الدير الذي يسبق ديرموسى)

وفي سنة ٣٤٠م سيم القديس مكاريوس قساً، ليقوم بتأدية الاسرار الالهية. واذ التف حوله كثيرون من الرهبان ، بنى لهم ديراً لم يزل لليوم معروفاً باسم « دير القديس مكاريوس» أو (دير ابي مقار)[١]. ولقد نما عدد رهبان هذا الدير حتى بلغ ١٥٠٠ راهب ، كانت لهم مكانة عليا ومنزلة كبرى ، لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة التقوى .

وفي سنة ٣٧٥م أمر القيصر فالنس بطرد جميع رؤساء الاديرة الذين حافظوا على الايمان الارثوكسي القويم . فنفذ لوسيوس الاريوسي هذا الأمر بان نفى القديس مكاريوس وكثيرين من الرهبان الى جزيرة فيلي، التي مالبث سكانها ان اعتنقوا المسيحية، بواسطة الآيات التي اجراها الله على يد ذلك القديس[٢]. وحوالي سنة ٣٧٦م عاد القديس مكاريوس الى بريته حيث استأنف أعماله التقوية، فظل يعلم المتوحدين ويرشدهم حتى رقد بالرب في ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ ش[٣]، بالغاً من العمر تسعين سنة، تاركاً برية الاسقيط تحاكي السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح والتمجيد

هجرا العالم وبذخ الملك وتتلمذا للقديس مكاريوس

(١) بهذا الدير الآن ٢٥ راهباً . وله املاك بالقاهرة واطيان بمديرية الجيزة تبلغ مساحتها ١٠٠ فدان .

(٢) راجع ص ٤٧٩ من هذا الكتاب ودا. مع. فر. تحت كلمة «Macaire»

(٣) جاء في السنكسار تحت يوم ١٩ مسرى ما ملخصه : ان قوماً

وقد اشتهر القديس مكاريوس بالوداعة والغيرة على المسيحية والمدافعة عن تعاليم الكنيسة الارثوذكسية. فكتب بلغته القبطية اكثر من ٥٠ رسالة في مواضيع دينية متنوعة، طبعت في باريس بالفرنسية سنه ١٥٥٩م. أما رسائله اللاهوتية السبع، فطبعت بالفرنسية في مدينة طولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤م. وكتب المسيو اميلينو سيرة هذا البار وطبعها سنة ١٨٩٤م.

الانبا مكاريوس الاسكندري (مكاريوس الصغير ٣٠٦ - ٤٠٥م) :- ولد بالاسكندرية وتتلمذ للقديس انطونيوس وترهب بوادي النطرون في ايام الانبا مكاريوس الكبير. واقام هناك مدة طويلة تسيم في خلالها قساً بعد أن التف حوله اكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد. ولما كان هذا البار متمسكاً بإيمان البابا اثناسيوس، اضطهده القيصر فالنس الاريوسي اضطهاداً شديداً واذاقه عذاباً اليماً. غير ان الله اراد ان ينجو هذا القديس، فعاد الى بريته حيث مات بين رهبانه في ٦ بشنس سنة ١١٢ش مخلفاً قوانين كثيرة طبعت في باريس سنه ١٦٣٧م، ورسالة في «نفوس الابرار بعد الموت» طبعت في أوترخت بسويسرة سنة ١٦٩٦م.

الانبا باخوميوس (٢٩٤-٤٠٥م) :- ولد في مدينة طيبة

من ناحية شبشير طملاي بمركز منوف، كانوا قد سطوا على جسد القديس مكاريوس وسرقوه من ديره ووضعوه في كنيسة بنوها له في بلدتهم، فبقي بها مدة ٤٤٠ سنة تقريباً حتى حبرية ميخائيل الثالث البابا الـ ٧١ الذي أمر بنقل ذلك الجسد الطاهر الى البرية كما كان، ولم يزل بها حتى اليوم.

من أبوين وثنيين مثريين ، أجبراه ذات يوم على عبادة الاصنام ، فلعنها وهزأ بعابديها . ولما بلغ أشُدَّه تطوَّع في الجيش الروماني ، وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعةً فائقةً وهمةً عالية . ثم غادر الجندية وعاد الى وطنه حيث اعتنق المسيحية على يد سرابيون (سراباموں) أسقف دندره، وله من العمر يومئذٍ خمس وعشرون سنة .

ولما كان صاحب الترجمة ميّالاً الى العُزلة والانفراد ، توجَّه الى أسوان حيث تتلمذ للأنبا بَلامون، الذي أدمجه في سلك رهبانه، فامتاز عليهم في صرامة العيش وطول الصوم . وفي ذات يوم – بينما كان باخوميوس يصلي ويتضرَّع بعيداً عن ديره – ظهر له ملَك الرب وأشار اليه ببناء دير في جهة طابانا [١] ، ثم سلمه قانوناً [٢] أمره بتنفيذه في الرهبان الذين يقتفون أثره ويلتفّون حوله ، فأذعن صاحب الترجمة لذلك الأمر السماوي وبنى هذا الدير . وسرعان ما أمّه كثيرون من

(١) وتسمَّى بالقبطية طابنّيسيس وتعريبها «نخل إيزيس» وهي بلدة تابعة لايبرشية دندرة . قال بعض المؤرخين انها جزيرة في النيل تعرف الآن بجزيرة الغريب . وقال البعض الآخر : ان طاباناً هي مدينة كانت على الشاطئ الايمن للنيل ، جنوبي «فاو قبلي» بمديرية قنا.

(٢) راجع ص ٢٠١ من كتاب « الدر المنظوم » للسيد بولس مسعد الماروني نقلاً عن كتاب فرائض الرهبان الملكية الشويرية. وسيرة القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٥٨٠ . وقد طبع هذا القانون في رومية سنة ١٥٧٥ م .

طلاّب الحياة الابدية ، الذين بلغ عددهم ما يُنيف على السبعة الآلاف راهب. وكان في مقدمة هؤلاء الرهبان، يوحنا أخو الأنبا باخوميوس الذي - بعد ان قضى سنتين في ذلك الدير - مات باراً تقياً [١] .

وحوالي سنة ٣٣٣ م ، زار القديس اثناسيوس الرسولي جميع ايبرشيات كرازته لتثبيت رعيته في الايمان الارثوذكسي . وما وصل الى هذه الاديرة حتى مجّد الله الذي أبدل أسُدَ الفلاة وغورها بملائكة أرضيين وبشر سماويين، يسبّحونه في الغُدُوّ والآصال .

وفي سنة ٣٤٠م بنى صاحب الترجمة ديراً للراهبات الزاهدات، اللاتي سمعن وصية بولس الرسول لحفظن بتولتهن ونذرنها للرب . ثم جعل اخته مريم التي اشتهرت بالتقوى، رئيسة على ذلك الدير - الذى انتظم بين جدرانه اربعمائة راهبة قبطية - فساستهن بالمحبة والعفة . [٢]

وفى يوم ١٤ بشنس سنة ٢٢٢ش ، رقد الانبا باخوميوس بالرب بعد ان ترك جيوش رهبانه تحت قيادة تلميذيه تاؤدوروس وبترونيوس. وقد ظلّت هذه الرهبنة قائمة فى الشرق، حتى القرن الحادي عشر. وروى أنسلم (من رجال ذلك القرن) اسقف هافلبرج (بالمانيا) انه عاين في القسطنطينية ديراً باسم القديس باخوميوس، وبه ٥٠٠ راهب عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم [٣]

---

(١) راجع سيرة القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٥٨١

(٢) راجع سيرة القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٥٨٣

(٣) راجع سيرة القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٥٨٤ .

أما سيرة هذا البار فقد دوّنها أحد رهبانه بالقبطية ، ونقلها عنه ايرونيموس فديونيسيوس الصغير[١] . وقد عربها بعض القبط ثم ترجمها المسيو أميلينو الى الفرنسية وطبعها في باريس سنة ١٨٨٩م .

الانبا شنوده رئيس المتوحدين (٣٣٣-٤٥١ م) :- ولد بقرية شندويل[٢] . ومنذ نعومة أظفاره تتلمذ لخاله « الأنبا بيجول » الذى كان يرأس ديراً بالصحراء بالقرب من سوهاج . ولما اختلط صاحب الترجمة بالرهبان المتحلّين بالعلم والتقوى ، اقتبس عنهم الفضيلة وفاقهم في الزهد. وقد وصل في العلم الى درجة ارتقي معها سنام المجد وصعد فروع العلى، فانتخبه لذلك جماعة الرهبان رئيساً عليهم بعد رقاد الأنبا بيجول، فنظّم ادارة الدير ووسّع نطاقه. وقد بلغ عدد الرهبان في عهده ٢٢٠٠ بالدير الأبيض، و١٨٠٠ بالدير الأحمر[٣] .

ولما كان الانبا شنوده شديد العزم فصيحاً غيوراً على كنيسته القبطية وتعاليمها الأرثوذكسية ، استصحبه البابا كيرلس الكبير الى مجمع افسس سنة ٤٣١م، حيث أظهر كفاءة علمية كبرى في دحض بدعة

(١) هو راهب غربي من مقاطعة سيتي باوربّا . دوّن معظم القوانين الكنسية (٥٢٥ — ٥٥٥ م) .

(٢) هي بلدة بجوار أخميم بمديرية جرجا

(٣) الدير الأبيض ويسمى دير الانبا شنوده، وبجواره الدير الأحمر أو دير الانبا بشوي . وهما قائمان للآن غربيّ سوهاج .

نسطور المنافق [١] ثم عاد صاحب الترجمة الى رهبانه ، ولكنه إذ علم أن هناك من يحاولون العبث بالتعليم «بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة» ، ذلك التعليم الأرثوذكسي «الذي أجمعت عليه الكنيسة منذ تأسيسها» ، [٢] وثبوتية الأسد ، وباشتراكه مع القديس ديوسقورس البابا الاسكندري الـ ٢٥ ، حارب أولئك المفسدين ، وكاد يقضي عليهم وعلى ما كانوا يحاولون [٣] لولم تحل منيته دون ذلك حيث رقد بالرب في ٧ أبيب سنة ١٦٨ ش

(١) راجع الرسالة التي كتبها القديس كيرلس الكبير عن مجمع أفسس باللغة القبطية ، وهي مثبوتة بتلك اللغة في ص ٢ و٣ و٤ من كتاب الأجرومية القبطية للقس ألكسيس مالون Alexis Mallon الجزويت ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٤ م .

(٢) راجع كتاب « نهج وسيم » لغريغوريوس شاهين اسقف السريان الكاثوليك بدمشق صفحة ١٩ - : وسنوفي هذا الموضوع الخطير حقه في الجزء الثاني ان شاء الله

(٣) هذا هو السبب الذي حدا بالكاثوليك الى اسقاط اسم الأنبا شنودي من بين القديسين وحملهم علي الحط من كرامته ، ولكن فات حضراتهم انهم بهذا العمل الشائن قد ناقضوا القديس كيرلس الكبير عماد الارثوذكسية ، الذي قرر — ولو كره المغرضون — ان الأنبا شنودي لم يكن قديساً فقط « بل قديساً ونبياً أيضاً » (راجع ص ٣ و٤ من الاجرومية القبطية لمالون الجزويت) - : واننا لنعجب

وللأنبا شنودي مواعظ بليغة ومؤلفات نفيسة، وضعها باللغة القبطية وبقيت محفوظة بالدير الأبيض حتى عثر على بعضها المسيو ماسپرو، وعلى البعض الآخر المسيو زويجا فالمسيو أميلينو الذى نشرها بالفرنسية سنة ١٨٨٩ م. ومعظم هذه المؤلفات ما زال حتى اليوم يزين جيد متاحف نابولي والبندقية بايطاليا، واللوفر بفرنسا، والمكتبة الاهلية بباريس، ومكتبة أكسفورد بانجلترا.

* * *

هذه خلاصة تراجم بعض آباء الصحراء الذين كان جُلُّ همهم تسبيح العلي والتغني بآيات كتابه المقدس وعيالة عبيده المساكين البائسين.[١] وقد سطعت في قفار مصر وصحاراها شموس زَهَدة كثيرين غيرهم، ممن لا يقلّون عنهم فضلاً ولا ورعاً: مثل الأنبا بيشوي الرجل الكامل، والأنبا موسى، والأنبا يؤانس القصير. والأنبا يؤانس «كامي» (الأسود) والأنبا نوفر السائح، وغيرهم من الرهبان القديسين والنساك المتعبدين كواكب البرية، ورافعي لواء الارثوذكسية.

من أن ينتهي الأمر بالاقباط الكاثوليك الى مجاراة الكنيسة اللاتينية في انكار قداسة جدهم الأنبا شنودي، مع العلم بأن كابلاتهم (كنائسهم) بالوجه القبلي لم تنقطع عن قراءة مواعظه في اسبوع البصخة (الفصح) إلا من سنوات معدودات، وبأنهم ما زالوا يطلقون اسمه الكريم على أولادهم حتى اليوم !!

(١) راجع اثناسيوس الرسولي في تاريخ لومُند الجزويت ج ١ ص ١٧٠

الرهبنة ورأي بوتشر البروتستانتية فيها :— وقف القارىء فيما تقدم على حقيقة الرهبنة ، التي كمل هلالها في غرّة القرن الرابع فأصبح بدراً في سماء مصر أنار الكون بأشعّة الكمال المسيحي . ومما أوردناه من التراجم الموجزة لأئمة الرهبان ، يتضح جليّاً أن الدنيا بجمالها الفتّان وزُخرفها الخدّاع ، لم تكن لتستهوي أولئك القديسين، بل تكشفت لهم عن وهم باطل وخيال كاذب ، فغادروها مفضّلين الاقامة في الجبال، مولّين وجوههم شطر خالقهم، عاكفين على عبادته الى آخر نسمة من حياتهم، مشتغلين بوضع المؤلفات النفيسة في أصول الدين ، عاملين على نشر الفضيلة وغرس التقوى في القلوب المسيحية.

هؤلاء هم الرهبان الذين انتهكت بوتشر البروتستانتية حُرمتهم، فلدغتهم بلسانها في فصل من كتابها « تاريخ الامة القبطية »، عنوانه: « انتحار الأمة المصرية » ! ! !

وفضلاً عن أنّا لا نرى في هذا العنوان شيئاً من الآداب العالية التي يجب أن تتحلّى بها المرأة الراقية، فاننا نلاحظ ان ذلك الفصل مملوء بالكذب والافتراء على أفضل من خدموا المسيحية وعلى خير من أعلَوا منارها. على أنه لا وجه لاستغرابنا من تعريض مثل هذه البروتستانتية بالرهبنة ، بعد أن رأينا البروتستانت يقبّحون « الاعمال الصالحة » : فيرذلون البتولة ، ويجحدون الشفاعة ، ويستهجنون الصوم . ومعلوم ان هذه الفضائل المسيحية الثلاث ، هي الأساس المتين الذى توطّدت

عليه أركان الرهبنة ، ورسخت فوقه صوامع الرهبان.

قبّحت بوتشر «البتولة» وحملت على المتبتلين حملة شعواء ، وظنّت أنها أتت على السبب الذى دعاها الى ذلك التقبيح فقالت : «ان الرهبان الذين نذروا البتولة ، لم يخلّفوا أولاداً بعدهم يدافعون عن بلادهم ، أو على الأقل يحفظون ذكرى والديهم أو يحتفظون على سؤدد أجدادهم »[١]

واننا لا نحاجّ من زعمت أنها تدافع عن القبط بنشرها تاريخهم وهي لم تقصد غير نشر أضاليلها البروتستانتية.. لا نحاجّها بقولنا لها إن الدين المسيحي لم يكن ديناً حربياً يأمر بالزواج والتناسل للدفاع عن الاوطان، ولا نقول لها ان الافضل أن يتغنى المسيحي بذكر الخالق عزّ وجلّ من ان يحتفظ « على سؤدد أجداده » .. لا نحاجّها بذلك وانما نرجو أن لا يهولها الأمر ، لأن عدد الرهبان ليس بالشيء المذكور اذا قورن بعدد أبناء الامة القبطية ... واننا نأمل أن تخفف بوتشر من حدّتها وتعلم ان الرهبان مهما بلغ عددهم ، فانهم لا يهدّدون أمتنا بانقراض النسل. كما نرجو أن تعلم قوله تعالى: «لا يقل الخصي[٢] ها أنا ذا شجرة يابسة ، فانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويؤثرون ما رضيتُ به ويتمسكون بعهدي: اني أعطيهم في بيتي

---

(١) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) هو الذي خصى نفسه لاجل ملكوت السموات (مت١٩ :١٢)، ويُقصد بالخصيّ هنا البتول.

وداخل أسواري موضعاً واسماً ، خيراً من البنين والبنات ، اسماً أبدياً لا ينقرض » (اش ٥٦:٤و٥).

هذا ولو عرفنا ان بوتشر تقدّس ماتسميه «المواجب الطبيعية»(؟!) وتفضّل هـذه « المواجب » (!) على التنسّك والتضرع والصوم والصلاة !!! [1] .. لو عرفنا ذلك، لحكمنا بأن انقراض النسل لم يكن هو الباعث الحقيقي الذي حمل هذه المرأة على رذل البتولة والتشنيع بالمتبتلين.

قالت بوتشر : « ان ماحدا بالرهبان الى نذر البتولة ، هو الامر الذي أصدره قسطنطين سنة ٣٢٠ م القاضي باعفاء العُذّاب والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم . وان هذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال الى الامتناع عن الزواج، بل ساعدهم على الشر والفساد ! لاسيّما وقد جاء في فقرةٍ منه أن اللقطاء يُرَبّون على مصاريف الحكومة ..! » [2] .

ولا يخفى ما في هذا القول من الطعن الشائن على الرهبان، لأن اعتقاد بوتشر بتعذر حفظ البتولة ، قد أدّى بها الى أن تسند اليهم تهمة الزنى تلميحاً بقولها : « ان قانون قسطنطين قد ساعد الكثيرين منهم على الشر والفساد ! ». ثم تصريحاً بقولها : « ان فقرة من ذلك القانون قضت بتربية اللقطاء على مصاريف الحكومة ! » . واننا

(١) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ٣٢٠ .
(٢) « « « ج ١ ص ٢٧٦ .

نسأل الله أن يرأف بتلك المرأة وأن لايحاسبها على محاولتها الصاق هذه التهمة الفظيعة بأبرّ الناس ، دون أن يكون لديها من دليل غير شديد تمسكها « بالمواجب الطبيعية »! وانصراف أفكارها الى الملاذّ البدنية !

وأما عن ادعائها بأن أبناء الأمة القبطية قد انخرطوا في سلك الرهبنة سنة ٣٢٠ م (أي حوالي منتصف القرن الرابع)، قصد الهرب من دفع الضرائب ، فقد نقضته هي بنفسها حيث قالت: « أن الرهبنة قد ظهرت في منتصف القرن الثاني » (١) . وفضلاً عن ذلك فانها في مواضع كثيرة من كتابها ، قالت عن الرهبان الذين أتت على تراجمهم : « إنهم تنازلوا عن أموالهم الكثيرة وثروتهم الطائلة ، بتوزيعهم إياها على الفقراء والمساكين » (٢) .

ولا ندري كيف نوفّق بين تصدّق أولئك الرهبان بأموالهم، وبين هربهم الى الجبال تخلصاً من دفع الضرائب !! واذا صحت دعوى عدوة الخير والدين وكانت الرهبنة كارثة أصيب بها القبط وكان الفقر هو الذي جرّها عليهم ، فهل لها أن تنبئنا بما جرّ تلك الكارثة على القديسة دميانة ابنة والي البرلس ، وعلى كلٍّ من مكسيموس ودوماديوس ابني الملك فالنتنيانوس ومعلمهما أرسانيوس ؟ أهو الفقر أيضاً أم هو انصراف أفكارهم من الأرضيات الى السماويات ومن الفانيات الى الباقيات؟

(١) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ٣٢ .

(٢) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ١١٤ و ١٤٩ و ١٥١ الخ.

طعنت بوتشر على الرهبان فنسبت اليهم الجهل والغباوة بقولها : « انه لو اقتصر الامر على وساخة أجسادهم لكان الضرر هيّناً ، ولكنه قد تعدّاه ، الى وساخة عقولهم ... » (١) !

على أن من يتصفّح كتاب هذه المفترية يرى به ما ينقض تلك الدعوى ، فقد قالت في ج ٢ ص ٩ : « ان كيرلس الكبير كان يهتدي بآراء الأنبا شنودي في عويص المشاكل » . وفي ج ١ ص ٢٧٣ . قالت : « إن معظم هؤلاء المتبدّلين كانوا من أحسن المصريين طباعاً وأوسعهم عقلاً وأغدرهم مادةً ... وإن خيار القوم هم الذين قد هرعوا الى الادبرة طلباً للوحدة والانفراد » !

ولما أتت على ترجمة أبولونيوس الذي سامه البابا اثناسيوس أسقفاً على هرموبوليس ، قالت في ج ١ ص ٢٨٠ : « انه كان من أصل طيب ، وقد صار بجدّه واجتهاده من مشاهير العلماء الاعلام في ذلك الحين ، وانه أفاد روفينوس (العالم الغربي) فائدةً عظمى ، بأن أسهب له في تبيان ماهية ديانة المصريين القدماء وطقوسهم واحتفالاتهم والرموز الصحيحة التي كانت تُستعمل في الزمن الغابر » .

وقالت في ج ١ ص ٢٨٤ عن القديس مكاريوس المصري : « ان له تآليف ثمينة ردّ بها على مؤلفات الوثنيين ضد الديانة المسيحية » .

وقالت في ج ٢ ص ١٧ : « ان العلماء من الرهبان قد قاموا بترجمة ونسخ

(١) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ٢٧٥ .

كثير من الكتب والأسفار المقدسة : فترجموا العهد الجديد الى اللهَجات القبطية الثلاث، ونقلوا تواريخ كثيرين من الشهداء والقديسين الى اللغة القبطية ، كما نقلوا الى تلك اللغة تآليف معظم الآباء الاولين»!.

وهب أن الجهل والغرور قد تسرّبا الى بعض الرهبان ، فهل يصح اتخاذ ذلك دليلا على فساد الرهبنة نفسها ؟ أيشين القانون تطرُّق الغش والتدليس الى بعض رجال القانون؟! على انه لو كان في استطاعة كوَيتبة البروتستانت أن تثبت ان الرهبنة هي مصدر الجهل والغباوة، لجاز لها أن تطعن عليها . ولكن لما كان ذلك فوق طوقها ، حقّ لنا ان ننعتها بالتلوّن والتقلب والكذب والافتراء. وكفى رهباننا انتصاراً عليها أنها لم تخطّ في كتابها كلمةً فارغة ضدهم إلا نقضتها عفواً بكلام ثمين بل بدرر غالية . ففيما هي تدعي ان الرهبنة داء فتاك فشا في مصر وأن الجهل كان أحد اعراض هذا الداء ، تراها تثني على الرهبان عاطر الثناء وتقول انهم كانوا أشهر رجال عصرهم وأتمهم آداباً .ولا غرابة في ذلك التعثر والتسكع، فلا صدق مع البروتستانتية.

تنشر وتنشر كتابها بين القبط لتروّج أضاليل شيوخها وتُرّهاتهم في طائفة لم تتنبه بعدُ من غفلتها ولم تُفق من سُباتها ، فهي تنتهز تلك الفرص السانحة لتقوم بالمهمة التى عُهد اليها بها خير قيام . على أن سوق هذه الاباطيل لارواج لها عند أبناء الكنيسة المرقسية، الذين لم تكن لتظهر فى العالم هرطقة أو بدعة، إلا كشفوا عنها النقاب وألبسوها

ثوبها الحقيقي، وأظهروها للملأ مجردةً من كل زخرف باطلٍ وطلاءٍ غاشٍ. وكما ان الله قد سخّر للقضاء على جميع البدع والهرطقات القديمة ديونيسيوس والكسندروس وأثناسيوس وكيرلس وديوسقورس، كذلك يسخّر الله خلفاءهم وأبناءهم لسحق البدع البروتستانتية، التي تسعى بوتشر وشيوخها في نشرها ببلادنا المصرية، مستعينةً على ذلك بالمخاتلة تارةً وبالافتراء أخرى.

ولو لم تكن أمّتنا القبطية لتجني من الرهبان غير الابتهالات التي يرفعونها الى الرب عنها، لكفاها ذلك. لأنه تعالى يغفر للألوف إكراماً لصلاح الآحاد، فقد قال الله لعبده ابراهيم: «انه لو كان بمدينة سادوم خمسون باراً، بل خمسة وأربعون، بل أربعون، بل ثلاثون، بل عشرون، بل عشرة، لَمَا اهلكتُها» (تك ١٨ : ٢٦ — ٣٣)

فاليكم ايها الرهبان ـ الذين تضع الأمة آمالها فيهم ـ أوجّه كلمتي الاخيرة صادرةً عن قلب طاهر وإخلاص تامّ:

اذكروا يوماً كانت فيه اديرتكم مهبط القداسة ومحط رحال العلوم رغمَ الاضطهاد والشدائد. ترفّقوا بأمتكم وتذكّروا انّ منكم يتخرج قادتها الروحيون، ومن بينكم يختار الروح القدس من يأتمنه على قيادة الرعية التي اقتناها الفادي بدمه الكريم

ان إبليس يجول مصرَ في اجسام جماعات البروتستانت، ولا يخرج هذا اللعين إلا بالصوم والصلاة (مت١٧: ٢١) فصوموا وصلّوا لكي

يرفع الله عنا هذا الوباء . ابتهلوا وتضرعوا الى الرب لتنكسر امامكم شوكة المبتدعين المضلين . وواصلوا ليلكم بنهاركم في الصلاة اقتداء بأسلافكم الأبرار، الذين بصومهم وصلاتهم سحقوا جميع البدع ، ولا سيما البدعة الأريوسية التي كادت تعمّ المسكونة بأسرها

اقتدوا بأولئك الجدود القديسين، حتى يتقبل الله دعواتكم ويسحق رأس الأفعى البروتستانتية، فلا تعود تنفث سمومها في قلوب ابنائكم الذين يعلّقون خير الآمال على صالح دعواتكم وطاهر صلواتكم. بركة صلواتكم فلتكن معنا آمين .

الصوم ورأي بوتشر وشيوخها فيه : — لم تكتف بوتشر بما اوردته في كتابها ضد الرهبان، بل تعدّته الى الطعن في فضيلة الصوم، فشابهت في ذلك شيوخها البروتستانت الذين يستهجنون هذه الفريضة المسيحية ، كما شابهتهم في الحطّ من كرامة الرهبان، والحط من قدر الشفاعة التي يُجلّها الأرثوذكسيون عموماً والقبط منهم خصوصاً

أما الشفاعة فقد استوفينا البحث فيها في ص ١١١ من هذا الكتاب

وأما الصوم فهو فريضة الهية تقضي أولاً :— بالانقطاع عن الأطعمة الشهية ، طبقاً لقول دانيال النبي : « لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل فمي لحمٌ ولا خمر الى انتهاء ثلاثة اسابيع » (دا ١٠: ٢و٣). ثانياً :— بالامتناع عن اللذات الجسدية عملاً بقول بولس الرسول « لا يسلبنّ أحدكم « حق الآخر » (سرّ الزيجة) إلاّ الى حين،

حتى تتفرغوا للصوم والصلاة » (١ كو ٧: ٥) ثالثاً :— باذلال النفس وقمع شهواتها تقرباً الى الله، عملاً بقوله تعالى لنبيه دانيال: « منذ اليوم الذي اذللتَ نفسك فيه أمام الهك ، قد سُمِع كلامك » (دا ١٠: ١٢)

هذا هو الصوم الذي تمسَّكت به كنيستنا القبطية شديد التمسك، آمرةً به ابناءها ، مشيرةً عليهم بأكل الزيت والفول والعدس وغير ذلك، طبقاً لقول داود النبي : « ركبتاي ضعفتا من الصوم ولحمي تغير من أكل الزيت »[1] وعملاً بقول الرب لنبيه حزقيال (٤: ٩): «أما انت فخذ لك حنطةً وشعيراً وفولاً وعدساً ودُخْناً وكِرْسِنَّةً (كموناً)».

وانما فرضت الكنيسة الاصوام في ايام معينة من السنة ، عملاً بقول الرب لنبيه زكريا: «ان صوم الشهر الرابع والخامس والسابع وصوم العاشر ، يكون لبيت يهوذا فرحاً وابتهاجاً وأعياداً » (زك ٨: ١٩)

على أن ذلك التحديد لا يمنع أن يتعداه مَن يطلب المزيد من التقشف والتقوى ، كما اتى ذلك رهباننا في القرون الاولى. فانهم فرضوا على انفسهم صياماً مستديماً، عملاً بوصية بولس الرسول القائل : « لماذا تهتمون للطعام لحياة أجسادكم، وتعرضون عن الاهتمام بحياتكم الروحية؟ ان الاهتمام بالجسد هو موت وعداء لله » (رو ٨: ٥—٧) ولقد رأينا

(١) راجع مز ١٠٩: ٢٤ بتوراة البروتستانت طبعة بيروت سنة ١٨٥٤م ومز ١٠٨ بكتاب المزامير طبعة ثالثة للجزويت ببيروت سنة ١٨٦٢م.

الأنبا بولا لا يأكل غير بلح النخل ونصف الرغيف الذي كان الغراب يأتيه به في كل يوم ،وكذلك القديس انطونيوس فقد رأيناه وقد قضى حياته الطويلة مقتاتاً بالخبز والملح.وما ذلك الا لعلم هذين البارين بأن الصوم هو الدرع الوحيد الذي به يخمد الانسان نار الشهوة البهيمية، ويقهر شيطان الدنس والفساد .

قالت دائرة المعارف الفرنسية : « لا طُهرَ بغير صوم ولا صوم إلا كان متبوعاً بجميع الكمالات الأدبية، لأن الصوم ينبوع القداسة، والقداسة تتضمن تلك الكمالات كلّها » (م ٢١ ص ١٥٦) وقال كلفينوس[١] أحد أئمة البروتستانت: « اذا امتلأت البطون ، ابتعدت النفوس عن الله » !! (راجع كتابه «التعليم المسيحي »ك٤ف١٢:١٦)

أما الفوائد التي تنتج عن الصوم فما لا يحصى عديدها . وينبئنا الكتاب الطاهر انه بالصوم مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة ، استلم موسى العشر الكلمات مكتوبةً بأصبع الله . وبواسطة الصوم طلب هذا النبي من الرب أن يغفر خطايا الشعب الذي سبك عجلاً وعبده من دون الله، فاستجاب العليّ دعاء موسى اكراماً لصومه وصلاته (خر٢٤ : ١٨ و٣٤:٢٨ وتث ٩:٩و١٨)

---

(١) هو يوحنا كلفينوس J. Calvin (١٥٠٩ – ١٥٦٤م). أدخل البروتستانتية في فرنسا وسويسرا . وأطلق الفرنسيون على اتباعه اسم (الهوجونو) Les Huguenots

بالصوم تواضع آخاب الملك أمام الرب الذي قال لايليا النبي : «هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامي ؟ فلا أجلب الشرّ في أيامه»[١]

بالصوم الذي فرضه الملك يهوشافاط على جميع شعبه، دفع الله عنه شرّ بني مؤاب وبني عمّون ، الذين كانوا آتين لمحاربته، فانكسروا شرّ كسرة » (أي ٢٠ : ١—٣ و٢٣—٢٥)

بالصوم المشفوع بالصلاة ، طلب دانيال من المولى أن يرفع غضبه عن شعب إسرايل ، وأن يعيد الى اورشليم مجدها الذى كان أرميا النبي قد تنبأ بزواله . وبهما طلب دانيال أيضاً من الله أن يلهمه تفسير الرؤيا التي كانت غامضةً عليه ، فألهمه ذلك (دا ٩ : ٢ و١٠ : ١—٣)

ولما ضرب الرب بني اسرايل بالجراد في زمن يوءيل النبيّ ، أمرهم قائلاً : « توبوا اليّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والعويل » (يوء ٢ : ١)

بالصوم الذى فرضته إستير زوجة أحشورش الملك على جميع اليهود، سمح الله بهلاك هامان الشقيّ ، فسقطت معه المكائد الشيطانية التي كان قد دبّرها ضد الشعب الاسرايلي (إش ٤ : ١٦)

بالصوم والصلاة تخلّصت مدينة نينوى من السّخط الالهي في أيام يونان النبيّ (يون ٣ : ٥).وبهما دفع عزرا غوائل اللصوص وصدّ هجماتهم (عز ٨ : ٢١)

---

(١) ١مل ٢١ : ٢٩ طبعة البروتستانت سنة ١٩٠٩ و٣ مل ٢١ : ٢٩ طبعة الجزويت سنة ١٨٩٩م.

فهل بعد كل ذلك يظلّ البروتستانت يتبجّحون ويندّدون بالصوم المقدس المفروض من كنيسة الله الأرثوذكسية ؟ ! وهل يتمادون في دعواهم بعظيم ضرر الصوم مع عدم فائدته؟!

أما اذا كان كل ما نقلناه عن العهد القديم لا يكفي لاقناع أولئك المكابرين، فان لنا في العهد الجديد الشواهد الكثيرة والآيات الصريحة التى تنطق بوجوب التمسك بتلك الفريضة المقدسة . فقد ابتدأ السيد له المجد تبشيره بالصوم مدة اربعين يوماً وأربعين ليلة ، وكانت نتيجة ذلك أن رُدّ الشيطان الذي أتى ليجرّبه خائباً مدحوراً (مت ٤ : ٢ ولو ٤:٢) ولعلّ ذلك الشيطان هو من الجنس الذي أشار اليه السيد بقوله : «أما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصوم والصلاة» (مت١٧:٢١)

وفضلاً عن ذلك فقد أمر الرب أبناءه بالصوم حيث قال : « اذا صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين الذين يغيّرون وجوههم ليَظْهروا للناس صائمين . الحقّ أقول لكم إن مثل هؤلاء قد استوفَوا أجورهم. أما أنت إذا صُمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك ولا تظهر صومك للناس ، بل لأبيك الذي يرى في الخفاء ، وأبوك الذي في الخفاء هو يجازيك » (مت٦:١٦—١٨)

ولما سأل تلاميذ يوحنا والفريسيون يسوع : « لماذا لا يصوم تلاميذك ؟ » أجابهم قائلاً : « هل يستطيع بنو العُرس أن يصوموا ما دام العريس معهم ؟ ولكن ستأتي أيام يرتفع فيها العريس عنهم

فحينئذ يصومون ... » (مر ٢ :١٨—٢٠)

ولقد حافظ التلاميذ على أمر معلمهم ، فصاموا بعد صعوده الى السماء كما يشهد بذلك لوقا الانجيليّ في كتاب أعمال الرسل (أع ١٤: ٢٣ و١٣: ٢و٣) وبولس الرسول في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس حيث قال : « يجب أن نظهرْ أنفسنا كخدام الله في كل شيء : في صبر كثير، وفي شدائد ، ... وفي أصوام ، ... » (٢ كو ٦: ٤-٥ و١١: ٢٧)

وفوق ذلك يشهد الكتاب الطاهر بأن بطرس الرسول كان ينقطع عن الطعام حتى الساعة السادسة (أع ١٠: ٩—١٠)وان كورنيليوس الأمميّ قائد المائة كان يصوم حتى الساعة التاسعة وكان يختم صومه بالصلاة (أع ١٠: ٣ و٣٠)

هذه هي شهادات الكتاب عن الصوم. ولا يفوتنا ان التقليد لا يقلّ صراحةً عن تلك الشهادات . فقد جاء في القانون الـ ٦٩ من قوانين الرسل : « أي اسقف أو قس أو شماس الخ لا يصوم صوم الاربعين المقدس الذي يسبق الفصح ، وكذلك صوم يومي الأربعاء والجمعة [١] فليقطع، إلاّ إذا كان عدم صومه ناشئاً عن مرض جسديّ . وأما العالمي الذي يفطر في أيام الصوم فليفرز »

(١) يصوم المسيحيون يوم الأربعاء تذكاراً لمؤامرة اليهود على قتل المسيح ، ويوم الجمعة تذكاراً لصلبهم إياه

ويشهد كل من ترتليانوس [١] وسقراط [٢] بأن جميع المسيحيين كانوا يصومون أيام الأربعين المقدسة ويومي الأربعاء والجمعة من كل اسبوع. ويقرر يوستينوس [٣] أن المسيحيين في حضورهم حفلة العماد كانوا يصومون ، وكذلك كان يصوم كلّ من المعمِّد والمعمَّد .

وورد في اصحاح ٧ عدد ٤ من كتاب تعليم الرسل الاثني عشر (الدسقولية) - الذي كُتب حوالي سنة ٩٦م وترجمه عن الأصل اليوناني يوحنا هوج الانجليزي البروتستانتي وطبعه سنة ١٨٨٦م - ما يأتي: «فليصم (قبل العماد) كلّ من المعمِّد والمعمَّد ومن يشاء من الذين يحضرون حفلة العماد ، ويحسن بالمعمِّد والمعمَّد أن يصوما يوماً أو يومين من قبل»

ولقد أجلّ القيصر تاؤدوسيوس الصغير الصوم ، حتى انه في الكتاب التاسع من قانونه ، أمر باغلاق المحاكم أيام الاصوام ، وكذلك بايقاف تنفيذ العقوبات في المحكوم عليهم .

فما بال البروتستانت يمقتون الصوم ويتحاملون على الصائمين وقد رأوا أن الكتاب في العهدين القديم والحديث يحثّ عليه ، والرسل يمارسونه ، كما يشهد بذلك التقليد الشريف في القوانين الرسولية وفي صلاة القسمة (قسمة الجسد) التي تتلوها الكنيسة القبطية في آخر

---

(١) راجع العظة ال١٤ لترتليانوس

(٢) راجع سقراط في تاريخ الكنسي ك ٥ ف ٢١ و ٢٢

(٣) راجع يوستينوس في احتجاجه الاول ك ١ ف ٦٩

القداس مدة أيام الأصوام ؟ ! [١]

العلّ البروتستانت ينكرون مع الصوم كل الكتب التي فرضته !! على انه اذا بلغت بهم الجسارة الى ذلك الحدّ ، فهل هي تبلغ بهم الى حدّ الاستخفاف بزعيمهم لوتيروس الذي قال: « انه من الواجب (لا الجائز) ممارسة الصوم قبل الأعياد السيّدية كالميلاد والفصح والعنصرة، وكذلك في يوم الجمعة من كل اسبوع » [٢] ؛

وعلى ذكرى لوتيروس نقول ان كلفينوس – الزعيم البروتستانتي الثاني – حتّم الصوم على المسيحيين كافةً ، « ولاسيما عند انتخاب الرعاة، وفي الحوادث العظيمة، وعند اشتداد الازمات ووقوع الملمّات، مثل الحروب والاوبئة والمجاعات» ! (راجع كتابه « التعليم المسيحي »ك ٤ ف١٢ : ١٤) . ومن أقواله أيضاً في هذا الصدد: «ان الصوم فرض الهيّ مقدس ، يقمع شهوة الجسد ، ويحضّ على الصلاة ، ويدلّ على اتضاع الانسان أمام الله »!!(راجع كتابه «التعليم المسيحي »ك ٤ف١٢ : ١٥)

ولو افترض أن جارى البروتستانت العصريون جميعَ المسيحيين في تقبيح مذاهب لوتيروس وكلفينوس ، فأصبحوا لا يعتدّون باقوالهما

(١) راجع الخولاجي القبطي طبعة القمص مرقس بساده وأقلوديوس بك لبيب سنة ١٦٢٤ ش. ص ٣٦١ — ٣٦٤

(٢) راجع دا . مع . فر . م ٩ ص ٣٨٧

بصفتهما مبتدعَين، فماذا يكون قولهم في المؤلفات التي طبعوها هم أنفسهم في السنين المتأخرة، والتي تنطق بوجوب الصوم لبلوغ الكمال المسيحي ؟

ألم يرد في ص١٠٨ من كتاب «كشف الظلام في حقيقة الصلاة والصيام» المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٦ : «أنه لا يجوز للمسيحي «الانجيلي!» أن يتغافل عن حقيقة الصوم ووجوبه، لأن استعماله اللائق هو من جملة الوسائط لقهر الخطيئة وللنموّ في النعمة والقداسة... وأن الانسان الذي يطالع الكتب المقدسة بفكرٍ خالٍ من الغرض لا يستطيع أن ينكر ممارسة الصوم» ؟!

ألمْ يردْ أيضاً في ص١١١ من هذا الكتاب وكذلك في ص١١٣ منه : «أننا نرى أن وجوب الصوم مما يقتضيه كلام المسيح ... وأن الصوم هو من الواجبات الدينية التي تختص بعبادة الله، حتى ان الانسان اذا مارسه بالاستخفاف ـ سواء كان جاهلاً حقيقته ومعناه أو قاصداً التظاهر ـ فانه يكون قد أتى اهانةً باهظة في حق العزة الالهية ..» ؟!

ألم يرِدْ في ص١٠٠ من كتاب «تاريخ كنيسة المسيح» الذي طبعه البروتستانت سنة ١٨٣٩ : «أن الصوم كان عند المسيحيين جُمْعيّاً (اسبوعياً) وسنوياً : ففي الاسبوع كان يومي الاربعاء والجمعة حتى العصر، وفي السنة كان الصوم الكبير ...» ؟!

عميت بصائر بروتستانت القرن العشرين فانتهكوا حُرمة فريضة الصوم المقدسة، وقامت من بينهم بوتشر تدّعي بجسارة غريبة: «أن

طول الاصوام قد أضنى القبط، وحال دون قيامهم بأعمالهم المعتادة»[1] !

على أن الساكنين تحت سماء مصر عن بكرة أبيهم، يكذّبون تلك المدعية ويشهدون للقبطي بنشاطه في عمله ومواظبته عليه. وإلا فلمَ نراه يشغَل نفس المراكز الماليكية والعسكرية التي يشغَلها مواطنه المسلم؟ أأسندت الحكومة اليه تلك المراكز على غير استحقاق وأهلية، أم هي تلك المرأة الأجنبية تحاول تشويه سُمعة القبط، لعلّة في جوفها ومرض في قلبها؟

تقول بوتشر: « ان الكنيسة القبطية التي لم تسمح للقبطي بأن يأكل في أيام الأصوام ما لذّ وطاب — مثل المسلم الذي لا يصوم من السنة كلها سوى ٢٨ يوماً يقضي فيها نهاره نائماً وليله آكلاً شارباً — قد كانت سبباً في إضعاف عزيمة أبنائها والحطّ من قواهم، حتى لقد مضت عليهم الى الآن قرون عديدة لم يشنّوا فيها غارةً واحدة دفاعاً عن حريتهم واستقلالهم »[2] !!

ونحن نسأل بوتشر أن تنبئنا عمن تريد أن يشنّ القبطُ عليهم تلك الغارة ؟؟ على اننا نبشرها بقرب الزمان الذي فيه نشنّ الغارة الشعواء عليها وعلى شيوخها البروتستانت، الذين يجولون حول ابناء طائفتنا كالأُسُد الزائرة متلمسين من يبتلعونه (١ بط ٥ : ٨) . نبشرها بتلك الغارة التي لا تدرع لها إلاّ بالصوم والصلاة، وبالاستغاثة برب

(١) راجع كتابها « تاريخ الامة القبطية » ج ١ ص ٣١
(٢) » » » ج ١ ص ٣٢

«الصباءوت» (الجنود)، الذي استغاث به داود النبي حيث قال: «بك يارب نناطح اعداءنا، وباسمك نُذلّ الذين يقومون علينا» (مز٤٣: ٦)

تدّعي أخيراً قسيسة البروتستانات ان الكنيسة القبطية أطالت مدة الأصوام. أما نحن فلا ندحض دعواها بقولنا: إن اصوامنا الحالية هي هي التي مارسها جدودنا الاولون والتي تسلموها من رسل الرب القديسين، ولكنا نقول لتلك التي تجاهلت قول الكتاب الطاهر: «من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فساداً» (غل ٦: ٨).. نقول لها إنه لو كان في استطاعة الخليقة ان تقتدي بخالقها كلّ الاقتداء، لما تأخر القبط عن الانقطاع أربعين يوماً واربعين ليلة عن كل طعام وشراب، اقتداءً بمن نزل من السماء ليعلّمنا طريق الخلاص، وعملاً بوصية رسوليه بطرس وبولس القائلَين: «ان المسيح تألم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي تتّبع خُطُواته. وانه لم يدعُنا الى الأكل والشرب، لان ملكوت الله ليس بأكلٍ وشربٍ، بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس»... (١بط ٢: ٢١ ورو١٤: ١٧)

تم الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني متضمناً قضية الكنيسة القبطية والمجامع المسكونية وجميع البدع الغربية

﴿ قاموس الكتاب ﴾

حرف الالف

﴿ حرف الباء ﴾

﴿ حرف التاء ﴾

﴿ حرف الثاء ﴾

﴿ حرف الجيم ﴾

حرف الحاء

﴿ حرف الدال ﴾

﴿ حرف الذال ﴾

﴿ حرف الراء ﴾

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

﴿ حرف الطاء ﴾

﴿ حرف الغين ﴾

﴿ حرف الفاء ﴾

حرف القاف

حرف الكاف

﴿ حرف اللام ﴾

حرف الميم

حرف النون

﴿ حرف الهاء ﴾

﴿ حرف الواو ﴾

﴿ حرف الياء ﴾

تم القاموس




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

